الأمير الكردي

مير محمد الرواندزي

الملقب بـ «ميرى كۆره»

تأليف

جمال نه‌به‌ز



الترجمة الى العربية

فخرى سلاشور

الأمير الكردي مير محمد الرواندزي

جمال نه‌به‌ز

الأمير الكُردي

مير محمد الرواندزي

الملقب بـ"ميرى كۆره"

مساهمة علمية في دراسة التاريخ الكردي على صفحة مرآة الشواهد والأدلة الشرقية والغربية

جمال ‘‘WÐW½

ترجمه الى العربية:

فخري شمس الدين ÏAŠöÝ–

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق
ص.ب رقم: ١
www.araspublisher.com

اسم الكتاب: الأمير الكُردي - مير محمد الرواندزي
تأليف: جمال نَبَز (أطروحة دكتوراه)
ترجمة: فخري شمس الدين ˙ÏAŠö0Ý
من منشورات ئاراس رقم: ٢٢٤
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: آراس أكرم
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن الحاج محمود
الطبعة الثانية: اربيل - ٢٠٠٣
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٢٠٠٣/٣٨٩

المحتويات

بسم الله العزيز

كلمة المترجم للطبعة الثانية

(من كتاب الأمير الكردي مير محمد الرواندوزي)

لما كانت الطبعة الأولى من الترجمة العربية لهذا الكتاب قد صدرت عام ١٩٩٤، ولقيت تشجيعاً واقبالاً من القراء الكرام المهتمين بتاريخ الكرد وكردستان، ولصعوبة الحصول على الطبعة الأولى بسبب عدم توفرها في المكتبات واسواق الكتب، فقد وجدت من المفيد ثانية بعد إجراء بعض التنقيحات والتحسينات عليها، وتزويدها ببعض الصور والرسوم التاريخية والاثرية للشخصيات والمواقع ذات العلاقة باحداث ورد ذكرها في هذا البحث، ومن بينها صورة (وصفية) للامير الكردي مير محمد الرواندوزي الملقب بـ(ميري كۆره)، رسمها رسام كردي بمبادرة مني لإخفاقي في الحصول على الصورة الاصلية، وذلك وفقاً لمواصفات ذكرها الطبيب الانكليزي روس Roos الذي زار الأمير عام ١٨٣٣م، علماً باني وجدت صوراً اخرى، من بينها صورة لقائد قوات سوران رسول پاشا (اخ ميري كۆره) محفوظة في ارشيف المغفور له والدي (شمس الدين بگ سلاحشۆر).

لقد كان بودّي ان اضيف الى هذه الطبعة قسماً من الوثائق البريطانية والقاجارية حول تواطؤ الإنكليز مع الدولتين العثمانية والقاجارية في القضاء على الإمارة السورانية، التي كان من الممكن ان تكون حجر الاساس لتوحيد الإمارات الكردية وتشكيل دولة كردية لسائر كردستان، لكن الوقت لم يساعدني وان شاء الله اقوم بنشرها في اقرب فرصة نظراً لاهميتها المتعلقة باحداث احدى مراحل الحركة القومية التحررية الكردية[**١].

** اشارة النجمتين تشير الى هوامش المترجم للطبعة الثانية.

(**١) يقول الدكتور خليل جندي:

"ويعتبر انتقال الحكم في امارة سوران الى يد الامير محمد الملقب بـ(ميري كوره) سنة ١٨١٣ واعلان استقلاله عن الامبراطورية العثمانية ١٨٣٤ المرحلة الثانية للحركة القومية التحررية الكردية. فقد استطاع هذا الامير توسيع حدود امارته على حساب الامارات الكردية الاخرى وانشاء معمل للاسلحة (السيوف، الخناجر، البنادق، سبطانات المدافع والطلقات وغيرها من المعدات الحربية) والقيام باجراء تعديلات في الادارة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي سك النقود باسمه..الخ". انظر: الدكتور خليل جندي، حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي ١٩٣٩-١٩٦٨، اراء ومعالجات، ص٢٦، ستوكهولم ١٩٩٤م.

بهذه المناسبة وللأمانة التاريخية اود تصحيح ما جاء في الطبعة الأولى تحت هامش المترجم رقم (*٣٢)، اذ تبين ان صاحب تلك القصيدة حول مدينة رواندوز هو الاستاذ لطيف نادر آغا الرواندوزي وليس المرحوم شاكر مجروم فارجو المعذرة.

في الختام اتقدم بمزيد الشكر والامتنان لكل من ساهم في اخراج هذه الطبعة الثانية عسى ان اكون قد وفقت في جهدي هذا، وقمت بما يحتمه عليَّ الواجب لخدمة تاريخ الكرد المليء بالعظات والعبر، اذ ان درس الماضي يساعدنا على تفهم الحاضر وبناء مستقبل زاهر.

وفقنا الله لما فيه الخير

فخري سلاحشۆر رواندوزي
تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١

المقرر الأول: البروفيسور برتوك شبولر

المقرر الثاني: البروفيسور هيلموت براون

يوم المناظرة: ٩ شباط ١٩٧٠

كُردستان ٢٦٩٤، ١٩٩٤

ISBN yt- 87610-04-3

كلمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ان طالعت النسخة الألمانية من اطروحة الدكتوراه للأستاذ جمال نهبهز، المحفوظة في المكتبة الوطنية بڤينّا تحت عنوان «الأمير الكردي مير محمد الرواندزي الملقب بميري كوّره، على صفحة مرآة الشواهد والأدلة الشرقية والغربية»[*١]، عقدت العزم على ترجمتها الى اللغة العربية ليتسنى لقراء العربية الإستفادة منها أيضاً، إذ من المؤسف حقاً أن نجد العديد من الباحثين ورجال السياسة تنقصهم المعرفة اللازمة بتاريخ الكرد حتى تلك الأحداث التي تتعلق بالأمس القريب، ونرى أناساً يزعمون دون خجل أو وجل بأنه «لما لم يكن للكرد في الماضي كيان مستقل على نمط دول أو إمارات، فلا حاجة اذاً لإنشاء دولة خاصة بهم في الوقت الراهن أيضاً»[*٢]، متخذين من ادعائهم الباطل المضلل ذريعة لتبرير مقاصدهم العدوانية والشوفينية الشريرة. ناسين او متناسين ما في طيات التاريخ من دول وإمارات كردية، كانت في حينها على مستوى عالٍ من الرقي والإزدهار لو قورنت بما كان لبعض شعوب العالم من مثيلاتها، وعلى وجه الخصوص شعوب الدول التي تسلب اليوم حق الحرية من الكُرد، وتعطي لنفسها حق الوصاية على كردستان. مزيّنة اروقة وصالات الأمم المتحدة براياتها وشعاراتها. فما امبراطورية ميديا قبل الميلاد[*٣]، وما إمارة سوران على عهد أميرها (مير محمد) في النصف الأول من القرن التاسع عشر الا مثالين على بطلان مزاعمهم وزيف ادعاءاتهم.

ففي الوقت الذي كانت الإمبراطوريتان العثمانية والقاجارية تعتمدان على الدول الأجنبية مثل ألمانيا وروسيا في تسليح جيوشهما، كانت إمارة سوران الكردية تصنع بنفسها مختلف انوا ع الأسلحة والمدافع المتطورة آنذاك معتمدة على المواد الخام المستخرجة محلياً، وكانت على درجة من التقدم والرقي بحيث جلبت اليها انظار الأوروپيين وأثارت اهتمامهم وفضولهم.

يضم البحث نبذة عن نشوء إمارة سوران ومراحلها التاريخية، وتحليلاً وثائقياً مفصلاً لشخصية آخر أمراء هذه الإمارة أي ميري كوّره ونظام حكمه وطموحاته التوسعية على نطاق كردستان من أجل تثبيت اركان دولة اسلامية مستقلة في كردستان. كما ويتعرض لأهم العوامل التي شاركت في القضاء على إمارة سوران واغتيال أميرها (مير محمد)، ومن بينها العامل الديني او بالأحرى تشبث

(*١) عنوان الاطروحة باللغة الالمانية: Der Kurdische furst Mir Muhammad - I Rawandizi gennant Mir - i KORim Spiegel der morgenlandischen und abendlandischen Zeugnisse. وهي مقدمة الى قسم الاستشراق بجامعة هامبورگ (المانيا الاتحادية) اوائل عام ١٩٧٠ ,

(*٢) انظر: جمال نبز: دۆزى ناسيۆنالى كورد (قضية الكرد القومية) ص٣٠–٣٢، سويد ١٩٨٥.

(*٣) راجع: Die Literaturen der Welt in ihrer mundlichen und schriftlichen Uberlieferung, von Wolfgang v. Einsiedel, 1964 Valentitno, Austria, S. 949

العثمانيين بالخداع والدجل من جهة، وسذاجة علماء الدين الكُرد او تجاهلهم لمباديء حقوق الانسان في الإسلام من جهة أخرى، ودعوتهم الشعب الكردي للخضوع وفرضهم طاعة السلطان عليه بدلاً من القيام بواجباتهم الانسانية الدينية في تنوير اذهان الشعب والإصرار على قدسية الدفاع عن الحق والعدالة والمساواة والكرامة وفق مباديء الإسلام وضرورة مقاومة الغاصب الجائر.

وأخيراً يجد القاريء مدى تدخل الدول العظمى في شؤون الشعوب الإسلامية بهدف الحفاظ على مصالحها الاستعمارية، بالاضافة الى عوامل الشقاق والتنافس والتحاسد بين أمراء الكرد ورؤساء القبائل وعدم شعورهم بالمسؤولية الوطنية. اذ أن اعلان الولاء للأجنبي كان في نظرهم اهون بكثير من تقديم الطاعة لمتنفذ برز بينهم، فكان كلٌّ منهم يأمل في أن يكون الزعيم الأوحد يوماً ما، حتى اذا ما خابت آماله في نيل مآربه اخذ يكره ويعارض بشدة ظهور متنفذ آخر من بني قومه في الساحة الى حد الشروع في محاربته، وليس هذا الا دليل انانية غير مشروعة وروح العظمة والإستكبار.

كتب الاستاذ جمال نەبەز بحثه هذا، كباقي مؤلفاته، بأسلوب علمي انتقادي يمنح الكتاب ميزته الأساسية ويعطيه وزناً خاصاً، حيث انه حاول احياناً غض النظر عن بعض الإيجابيات وشكك فيها مستنداً على السلبيات، ولقد حاولت بدوري ابداء ملاحظاتي في الهوامش تحت اشارة النجمة (*).

لابدّ وأنّ المؤلف بذل جهداً كثيراً في جمع المصادر المختلفة لهذه الدراسة، ولقد كانت مهمته شاقة ومضنية بسبب من ضآلة المادة التاريخية، حيث اضطر احياناً الى اللجوء لمصادر ومراجع أدبية ودينية لإستكمال بعض جوانب البحث. ومثلما يستنتج القاريء من عنوان هذه الاطروحة، فقد دعم المؤلف ابحاثه بشواهد وادلة شرقية وغربية وبمختلف اللغات وهذا ما تطلب منه وقتاً طويلاً من الإعداد والتحضير والتمحيص والتدقيق وكذلك إعادة النظر في بعض جوانب الاحداث على ضوء ما اكتشفه من وثائق ومصادر لم تكن معروفة من قبل، بل وحتى أن بعضاً منها يصلح لأن يكون مصدراً لمادة فلم يعرض على الشاشة.

ختاماً لايسعني إلاّ أن اقدم جزيل شكري وامتناني الى الاستاذ الدكتور جمال نەبەز لمنحي الإذن بالترجمة وابداء استعداده لمراجعتها قبل طبعها في كتاب، كما اوجه خالص شكري الى صديقي الفاضل كوردو علي الذي اعلمني بوجود نسخة من هذه الأطروحة محفوظة في المكتبة الوطنية بڤينّا.

وفي الختام أرجو أن اكون قد اسديت خدمة متواضعة لكل مَن يود ان يقف على أحداث حقبة هامة من تاريخ الشعب الكردي باللغة العربية، وعلى وجه الخصوص ابناء قومي ممن يجيدون اللغة العربية، آملاً في أن يقوم غيري بترجمة الكتاب الى لغتنا الكردية العزيزة. وهنا أود الأشارة الى ما قاله احد المفكرين بأن «التاريخ ليس مصنوعاً من انتصارات او من هزائم وقتية، ولكن من حركات كبرى تسير بالشعوب نحو المجد او الدمار»، اذ ليست الحكمة ان يطلع المرء على احداث ومجريات التاريخ من خلال قراءة الكتب، بل أن يستخلص منها الدروس، فالتاريخ مرآة العبر، وانه كالمجنون يعيد نفسه، ويكمن أعظم الصعوبة في تذكره. والله ولي التوفيق.

فخري شمس الدين سلاحشۆر
١٥ شباط ١٩٨٨ (ڤينا– النمسا)

كلمة المؤلف للترجمة العربية

هذه الدراسة محاولة موضوعية جادة لتسليط بعض الاضواء الكاشفة على منجزات وتراث شخصية كردية فذة برزت في حقبة معينة من تاريخ هذا الشعب، ألا وهو ميري كوّره او مير محمد الرواندزي، الذي ظهر في النصف الأول من القرن الماضي واستطاع أن يحكم بقعة شاسعة من كردستان بإسم إمارة سوران حكماً مستقلاً كامل الاستقلال. وقد جرت الدراسة هذه على شكل عرض للشواهد المتوفرة والأدلة المتيسرة عن ميري كوّره ودولته اولاً، ثم مقارنتها ببعضها مقارنة تحليلية انتقادية ثانياً، ثم تمحيصها واستخلاص النتائج المنطقية منها، ثم وضعها بعد ذلك في الأطار العام للبحث.

ومن هنا اود ان أوجه عناية القاريء الكريم الى حقيقة هامة وهي أن تاريخ الكرد رغم كونه عالمًا يزخر بالأحداث الجسام والشخصيات العظام. الاّ انه وتحت ضغط العوامل الذاتية وغير الذاتية يغوص من بعض أطرافه في بحر لجّي من الظلام، وهذا لايصح فقط عند الكلام عن التاريخ القديم لهذا الشعب، بل وينطبق أيضاً على كثير من جوانب التاريخ الكردي الحديث. فالباحث المُحقِّق المتميز بالدقة العلمية وحصافة التفكير تعترضه جملة من العوائق والموانع التي تقف حجرة عثرة في سبيله لايستطيع أن يذللها ولو جزئياً الاّ بعد نضال علمي طويل وصبر ايوبي جميل.

لقد هيأت نفسي لهذا العمل منذ الخمسينات، فقمت باديء ذي بدء بمشاهدة فعلية ودراسة ميدانية لما خلّفه هذا الزعيم السياسي والقائد العسكري المعروف من آثار حضارية وسجلت ما حصلت عليه أثناء ذلك في مقابلاتي مع المُسنّين والخبراء من أهل المنطقة، وبذلت في الوقت نفسه جهداً مكثفاً من أجل جمع ما يمكن جمعه من المصادر الشرقية والغربية وبلغات مختلفة. هذا وقد سنحت لي الظروف ولأول مرة عندما كنت طالباً بجامعة همبرگ (ألمانيا الاتحادية) في نهاية الستينات أن أقوم بمسح شامل لكافة الوثائق التي كانت بحوزتي في ذلك الحين. وقد ساعدني على الأخذ بناصية هذا العمل على ضوء المنهجية العلمية البحتة إلمامي بعدة لغات شرقية وأوروبية وكذلك دراستي لتاريخ وحضارات الشعوب الإسلامية في عدد من المعاهد والجامعات في الشرق والغرب.

أما مترجم الكتاب، الأخ المقدام فخري سلاحشوّر فهو خير من يَتَحَمَّل اعباء هذا العمل الشاق. فهو بالاضافة الى اجادته للغتين الالمانية والعربية وتمتعه بكفاءات اخرى تؤهله للقيام بهذا الواجب الصعب بجدارة واقتدار، يتصف أيضاً بكونه ابن مدينة رواندز عاصمة سوران القديمة، وقد لعب جده المرحوم سليمان بگ سلاحشوّر الذي تربطه بميري كوّره وشائج القربى، دوراً مشهوداً في الحركة الكردية الوطنية في مستهل هذا القرن، وعليه فإنّ الأخ فخري هو على صلة روحية ومادية

بتاريخ هذه الدولة التي لم تزل آثارها باقية مشهودة الى اليوم في كردستان. لذا فقد اينعت اتعابه واثمرت، فجاء سعيه مشكوراً ونتاجه محموداً، جزاه الله عن البحث العلمي وخدمة التاريخ خير الجزاء.

ومن الجدير بالذكر هو انني اثناء مراجعتي للترجمة العربية ومقارنتها بالأصل الالماني، لم احاول ان أبدّل أو أعدّل منها الا قليلاً، رغم ان المترجم المحترم منحني هذا الحق لحسن ظنه بشخصي المتواضع، الاّ انني راعيت في ذلك حرية المترجم وحقه في سبك الجمل واختيار التعابير والألفاظ التي يراها مناسبة في حدود الإلتزام بقواعد الترجمة والتمسك بأمانة النقل، اذ ان لكل كاتب اسلوبه الخاص في التأليف والتعبير وليس لأحد غيره ان يزاحمه عليه او يتدخل في شأنه.

وفي الختام أرجو أن يسد هذا الكتاب فراغاً في المكتبة العربية الفقيرة بالمصادر العلمية المتعلقة بتاريخ الشعب الكردي وحضارته، راجياً من المهتمين بالموضوع تزويدنا بآرائهم وبالشواهد والأدلة التي لم نتمكن أن نعثر عليها في حينها، وفوق كل ذي علم عليم.

جمال نەبەز
برلين ١٩٨٨/٤/٤

مقدمة المؤلف للطبعة الالمانية

أدت الظروف السياسية والعسكرية في الامبراطورية العثمانية وفي إيران في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الى حالة ساعدت بعض الإمارات الكردية مثل سوران[*٤] وبابان[*٥] وبوتان[*٦] على أن تحتل فجأة موقعاً هاماً جعلها في موضع استطاعت ان تظهر بمظهر منافس لدود لكلتا الدولتين خصوصاً للإمبراطورية العثمانية.

كان أعظم أمير ذلك الزمان والذي حكم أقوى إمارات كردستان، هو مير (الأمير) محمد الرواندزي الذي كان يعرف أيضاً بميري كوّره أي (الأمير الأعور) (المغتال في سنة ١٨٣٦م)[١].

وبالرغم من انتصاراته العسكرية العديدة[٢] وحسن ادارته بالمقارنة مع الامبراطورية العثمانية[٣]. لم يتمكن من حفظ إمارته من السقوط والإنهيار عندما دخل في النزاع مع الدولة العثمانية.

ان الغاية من هذا البحث هي دراسة حياة ميري كوّره وإمارته استناداً الى الشواهد[*٧] والأدلة الكردية والأجنبية، مع لفت الأنظار في الدرجة الأولى الى العوامل الدينية والرابطة القوية للكُرد السنيين بالخليفة العثماني بإعتباره نائباً للنبي محمد (ص).

لقد زرت ولأول مرة مدينة رواندز سنة ١٩٥٦، والتي كانت عاصمة لإمارة سوران، فتفقدت ما بناه ميري كوّره من مساجد وحصون وجسور ومدافع مصنوعة ومنتجة في الورشات والمصانع المحلية والتي تحمل اسم مير محمد الرواندزي. كما وسمعت الكثير مما رواه سكان المنطقة حول هذه الشخصية الكردية التي استطاعت وفي فترة قصيرة نسبياً أن تنتصر على الأمراء المجاورين لإمارة سوران وأن تجبر الأقاليم البعيدة بالخضوع لسيادتها. كما سمعت فيضاً من الاساطير حول عدالة وتقوى ميري كوّره. ويعتقد الكثير من الكُرد بأن ميري كوّره قد حظي بتأسيس واقامة دولة كردية قويمة[٤]؛ كما وتوجد هنالك تقارير اوروبية تتحدث عن "حركة وطنية" لميري كوّره[٥]...

(*٤) انظر: شرفنامه، الترجمة الكردية لـ(هەژار)، ١٩٨١، ص٤٨٤–٥١٧.

(*٥) نفس المصدر، ص ٥١٨–٥٢٩.

(*٦) نفس المصدر، ص ٢٧٢–٣١٧، تحت عنوان: فةرمانرِةواياني جزيرة (أمراء الجزيرة).

١– انظر: المصدر العربي (٤٠): ص٨٦، كذلك: المصدر الانكليزي (١١٨): ص١٨٥.

٢– المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥.

٣– المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٩. المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٦. المصدر العربي (٣٥): ص٢٣١

(*٧) تعني نقل حروف لغة الى حروف لغة اخرى او كتابة لغة بحروف لغة اخرى. (transliteriert)، مثلاً عند الاقتباس من الكتب العربية والكردية.

٤– المصدر العربي (٤٢): ص١٠٢ وكذلك: (٢)

٥– المصدر الانكليزي (١١٨): ص ٢١١–٢١٢، المصدر الكردي (٥٧): ص٣٧١–٣٧٢.

بدأت وبرغبة شديدة بجمع المواد والمعلومات مستهدفاً كتابة بحث شامل (Abhandlung) عن ميري كۆره باللغة الكردية. الا إنّني استطعت ولأول مرة تحقيق امنيتي هذه في المانيا، كما اشرت الى ذلك في نبذة تاريخ حياتي. ومن الجدير بالتنويه انني اجهدت نفسي في ترجمة النصوص المكتوبة باللغات الشرقية بعناية فائقة الى الألمانية لكي يبقى النص الاصلي محتفظاً بمغزاه الأولي حد الإمكان.

ونظراً لكثرة تكرار بعض الأسماء والمصادر، فقد وضعت لها مختصرات او رموز معينة (أنظر: ص: ١٧١– ١٧٨) (من الأصل: المترجم). ولما كانت المعلومات التي استفدت منها متنوعة بذاتها، فأستوجب ذلك مني أن أزمع على وضع مصطلح شامل لها. لقد استخدمت مصطلح الشواهد والادلة (Zeugnisse) الذي ينبغي فهمه بمعناه الواسع. كما وان المعلومات الشفهية والملاحظات الشخصية تقع تحت المفهوم المذكور أيضاً. انظر النموذج في الصفحة القادمة.

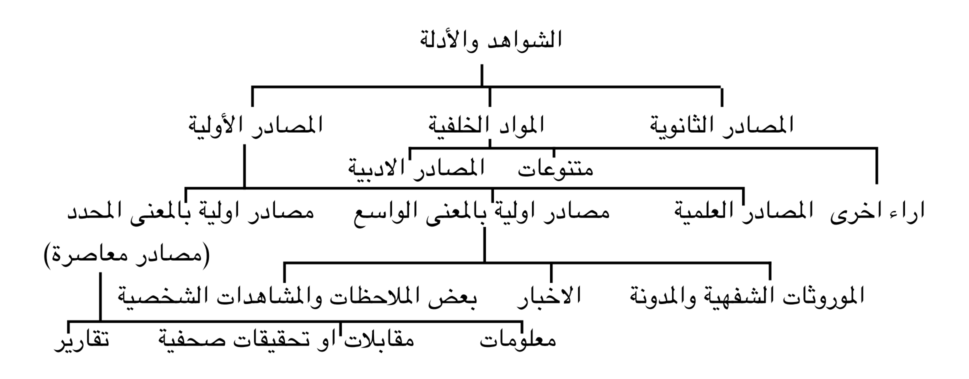
واينما يرد ذكر الأسماء الكردية، فسيتم رسم حروفها او كتابتها حسب التلفظ الكردي.

لقد رمزت الى الحركة المغمغمة او الصوت الكردي المدمدم بـ، والى اللام الحلقي او ما يسمى باللام البولونية برمز L كما ورمزت الى الحرف الكردي (خ) بـ - بدلا من h لكي يعطي ذلك خاصية التلفظ الكردي المعين لهذا الصوت أي (صوت الإحتكاك الخافت)(٦)...

وفي الختام أرجو أن ينير عملي هذا فترة من التاريخ الكردي، ذلك التاريخ الذي لايزال الظلام يسود القسم الاعظم منه.

جمال نەبەز
هامبرگ ١٩٦٩/٨/٢٤

نموذج ترتيب الشواهد والأدلة



٦– فضلاً عن ذلك يمكن لأسماء الأعلام المتنوعة ان تظهر بصيغ منقحرة.

الفصل الأول

المبحث الأول

المصادر الكردية باللغة الكردية

النصوص الكردية التي استعنت بها في هذه الدراسة هي الآتي:

اولاً: المخطوطات:

تعتبر مخطوطة المذكرات والإنطباعات التاريخية للعلامة الكردي ملا اسعد خيلاني (١٢٧٠- ١٣٤٩هـ ١٨٥٣/٤- ١٩٣٠/١م) من أهم المصادر الأولية.

والمؤلف هذا هو احدى وثائق الإمارة السورانية خلال الثلاثمائة سنة الأخيرة وهي تفيض بالمعلومات التي تتعلق بعهد ميري كۆره بصورة خاصة.

لقد كان اسعد خيلاني ابن الحاج ملا عمر افندي خيلاني الذي كان في حينه من مشاهير علماء كردستان ومن معاصري ميري كۆره[٧] .[*٨]...

ان احدى نسخ هذه المخطوطة موجودة لدى ولده عبدالكريم المدرس في كردستان، وهو من العلماء المعروفين أيضاً[٨]... كما واني شاهدت نسخة اخرى لهذه المخطوطة في مكتبة گيو موكرياني الخاصة في هَولير (أربيل) عام ١٩٦٠ وكانت مؤلفة من ٩٢ صفحة. والأخيرة هي نسخة مستنسخة عن الأصل مباشرة وبحوزتي نسخة منها، استخدمتها كمصدر لهذا البحث الذي بين يديكم.

حسبما يذكر المؤلف فقد تم كتابة المخطوطة المذكورة في قرية وَرْدَ (وەردە) الكائنة في منطقة بالكان بناء على طلب من الأمير الكردي سيد طه شمزيني وقد فرغ الخيلاني من تأليفه بتاريخ ٢٩ شعبان ١٣٤٥هـ (٤ آذار ١٩٢٧م).

يتناول الكتاب الفترة المذكورة اعلاه من تاريخ سوران، ويتكلم عن علمائها وشيوخها وامرائها بصورة موجزة جداً، كما وانه لم يهمل إمارة بهدينان بصورة كاملة.

ان مصادر هذا الكتاب هي الخبرات الشخصية وما لاقاه المؤلف من حوادث بالإضافة الى المعلومات التي حصل عليها من العلماء ومن المطلعين من الكُرد الذين عاصروا ميري كۆره.

٧- رسالة (گيو موكرياني) الشخصية الموجهة الي حول (خيلاني) بعد استنطاق اعضاء عائلته الذين هم على قيد الحياة.

(*٨) انظر: محەمەد صالح ئيبراهيمی محەمەدی (شەپۆل): ژيناوەری زانايانی كورد لەجيهانی ئيسلامەتی يا گەنجينەی فەرهەنگ وزانست، چاپخانەی مهارت تهران، ١٣٦٤، ل ٦٧٢.

٨- نفس المصدر.

والكتاب مكتوب بلهجة رواندز المحلية، أما اسلوب وضبط الكتابة فيه فقد جاء على الطراز القديم.

بالاضافة الى ذلك، فإنّ هذا الكتاب يعتبر مصدراً هاماً، من حيث انه يظهر بوضوح كيف كانت العوامل الدينية تلعب الدور السائد في المجتمع على عهد ميري كوّره، وكيف ساهمت تلك العوامل في انهيار وسقوط الإمارة.

ويجدر بالذكر أن هنالك باحثين آخرين مثل زكي[٩] اعتمدا على هذه المخطوطة كمصدر لدراساتهم.

ثانياً: النصوص المطبوعة:

تعتبر مؤلفات المؤرخين الكرديين اللواء الركن محمدامين زكي (١٨٨٠–١٩٤٨) وحسين حزني موكرياني (١٨٨٦–١٩٤٧) من المصادر الثانوية المطبوعة والتي تشكل أجزاء منها ابحاثاً علمية.

لم يكن زكي من أشهر الشخصيات العلمية والسياسية في كردستان فحسب، بل وفي الامبراطورية العثمانية والعراق أيضاً[١٠]. درس زكي في صغره في المدارس الدينية[١١] في مدينة السليمانية، والتحق بعد ذلك بالكلية العسكرية في استانبول[١٢]... وتقلد المناصب العسكرية العليا في المؤسسات العسكرية العثمانية وعمل أيضاً في المجالين التكنيكي والطوبوغرافي. كما اشترك زكي في لجان الحدود بين الدولة العثمانية وبلغاريا في سنة ١٩٠٨ وبين الأولى وروسيا في سنة ١٩١٤ في منطقة القفقاز. وقد نال الكثير من الأوسمة خلال الحرب العالمية الأولى من ضمنها وسام الدولة النمساوية في اكتوبر ١٩١٧، ووسام الصليب الفولاذي الألماني في ١ آذار ١٩١٨.

كتب زكي عدداً من الكتب القيمة حول تاريخ الحروب العثمانية باللغة التركية تم طبع البعض منها في استانبول[١٣]. وذهب في ١٩٢٤/٧/٢٤ وبعد سقوط الامبراطورية العثمانية الى العراق حيث اصبح عميداً للأكاديمية العسكرية في بغداد (العراق) برتبة مير آلاي وتقلد مناصب وزارية لثماني مرات وفي اوقات مختلفة، هذا وقد مَنَحَتْهُ هذه الوظائف والمناصب الفرصة المناسبة للإتصال بالعديد من الإختصاصيين المحليين والأجانب.

كان زكي يجيد بجانب اللغات الأربعة الشرقية[١٤]. بعضاً من اللغات الأوروپية أيضاً، وقد سافر مراراً الى أوروپا لزيارة وتفقد مكتباتها[١٥]...

٩– المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٢.

١٠– المصدر العربي (٢٤): المقدمة.

١١– إن مدارس الاطفال هذه في كردستان تسمى (قوتابخانه)، وهي مشتقة من اصل (كُتّاب) العربية.

١٢– المصدر العربي (٣٥): ص: ٤–١٠.

١٣– انظر: سيرة حياة زكي في نفس المصدر اعلاه.

١٤– الكردية، الفارسية، التركية والعربية.

١٥– للمزيد من المعلومات حول زكي انظر: المصدر الكردي (٦٠).

كما وأن ذكائه الفطري ومهنته وفرا له الشروط اللازمة لكتابة مؤلفات علمية حول الكُرد. وهو يستند في مؤلفاته هذه على الوثائق والمستندات الشرقية والأوروپية ويستلهم منها قوة الإقناع. وأميل الى القول بأن عطفه المتستر للمذهب السني وعدم تميزه حيال الإسلام كدين وكنظام دولة لم يؤثر على نتاجه بشكل يمكن للمرء أن يقول بأن مؤلفاته قد وقعت تحت تأثير النزعات. بسبب من هذه الميزات فقد اصبحت مؤلفاته من المصادر التقليدية للذين يكتبون عن التاريخ الكردي وكذلك للذين يؤلفون ضد الكرد أيضاً[١٦]... ويعتبر الجزء الأول من كتابه (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان)[١٧]. احد مصادر التاريخ الكردي العام او كما يقول زكي نفسه بأنه دراسة على ضوء ونهج المقال الذي كتبه مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية: «وذلك على ضوء هذا البحث القيم وعلى أساسه ومنواله»[١٨]... ويجد المرء في هذا المجلد الكثير من الأخبار والمعلومات المتعلقة بميري كوّره وإمارته.

أما المجلد الثاني[١٩]. فهو مصدر لتاريخ الإمارات الكردية والأسر الحاكمة في العصر الإسلامي، كما وهذا الجزء ايضاً يحتوي على الكثير من المعلومات القيمة عن إمارة ميري كوّره.

أما كتابه (تاريخ السليمانية)[٢٠]. فيبحث في إمارة بابان أي إمارة شارهزوور (شهرزور) وكذلك في طرق الدراويش مثل القادرية والنقشبندية المتوطنتين في تلك المناطق، ويصف شخصيات المنطقة.

لقد اتخذت من هذا الكتاب مصدراً لدراستي حول العلاقات بين الأمارتين البابانية والسورانية في زمن ميري كوّره.

يبحث زكي في مؤلفه الموسوم بمشاهير الكرد[٢١]. عن سير حياة العديد من الشخصيات الكردية في العصر الإسلامي، ولكنه يعتبر كل الذين انحدروا من سلالة كردية او نسب كردي كُرداً بغض النظر عن آرائهم ودون مراعاة لمواقفهم تجاه المقومات الكردية. ويحتوي هذا الكتاب أيضاً مختصراً لسيرة ميري كوّره اسهم محمد علي عوني في كتابته اثناء قيامه بترجمة الكتاب الى العربية[٢٢]...

لحسن الحظ ان جميع هذه المؤلفات مترجمة الى العربية. لقد اخذ الباحث والفقيه الكردي الضليع في اللغات، محمد علي عوني (١٨٩٧-١٩٥٢م) على عاتقه الترجمة الى العربية[٢٣]... كان محمد علي

١٦- المصادر العربية (١٢)، (١٤)، (٤٠).

١٧- المصدر العربي (٣٥).

١٨- نفس المصدر: ص.ى.

١٩- المصدر العربي (٣٨).

٢٠- نظراً لأنني لم احصل على النسخة الاصلية باللغة الكردية، لذا فقد استعنت بالترجمة العربية لرۆژبياني، انظر: المصدر العربي (٣٧).

٢١- المصدر العربي (٣٦).

٢٢- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧-١٤٨.

٢٣- المصدر العربي (٣٥): ص١٦-٢١ (المقدمة).

عوني أيضاً مترجماً خاصاً للملك المصري (فاروق) ومدير مكتبته الخاصة وأمين محفوظاته.

لم يترجم عوني النصوص الكردية الى العربية بأسلوب فائق البراعة وحسب، بل قام بفحص صحة التقارير وأضاف اليها الكثير من المعلومات والهوامش والحواشي التي اعطت لمؤلفات زكي قيمة خاصة اخرى.

قام رۆژبەيانی بترجمة الكتاب الأخير لزكي (تاريخ السليمانية وانحائها)[٢٤] الى العربية وأمده بالكثير من التعليقات والهوامش[٢٥]...

يعتبر رۆژبەيانی من مشاهير علماء الكرد في عصرنا هذا[٢٦]؛ فهو على جانب كبير من المعرفة التاريخية واللغوية. وبالمناسبة فقد قام رۆژبەيانی أيضاً بترجمة كتاب (الشرفنامه)[٢٧] الى العربية.

وعليه فإنّ مؤلفات زكي المترجمة الى العربية تعتبر مصادر رائعة يمكن استخدامها عوضاً عن النسخ الأصلية الكردية، إلاّ إنّني سجلتُ تنويهاً خاصاً كلما اقتبست من المترجم وليس من المؤلف.

كذلك تعتبر الأستعانة بالمؤلفات التاريخية لحزني موكرياني امراً لا مناص منه لكل من يبحث في الإمارات الكردية.

الّف موكرياني العديد من الكتب حول التاريخ الكردي[٢٨]؛ كما اصدر عدداً من الصحف (الجرائد والمجلات) باللغة الكردية[٢٩]. وانشأ ولأول مرة في سنة ١٩١٥ داراً للطباعة في كردستان. أما مؤلفاته فتمتاز بخلوّها من الميول والنزعات الدينية. وبخلاف زكي الذي يستند بصورة رئيسية على المصادر الأوروبية، فإنّ موكرياني يرتكز في المقام الأول على المصادر الشرقية وندر أن أشار الى مصدر بالإنكليزية. إن السمة المميزة لمؤلفاته هي استجواب واستنطاق المعمّرين من الأهالي من الذين شهدوا الحوادث أو الوقائع بأنفسهم أو سمعوها من اجدادهم واسلافهم. هكذا يحصل المرء من مؤلفات موكرياني على معلومات وانباء قلما يجدها في مكان آخر. واستعان موكرياني أيضاً بالمدونات الشعبية (الآداب الفولكلورية). أما اقتباسه من تقارير الآخرين فكله صادق وموثوق، ولدى مقارنة مؤلفاته مع المصادر الأخرى وبمقتضى الأستجوابات الشخصية، لاحظت التطابق الجوهري مع المؤلفات الأخرى، بيد أنه عبّر انشائياً عن رأيه بأسلوب آخر.

كان كتابه (تاريخ أمراء سوران) احدى الدعائم المهمة لهذا البحث. ويحتوي هذا المؤلف على لمحة

٢٤- المصدر العربي (٣٧).

٢٥- نفس المصدر: هامش رقم ١.

٢٦- انظر: مجلة مهر، السنة ١٢، العدد ١، فروردين ماه، ١٣٤٥، ص:٤٦، وكذلك: تعليقاً لجمال نبز حول رۆژبيانی في كتاب: -راجع قائمة المصادر باللغة الالمانية: (٩٥):.Kurdische Schriftsprache S. 21-22

٢٧- المصدر العربي (٥).

٢٨- المصدر الفرنسي(١٣٠): ص.١٨٠.

٢٩- المصدر الكردي (٥٩): ص٥٥٤-٥٥٦.

مختصرة لتاريخ إمارة سوران من اقدم العصور (كما جاء في الشرفنامه) وحتى انهيارها، وقد اسهب المؤلف في سيرة ميري كۆره.

إن تقارير ومعلومات موكرياني ثمينة في مجال المقارنة مع التقارير الأخرى وبصورة خاصة تقارير ومعلومات خيلاني والأوروپيين. ويذكر موكرياني انه قد استفاد في بحثه هذا من رسالة كردية بعنوان «مەليخا»[٣٠] تتضمن ترتيباً تاريخياً متسلسلاً (Chronologie) لإمارة ميري كۆره. ويفيد موكرياني بأن مؤلّف «مەليخا» هو ميرزا محمد وقائع نگار الذي كان يعمل كسكرتير لميري كۆره، حيث وصف بالأشعار الفارسية مصير ميري كۆره وما لقاه من القدر. لقد حاولت دون جدوى الحصول على نسخة من هذه المخطوطة.

صدرت الطبعة الثانية لكتاب موكرياني في سنة ١٩٦٣، من قبل اخيه گيو موكرياني، صاحب مطبعة هَولير (مطبعة كردستان سابقاً) غير ان هذه الطبعة الجديدة تحتوي على بعض التغييرات التي اعتبرها غير سديدة.

ولما لم يكن بحوزتي الطبعة الكردية الأصلية الأولى، فقد استعنت بالترجمة العربية لمحمد ملا عبدالكريم، وهو ذو المام جيد بالآداب الكردية والعربية.

يعتبر مؤلف العالم الديني الكردي ملا محمود بايزيدي[٣١]. المتولد في سنة ١٧٩٧ بعنوان (كتاب العادات ورسوم الطوائف الكردية) من المواد الاساسية الهامة للبحث عن الكُرد في القرن التاسع عشر. فهو يعرض الإختلافات الموجودة في نمط التفكير (الذهنية) بين الكُرد وغيرهم من المسلمين دون انحياز قومي. لقد اقتبست من هذا الكتاب الشواهد التي ساعدتني في البحث عن الحالة الإجتماعية في إمارة سوران.

كانت النسخة المخطوطة لهذا الكتاب موجودة بين مخلفات المستشرق والدبلوماسي الروسي ژابا (Jaba) قنصل روسيا القيصرية في ارضروم (سنة ١٨٥٥-١٨٦٠)[٣٢]... وقد بقيت هذه المخطوطة في مكتبة الدولة بلينينگراد حتى سنة ١٩٦٣ الى أن قامت الباحثة السوفيتية مارگريت رودينكو (M. B. Rudenko) العالمة في الدراسات الكردية بنشر نصها الكردي مع الترجمة الروسية وبمقدمة انتقادية.

كما واستعنت احياناً بمقتبسات من الكتب الأدبية كوسيلة لدعم اقوالي فمثلاً استندت ببعض الشواهد من كتاب الشاعر والمفكر الكردي احمدي خاني (١٦٥٠-١٧٠٦م) وبوجهٍ خاص عند البحث عن قضية شقاق أمراء الكرد والتنافس السائد بينهم.

يتطرق خاني في مقدمة قصيدته الغرامية (مَمْ وزين) "لعبودية الكُرد في ظلّ الامبراطوريتين"

٣٠- المصدر الكردي (٥١): وكذلك: المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢٢.
٣١- المصدر الكردي (٦٥).
٣٢- انظر: Kurdo, Qanat; AXME XAHN, MAM N3NH, M. B. RUDEN- KO S. 5.

ويتحدث عن شقاق وانانية أمراء الكرد، كما يشكو باضطراب وانفعال اندثار اللغة والآداب الكرديين. كما ويمدح بسالة الكرد وحسن ضيافتهم ويندهش لمشيئة الله الذي جعل الكرد في وضع مؤسف كهذا. انه كمسلم يعتقد بأن الخير والشر كل من عند الله[٣٣]؛ الاّ ان خاني الذي ادرك المرض جيداً دون ان يجد له الدواء الشافي، استطاع التضرع الى الله فقط لكي يهدي الكرد الى السبيل السوي ليهبوا عن بكرة ابيهم لتوحيد صفوفهم والألتفاف حول ملكهم الخاص وانشاء الدولة الكردية الخاصة بهم، من اجل ان يحصل الأدب الكردي والثقافة الكردية أيضاً على حقها ومكانتها اللائقة بها[٣٤]...

في رأيي أن (مَمْ وزين) من الوثائق المهمة ذات العلاقة بوضع او ظروف شعب انقسم على مذهبين (السني والشيعي)، ووقع تحت تأثير كل من الدولتين المذهبيتين التركية السنية والفارسية الشيعية بمقتضى هذه الرسالة الدينية.

لقد استشهدت مراراً بالآثار الأدبية الكردية المتعلقة بالقرن التاسع عشر، لأن هذه الفترة من أهم مراحل تاريخ الإمارات الكردية، حيث تفتحت فيها عيون الكُرد وادركوا السياسة المركزية للعثمانيين في كردستان، هذه السياسة التي كانت على ابشع صورها في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) عندما بدأ "بالأصلاح" (Reform)[٣٥]... الذي ادى الى ازدياد موجة الأستياء والنقمة لدى زعماء الكرد، الذين تمكنوا بدورهم من استغلال المصاعب والمشكلات السياسية الخارجية والمشاغب الداخلية للإمبراطورية لأجل اقامة إمارات كردية مستقلة[٣٦]...

إن الأدب الكردي يعكس لنا حالة الكُرد في العهد العثماني: فمثلاً ناشد الشاعر الكردي حاج قادر كويي (١٨١٥-١٨٩٢م) الكُرد في قصائده أن يحرروا انفسهم من السلطة العثمانية الغاشمة الحاكمة بإسم الإسلام[٣٧]...

اعرب كويي بصراحة عن كراهيته الشديدة لرجال الدين والشيوخ والدراويش والأولياء الذين هم على حد قوله، السبب الوحيد لجهل شعبه[٣٨]... انه ينادي الكرد للحفاظ على ثقافتهم[٣٩]. ويظهر اعجابه بالعلوم الأوروپية[٤٠]؛ واني أرى أن كويي هو مرآة عصره ومن خلال اشعاره يمكن ان يستنتج بوضوح الكثير عن الحالة الدينية والسياسية للكُرد تحت السيادة العثمانية، فاستعنت بمقاطع

٣٣- انظر الآية القرآنية الكريمة: (... قُل كُلٌّ مِن عندِ الله... الخ) (سورة النساء، الرقم: ٤، الآية: ٧٨).
٣٤- المصدر الروسي (٨٥): ص٥٠-٥٧.
٣٥- المصدر الانگليزي (١٠٢): ص٢٢.
٣٦- انظر المحاضرة الغير المطبوعة: Bertold Spuler: Geschichte der islamischen welt im 17. u. 18. Jh. vom 30. 10. 1968.
٣٧- المصدر الكردي (٥٩): ص٣٢٥. وكذلك المصدر الكردي (٤٩): ص: ١٤: ٥٣.
٣٨- المصدر الكردي (٥٩): ص٣٢١-٣٢٢. المصدر الكردي (٤٩) ص٤٠: ٤٨: ٥٢.
٣٩- المصدر الكردي (٥٩): ص٣٢٤. المصدر الكردي (٤٩): ص١٤، ١١٢.
٤٠- المصدر الكردي (٥٩): ص٣٢٦، المصدر الكردي (٤٩): ص١٨.

من اشعاره كشواهد عند البحث عن الحالة الثقافية في إمارة سوران على عهد ميري كۆره.

أما الشاعر الآخر فهو شيخ رضا طالباني (١٨٣٥-١٩٠٩م) الذي يصف إمارة بابان المستقلة وقوتها العسكرية واجلال رجال الدين في ذلك الزمان، وكمسلم اعترف رضا بأن للعرب "الأفضلية" على غيرهم ولكنه نوه بأن صلاح الدين الأيوبي «كان كردياً»[٤١]...

لقد استشهدت بقصائد طالباني اثناء دراسة الوعي القومي للكرد على عهد ميري كۆره. كما واني اشرت الى المصادر الأدبية الكردية كلما اقتبست شيئاً منها.

أما بالنسبة لإبداء الآراء واتخاذ المواقف حول ميري كۆره فأني اعتد بالآراء المعلنة في مقالات صالح قفطان[٤٢]. وبرزنجي[٤٣]. ومحمد فيدا[٤٤]... هذه الآراء والمواقف هي مهمة في نظري لأنها تعكس آراء المعاصرين من الباحثين الكرد حول ميري كۆره وإمارته. اضف الى ذلك انني استفدت من المأثورات الشفهية (المرويات) والتي سمعتها شخصياً من الكُرد انفسهم، الاّ إنّني عرضت مثل هذه المعلومات بالحذر العلمي وبعين انتقادية فاحصة.

٤١- المصدر السابق: ص٣٥٣-٣٥٥.
٤٢- المصدر الكردي (٥٧).
٤٣- المصدر العربي (٢).
٤٤- المصدر الكردي (٦٧).

المبحث الثاني

المصادر الكردية بلغات شرقية اجنبية (غير كردية)

أولاً: المخطوطات:

احدى أهم المخطوطات حول إمارة سوران والعلاقات بين إمارتي سوران وبابان او بالاحرى فيما يخص عهد ميري كوره، هي المخطوطة المعروفة عند الكرد بـ(دفتر مذكرات حسين ناظم)[٤٥]... ويقال ان حسين ناظم هذا كان سكرتيراً لأمير بابان[٤٦]. ولغة الكتاب هي لغة ادبية تركية (عثمانية) جميلة. ينقصه بعض من الصفحات في المقدمة والنهاية[٤٧]... ان الكثير من الأخبار او المعلومات التي دونها ناظم تطابق وتتفق مع غيرها من التقارير والمعلومات، وقد استعان زكي به كمصدر لكتابه (تاريخ السليمانية)[٤٨]. توجد اليوم نسخة من هذا الكتاب في مكتبة جلال بابان الخاصة في بغداد، ونسخة اخرى لدى القاضي الكردي شيخ محمد خال في السليمانية، وفقدت النسخة الثالثة التي كانت في حوزة جميل رۆژبەیانی.

ثانياً: النصوص المطبوعة:

إن احد المصادر الكردية الهامة لدراسة تاريخ إمارة سوران هو الكتاب المعروف بـ(الشرفنامه) لمؤلفه شرف الدين بدليسي والمؤلف عام (١٠٠٥هـ - ١٥٩٦/٧م) باللغة الفارسية.

اني اعتبر الإستطراد في الحديث عن الشرفنامه زائداً عن اللزوم، وعليه اكتفي بما اعرب عنه العالم الروسي ن. ي. مار (N. J. Marr) بصدده، حيث يصف مار الكُرد في سنة ١٩١٢ بأنهم: «شعب تجاهله أو اهمله التاريخ» إلاّ أن «الدراسة التامة والكاملة للشرفنامه ستساعد على سد تلك الثغرة»[٤٩]... هذا ومن أجل دراستي المطروحة أمامكم راعيت جميع الطبعات الصادرة للشرفنامه حتى الآن، لأن كل طبعة تحتوي على تعليقات معينة للناشر، الا انني اعتمدت على الترجمة العربية لجميل رۆژبەیانی بصورة اساسية[٥٠]...

٤٥- المصدر الكردي (٥٠).

٤٦- رسالة رۆژبیانی الشخصية الموجهة الي.

٤٧- المصدر الكردي (٤٨).

٤٨- المصدر العربي (٣٧): ص١٣: هامش رقم ٤.

٤٩- المصدر العربي (٥)، شرفنامة: الطبعة الروسية من الشرفنامه، ص٦١٦ (الخلاصة).

٥٠- نفس المصدر.

أما فيما يخص المصادر الكردية الأخرى والتي استخدمتها في دراستي هذه، اود أن اسجل الملاحظة التالية:

بعد الحرب العالمية الأولى بدأ الكثير من الكُرد بتأليف الكتب حول قضايا شعبهم بلغات اجنبية، وقد كان الغرض الرئيس لهذه المساعي، هو اطلاع الشعوب الأخرى على تاريخ وثقافة الكرد ومشاكلهم السياسية. فلو تركنا الآن الدوافع السياسية لهذه المؤلفات جانباً، لوجدنا انها تحتوي على الكثير من المعلومات بصدد العلاقات بين الإمارات الكردية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ان قسماً من هذه المؤلفات كان ذا فائدة لدراستي هذه، والذي اذكر منه ما يلي:

١- القضية الكردية لبليج شيركو[٥١]؛ صدر هذا الكتاب كمنشور لحزب خويبون الكردي[٥٢] باللغتين التركية والعربية. ويحتوي على لمحة عامة عن التاريخ الكردي وآدابه، وجغرافية كردستان والأحداث التي وقعت في الإمارات الكردية وبالأخص إمارة بوتان لبدرخان باشا المنافسة لميري كوّره، ويجد المرء في هذا الكتاب بعض المعلومات التي يصعب الحصول عليها في مكان آخر. ولما كان شيركو ينحدر من سلالة البدرخانيين، لذا فإنه كان يتمتع بمعلومات خاصة، ان معظم الأقسام التاريخية للكتاب يطابق غيره من تقارير المؤلفين، لذلك لايمكن اعتبار الكتاب عرضاً سياسياً فقط، بل يمكن اخذه دون شك كمصدر تاريخي أيضاً.

٢- من عمان الى العماديه او جولة في كردستان الجنوبية لـ(علي سيدو الگوراني)[٥٣]... يحتوي الكتاب وصفاً لجولة قام بها كرديّ من الأردن هو علي سيدو الگوراني وكان في حينه سكرتيراً للمجلس التشريعي الأردني، وهو يضم الكثير من المعلومات التي وجدتها في هذا الكتاب حول إمارة سوران وميري كوّره، وإنني اعتبره دراسة (تاريخية وسياسية) قام بها كرديّ أكاديمي.

اكمل گوراني دراسته في الجامعة الأميركية ببيروت عام ١٩٢٨[٥٤]. وكان في وضع مكّنه ان يستعين في دراسته بالمصادر الغربية والشرقية استعانة تامة، هذا وان بعض المعلومات التي كسبها او بالاحرى حصل عليها من السكان الأصليين وابلغ عنها تعتبر فريدة في نوعها.

٣- القومية الكردية وتراثها التاريخي لـ(هادي الچاوشلي)[٥٥]: يحتوي الكتاب الكثير من المعلومات والآراء حول الكرد، وتاريخهم وآدابهم وإماراتهم، وفيه فصل عن ميري كوّره ودولته[٥٦]...

٥١- المصدر العربي (٧).

٥٢- حزب كردي، أسس سنة ١٩٢٧، كان هدفه تحرير كردستان وارمينيا من السيطرة التركية. انظر: جمال نبز: حول المشكلة الكردية، المصدر العربي (٩): ص٣٥.

٥٣- المصدر العربي (٢٧).

٥٤- نفس المصدر: ص٢.

٥٥- المصدر العربي (٤٢).

٥٦- نفس المصدر: ص١٠٠-١٠٢.

ان انتقادي لهذا الكتاب يكمن في محاولة المؤلف التعبير عن الكثير من الحقائق بصورة سطحية عابرة او بانفعالية، او تركها دون اعطاء اية إيضاحات حولها على الإطلاق وذلك نتيجة وقوعه تحت تأثير الظروف السياسية في العراق والدين الإسلامي وحوافزه الشخصية أيضاً.

فعلى سبيل المثال انه ادعى بأن الكُرد اهتدوا الى الإسلام وآمنوا به بمحض إرادتهم دون استعمال العنف ضدهم[٥٧]... وهذا ما لايطابق الحقيقة في رأيي، ذلك لأن من يتطلع على معلومات وتقارير المؤرخين المسلمين الأقدمين بصدد الفتوحات[٥٨]... ويتفقد العديد من المقابر في كردستان[٥٩]؛ والتي تحمل الى يومنا هذا اسماء (مقابر الصحابة) أو (مقابر الكفار) والتي ما هي الا مثوى لضحايا المعارك الدينية، يمكنه ان يتوصل الى الحقيقة ويتعرف عليها. أضف الى ذلك فإنّ المؤلف لم يذكر اطلاقاً عوامل سقوط إمارة ميري كۆره. بيد أن كتابه بالرغم من هذا الانتقاد يعتبر مصدراً لإمارة سوران ولزمن حكم ميري كۆره.

٥٧- نفس المصدر: ص٤٢، حيث يقول (ومما يجدر ذكره ان الكُرد انضموا تحت لواء الإسلام طوعاً وليس نتيجة حروب.... الخ).

٥٨- انظر مثلاً البلاذري: فتوح البلدان، الجزء ١، ص٢٤، الجزء ٢ ص٣٩٧.

٥٩- اذكر من هذه المقابر: (دۆڵی ئەسحابان)، (دۆڵی كافران) في كويه (كويى: كويسنجق) و(ئەسحابە سپى) في السليمانية؛ انظر كذلك: جمال نبز: حول المشكلة الكردية المصدر العربي (٩): ص٦.

المبحث الثالث

المصادر الغربية

اولاً: البحوث العلمية:

تمثل الشواهد والأدلة الكردية غالباً وجهة نظر الكُرد حول تاريخهم وردود فعل الكرد تجاه آراء غير الكرد نحوهم. أما الشهادات الغربية فتعزى اهميتها الى كونها تحاول جزئياً عرض الآراء المختلفة للكرد وغير الكرد حول التاريخ الكردي بصورة علمية.

وفيما يلي بعض من المؤلفات الغربية الجديرة بالذكر والتي اقتبست منها بعض المعلومات والتقارير حول ميري كۆره:

١- مقال (الكُرد) لمينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية: هذه المقالة هي احدى أهم المؤلفات القيمة حول الكُرد الى يومنا هذا. ومينورسكي (١٨٧٧-١٩٦٦) هو المستشرق الروسي الشهير الذي عاش بين الكُرد لمدة طويلة ودرس لغتهم وآدابهم، وقد قدّم سنة ١٩١٥ تقريراً حول الكُرد تحت عنوان (ملاحظات وانطباعات) الى اكاديمية العلوم السوفيتية[٦٠]... فأصبح تقريره هذا اساساً لجميع مؤلفاته القادمة حول الكُرد.

ان مؤلفات مينورسكي التاريخية تستند على وثائق متنوعة وتمتاز بمنهجية لا غبار عليها. اعتقد ان لڤولفگانگ لينتس (Wolfgang Lentz) الحق من نواحي معينة عندما قال سنة ١٩٦٠: "ان مقال فلاديمير مينورسكي «الكُرد» في دائرة المعارف الإسلامية[٦١]؛ لايزال ولحد الآن المدخل المقتضب والموثوق في القضايا المتعددة الثنايا التي تركها لنا العديد من عشائر هذا الشعب".

ماعدا هذا، يمكن القول بأنه قد ظهرت مؤلفات أخرى موثوقة حول الكُرد، وذلك ما بين (١٩٦٠-١٩٦٩)، وفي مقدمتها مؤلفات وهبي[٦٢]؛ بلو Blau[٦٣]؛ خالفين chalfin[٦٤]؛ قاسملو[٦٥]. ونەبەز[٦٦]...

٦٠- المصدر الروسي (٨٣).

٦١- المصدر الألماني (٩٠): ص١٨٢.

٦٢- المصدر الانگليزي (١٢٤).

٦٣- المصدر الفرنسي(١٢٩).

٦٤- المصدر االروسي (٨٢).

٦٥- المصدر الانگليزي (١١١).

٦٦- المصدر العربي (٩).

٢- الكتاب الثاني الشامل والمهم حول الكُرد، والذي يجد المرء فيه بعض التقارير المفيدة والقيّمة حول ميري كوّره، هو كتاب «الكُرد - Les Kurdes» للعالم والدبلوماسي الروسي باسل نيكيتين Basil Nikitine 1885- 1960 (67)[٦٧].

كان نيكيتين قنصل روسيا القيصرية في مدينة أورميه (إيران) ما بين ١٩١٥ و١٩١٨، وقد عاش لمدة طويلة بين الكُرد وتعلم لغتهم[٦٨]... كما كان على صلة بعلمائهم، وكتابه يعالج مقاطع مختلفة من الأدب والتاريخ الكرديين، فضلاً عن أصل الكُرد ومناطق استيطانهم، الحالة الإقتصادية، الفنون الشعبية، الحياة الإجتماعية، الإمارات والعشائر. كذلك يبحث الكتاب بايجاز في التاريخ الكردي منذ عصور سحيقة الى الزمن الذي بدأ فيه الكُرد بحركاتهم التحررية في القرن التاسع عشر. هذا وقد اضاف المؤلف الى ملحق كتابه بعض الجداول التي تتعلق بالاحصائيات والمستندات السياسية والتي تعود لفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. كما استخدم نيكيتين في بحثه فيضاً من المراجع الشرقية والغربية.

اني اعتبر كتاب (الكُرد) لنيكيتين اساساً لكل دراسة مستفيضة ومسهبة عن الكُرد. هذا وقد تمت ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ونشرت سنة ١٩٥٧ في بيروت، بعدما ادخل عليه الناشر تغييرات مختلفة بمقتضى رغباته الشخصية[٦٩]...

كما الف نيكيتين كتباً أخرى حول الكرد[٧٠]. لكن الذي كان مفيداً بصورة خاصة لدراستي هذه، هو مقاله حول مدينة رواندز Rawandiz في دائرة المعارف الإسلامية[٧١]... فهو يحتوي معلومات قيّمة عن إمارة سوران بصورة عامة وعهد ميري كوّره بصورة خاصة، وقد استخدم نيكيتين فيه المراجع الكردية مثل كتاب حزني موكرياني، وكذلك المؤلفات غير الكردية، وفي مقدمتها الكتب الغربية.

٣- «الكُرد وكردستان The Kurds and Kurdistan لدرك كنين Derk Kinnane[٧٢]: ارى أن هذا الكتاب هو مؤلف مقتضب ولكنه جدير بالذكر. فقد عمّق المؤلف معلوماته حول التاريخ الكردي ومعضلات هذا الشعب من خلال اتصاله القريب بالكُرد ايام تدريسه كمحاضر للغة الانكليزية بجامعة بغداد[٧٣]؛ وعليه يمكن للمرء ان ينظر اليه باعتباره من الكتب القيمة القليلة حول التاريخ العام والحياة الاجتماعية والحالة السياسية للكُرد.

٦٧- المصدر العربي (٦). وكذلك: المصدر الفرنسي(١٣٠).
٦٨- نفس المصدر الفرنسي: ص٣٠٢-٣٠٣.
٦٩- المصدر العربي (٦).
٧٠- المصدر الفرنسي (١٣٠): ص٣٢١.
٧١- المصدر الألماني (٩٦).
٧٢- المصدر الانكليزي (١١٥).
٧٣- نفس المصدر: غلاف الكتاب.

ثانياً- التقارير المتعلقة بوصف الرحلات والسياحات:

ان التقارير التي تصف الرحلات والجولات التي قام بها الأوروپيون تمدنا في هذا المجال بمعلومات اضافية، فهؤلاء الذين قاموا بزيارة كردستان في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، أما لمصالح شخصية، أو كدبلوماسيين ووكلاء سياسيين، او كمجرد علماء تحدثوا عن الإمارات الكردية والحياة الاجتماعية والسياسية للكُرد.

ففي تقرير للطبيب الانكليزي الدكتور روس Dr. Roos، والذي زار إمارة سوران سنة ١٨٣٣ من اجل معالجة مصطفى بگ، والد ميري كوّره[٧٤]. وَرَد انه اغتنم فرصة التحدث شخصياً مع ميري كوّره، ويستطيع المرء خلال هذا التقرير ان يطلع على الكثير من المعلومات عن هذه الشخصية الكردية الجديرة بالإعتبار ويقارنها بما جاء في التقارير الكردية.

هذا ورغم ان روس ولأسباب شخصية، لم يكن له إنطباع حسن حول الكُرد[٧٥]... الا انه يتحدث عن إمارة سوران بموضوعية الى ابعد حد ممكن.

أما فريزر Fraser الذي كان يمكث على عهد ميري كوّره في مدينة اشنويه[*٩]. (شنوّ الكردية)[٧٦]؛ فقد حاول عبثاً زيارة إمارة سوران، بيد انه يروي الكثير عن طبع وسجايا هذا الأمير والظروف السياسية والاجتماعية السائدة في إمارة سوران، وعن منافسي سوران أي البابانيين. ان تقاريره تطابق غالباً المعلومات التي وردت في التقارير الأخرى.

أما الدبلوماسي الانكليزي المعروف ريچ CL. J. Rich[٧٧]؛ الذي تجوّل سنة (١٨٢٠م) في جنوب كردستان وزار إمارة بابان وقسماً من إمارة سوران، فقد دوّن الشيء الكثير من الأخبار والمعلومات والروايات الشعبية التي تساعد بدورها على تسليط الأضواء على اوضاع وظروف اكبر إمارة منافسة لسوران ألا وهي إمارة بابان.

وهيلموت فون مولتكه Helmuth von Moltke[٧٨] الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني وتحت امرته جنود كُرد واتراك ابان عهد ميري كوّره، كان قد رأى بأم عينه الإصطدامات بين الإمارات الكردية والسلطة العثمانية المركزية. انه يبلغ وبخبرة عن «وطن شعب الكرد»[٧٩]... إني اعتبر تقاريره كوثيقة

٧٤- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٦٧.

٧٥- نفس المصدر: ص٧١-٧٣.

(*٩) مدينة كردية تقع الى الشمال الشرقي من مدينة رواندز، في كردستان ايران.

٧٦- المصدر العربي (٣٨): ص٤٠٦.

٧٧- المصدر الانكليزي (١١٩).

٧٨- المصدر الألماني (٩٣).

٧٩- المصدر الانكليزي (١٢٢): ص٢٠٤-٢٠٥.

قيمة فيما يخص الحياة الاجتماعية والسياسية للكرد في القرن التاسع عشر.

وفريدريك ميلنگن (Frederick Millingen)[٨٠]؛ الذي كان رائداً في الجيش العثماني، طاف سنة (١٨٧٠م) في كردستان وكتب انطباعاته حول الكُرد، وبالرغم من ان بعضاً من ملاحظاته قد تأثرت بفعل مكانته كموظف في الدولة العثمانية[٨١]؛ الا أن مقابلته مع رسول پاشا الذي كان اخاً لميري كوّره ورئيساً لأركان الجيش السوراني، هي بمثابة وثيقة لعوامل انهيار الإمارة. وتقريره هذا اكثر غزارة من حيث المعلومات فيما لو قورن بغيره من التقارير.

وقد كتب عسكري وصحفي فرنسي[٨٢]. كان يمكث في تركيا اثناء سقوط ميري كوّره، تقريراً حول القبض على الأمير الكردي ونفيه الى استانبول. إن تقريره مختصر لكنه على اية حال يبين لنا مصير ميري كوّره.

امّا ميجر سون Major E. B. Saone[٨٣]. الرحالة والمستشرق الإنكليزي المعروف، ثم حاكم قوات الإحتلال الإنكليزي في كردستان، فقد عاش سنوات طويلة بين الكُرد وتعلم لغتهم بطلاقة، وترك سون لنا من بين غيره من الآثار[٨٤]؛ تقريره السياحي الذي يكشف عن معرفة كبيرة وخبرة وافية[٨٥]...

كانت هذه الجوانب الإيجابية للتقارير السياحية، ومن جهة اخرى يجد المرء أنَّ بعضاً من السواح يحكمون على الشعب بأجمعه نتيجة لتجاربهم الشخصية السيئة او الضيقة مع بعض الكُرد، دون ان يكونوا قد قضوا هنالك وقتاً طويلاً، فعلى سبيل المثال يشتكي الدكتور روس والذي ربما لم يُستقبل على النحو المطلوب من قبل الكُرد، من أن الكُرد يفتقرون «حسن الضيافة والسخاء الحقيقيين»، أو أن «مادة الكُرد الأساسية هي الحرب» أو الكُرد «متوحشون عابسون»[٨٦]... إنّني لا أعلم ماذا يقصد الدكتور روس بمفهوم «حسن الضيافة» و«السخاء» الاّ ان رأيه على كل حال يقع في اتجاه معاكس للآراء العامة حول الكُرد بهذا الصدد[٨٧]...

٨٠– المصدر الانگليزي (١١٨).

٨١– المصدر الفرنسي(١٣٠): ص٧٧.

٨٢– المصدر الايطالي(١٣٢).

٨٣– المصدر الانگليزي (١٢٣).

٨٤– نفس المصدر.

٨٥– المصدر الروسي (٨٣).

٨٦– المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧١. وكذلك: ص٧٣.

٨٧– على سبيل المثال ما يقوله الكاتب الارمني المعروف (ابوڤيان) انظر: المصدر الفرنسي(١٣٠): ص٧٨، وكذلك: المصدر الروسي (٨٣). حيث جاء فيه: "يمكن ان يطلق على الكُرد (فرسان الشرق) بكل ما في الكلمة من معنى.... (فهم يتميزون) بالتطبيق الكامل للوعد الذي يعطونه، وبحسن الضيافة". أما مبعوث ناپليون (جوبير– A. Jaubert) الذي اجرى مباحثات مع شاه ايران القاجاري سنة (١٨٠٥–١٨٠٦م)، يتحدث باسهاب تام عن حسن ضيافة الكرد فيقول: (الشعوب التي تسرق الحيوانات الاليفة في الطرقات، تتصف من حيث الاساس بروح حسن الضيافة، وهكذا =

هذا ويجد المرء امثلة اخرى مماثلة لتحيزات الدكتور روس وذلك عند كل من موريتس ڤاگنر Moritz Wagner[٨٨]، فاولر Fowler[٨٩]؛ لايارد Layard[٩٠]؛ ميلنگن Millingen[٩١]؛ ريتر Ritter[٩٢]. وغيرهم. لقد لاقى كل واحد من هؤلاء، حوادث خاصة أو تعرف على الكُرد عبر الروايات وسمع بأنهم «لصوص» وعليه فقد حكم على الجميع بأنهم «غادرون» أو «لصوص» أو «سرّاق» أو ما شابه ذلك.... الخ[٩٣]...

وعلى نقيض هؤلاء بالضبط، فقد مر البعض الآخر من السواح بتجارب وخبرات طيبة مع الكرد، فتراهم يصفون الكُرد بشكل آخر تماماً، فمثلاً يقول ريچ: «إني اترك كردستان بأسف حقيقي، كما واني اشك غالباً في أن اجد مثلهم أناساً طيبين من بين الذين التقيت معهم في الشرق.

لقد أقمت وبنيت صداقات هناك، واستضافوني بمدى الإخلاص واللطف والكرم اللامتناهي، والذي اخشى ان لا القاه مرة اخرى خلال رحلتي الطويلة المتعبة، وسوف تبقى ذكراها (أي ذكرى الرحلة- المترجم) وتدوم طويلا مدى الحياة[٩٤].»

لقد ادان البعض الآخر من السواح الغربيين مثل موريتس ڤاگنر الكُرد لا لكونهم قطاع طرق وحسب، بل بسبب ما اسماه «بالمعاملة الوحشية» للكُرد المسلمين ضد جيرانهم من غير المسلمين[٩٥]... ويعني بهم المسيحيين، كالأرمن والآثوريين. هؤلاء اطلقوا جميع الخصال والنعوت السيئة على الكُرد نتيجة للتعصب او الجهل[٩٦]... اني أرغب هنا أن اؤكد قبل كل شيء بإنّني لا أريد بأي حال من الأحوال أن ابرر او اجيز الأجراءات العنيفة للمسلمين ضد العزل من غير المسلمين، لكنني يجب ان اذكر هنا، بأن السواح الذين ادانوا الكُرد، لم يأخذوا بالحسبان ما يلي:

١- كان الكُرد ولقرون طويلة مواطنين تابعين لدولتي تركيا وإيران، وكانت كل من الدولتين تُعرف

= لايخاف السائح الخبير من أي شيء عندما يتجول في الشرق الذي تسوده دماثة الاخلاق. هذا مايبرهنه الكرد، فعندما يعيش اجنبي بينهم، ويحتاج شيئاً، فإنّ بعض الناس يدخلون عليه في الحال، انهم يحيونه ويقولون له: مرحباً، أشعرْ وكأنك في بلدك، نحن ننتظر وبفارغ الصبر الساعة التي نكون فيها مضيفك) راجع: المصدر الروسي (٨٢): ص٢٢، ويقول نيكيتين أيضاً (يشهد السائحون كلهم والذين عاشوا غالباً ولفترات طويلة بين الكرد على حسن الضيافة الكُرد)- المصدر الفرنسي: ١٣٠، ص٧٨.

٨٨- المصدر الألماني (١٠١).

٨٩- المصدر الانكليزي (١٠٨).

٩٠- المصدر الانكليزي (١١٦).

٩١- المصدر الانكليزي (١١٨).

٩٢- المصدر الألماني (٩٨).

٩٣- المصدر الانكليزي (١١٨): ص٢٣٤.

٩٤- المصدر الانكليزي (١١٩): ص٣٢٦-٣٢٧.

٩٥- المصدر العربي (١٩): ص٧٢.

٩٦- نفس المصدر ص٧٢-٧٣.

بتعصبها لأحد المذاهب الإسلامية، واعلنت كل دولة عن احد المذهبين كدين للدولة، وكانت تعتبر اصحاب المذهب الآخر كفاراً. وقد شجع ذلك بطبيعة الحال البسطاء والسذج من المواطنين على القيام بأعمال عدوانية ضد المسيحيين والأقليات الأخرى.

ان شعباً كالكرد الذي لم تنله يد التوعية، أضِفْ الى ذلك أنه شاهد نماذج عديدة من إعتداءات غاصبي وطنه على المسيحيين، قد تدخل في شؤون المسيحيين وغيرهم من الأقليات، لالتعصبه الخاص وانما نتيجة للسذاجة او الرغبة في الغنيمة.

فلقد سرد المبشر الديني المسيحي ويگرام Wigram، رئيس البعثة التبشيرية الانگليكانية لدى المسيحيين الآثوريين هذه الحقيقة بصورة صحيحة جداً حيث يقول: «الكردي مسلم، لكنه غير متعصب مع انه يبدو احياناً كذلك، انه ليس شديد التحمس لأيه نزعة، ماعدا سلب اموال جيرانه، فهو غير جدير تماماً حتى كلص[٩٧]...»

٢- برأيي يتحمل المبشرون المسيحيون أيضاً مسؤولية غير قليلة لتلك الإشتباكات، حيث لم يكن المبشرون في وضع يؤهلهم لأداء رسالتهم، اذ من الواجب توفر مؤهلات معينة لأجل القيام بممارسة عمل تبشيري، فمثلاً يجب على المبشر أن يكون ملماً بطبائع وعادات الشعب الذي يعمل بين ظهرانيه بصورة جيدة. ولكي يكسب المبشر ثقة الشعب، عليه ان يدعم اقواله بالأعمال. فيما يبدو ان الكنيسة كانت تعاني من قلة المبشرين الأكفاء حقاً، لذا فقد كانت تلك الأعمال التبشيرية محكوم عليها بالفشل، الا أن المبشرين فسروا ذلك الفشل كنتيجة لتعصب الكرد وحَمّلوا الكُرد عواقب الذنوب[*١٠]... هكذا حاول البعض وكنتيجة لليأس أن يقابل هذا «التعصب» الكردي بتحريض الأقلية المسيحية ضد الأغلبية المسلمة. فعلى سبيل المثال بيّت القس الإنگليزي كرانت (Krant) الذي كان يعيش في قرية (تكومه) بمنطقة هكاري[*١١] في الخفاء مقاصد سياسية. فحرض الآثوريين ضد الكُرد، لا حبا بالله وانما لأسباب سياسية[٩٨]... وكذلك تآمر المبشر الديني الأمريكي والطبيب الدكتور كوچران (Cochran) مع الحكومة القاجارية ضد الزعيم السني الكردي الشيخ عبيدالله نهري (المتوفى سنة ١٨٨٣م)[٩٩]... إلاّ انّ نهري اتخذ بالمقابل موقفاً آخر ازاء

٩٧- المصدر الانگليزي (١٢٨)، ص١٠٥.

(*١٠) يقول الارمني البارز (نالبانديان) الذي كتب في اواسط القرن التاسع عشر عن نشاط المرسلين المسيحيين في الشرق الاوسط ما يلي: (انهم ناهبو حرية اعتقاد الاخرين... وهم يعتصرون اخر قطرة من القوة المعنوية والعقل الحر لكي يضطهدوا ضحيتهم الى ما لا حد له. ولهذا سيعتبرون على الدوام عثا يلسع البشرية التعيسة، الحرية ليست سوى طعم في صنارة الواعظين البروتستانت. الويل للغشيم الذي يعلق في طعمهم فالعبودية نصيبه الابدي!) بونداريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي، دار التقدم موسكو - ١٩٨٥، ص٢٧٠.

(*١١) عشيرة كردية في كردستان الشمالية/ تركيا، وكذلك اسم لمنطقتهم.

٩٨- المصدر العربي (٨): ص٤٦. وكذلك المصدر الروسي (٨٢): ص٦٣.

٩٩- المصدر الانگليزي (١٠٦): ص٦-٧.

المسيحيين، فعندما اقترح عليه اتباعه البدء بحملة ابادة ضد المسيحيين، رد عليهم نهري بقوله: «العثمانيون هم الآن بحاجة الينا، نحن الكُرد، لكي نبيد المسيحيين، ولكننا لو فعلنا ذلك وقمنا بإبادة المسيحيين، فإنهم "العثمانيون" سيبيدوننا بعد ذلك»[١٠٠]...

ولقد اشار مينورسكي لموقف نهري هذا ووصفه (بالموقف الممتاز)[١٠١]. كما وأن ابناء نهري لم ينتقموا من الدكتور كوچران أيضاً[١٠٢]...

يتحدث الدبلوماسي الأمريكي إيگلتون Eagelton عن موقف ابناء نهري هذا الذي ذكرناه توّاً، الا أن المثير للدهشة حقاً هو ان إيگلتون يعتبر الكُرد هم المذنبين فقط ويمدح موقف كوچران ويصفه بـ«الموقف الجيد» فيقول: «قام هذا الطبيب الطيب بهذا العمل من اجل حماية السواد الأعظم من المسيحيين في المنطقة التي ربما كانوا يسلبون أو يقتلون في أي هجوم عام يقوم به رجال العشائر الكردية المتوحشة»[١٠٣]... ومن الجدير بالذكر أن إيگلتون نفسه يؤيد بأن انتفاضة نهري جاءت كردّ فعل لتصرفات القاجاريين ضد الكُرد[١٠٤]...

٣- كانت بعض الإصطدامات بين الكُرد المسلمين والمسيحيين قد دُبّرت واعد لها من قبل الدولة العثمانية لأغراض سياسية، وهكذا فقد حرضت الحكومة العثمانية المسيحيين النساطرة ضد الأمير الكردي بدرخان (المتوفى سنة ١٨٦٨م) على عدم دفع الضرائب له، وذلك لكي يضطر بدرخان أن يقاتل المسيحيين، وبهذه الصورة يستطيع العثمانيون كسب عواطف الأوساط الأوروپية بصورة غير مباشرة لأنفسهم[١٠٥]...

ومثلما نعلم ان بدرخان لم يكن مسلماً متعصباً في الدرجة الأولى، فالمبشرون الأمريكيون يؤيدون حياده: «كانت حكومته قد وصفت من قبل المبشرين الأمريكيين بكونها تفرض احكاماً عادلة للقوانين وتعاقب على المحسوبية والإبتزاز»[١٠٦]...

وبعد هذا الإيضاح اود ان اؤيد ما قاله الباحث والمربي الكردي رفيق حلمي (المتوفى في ١٩٦٠/٨/٥): «كانت العداوة الكردية- المسيحية احدى الثمرات التي زرعت الدولة العثمانية بذورها»[١٠٧]...

١٠٠- المصدر الروسي (٨٣).

١٠١- نفس المصدر.

١٠٢- المصدر الانكليزي (١٠٦) ص٧

١٠٣- نفس المصدر: ص٦.

١٠٤- نفس المصدر: ص٦.

١٠٥- المصدر العربي (٧): ص٤٢-٤٣.

١٠٦- المصدر الانكليزي (١١٥): ص٢٣.

١٠٧- المصدر الكردي (٥٢): ص٢٠٧.

ان ما قاله حلمي يطابق رأي العالم الأرمني (سافراستيان) الذي حَمّلَ الدولة العثمانية مسؤولية كافة الإشتباكات بين الكرد والأرمن[١٠٨]...

وهنا أود القول بإيجاز، بأنه يترتب على المرء عند القيام بتقييم وبحث التقارير السياحية وكتب بعض المؤلفين اللاموضوعيين، أن يميز بدقة بين الحقائق والتأثيرات العاطفية، والإنطباعات الشخصية، كما واني اجهدت نفسي في سبيل التوصل الى ذلك أيضاً.

وأخيراً اعتقد ان خالفين (Chalfin) على صواب عندما يقول:

«ان عدداً غفيراً من المصادر الغربية التي كتبت حول كردستان في القرن التاسع عشر، قد اطلقت على الكرد اسم "سراق وقطاع طرق" إن مثل هذه التسميات لا تطابق الحقائق غالباً»[١٠٩]...

١٠٨- المصدر الانكليزي (١٢١): ص٧.

١٠٩- المصدر الروسي (٨٢): ص٢٢.

المبحث الرابع

المصادر العربية:

في القرن العشرين وخاصة بعد تأسيس وقيام دولتي العراق وسورية، حيث يعيش الكُرد والعرب معاً ضمن دولة واحدة، أصبح من الضروري إجراء بحوث عن الكُرد. ونتيجة لذلك فقد تم تأليف بعض الكتب حول الكرد باللغة العربية من قبل مؤلفين عرب، أما النصوص التي لها علاقة بدراستي هذه فهي التالية:

١- كتابان من كتب صديق الدملوجي (١٨٨٠- ١٥/٤/١٩٥٨)[١١٠]. كانا بالنسبة لي من المصادر المهمة التي تتعلق بعهد ميري كوّره.

كان الدملوجي موظفاً عثمانياً سابقاً وعراقياً لاحقاً، وقد قضى خمسة عشر سنة من عمره بين كُرد بهدينان او بالأحرى بين الإيزيديين[١١١]... إنه يبحث مفصلاً في كتابه «اليزيدية» عن الديانة اليزيدية كما ويذكر حولها الآراء المختلفة. وقام الدملوجي بجمع العديد من الفتاوى الإسلامية ضد هذه الطائفة الدينية. وكتابه يحتوي على تجارب وانطباعات شخص عاش لسنوات طويلة بين الإيزيديين. ويعتبر هذا الكتاب بمثابة مصدر للعلاقات بين الإيزيديين وميري كوّره.

اعطى الدملوجي في كتابه الثاني لمحة عن تاريخ إمارة العمادية أي إمارة بهدينان، وعن امرائها، وموقف العثمانيين تجاه الإمارة، وعن العلماء والمدارس والموظفين... الخ. وكذلك يحدثنا الكتاب عن العلاقات بين ميري كوّره وإمارة بهدينان. وعند إجراء مقارنة بين كتاب الدملوجي وغيره من المؤلفات الأخرى، يتبين للمرء بأنه يروي الأحداث موثوقة بصورة عامة، بالرغم من انه عند الحكم على من ارتكب الأخطاء قد غض نظره احياناً عما اقترفه المسلمون السنيون من ذنوب، وحَمّلَ الإيزيديين جميع الأخطاء تقريباً لكونه سنياً[١١٢]...

٢- كتاب (الكُرد والمسألة الكردية) لـ«خصباك»[١١٣]: يعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلفات العلمية الموضوعية الصائبة التي كتبت حول الكُرد لحد الآن.

درس خصباك التاريخ الكردي بإنتظام ومُنح درجة الدكتوراه من قبل جامعة لندن في مادة الجغرافيا البشرية لكردستان العراق. وكتابه يحتوي على لمحة مختصرة عن التاريخ الكردي، ويتطرق لمسائل الجغرافيا التاريخية لكردستان، فضلاً عن أنه يصف الإمارات الكردية والحياة الإجتماعية

١١٠- المصادر العربية (٢٣) و(٢٢).
١١١- المصدر العربي (٢٣): ص٥.
١١٢- المصدر العربي (٢٢): ص٤٦٤.
١١٣- المصدر العربي (١٩).

للكُرد، ويتناول كذلك ذهنية الكُرد والشخصية الكردية وآراء الشعوب الأخرى حول الكُرد. فكتابه عندي هو دراسة مقتضبة وموضوعية عن الكُرد، وقد اقتبست منه احياناً.

٣- كتاب (القضية الكردية) لمحمود الدرة: يحتوي هذا الكتاب على الكثير من الحقائق الخاصة بإمارة سوران وميري كوّره، والتي نقلها المؤلف جزئياً من مصادر اخرى متخذاً مواقفه منها. فالكتاب عبارة عن نظرة عامة عن التاريخ الكردي من وجهة نظر قومي عربي متعصب[١١٤]؛ وعلى الرغم من انه حاول اظهار نفسه كباحث او عالم موضوعي، الا أنه لم يستطع ان يبتعد من التحيز السياسي، حيث انه اقتبس فقط من تلك المصادر الأوروبية والشرقية ما ينسجم تماماً مع تصوراته وآرائه، رافضاً الآراء والمصادر الأخرى باعتبارها «امپريالية». وبالرغم من ان كتابه هذا ذو اتجاه شوفيني، الا انني ارغب في ذكره للأسباب التالية:

اولاً: يعكس الكتاب تصورات احدى الأوساط العربية المعينة، والتي يعود اليها أيضاً كل من الغمراوي[١١٥]؛ واحمد فوزي[١١٦]. ورشيد الفيل[١١٧]... وغيرهم.

ثانياً: لأنه يعرض امكانات المقارنة بين الآراء المختلفة حول ميري كوّره والكُرد بصورة عامة.

٤- كتاب (تاريخ الموصل)، للباحث العراقي والشخصية المسيحية المعروفة سليمان صائغ[١١٨]: يحتوي هذا الكتاب على بعض المعلومات حول ميري كوّره. لقد استفاد صائغ في وضع كتابه هذا من المصادر الإسلامية والمسيحية على السواء، وعليه فإنّ كتابه ليس احادي الجانب.

٥- كتاب (التاريخ الحديث): كان الكتاب هذا يُدرس في المدارس العراقية (سنة ١٩٥٩) وقد خصص فصلاً لميري كوّره. اني اعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة أيضاً، لأنه يعبر عن الرأي العراقي العربي الرسمي بخصوص ميري كوّره.

٦- كتاب (تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني) للمربي الشيعي العراقي (الهلالي)[١١٩]... يعتبر هذا الكتاب من مصادر التربية والتعليم في العراق وبالتالي في (الجزء العراقي من) كردستان أيضاً. وقد امدني ببعض المواد لدراسة خلفيات الحالة الثقافية في إمارة سوران.

٧- كتاب (تاريخ التشريع الإسلامي) للعالم السني المصري (الخضري بگ)[١٢٠]: في هذا الكتاب لمحة مختصرة عن تاريخ التشريع الإسلامي، وقد استفدت منه كمرجع للإستشهاد به في هذا المضمار عند الإقتباس والبحث. يمتاز هذا الكتاب بأنه مبوب ومكثف بالمقارنة مع غيره من المؤلفات حول نفس الموضوع.

١١٤- المصدر الانكليزي (١٢٠): ص١٤. كذلك انظر: نفس المصدر: Vol, Vl, I, March 1969, P. 23-27.
١١٥- المصدر العربي (٩): ص٣-٤.
١١٦- نفس المصدر.
١١٧- نفس المصدر.
١١٨- المصدر العربي (٣١).
١١٩- المصدر العربي (٢٥).
١٢٠- المصدر العربي (٢١).

المبحث الخامس

المصادر التركية:

من بين الكتب التركية- العثمانية التي استعنت بها:

١- سالنامهء ولايتي موصل «التقويم السنوي لولاية الموصل» لمؤلفه توفيق فكرت (المتولد ١٨٦٧م)[١٢١]... ويروي تاريخ الإطاحة بميري كوّره، ويعتبر مصدراً مهما من حيث انه يستند في سرد الأحداث على المصادر الرسمية للحكومة العثمانية.

٢- سجلي عثماني: الذي هو احد المعاجم البايوغرافية المهمة التي تضم في صفحاتها سيرة حياة الشخصيات العثمانية وفيه ذكر موجز الا انه بلاشك مهم، حول خلع ميري كوّره، او بالاحرى سنة سقوط او عزل ميري كوّره. كان مؤلف هذا المعجم عضواً في المجلس الأعلى للمعارف العثمانية. صدر هذا المعجم في استانبول بأربعة اجزاء[١٢٢]...

٣- سياحتنامه للسائح العثماني أوليا چلبي[١٢٣]. الذي تجول في كردستان سنة (١٦٠٥هـ/ ١٦٥٤م): يحتوي هذا الكتاب على معلومات وتقارير متنوعة حول سياسة الحكومة العثمانية ازاء الإمارات الكردية، ويعرض هذا الكتاب معلومات هامة حول النظام الإداري العثماني في كردستان، كما وانه بمثابة دليل جغرافي للكثير من المناطق الكردية، ونظراً لكونه تقريراً سياحياً، فإنه يحتوي على الكثير من الأنباء القيمة والجديرة بالإهتمام.

٤- تاريخ جودت للوزير العثماني المعروف احمد جودت پاشا (١٨٢٢-١٨٩٥م): يعتبر هذا الكتاب جديراً بالذكر في هذا الصدد أيضاً، ويعتبر مصدراً مهما للعلاقات بين العثمانيين والقاجاريين في القرن التاسع عشر. وأخذت من هذا الكتاب بعض المعلومات التي تخص العهد المذكور[١٢٤]...

٥- اضف الى ذلك فإنّني استشهدت بالمعجم المعروف بـ(قاموس الأعلام)[١٢٥]؛ وكذلك بـ(تاريخ نعيمة)[١٢٦]؛ واقتبست منهما بعض المعلومات ذات الصلة بإمارة سوران في القرن الثامن عشر.

١٢١- المصدر التركي (٧٦).

١٢٢- المصدر التركي (٨١).

١٢٣- المصدر التركي (٧٥).

١٢٤- المصدر التركي (٧٨).

١٢٥- المصدر التركي (٨٠).

١٢٦- المصدر التركي(٧٩).

المبحث السادس

المصادر الفارسية:

١- احد المصادر الفارسية التي تعود الى عهد الدولة القاجارية، وله علاقة بهذا البحث هو (ناسخ التواريخ قاجارييه) لميرزا محمد كاشاني الملقب بـ(لسان الملك)[١٢٧]... ويحتوي هذا المصدر على بعض المعلومات حول العلاقات بين الدولة القاجارية وإمارة سوران، لكنها الى حدّ ما واللأسف غير امينة، ذلك لأن مثل هذه المؤلفات او المجموعات، كانت قد دونت من قبل أناس كانوا يتعاطون التملق والرياء للحكام قبل أن يهتموا بحقائق مجرى الأحداث التي فقدت صحتها غالباً في كتاباتهم. وعلى ايّ حال فإني أخذت من هذا الكتاب بعض المعلومات وذلك بحذر ونقد.

٢- كما وان كتاب محمود محمود[١٢٨]. حول العلاقات بين إنكلترا وإيران في القرن التاسع عشر، جدير بالإهتمام لكل من يبحث عن إمارة سوران في القرن التاسع عشر ذلك لأن واضع الكتاب يعرض هذه العلاقات بوثائق ويستخرج منها النتائج، ورغم انني ارى بعض هذه الآراء غير صائبة وانفعالية، فإنّ الكتاب يعتبر اجمالاً عملاً ثميناً بخصوص الدولة القاجارية في العهد المذكور.

١٢٧- المصدر الفارسي (٧٠).

١٢٨- المصدر الفارسي (٧٣).

المبحث السابع

مصادر اخرى:

يعود ويتبع لهذا القسم بعض المصادر التي كتبت من قبل مؤلفين ينتمون الى شعوب ليست لها علاقات سياسية مع الكُرد، بخلاف العرب والفرس والأتراك الذين تربطهم هذه العلاقة مع الكُرد. من بين هذه المصادر توجد ثلاثة كتب جديرة بالذكر:

١- الكُرد وموطنهم- The Kurds and Their Country للكابتن وحيد[١٢٩]: زار العقيد الباكستاني (وحيد) سنة ١٩٥٣ كردستان وزعم بأن سبب اهتمامه بالكُرد ووطنهم «اكاديمي محض»[١٣٠]. لقد جمع وحيد في كتابه الكثير من الوقائع التاريخية، إلا أن نظرته الإسلامية المتعصبة واضحة بجلاء.

لقد اعتبر وحيد جميع الإنتفاضات الكردية في القرن التاسع عشر، ومن ضمنها بالطبع حركة ميري كوّره ضد الدولة العثمانية، وكذلك ثورات الكرد في القرن العشرين من المخططات المعادية للإسلام، فنراه يقول: «ان ازدياد الفعاليات المدبرة بصورة جيدة من قبل اعداء المسلمين بغية ايجاد الخلاف والفرقة بين الشعوب المسلمة، سببت تشتيت قواها، وذلك بخلق المعارك بينها».

يعتبر وحيد هذا العامل احد اهم اربعة عوامل يتميز بها التاريخ الكردي في الفترة التي نحن بصددها حيث يقول: «إنّه من أهم الميزات الأساسية التي يتميز به تاريخ الشعب الكردي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين»[١٣١]...

ان هذا الحكم غير صائب في رأيي، لأن الإنكليز هم الذين دعموا الدولة العثمانية ضد ميري كوّره[١٣٢]؛ كما وساندت الحكومات الأوروپية الحكومة العثمانية ضد الأمير بدرخان[١٣٣]... ومن الواضح أيضاً ان بعض الإنتفاضات الكردية في القرن العشرين كثورة شيخ محمود مثلاً، كانت موجهة ضد الإنكليز كذلك، كما تؤيد ذلك سكرتيرة القنصلية الإنكليزية في بغداد، گيرترود بيل Gertrude Bell[١٣٤]...

١٢٩- المصدر الانگليزي (١٢٦).

١٣٠- نفس المصدر: ص VI.

١٣١- نفس المصدر: ١٣٥.

١٣٢- انظر الفصل: (موقف الانگليز من ميري كوره) في هذا البحث.

١٣٣- المصدر العربي (١٩): ص٢٥. وكذلك المصدر العربي (٧): ص٤٢.

١٣٤- المصدر الانگليزي (١٠٣).

٢- الكرد وكردستان Kurds and Kurdistan[١٣٥] للعالم والسياسي الأرمني آرشاك سفرستيان الذي حاول تدوين خبراته الطويلة عن الكُرد، وابحاثه الخاصة. وآرشاك كأرمني مضطهد قومياً ودينياً، يجد فقط لدى جيرانه الكُرد الذين عاشوا آلاف السنين مع الأرمن استعداداً لتعاون مثمر. وعليه فإنّ ما لاشك فيه، انه ألف كتابه هذا بشعور طيب نحو الكُرد، الاّ أن جميع معطياته مقرونة ببراهين موضوعية.

ان هذا الكتاب الذي يشكل مصدراً لكل من يود الكتابة عن الكُرد، يحتوي أيضاً على بعض المعلومات حول ميري كوّره.

٣- الكُرد- The Kurds لـ(حسن ارفع)[١٣٦]: كان مؤلف هذا الكتاب رئيساً لأركان حرب الجيش الإيراني (سنة ١٩٤٤- ١٩٤٦م)، حارب الكُرد الذين انشأوا جمهورية مهاباد في ١٩٤٦/١/٢٢. وهو كآذربايجاني وبحكم موقع الجيرة الجغرافية، كان شديد الإختلاط والصلة مع الكُرد.

حقاً تتفق بعض المعلومات التاريخية التي اوردها في كتابه مع الحقائق التاريخية، غير أن بعض آرائه غير موضوعية، فعلى سبيل المثال القول الوارد هنا أيضاً بأن الكُرد اعتنقوا الإسلام طوعا[١٣٧]. كما وان معالجته للمشاكل السياسية للكُرد متميزة نوعاً ما، ويفتقد قسم منها الى الحكم النهائي. أضف الى ذلك فإنّ المعلومات ذات العلاقة بميري كوّره محدودة في هذا الكتاب.

١٣٥- المصدر الانكليزي (١٢١).
١٣٦- المصدر الانكليزي (١٠٢).
١٣٧- نفس المصدر: ص٧.

الفصل الثاني: مدخل تمهيدي الى البحث

المبحث الأول

لمحة عن تاريخ سوران الى ايام حكم مصطفى بگ

ينقسم تاريخ إمارة سوران حسب المعلومات التي تتوفر في المصادر الى ثلاثة اقسام يشمل القسم الأول منه تأسيس الإمارة حتى عهد حكم علي بگ (أي حوالي سنة ١٠٠٥هـ/ ٧-١٥٩٦م). وكتاب الشرفنامه الذي تم تأليفه على عهد علي بگ، يروي لنا احداث هذه الحقبة بصورة تفصيلية[١٣٨]... ومن المحتمل ان يكون كتاب الشرفنامه من اقدم المصادر التي تتناول العهود الأولى لإمارة سوران. انه يتعرض لكيفية تأسيسها ويوضح المعنى الإشتقاقي الشعبي لإسم سوران.

فبمقتضاه يروى أن أحد نبلاء العرب من بغداد[*١٢] واسمه كلوس[١٣٩] لجأ الى تلك المنطقة واشتغل راعياً لسد رمقه، وكان له ثلاثة ابناء يدعى احدهم عيسى، وقد استغل عيسى الفرصة واعلن نفسه اميراً. ولما كانت قلعة رواندز[١٤٠] تحيطها صخور حمراء وأن عيسى واتباعه قد تسوّروا اسوارها في البداية، فإنهم عرفوا بـ(سەنگ سرخي)، أي (رجال الصخور الحمراء)[١٤١]... وهنا لابد لنا ان نشير

١٣٨- المصدر العربي (٥): ص٢٧٣-٢٨٤.

(*١٢) كان (گلوس - کەلۆس بالكردية) من نبلاء الكرد وليس عربيا كما ورد في الشرفنامه، انه ينحدر من سلالة صلاح الدين الايوبي الرواندي (١٢٣٨ - ١١٩٣م)، حول ذلك انظر: عبدالرقيب يوسف، الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى، بغداد ١٩٧٢؛ وكذلك: سعيد بدل، تاريخچة، جنبشهاي ملي كرد از قرن نوزدهم اپايان جنگ جهاني دوم، ص١٢ (باللغة الفارسية)، وكذلك، داماو حسين حزني موكرياني: مێژووی میرانی سۆران، چاپخانەی کوردستان - هەولێر، ٢٥٧٤ك - ١٩٦٢م، ص٣ وحول مدى علاقة عشيرة رواندي (روادي) وقلعة دوين وقرية ئەجدنكان (اجدنكان) بصلاح الدين ابن نجم الدين ايوب ابن شادي انظر: محمد امين زكي: تأريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص ١٦٧ - ١٦٨، وخلاصة تاريخ الكرد وكردستان لنفس المؤلف، ترجمة محمد علي عوني، ص٢٧٠،٣٥٥ - ٣٧١؛ وكذلك كتاب: شرفنامة لشرفخان البدليسي، الترجمة الكردية لهذار، ١٩٨١، ص١٢٤-,١٢٦ (اجدنكان - ئەجدنكان بالكردية ومعناه الجن) هي القرية التي ولد فيها والد صلاح الدين الايوبي (نجم الدين ايوب بن شادي)، ربما تكون قرية (اجندكان) هذه في الاصل قرية ومصيف (جنديان، اجندكان، ئەجندەكان) الحالية والواقعة بالقرب من رواندز على الطريق العام الواصل بين (رواندز - دؤلي بالك) حيث يتميز ينبوع مائها المتدفق من احدى كهوف جبل (هندرێن) بخاصية الجريان تارة والتوقف تارة اخرة وذلك خلال فترات زمنية قصيرة، لقد اَوَل سكان المنطقة قديما هذه الظاهرة الى وجود الجن (اجندة - ئەجندة بالكردية) وتحكمهم في جريان المياه تلك، حيث عرفت بـ(اوي اجندكان - ئاوي ئەجندەكان - ئەجندان) أي (مياه الاجنة - المياه السحرية) (اجدنكان: اجندكان: جنديان).

١٣٩- كَلوس (کەلۆس- الكردية)، معناها (الأثرم) بالعربية او من تنقصه الاسنان الأمامية.

١٤٠- أو (اوان) كما جاء في الشرفنامه. النعت الفعلي لـ(رّوان). القلعة المعروفة اليوم بـ(رواندز)، انظر رأي (محمد علي عوني) في الشرفنامه.

١٤١- المصدر العربي (٥): ص٢٧٤.

الى حقيقة، وهي انه غالباً ما ادعت العشائر الكردية ورؤساؤها[*١٣]؛ وحتى غير الكرد أيضاً (مثل الفرس) لنفسها اصولاً وانساباً عربية[١٤٢]...

أما المعلومات التي نجدها عند المؤرخين الآخرين مثل زكي[١٤٣]؛ موكرياني[١٤٤]؛ درّة[١٤٥]؛ نيكيتين[١٤٦]؛ فهي في الواقع إعادة لما ورد في الشرفنامه، مما يدل على أن هؤلاء المؤرخين والمؤلفين قد تمكنوا من الإستناد على الشرفنامه فقط. وذلك لحاجة وعدم وجود غيره من التقارير.

ولقد اعرب رۆژبەیانی عن رأي آخر فيما يخص اصل كلمة سوران: «قد يكون سَنگ سُرخي» في الأصل هو «سِنگ سُرخي» حيث تعني كلمة (سِنگ) في اللغة الكردية (الصدر)[*١٤]. و(سُهر أو سور) تعني (الأحمر)، وان كلمة (سنگ) الكردية نقلت الى الفارسية دون تشكيل الكلمة وكذلك دون اعتبار لمغزاها. ففي مثل هذه الحالة كان من المفروض أن يقال في الفارسية (سينه) مقابل (سينگ) الكردية. ان مرد هذا التعبير هو أن الكُرد مولعون بشدة بالملابس الحَمراء[١٤٧]...

إن مايقوله رۆژبەیانی هو تأويل اشتقاقي شعبي، مستند على التلاعب بالألفاظ والكلمات.

يتصف العهد الأول لإمارة سوران بمايلي:

١- كان النزاع العائلي بين أُسَرْ أمراء سوران عنيفاً جداً، كما هو الحال عند باقي أُسَرْ أمراء الكرد الآخرين. حتى ان محمود الدرة نظر الى ذلك بشيء من المبالغة، واعتبر هذا القتال بين اعضاء العائلة الحاكمة الواحدة «السمة الحازمة لمجمل تاريخ كردستان»[١٤٨]...

تلك كانت احدى العوامل الهامة التي ادت الى ضعف إمارة سوران في هذه المرحلة، أي في عهد حكم علي بگ (١٠٠٥هـ/ ٧-١٥٩٦م).

٢- ادت سياسة السلطان سليمان الثاني الغير حكيمة الى نوع من الجدال والنزاع بين المسلمين والإيزيديين انتقل من جيل الى آخر، ففي سنة (٩٤١هـ، ١٥٣٤/٥م) عاد السلطان سليمان

(*١٣) على سبيل المثال انظر: عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، مطبعة المعارف - بغداد، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م).
١٤٢- المصدر الألماني (٩٦): ص, ١٢٢١
١٤٣- المصدر العربي (٣٨): ص٣٩٩-٤٠٦.
١٤٤- المصدر العربي (١٠): ص٥-١٤.
١٤٥- المصدر العربي (٤٠): ص٨٤
١٤٦- المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢١.
(*١٤) ان صح تأويل (رۆژبیاني) هذا، فمن الاجدر الاخذ بالمعنى الاخر لكلمة (سينگ) أي (الوتد، السارية، الراية) فلربما كانت راية عيسى وانصاره حمراء وبذلك فأنهم نالوا شهرة (اصحاب الرايات الحمر) في حين كانت راية صلاح الدين الايوبي صفراء اللون.
١٤٧- المصدر العربي (٥): ص٢٧٤-٢٧٥.
١٤٨- المصدر العربي (٤٠): ص٨٩.

الثاني[*15] بعد الإستيلاء على بغداد عن طريق مدينة هَولير (أربيل)، وامر بشنق الأمير عزالدين شير[*16]. وأهدى إمارته لحسين بگ داسني، نجل أحد أمراء اليزيدية. وعلاوة على ذلك فقد ألحق السلطان اقليم أربيل بإمارة سوران وضمه اليها[149]...

ادت إجراءات السلطان هذه الى مواجهة دموية وعنيفة بين المسلمين والإيزيديين[*17] ادت في النهاية الى ضعف إمارة سوران لصالح السيطرة العثمانية.

٣- ماعدا ذلك فقد نشأت في هذه المرحلة منافسة مريرة بين الإمارتين السورانية والبابانية[150]؛ ادت بدورها الى اضعاف الإمارتين معاً.

٤- على الرغم من ذلك فقد تمكن بعدئذ بفترة وجيزة، احد أمراء سوران واسمه «سيف‌الدين»[151] من الإنتصار على العثمانيين والإعلان عن استقلال الإمارة[152]... إلا أن العثمانيين استغلوا المنافسة القائمة بين أمراء الكرد انفسهم؛ حيث ألقي القبض على سيف‌الدين بواسطة مكيدة الوسيط العثماني المدعو غازي قران[*18] وهو من أمراء الكرد. وقد اعدم سيف‌الدين بتاريخ ٤ ذي الحجة ٩٦٦هـ الموافق لليوم السابع من ايلول سنة ١٥٥٩م[*19]...

(*١٥) المعروف أيضاً بالسلطان سليمان القانوني.

(*١٦) هو ابن مير سيد بگ (سەیدە بەگ) بن شاه علي بگ أمير سوران الذي استرد بلاد كركوك وهولير (اربل) وموصل سنة ١٥١٤م، انظر: محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، ص١٦٦، وكذلك: شرفنامة، باللغة الفارسية، طبعة الازهر - مصر، ص٣٥٥ وأيضاً: الطبعة الكردية لكتاب الشرفنامه، ترجمة هذار، ص٤٩٠، علما بأن الترجمة الكردية لهژار تنقصه بعض المعلومات الاصلية الواردة هنا.

١٤٩- المصدر العربي (٥): ص٢٧٨.

(*١٧) بشأن الجرائم التي بادر الكُرد الإيزيديين بأقترافها بحق اكراد سوران وذلك بتدبير وتشجيع من العثمانين، جاء في الشرفنامه ما يلي: (قام الإيزيديين بأرتكاب الظلم والتعدي بحق المسلمين والمظلومين السورانيين بصورة جعلوا الناس ينسون فيه ظلم حجاج ابن يوسف وتعدي سعد ابن زياد). انظر: شرفنامه، الطبعة الفارسية، مصر، ص٣٥٩، هذا ومن الغريب ان نرى ترسبات هذه الاحقاد باقية في النفوس الشريرة الى عصرنا هذا، حيث يتذكر اهالي مدينة رواندز (عاصمة إمارة سوران) كيف قامت مرتزقة اليزيدية (الجاش) بالاعتداء على سكان رواندز العزل في اواخر الستينات من هذا القرن.

١٥٠- نفس المصدر: ص٢٨٠.

١٥١- المصدر العربي (٥): ص٢٧٨-٢٧٩.

١٥٢- نفس المصدر: ص٢٨٠.

(*١٨) هو يوسف بگ برادوستي الملقب بـ(غازي قران)، انظر: المصدر الكردي (٥١)، ص١٠؛ يقول حسين حزني بأنه تم جر الأمير سيف‌الدين الى المكيدة بحجة عقد معاهدة مع السلطان العثماني، تتضمن الاعتراف الرسمي للدولة العثمانية بأستقلال سوران وتبادل المجرمين والسفراء فيما بينهم مقابل وقوف الكرد في وجه ايران، على ان تسري مفعول الاتفاقية لمدة عشر سنوات. راجع: شرفنامه، ترجمة هذار، ص ٤٩٥، هامش رقم (١).

(*١٩) في اواخر هذه المرحلة حكم كل من شاقولي بگ وابنه سليمان بگ ثم ابنته الأميرة خانزاد. انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث لهذا البحث، تحت عنوان (مكانة المرأة في المجتمع). لقد اضطر (شاقولي بگ) الالتجاء الى (شاه =

تبدأ المرحلة الثانية لتاريخ إمارة سوران بعهد علي بگ (حوالي سنة ١٠٠٥هـ)[١٥٣] وحتى بداية عهد ميري كوّره (١٢٢٣ أو ١٢٢٩هـ، ١٨٠٨/٩ أو ١٨١٣/١٤م).

إنّ هذا القسم لم تتطرق إليه إلا مصادر قليلة. فالمصدر الوحيد المعوّل عليه هو المذكرات والإنطباعات التاريخية لخيلاني التي تناولت وعالجت لوحدها حقاً هذه المرحلة، لذلك يجب على المرء أن ينضم الى زكي ويؤيده في القول: «وأما حالة أمراء هذه الأسرة بعد ذلك فلم تدرس بعدُ دراسة وافية»[١٥٤]...

كان علي بگ من أقوى أمراء هذه الحقبة، حيث ان بقايا المشاريع التي انجزها، كالقلاع في مضيق گلي علي بگ لاتزال قائمة الى اليوم[١٥٥]... كما وتوجد معلومات حول تعاون أمراء سوران الكرد مع الولاة العثمانيين في هذا العهد (١١٥٩هـ، ١٧٤٦م)[١٥٦]...

أما بصدد الأمراء الذين حكموا بين عهد علي بگ وعهد مصطفى بگ. فهنالك معلومات قليلة، ولكن الكثير منها متوفر عن فترة حكم مصطفى بگ، ففي عهده كانت إمارة سوران بحاجة الى أن ينقذها أمير قوي (كما حدث)، أو ان تمنى بالسقوط والزوال.

وبناء على ذلك فإني أجد من الضرورة تخصيص فصل لفترة حكم مصطفى بگ.

= طهماسب الصفوي) نتيجة النزاع المرير بين اليزيديين والسورانيين، ثم عاد بطلب والحاح من السورانيين وبألتماس من (سلطان حسين بگ) أمير العماديه، اذ تم ابعاد (شاقولي بگ) عن كردستان الى السماوة في محافظة الديوانية، ثم هرب منها سنة ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م عائدا الى وطنه كردستان، هكذا مارس اعداء الكرد سياسة التبعيد والتهجير ضد الكُرد منذ قرون، ومانراه اليوم، ليس الا امتدادا لتلك السياسات الجائرة ولكن اعنف واوسع نطاقا. انظر: شرفنامة، ترجمة هذار، ص٤٩٥ - ٤٩٧.

١٥٣- المصدر العربي (١٠): ص١٣.

١٥٤- المصدر العربي (٣٨): ص, ٤٠٤

١٥٥- المصدر الكردي (٦٣): ص٣. وكذلك المصدر العربي (١٠)، ص, ١٤

١٥٦- المصدر التركي (٧٩): ص٢٠٩-٢١٠ (وقائع سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م).

المبحث الثاني

فترة حكم مصطفى بگ

بلغت المنافسة داخل الأسرة الحاكمة السورانية وكذلك العداء بين إمارتي سوران وبابان اوجها في زمن مصطفى بگ الذي جاء الى الحكم في حدود ١٧٨٠[١٥٧]؛ وقد اجبرته الحالة المضطربة على تسليم الحكم لولده مير محمد.

كان الأمير مصطفى بگ في وضع يقف فيه بين منافسين، فمن جهة، اخوانه الذين غالباً ما تمردوا عليه، لكنه إستطاع أن يخمد عصيانهم في كل مرة[١٥٨]... ومن الجهة الأخرى، إستغل أمير بابان فرصة انشغال مير مصطفى بگ بمقاتلة اخوانه المتمردين ليهاجم إمارة سوران في حدود العام (١١٩٨هـ، ٤-١٧٨٣م) حيث تمكن من احتلال رانيه وكويسنجق وهرير وضمها الى إمارته[١٥٩]؛ مما اجبر مصطفى بگ على السعي وراء مصالحة مع سليمان پاشا الباباني، وهذا ما أدى به الى تزويج ابنته من ابن أمير بابان[١٦٠]...

كان عقد هذه العلاقة بمثابة تحريك قطع الشطرنج بمهارة من قبل مصطفى بگ، لكي يبدأ بعد ذلك بإعادة بناء إمارته بكل هدوء[*٢٠]... فحسب رأي لونگريك، تمكن مصطفى بگ من أن يحكم بلاده بتعقل[١٦١]... إلاّ أن الهدوء الذي جلبه هذا الزواج السياسي لم يدم طويلاً، فقد قام اخوانه بتحريض

١٥٧- المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥، حوالي سنة ١٨١٠؟

١٥٨- المصدر العربي (٥): ص٢٨٦.

١٥٩- المصدر الكردي (٦٣): ص١٧. كذلك المصدر الكردي (٥١): ص٢٣: حيث يقول "كان لتمرخان، اخ مصطفى بگ (١٢٢٠هـ/ ٦-١٨٠٥م) علاقات ودية مع سليمان بگ الحاكم الباباني في حرير (هرير) وكوية، وشجعه (أي أن تمرخان شجع سليمان پاشا- المترجم) بالهجوم على رواندز شريطة نصب تمرخان اميراً على سوران".

١٦٠- المصدر العربي (٣٨): ص٢٨٦. وكذلك: المصدر الكردي (٦٣) ص٢٢-٢٣؛ حيث جاء فيه (بعدما تأكد لمصطفى بگ بأنه ليس بأمكانه ان يحارب اخوانه تمرخان بگ ويحي بگ من جهة وسليمان پاشا الباباني من جهة اخرى، فقد ذهب بنفسه الى معكسر الجيش الباباني، فعفاه الأمير الباباني وسحب جيشه).

(*٢٠) لقد كان هذا النوع من الزواج عرفا من الاعراف القديمة التي لجأ اليها الملوك والرؤساء الكُرد كوسيلة لتوثيق العلاقات وحسم النزاعات فيما بينهم. فعلى سبيل المثال حدثت مثل هذه المصاهرة بين الاسرتين المالكتين الميدية والبابلية، حيث تزوجت حفيدة (كيخسرو) وهي (اميتيس) بنت استياغ من نبوخذنصر نجل ملك بابل في حدود عام (٦١٣ ق.م) أي قبل الإستيلاء على مدينة نينوى ولكن بعد سقوط (اشور - الشرقاط - شرطات) وكذلك زواج (كيكاوس) نجل كيخسرو من (ارينيس) كريمة ملك (ليديه) في سنة (٥٨٥ ق.م) انظر: محمدامين زكي: تأريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٢٣،٢٠ (الهامش)، ٢٤-٢٥.

١٦١- المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥، وجاء فيه (انه حكم مملكته بحكمة).

سليمان پاشا الباباني مرة اخرى ضده. فقام سليمان پاشا بهجوم كبير ضد مصطفى بگ سنة (١٢٠١هـ/ ١٧٨٦/٧) (حسب خيلاني سنة ١٢٠٧هـ، ١٧٩٢/٣م)، لكن تم صد الجيش الباباني واستطاع مصطفى بگ أن يحكم لمدة ثلاث سنوات اخرى(١٦٢)...

وهكذا بقيت مدينة رواندز مستقلة بالرغم من المعاداة الشديدة(١٦٣)...

لكن المنافسة البابانية والمشاحنات والنزاع العائلي ضد مصطفى بگ كانت شديدة لدرجة انها ضعضعت الوضع القائم. فإقتربت إمارة سوران الى نقطة حاسمة، إما أن يأتي أمير قوي يستطيع انقاذ الإمارة أو ان تنهار وتسقط. لكن الأمر جرى على نحو اوجدت سوران اميرها، وذلك عندما ترك مصطفى بگ لإبنه مير محمد (ميري كوّره) امور الدولة(١٦٤)...

توفي مصطفى بگ بعد سنة ١٨٣٣(*٢١)... وارتقت إمارة سوران بعد وفاته الى اعلى درجة، بحيث اصبحت من اقوى الإمارات الكردية.

١٦٢- المصدر العربي (٥): ص٢٨٦. وكذلك: المصدر الكردي (٦٣): ص٢٤- ٢٥ ,

١٦٣- المصدر الانگليزي (١١٩): ص٢٩٩؛ حيث يقول (ريچ Rich) الذي زار كردستان سنة ١٨٢٠: (رواندز- ريواندز او ريوان- دز، هي قلعة تخص عشيرة كردية مستقلة يحكمها مصطفى بگ).

١٦٤- المصدر العربي (٣٨): ص٤٠٦. وكذلك: المبحث الأول من الفصل الثالث (ثانياً- بلوغه مرتبة الأمير) في هذا البحث.

(*٢١) من بين مشاريعه المثيرة للدهشة، هو مشروع سحب المياه من (طلي اكويان) الى احدى قلاع تلك المدينة، حيث ان اثار هذا المشروع لاتزال باقية.

الفصل الثالث: ميري كۆره وإمارته

المبحث الأول

شخصية ميري كۆره في مرآة مختلف الشواهد والأدلة

أولاً- تربيته وثقافته:

إن تاريخ ولادة ميري كۆره موضع نقاش. فحسب ما يذكره كل من موكرياني[١٦٥] وگوراني[١٦٦] وعوني[١٦٧] انه ولد سنة (١١٩٨هـ، ١٧٨٤م)، وبموجب رۆژبەیانی[١٦٨] وخيلاني[١٦٩] سنة (١١٨٩هـ، ١٧٧٥م)، ويحدد برزنجي[١٧٠] سنة (١٧٩٠م)، أما مسقط رأسه فكان مدينة رواندز.

أما الطبيب الانگليزي الدكتور روس (Roos)، الذي كان قد إلتقى مع الأمير في (٣ حزيران ١٨٣٣) في مدينة عقره[١٧١] Accra، فقد قدر عمره في حينه بخمسة واربعين عاماً[١٧٢]؛ وبمقتضى تقديره هذا يكون قد ولد سنة (١٧٨٨م). وبذلك تكون التواريخ التي خمّنها كل من موكرياني، عوني، برزنجي وگوراني موضع احتمال وارد. علماً بأن الشك حول تاريخ التولد شيء مفهوم، ذلك لأن تواريخ الولادة لم تحظَ بأية أهمية في كردستان ولحد اليوم، كما في المجتمعات الشرقية الأخرى.

لايُعرف غير القليل عن والدة الأمير[*٢٢] فلم يذكر موكرياني وخيلاني غير إسمها (بوك شازەمان)[١٧٣]؛ لكن رۆژبەیانی[١٧٤] يذكر أن «والدة الأمير (بوك شازەمان) كانت معروفة بمؤهلاتها

١٦٥- المصدر العربي (١٠): ص٢٦.
١٦٦- المصدر العربي (٢٧): ص١٣٠.
١٦٧- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧ (هامش المترجم- عوني).
١٦٨- المصدر العربي (٥): ص٢٨٧.
١٦٩- المصدر الكردي (٦٣): ص٨٥.
١٧٠- المصدر العربي (٢).
١٧١- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٧ "مدينة (عقره) الحالية بالعربية و(اكرى) بالكردية وتقع شمال مدينة الموصل".
١٧٢- نفس المصدر.
(*٢٢) يذكر موكرياني أن (بووك شازەمان) منعت زوجها (مصطفى بگ) من ترك الحكم لاحد اخوانه واقترحت تسليم الحكم لابنه الكبير (مير محمد)، ويضيف أن (بووك شازەمان) كانت امرأة ذكية، لقد طلب الأمير محمد (ميري كوره) من والدته (بووك شازەمان) مبلغ (٣٠٠٠٠) ريال كشرط لتسلمه مقاليد الحكم من والده. وكل هذا دليل لمكانة (بووك شازەمان) ودورها في الاحداث. انظر: المصدر الكردي (٥١)، ص٢٨،٣٠، وكذلك: المبحث الثاني من الفصل الثالث لهذا البحث تحت عنوان (مكانة المرأة في المجتمع) وأيضاً: المبحث الأول من نفس الفصل (بلوغه مرتبة الأمير).
١٧٣- المصدر العربي (١٠): ص٢٦. وكذلك: المصدر الكردي (٦٣): ص٢٧.
١٧٤- المصدر العربي (٥): ص٢٨٧.

في الإدارة وبقدراتها العقلية». ورغم أن التقارير الأخرى لم تؤيد ذلك، الا أنّني لا أستبعده. فبموجب مقتضيات الحياة الإجتماعية في كردستان، تقوم زوجة رئيس العشيرة او الأمير بتدبير شؤون العشيرة أو الأقليم. اذ يقول ميلنگن Millingen: «تَعرف المرأة الكردية كل ما له علاقة بشؤون قبيلتها من نزاعات ومشاريع ومؤامرات، انها في الغالب تمثل الحماسة القوية والروح المؤثرة فيهم، حيث تعمل زوجة عمر آغا، رئيس ميلانس كمستشارة وسكرتيرة وكأمينة صندوق لزوجها»[(١٧٥)]...

وعلى العكس من ذلك فإنّ طفولة الأمير ونوعية تهذيبه ليست مبهمة، فنحن نعلم ان الأمير محمد كان طالباً يدرس علوم الدين الإسلامي[(١٧٦)]... ولما كانت الجوامع في كردستان هي المدارس الوحيدة آنذاك، وعلماء الإسلام هم المدرسون الوحيدون، فقد اضطر والده أن يجلب له من قرية ديلزه[(١٧٧)(*٢٣)] أحد العلماء المعروفين واسمه ملا احمد ابن ملا آدم[(*٢٥)] الى رواندز وشيد له مدرسة وجامعاً[(١٧٨)] يمكن للمرء مشاهدة انقاضه بالقرب من قلعة (لوكان) الى يومنا هذا، فقد نال الفتى محمد هنالك اركان ثقافته من «الكتب الصفراء»[(١٧٩)] كأيّ «فقي»[(١٨٠)] كردي آخر. وبعد اتمامه للدراسة الشاملة

١٧٥- المصدر الانگليزي (١١٨): ص٢٥١.

١٧٦- المصدر العربي (٢٧): ص١٣٠، المصدر الكردي (٦٣): ص٢٩.

١٧٧- قرية في بالكان بقضاء رواندز الحالية [(*٢٤)].

(*٢٤) قام النظام البعثي في العراق بالغاء مركز قضاء رواندز، وذلك تمشيا مع سياسته في تعريب كردستان والقضاء على كل اثر لحضارة الكرد وتأريخهم. انظر: لمحة تاريخية عن الكرد... ومدينة رواندز، بقلم المترجم وذلك ضمن ملحقات هذا الكتاب.

(*٢٣) توجد في منطقة رواندز (بالك) قريتان، احداهما بأسم (دێلزيان)، والاخرى بأسم (دێلزه) وتقع هذه الاخيرة في غرب چۆمان ضمن مجموعة من القرى (وەردە، ناوەندە) الواقعة على سفوح جبال (هەلگورد - حصاروست)، وكان الشيخ احمد اغا رئيسا لهذه القرية، ويمكن اعتبار هذه المنطقة من اجمل مناطق العالم.

(*٢٥) ينتمي (ملا احمد ابن ملا ادم) الى عشيرة (بالك) وله تآليف عديدة، وتعتبر هذه العشيرة من قبائل سوران ومن بطون عشيرة (رواندي)، ولها الفضل في تاسيس الإمارة السورانية، واشتهر بالانتساب اليها الشيخ محمد بالك صاحب الطريقة السهرورية (السهروردية - سۆرە بەردیە) التي كانت منتشرة في تلك الانحاء فتغلبت عليها الطريقة النقشبندية. وكذلك اشتهر بالانتساب اليها الشيخ العلامة احمد الگلالي واخرون. ومنطقتهم (بالك) ممتدة من رواندز الى رايات. (انظر: عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ص١٣٩-١٤٢). هذا وقد اصبحت منطقة بالك مركزا لقيادة الحركة الوطنية الكردية التي قادها الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق بزعامة المناضل الراحل (ملا مصطفى البارزاني)، حيث ان سكان هذه المنطقة تحملوا الكثير من اعباء ثورة ايلول ١٩٦١ - اذار ١٩٧٥. وبعد ان انهارت الثورة اثر اتفاقية الجزائر (٦ اذار ١٩٧٥)، اقدمت السلطات العراقية على تهجير سكان المنطقة وهدم قراهم.

١٧٨- المصدر العربي (١٠): ص٢٦.

١٧٩- غالباً ما تطبع الكتب الدينية على الأوراق ذات اللون الأصفر، فأنها لو كانت بيضاء، لأضرت بعيون قراءها، لأن طلاب الدين (فقي) يقرأون كثيراً، ولهذا السبب تسمى هذه الكتب في كردستان او تعرف بـ(كتێبە زەردەكان) أي الكتب الصفراء، ولاتعتبر هذه العبارة من باب التهكم كما في غيرها من بعض الاقوال المتداولة. انظر مثلا عبارة (وريقة صفراء) والتي تستعملها الاحزاب السياسية للطعن في جرائد خصومها.

١٨٠- (فقي) مأخوذة في الأصل من كلمة (فقيه) العربية وجمعها (فقهاء) وتعني بالكردية (طالب علم الدين)، أنظر: =

عيّنه والده مشرفاً على بعض المناطق من إمارته[١٨١]...

ويمكننا القول بأن الأمير محمد تلقى اجمالاً التربية والثقافة الإسلامية حسب المذهب السني.

ثانياً- بلوغه مرتبة الأمير:

إن كيفية ارتقاء محمد من مشرف على إحدى المناطق الى منصب أمير، هي موضع نقاش وجدل. إني أود هنا الدخول في بعض تفاصيلها:

يروي موكرياني[١٨٢]. رواية جديرة بالإهتمام فيقول: "في سنة (١٢٢٨هـ، ٤-١٨١٣م) حينما كان مصطفى بگ ساخطاً على اخوانه، استدعى مير محمد[١٨٣]،[١٨٤] لكي يعينه اميراً على رواندز، الاّ ان محمداً عرض ثلاثة شروط لِتَسَلّمْ زمام الإمارة:

١- ينبغي أن يدفع له والده مصطفى بگ مبلغ (٦٠٠٠٠) ريال، ووالدته بوك شازەمان (٣٠٠٠٠) ريال.

٢- يستوجب على والده مصطفى بگ أن لايتدخل في أمور محمد بگ.

٣- على مصطفى بگ أن يغادر مدينة رواندز ويقيم في قلعة "آكويان" القريبة.

لكن والده - طبقاً لهذا المصدر- لم يوافق على هذه الشروط، وذلك خشيةً من أن يقضي مير محمد

= هامش المترجم رقم (*٢٦).

(*٢٦) (فقيان) اسم قرية تقع في جنوب رواندز بالقرب من قرية اكويان، وكانت في الاصل مركزا لطلاب العلوم الدينية، هذا وقد وصف الگوراني في كتابه من عمان الى العماديه ص١٢٨ هذه القرية قائلا: (وهي... على سفح جبل كُرك البالغ ارتفاعه (٣٢٧٣) مترا، وتكثر فيها الحدائق والكروم ويبلغ عدد بيوتها (١٢٠) وترأسها امرأة تدعى فاطمة خان (فاتمة خان من اسرة أمراء سوران - المترجم) في الخامسة والاربعين من عمرها، ويصل القرية برواندز مضيق اكويان).

١٨١- انظر: المصدر الكردي (٦٣): ص٢٧. المصدر العربي (١٠): ص٢٦. وكذلك المصدر العربي (٥): ٢٨٧.

١٨٢- راجع المصدر العربي (١٠): ص٢٦-٢٧.

١٨٣- (مير) أي الأمير هنا وراثية ولاتشير الى منصب او لقب كما يفهم من ذلك. ففي كردستان يسمى ابن الأمير (مير: أي امير) وابن الملا -العالم الديني (مەلا- مُلاً) بصورة تلقائية. انظر: تعليق المؤلف رقم (١٨٤) على الترجمة العربية لهذا الهامش.

١٨٤- تعليق المؤلف على الحاشية رقم (١٨٣) اعلاه: ارجو ان اوجه عناية القاريء الكريم ان كلمة (مير) الكردية ليست مقتبسة من كلمة (امير) العربية. فالكلمة (مير) هي كلمة كردية- هيندو ايرانيه وتعني في الاصل (الشمس) ومن هنا نجد اصل كلمتي (ميثرا) و(ميثرايزم) أي (الشمس) و(عبادة الشمس) وقد اصبحت فيما بعد كلمة (ميترا) مرادفة للكلمات الرب. الاله، صاحب السلطة. وانه من باب الصدفة ان الكلمتين (مير) الكردية و(امير) العربية متقاربتان من حيث اللفظ لبعضهما كتقارب كلمتي (دفاع) العربية وdefence الانكليزية او كلمة (رفض) العربية وrefuse الانكليزية. أما كلمة (أمير) العربية المشتقة من الفعل (امَرَ) لها اصل مشترك مع الفعل (يومير) العبرية وذلك بمعنى (يقول) أو (يتفضل بالحديث). وقد جاء في العهد العتيق: (   ) (ويَومير ايلوهيم) أي (ويتفضل الله بالحديث...).

على أرواح جميع اخوانه (اخوان مصطفى بگ) واقربائه، فقفل الأمير محمد راجعاً الى جوله ميرگ".

وفي السنة التالية غضب مصطفى بگ مرة أخرى، وبعث مجدداً وراء مير محمد، وسلمه مفاتيح الخزانة (القاصة) والقلعة مع النقود التي طلبها محمد، ونصّبه أميراً بحضور رؤساء القبائل، ثم رحل مصطفى بگ الى قلعة (اَكويان) وبقي هنالك الى أن وافته المنية سنة (١٢٣٨هـ، ١٨٢٢/٣م)[١٨٥]...

يروي خيلاني رواية مشابهة لهذه، إلاّ أنه يحدد من ناحية اخرى السنة التي أصبح فيها مير محمد اميراً بـ(١٢٢٩هـ، ١٨١٣/٤م)[١٨٦]... فاذا كانت هذه الأنباء التي يقدمها كل من موكرياني وخيلاني صحيحة، فأنها تعني بأن محمد كان يتصف ببعد النظر وهذا مايؤيده فريزر Fraser عندما يقول «كان الأمير ذكياً ويتميز ببعد نظر» [١٨٧];(*٢٧). [١٨٨]... ويمكن للمرء ان يستنتج مما ذكر أيضاً، بأن مصطفى بگ قد اضطر او أجبر على أن يعزل نفسه نتيجة للمنافسة العائلية، وهذا يعني ان محمد اصبح اميراً دون استخدام العنف ضد والده، وهذا ما يؤيده گوراني: «دعا مصطفى بگ عام ١٢٢٩هـ (١٨١٣/٤م– المؤلف) ابنه المير محمد وكان إذ ذاك أميراً في جوله مرگ فبايعه بالإمارة أمام جمهور من الأشراف والنبلاء ثم ذهب الى قرية اَكويان واقام في قلعة دمدم الى أن توفي سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٢/٣م– المؤلف»[١٨٩]...

إن المعلومات التي يقدمها كل من موكرياني وگوراني بصدد تنصيب محمد اميراً على إمارة سوران عام (١٢٢٩هـ، ١٨١٣/٤م)، تطابق بعضها البعض ولكنها لاتتفق مع ما يذكره قفطان[١٩٠]؛ وما يدعيه الدرّة عندما يقول «تَسلّم ميري كوّره السلطة سنة ١٨٢٦»[١٩١]. إلاّ أن تاريخ وفاة مصطفى

١٨٥– المصدر العربي (١٠): ص٢٦–٢٧.

١٨٦– المصدر الكردي (٦٣): ص٢٧–٢٨.

١٨٧– المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨٠.

(*٢٧) يقول عبدالرزاق اصفهاني في مخطوطة يدوية باللغة الفارسية تحت عنوان (احوال اشنوية)، ص١٤–١٦، بأن الأمير محمد بگ (رجل حكيم وشجاع وذكي ومستقل لايخضع لاحد)، يبدو ان مؤلف الكتاب قد قام بزيارة لإمارة سوران في حوالي سنة (١٨٢٠م). لقد عثر مترجم هذا الكتاب على نسخة من هذه المخطوطة اليدوية النادرة والغير معروفة لحد الان، وارسلها للاستاذ جمال نبز بعد ان ابدى استعداده للقيام بترجمتها من الفارسية الى الكردية ونشرها لما فيه خدمة تاريخ وثقافة الشعب الكردي، فله جزيل الشكر على ذلك. انظر: الهامش رقم (١٨٨) ضمن هوامش المؤلف على الترجمة العربية.

١٨٨– تعليق المؤلف على هامش المترجم رقم(*٢٧): تعتبر مخطوطة (احوال اشنوية) لمؤلفه عبدالرزاق اصفهاني من المصادر الأولية الهامة لدراسة التأريخ الكردي في النصف الأول من القرن الماضي وقد ورد فيها بعض المعلومات من ميري كوره لم اتمكن مع مزيد الأسف ان استفيد منها عند قيامي بهذه الدراسة قبل عشرين سنة تقريباً، وذلك لعدم توفر المصدر المذكور عندي وللمترجم المحترم فضل العثور عليه، جزاه الله خيراً كثيراً.

١٨٩– انظر– المصدر العربي (٢٧): ص١٢٩.

١٩٠– المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٧.

١٩١– المصدر العربي (٤٠): ص٨٥.

بگ (١٢٣٨هـ، ١٨٢٢/٣م) مشابه للتاريخ الذي ذكره لونگريك[١٩٢]. عندما قال: «في سنة ١٨٢٦ توفي مصطفى». هذا وبالرغم من ذلك، فباعتقادي لايمكن ان يكون هذا التاريخ صحيحاً، لأن الدكتور روس Roos[١٩٣] زار مصطفى بگ في ١٩ مايس ١٨٣٣ لأجل معالجته ولكن دون جدوى. وعليه فإنّ سنة (١٢٤٥هـ، ١٨٢٩/٣٠م) والتي يذكرها زكي تعتبر غير صحيحة، أيضاً حيث انه يقول: «وأناب (مصطفى بگ- المترجم) عنه ابنه (محمد بگ) وتوفي هو في سنة ١٢٤٥هـ»[١٩٤]...

الا أننا يمكننا أن نقول بأن المعلومات السابقة كلها تؤيد موافقة مصطفى بگ على انتقال السلطة الى ميري كۆره.

يؤيد رۆژبەیانی[١٩٥]. هذه المعلومات أيضاً عندما يقول: «في سنة (١٢٢٣هـ، ١٨٠٨/٩م) استدعاه والده (أي ان مصطفى بگ استدعى محمد بگ) مع اخوانه الثلاثة رسول بگ، سليمان بگ، وأحمد بگ اليه، ونصبه ولياً للعهد بحضورهم، وعهد اليه بإدارة شؤون الإمارة، ثم انه (مصطفى بگ) اعتزل».

ان سنة ١٢٢٣هـ لا تطابق التاريخ الذي ذكره كل من موكرياني وگوراني وهي (١٢٢٩هـ، ١٨١٣/٤)، كما وان رۆژبەیانی لايذكر إسم الأخ الرابع لميري كۆره (تمرخان) الذي كان منافساً لميري كۆره، والذي يتحدث الدكتور روس عن أسره[١٩٦]...

لايذكر عوني لا الدوافع ولا مجرى الأحداث، لكنه يصدق موافقة مصطفى بگ حيث يقول: «اصبح مير محمد اميراً على سوران في الأيام الأخيرة من عمر والده مصطفى بگ وبرضاه»[١٩٧]...

هذا وبالرغم من الغموض الذي يكتنف الأيام الأخيرة من حكم مصطفى بگ، إلا أن الدكتور روس قد رأى مصطفى بگ بأم عينه في ١٩ مايس ١٨٣٣ وهو عاجز، فاقد البصر، فمن المعروف أن ميري كۆره قد تم اسره في سنة ١٨٣٦[١٩٨]؛ وهذا يعني أن ميري كۆره حكم على الاقل ثلاث سنوات بعد لقاء الدكتور روس بوالده. مهما يكن فهنالك تقارير تزعم بأن ميري كۆره كان منافساً لوالده وانه قفز الى الحكم بالقوة، فمثلاً يقول زكي: «إن مصطفى بگ نفسه كان شيخاً مسناً وإن البابانيين كان يطمعون في ولايته فأقلقوا راحته، وقام ابن له يدعى (محمد بگ) بمحاولة الاستئثار بالحكم وانتزاع السلطة من يد والده، فمات الشيخ بعد ذلك سنة (١٢٤١هـ، ١٨٢٦م) (١٨٢٥/٦- المؤلف)[١٩٩]. وخلا

١٩٢- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٥.

١٩٣- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٦٩-٧٠.

١٩٤- المصدر العربي (٣٨): ص٤٠٦.

١٩٥- المصدر العربي (٥): ص٢٨٧.

١٩٦- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٢، (انه يسميه تيمورخان- Timoorkhan).

١٩٧- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧ (هامش المترجم عوني).

١٩٨- راجع- المصدر الألماني (٩٢): ص١٢٢٩.

١٩٩- انظر- المبحث الأول من الفصل الثالث في هذا الكتاب تحت عنوان (بلوغه مرتبة الأمير).

الجو للأمير محمد الذي اشتهر فيما بعد بلقب الأمير الكبير»[٢٠٠]...

ان معلومات زكي هذه مناقضة للتي ذكرها هو من قبل[٢٠١] وهي ليست واضحة أيضاً فيما اذا اصبح محمد اميراً في ايام حكم والده ام لا.

يمكن للمرء أن يفهم مما سبق، بأن محمد اصبح أميراً بعد وفاة والده. بالإضافة الى ذلك فإنّ التقرير يصف الأمير كمنافس لوالده. وكما اتضح من قبل فإنّ تحديد سنة ١٨٢٦ بإعتبارها تاريخاً لوفاة مصطفى بگ عار عن الصحة.

يرى لونگريگ (Longrigg) أن الأمير محمد قفز الى الحكم وانتزع مقاليد الأمور في الإمارة بالقوة، حيث يقول: "قبل وفاته (مصطفى بگ) انتزع ابنه محمد بگ -أو الأمير محمد- الحكم من يديه لضعفه"[٢٠٢].

علاوة على ذلك يقول لونگريگ حول (فقدان بصر) مصطفى بگ انه كان نتيجة مؤامرة ضده: «حتماً كان هناك احتمال لمؤامرة»[٢٠٣]...

لكنني ارى انه لايمكن الدفاع عن تقرير لونگريگ هذا، ذلك لأن الدكتور روس الذي رأى مصطفى بگ، لم يكن متاكداً من سبب اعتزاله، وبالتالي لم يكن متأكداً من الأسلوب او الطريقة التي اصبح محمد بها اميراً: «ان سبب استقالته لمصلحة ابنه غير اكيدة تماماً، اذ يزعم البعض بأن سبب عزله كان الزامياً، ويدعي البعض الآخر بأنه كان قد اقنع ولده واعدّ له ليصبح أقوى منه، وانه استقال طوعاً لمصلحته»[٢٠٤]...

كذلك العنف والسلوك اللاأخلاقي ضد الأب مصطفى بگ والذي يتحدث عنه لونگريگ ويزعمه أنه ليس متأكداً، لأن الدكتور روس الذي عالج مصطفى بگ شخصياً، قد قام بتدقيق هذه المعلومات، اذ يقول: «تؤكد الاشاعة بأنه (مصطفى بگ) قد أُعميَ بأمر من ولده بواسطة الميل (قلم حديدي متوهج، أو جفنة حديدية حارة)، لكن الدكتور روس يعلن بوضوح بأنها تهمة ملفقة بكل تأكيد»[٢٠٥]...

هذا وقد ابدى فريزر Fraser رأيه حول هذه المعلومات كما يلي: «بدأ (ميري كوّره) سيرته بعزل والده، عندما عجز عن ادارة امور العشيرة في الأوقات الحرجة. البعض يقول بأن الرجل المسن كان مسالماً ومتعبداً وانه اصبح صوفياً او ولياً ونبذ الدنيا وغرورها، فنصّب ولده في محله. إني اتوق الى

٢٠٠- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٨.
٢٠١- المصدر العربي (٣٨): ص٤٠٦.
٢٠٢- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٥.
٢٠٣- نفس المصدر: هامش رقم (٢).
٢٠٤- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٢.
٢٠٥- نفس المصدر: ص٦٤.

تصديق القول الاخير ولربما يمثل ذلك الرواية الحقيقية للحادث، لكنه على الأغلب موضع شك»[٢٠٦]...

بعد مراجعة كل هذه المعلومات، ارى الوقائع كالآتي:

اصبح محمد اميراً في ايام حياة والده، وهذا ما يذكره لنا الدكتور روس (Roos) الذي عالج والده. وهذا يعني أيضاً ان مصطفى بگ كان قد إعتزل.

إن لم يكن مصطفى بگ قد أُعميَ من قبل ابنه الأمير محمد، فهكذا لم تحدث أيضاً اية مؤامرة ضد مصطفى بگ، حسبما يذكره الدكتور روس.

لو لم يكن هذا التقرير موجوداً، لكان بالإمكان الوقوع في شك اكبر مفاده هو ان مصطفى بگ فقَد عينيه من قبل ميري كوّره متعمداً، لكي يجعله غير كُفء للحكم بمقتضى القانون الإسلامي (عدم الجدارة لتسلم السلطة).

كل هذه الحقائق تدفعني للإعتقاد بأن ميري كوّره الطموح، والذي كان يملك بعض المزايا الحسنة، قد استفاد من ضعف والده. وهذا يعني كما يذكر زكي «الشيخوخة ومنافسة أمراء بابان»[٢٠٧]: «استطاع ان يقنع والده بالتنازل له لكي يتولى هو أمور العشيرة في وقت عصيب»[٢٠٨]...

في نظري هذا هو التوفيق الأول لمحمد، الذي تمكن بهذا الأسلوب من ضمان كرسي الإمارة، على الرغم من وجود اربعة من الأخوان، كان اثنان منهم من أشد منافسيه[*٢٨]...

ثالثاً- شخصية الأمير محمد:

على ضوء المعلومات التي تتوفر لدينا حول ميري كوّره، نستطيع أن نلمَّ ببعض الجوانب من حياته الخاصة واموره الشخصية.

فكما يذكر فريزر[٢٠٩] كان للأمير محمد ثلاث زوجات، وهذا يخالف تقاليد الكُرد واعرافهم الإجتماعية التي يسودها عادة الزواج الأحادي[٢١٠]...

اذاً تصرّفَ ميري كوّره كالإقطاعيين الذين يتزوجون احياناً اكثر من امرأة واحدة. ويؤيد العالم الديني الكردي المعروف ملا محمود بايزيدي (المتولد حوالي سنة ١٧٩٧م) هذه الحقيقة عندما يقول: «إن لأكثرية الكُرد زوجة واحدة. وقلما يتزوج الأغوات (الإقطاعيون) اثنين او ثلاث نساء»[٢١١]...

٢٠٦- نفس المصدر: ص٦٣-٦٤.

٢٠٧- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٨.

٢٠٨- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٦٤.

(*٢٨) وهما كل من سليمان بگ وتمرخان بگ.

٢٠٩- نفس المصدر: ص٧٢.

٢١٠- المصدر الانكليزي (١١٨): ص٢٥٠-٢٥١.

٢١١- راجع: المصدر الكردي (٦٥): النص الكردي: ص١٦٣، الترجمة الروسية: ص٢٧.

ربما يعود سبب تعدد زوجات ميري كۆره الى عدم انجاب الزوجتين الأوليين، حيث يقول فريزر بهذا الصدد: «ثلاث زوجات، ولكن لا عائلة (اي بدون اولاد- المترجم)، وهو في الخامسة والأربعين من عمره، ربما يرغب في ان يملك ولو (طفلاً - المترجم) واحداً، لذلك فقد اعتبر رسول وريثاً له»[٢١٢]...

ويؤيد خيلاني ذلك، لكنه يذكر انه كان لميري كۆره زوجتان فقط، او بالاحرى كانت احداهن كردية والاخرى تركية من استانبول[٢١٣]... حقيقة اخرى تلفت النظر هنا، وهي ان الطلاق يعتبر بين الكُرد فضيحة كبيرة، اذ يقول بايزيدي في هذا الصدد: «ان الطلاق بينهم (الكُرد) مكروه جداً، بل يعد من الفضائح ونادراً ما يلجأ اليه الكردي»[٢١٤]...

أما من وجهة النظر الإسلامية، فإنّ تعدد زوجات الأمير لايخالف اساس العقيدة بالرغم من ان المرء يرى في الآية القرآنية المذكورة أدناه[٢١٥] تفضيلاً معيناً للزواج الأحادي (اي الزواج من امرأة واحدة). كما وان الطلاق مسموح به بموجب الشريعة الإسلامية، إلاّ أن محمداً (ص) ينظر الى هذا السماح باعتباره من (ابغض الحلال)[٢١٦]...

يذكر الدكتور روس بعضاً من جوانب شخصية الأمير، فيقول: "كان الأمير رجلاً ذا مظهر لطيف في حدود الخامسة والاربعين من عمره، وسيماً وفي وجهه آثار الجدري، بعين عوراء[٢١٧] مقعرة السطح (مكبوسة- المترجم) (غير شفاف- المترجم). وكان طول لحيته يبلغ حوالي اثني عشر انجاً بلون بني فاتح ونهايات شعثاء (غير مصففة- المترجم) متداخلة مع بعضها تماماً. ومن النواحي الاخرى فانه كان مرتب الملبس. (والأمير- المترجم) كان ذا ساقٍ عرجاء نتيجة لرفسة حصان، وكان مبحوح صوت"[٢١٨]...

ان معلومات الدكتور روس القائلة بان الأمير كان اعوراً، تتيح لنا الفرصة في الفصل القادم للبحث في الاشتقاقات الشعبية المختلفة الشائعة بين الكُرد فيما يتعلق بلقب (كۆر) (اعمى، اعور).

أما لحية الأمير الشعثاء فهي دلالة على موضة التقاليد الإسلامية لعلماء الدين والأمراء في تلك الازمنة، تدل على نوع من الميل الى الطريقة الصوفية.

كان لميري كۆره، كأكثرية الكُرد باعتبارهم من ابناء الجبال، الموهبة العسكرية وقد افادته هذه

٢١٢- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٢.

٢١٣- المصدر الكردي (٦٣): ص٦٨.

٢١٤- المصدر الكردي (٦٥).

٢١٥- انظر الآية القرآنية (٣) من سورة النساء (رقم ٤): [.... فإنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعدلوا...]

٢١٦- انظر: الحديث النبوي: ماحل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق. في سنن ابي داود، كتاب النكاح: ٢٩٣.

٢١٧- انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث في هذا الكتاب: حول اللقب (كوره).

٢١٨- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٧.

الصفة كثيراً عند محاربته لاعدائه. يقول لونگريگ في هذا الصدد: «الصفات الجديرة بالملاحظة للبگ الاعور تظهر في سلسلة الانتصارات المتتالية»[٢١٩]...

وبالرغم من انه يبدو من معلومات موكرياني، ان الأمير لم يَقْضِ على اعدائه بالسلاح دوماً، بل سلك طريق الخدعة أيضاً[٢٢٠]؛ الا انه ليس بالإمكان نكران مؤهلاته القيادية. صحيح انه لجأ الى الخدعة احياناً، ولربّما فعل ذلك بمقتضى القول المعروف للرسول (ص) (الحرب خدعة)[٢٢١]... اني ارى ان ميري كوّره قد استوعب هذه الحكمة تماماً. لقد جعلت هذه الانتصارات ميري كوّره، في حوالي سنة ١٨٣٤، أي في غضون سنوات قليلة «اشهر رجل في كردستان» كما يقول ميلنگن[٢٢٢]... وهكذا اصبحت إمارته (سوران) في النصف الأول من القرن التاسع عشر، اقوى إمارات كردستان[٢٢٣]...

رابعاً - حول اللقب (كوّره):

كان الأمير محمد الرواندزي يحمل ألقاباً عدة:

«ميرى گەوره (الأمير الكبير) »[٢٢٤]؛ «محمد پاشاي رواندزي»[٢٢٥]؛ «پاشاي كوّر..» [٢٢٦]؛ لكنه كان معروفاً أيضاً بـ«ميرى كوّره»[٢٢٧] أي (الأمير الأعور)[*٢٩]... واللقب الاخير يعود لكونه في الواقع اعوراً، كما يؤيد الدكتور روس (Roos) ذلك باعتباره شاهد عيان[٢٢٨]...

على الرغم من هذه الحقيقة، فإنّ اغلب التقارير الكردية تحاول[٢٢٩] ايجاد مدلول آخر لهذه التسمية. والسبب حسب رأيي هو أن الكُرد يقدرون الرجال الشجعان تقديراً فائقاً، وعليه فأنهم يودون ان ينسبوا اليهم كافة الصفات المحمودة[*٣٠]...

٢١٩- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٥.
٢٢٠- المصدر العربي (١٠): ص٢٦: ٣٩.
٢٢١- انظر: الحديث النبوي: (الحرب خدعة).
٢٢٢- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٥.
٢٢٣- المصدر العربي (٤٠): ص٨٦.
٢٢٤- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٨، وكذلك: المصدر الكردي (٥١): ص١٢٢.
٢٢٥- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧- عوني. وكذلك المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٨.
٢٢٦- المصدر الكردي (٦٣): ص٢٩.
٢٢٧- المصدر العربي (٤٠): ص٨٥. وكذلك: المصدر العربي (٢٣): ص٤٤.
(*٢٩) كوره: لاتعني نصا (الاعور) بل الشائع انها تقابل (ضرير، اعمى، كفوف) لكن (كورەی يەک چاو) او (يەکچاو) تعني نصا (الاعور) في العربية و einaugig في الالمانية.
٢٢٨- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٧.
٢٢٩- اقول هنا (اغلبية التقارير). لأن صالح قفطان يعترف بأن (مير محمد) كان اعوراً ولهذا لقب بـ(كوره). أنظر: المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٨.
(*٣٠) سمعت من والدي (شمس الدين سليمان بگ سلاحشور) وهو يقول بأن مير محمد كان في الواقع اعورا وعديم =

وبناء على ذلك، فمن الطبيعي انه لايمكن ان يكون امير كبير مثل (ميرى گەورە) أعوراً، أي تنسب اليه صفة قد تكون جالبةً للمعرّة ودليلاً على الضعف[٢٣٠] على حد تصور الكُرد. واود في هذا الصدد ان اذكر الآراء التي سمعتها من الكُرد انفسهم وسأحاول إختبار مدى وجاهتها:

كان الكثير من كُرد رواندز الذين استجوبتهم شخصياً، يعتقدون بأن اسرة الأمير محمد تنتسب في الاصل الى قرية كوّرِێ[٢٣١][*٣١] ومنها جاء اللقب. إلاّ أن المصطلح الكردي للأعمى هو كوّر أو كوێر -بمقتضى اللهجة- وليس كوّڕ[٢٣٢]...

ذكر لي شاكر مجروم (المتوفى سنة ١٩٥٧)[*٣٢] الذي كان وزيراً للبرق والبريد في المملكة الكُردية القصيرة العمر للشيخ محمود البرزنجي (١٨٨٢-١٩٥٦م)، والذي عاش مدة طويلة في رواندز وكان يهتم كثيراً بتاريخ ميري كوّره[*٣٣]، قائلاً: «كان الأمير محمد مؤمناً بالله تمام الايمان، وكان القرآن قانونه الوحيد، لذا كان يسمل عين كل شخص يمس كرامة شخص آخر بسوء[٢٣٣]... وعليه فأنه نال إسم او لقب كوّره»[٢٣٤]...

= الذرية وتعني بالكردية (كۆر وتجاخ)، فكدت ان لا اصدقه في حينه، لاني لم اسمع ذلك من أحد غيره.

٢٣٠- يقول المثل الكردي: (الدنيا مُلك الشجعان). انظر: المصدر العربي (٤٠): ص٢٤.

٢٣١- قرية قريبة من رواندز.

(*٣١) كوّرِێ: قرية جميلة وقديمة، واقعة بين مصيف صلاح الدين (سەربەن - بني پيرمام) وشقلاوه، يعتقد البعض بأنها كانت موطنا لاسرة صلاح الدين الايوبي.

٢٣٢- كوّڕ: تعني في اللغة الكردية (مجمع) او (مجلس) او (محفل). لحرف (ر) الهادر او المشدّد هنا اهمية متميزة في اللهجة الكرمانجية الوسطى، فعلى سبيل المثال كلمة (كە-ر) تعني (الحمار) ولكن (كەڕ) تعني (الاطرش). انظر جمال نبز: لغة الكتابة الكردية المصدر الالماني ٩٥: ص١٤.

(*٣٢) كان المرحوم (شاكر مجرم) مناضلا وطنيا، مثقفا واديبا، محبوبا من قبل الناس، وكان سكان مدينة رواندز يحترمونه ويقدرونه كثيرا. ترك بعده ثلاثة ابناء وهم (فرهاد، شيركو، عزيز) لازلت اتذكر بعضا من ابيات قصيدة باللغة الكردية، اكبر الظن انه هو مؤلفها، هو يعبر فيها عن مدى حبه لمدينة رواندز وإمارة سوران وقد جاء فيها:

ئەی رەواندز هێندە جوانی دیمەنت شادمان ئەکا
ئاوی بێخاڵت سەران سەر دەردی دڵ دەرمان ئەکا
ئەی رەواندز فەخرە بۆ تۆ شاخی هەڵگوردت هەبێ
شاهی شاخانی ووڵاتە وکوردی سۆرانت هەبێ
جا کەوابوو ئەی رەواندز شاری شیرینی منی
جێێ هەوارگەی کوردی سۆران، دەرد و دەرمانی منی

(*٣٣) يبدو ان جبل (گلەزەردە) كان منذ القدم موقعا لكثير من الاشتباكات المسلحة. فلقد جاء في كتاب خلاصة تأريخ الكرد وكردستان لمحمد امين زكي، ص٨٤-٨٥، ان شلمناصر الثاني اغار عام (٨٥٩ق.م) على بلاد (زاموا - مركزها اراگدي) واستولى على البلاد، حتى جبال (نيكديم - تاسلوجه) و(نيكدي ايرا - گلەزەردە).

٢٣٣- اخذ گيو موكرياني بهذا الرأي أيضاً: انظر: المصدر الكردي (٥١): ص١٢٢.

٢٣٤- (ه) الهاء الاخيرة في (كوّره) هي لاحقة، تصوغ الاسماء من الصفات فمثلاً كور: اعمى (صفة). ولكن كوّره: الاعمى (اسم- Nomen) انظر كذلك: المصدر الانكليزي (١٢٥): ص٤٣.

مما لاشك فيه هو ان ميري كۆره كان (مؤمناً) إذ توجد الكثير من الوثائق حول مواقفه الإسلامية فقد سار على نهج القرآن ووقر علماء الدين[٢٣٥]؛ إلاّ أن كۆره او كۆر اشارة او رمز لمن هو اعمى (أو أعور) لا لشخص يسمل عيون الآخرين.

أما الباحث الكردي گيو موكرياني، الذي قام بنشر الطبعة الثانية لكتاب أخيه حزني موكرياني[٢٣٦]؛ فقد اتى بمعلومات جديدة حول ميري كۆره في خاتمة الكتاب. فهو يذكر الرأيين اللذين سبق ذكرهما[٢٣٧] لكن دون ثقة تامة. وهو يشير الى وثيقة قديمة يملكها، حيث دوّن فيها الكثير من المعلومات التاريخية، وقد جاء فيها:

«الاشتباك المسلح لمحمد پاشا وتمر پاشا من كويه[٢٣٨] مع احمد پاشا في سفح جبل گڵەزەردە[٢٣٩](*٣٣) ومقتل تمر پاشا وإلقاء القبض على محمد پاشا وسمل عينه من قبل احمد پاشا وموت احمد پاشا في ١٧ رمضان في قرداغ (قەرەداغ)[٢٤٠] سنة ١١٩٢هـ (١٧٧٨-١٧٧٩م)[٢٤١]... ويضيف المعلق الى ذلك أن (محمد پاشا) المذكور هنا، ربما يكون هو (الأمير الكبير)»[٢٤٢]...

وقد وجدت ما يماثل معلومات گيو موكرياني هذه في تقرير سفر ريچ Rich المذكور سابقاً[٢٤٣]... حيث يذكر ريچ بأنه حصل من عمر آغا في ١٠ تشرين الأول ١٨٢٠، على رزمة سجلت فيها معلومات مختلفة[٢٤٤]. قام ريچ بإدراج المعلومات والوقائع في ملحق كتابه. وقد جاء في الجزء الأول من كتاب ريچ وتحت عنوان (سلسلة أمراء بيبه) في الصفحة ٣٨٣، التسلسل ٢٥ مايلي:

Nr. 25 A. H. Yrs Timer eigneed Months عاد محمد پاشا بصحبة تمر (Temir) پاشا كويسنجق[٢٤٥]. انهم حاربوا احمد پاشا على سفح گلزرد (گلەزەردە- Gellzerdeh)... كانت المعركة مروعة، تشابكوا بالايدي لأكثر من ساعة، بالسيوف والخناجر، وكانت المذبحة فضيعة جداً. قُتل تمر پاشا، وأُسر محمد پاشا، الذي مات ميتة طبيعية بعد سبعة عشر يوماً من ذلك

٢٣٥- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث لهذا البحث (الاحوال والاوضاع الدينية).
٢٣٦- انظر: الهامش(٢٢٣): ضمن هوامش المؤلف.
٢٣٧- المصدر الكردي (٥١): ص١٢٢.
٢٣٨- كويه: هي مدينة كويسنجق، حسب نوع الكتابة الانگليزية لريچ هي Keuysanjiak. انظر: المصدر الإنگليزي (١١٩).
٢٣٩- گلەزەردە: هي: Gillehzerdeh؛ انظر: نفس المصدر. وكذلك: هامش المترجم رقم (*٣٣).
٢٤٠- قرداغ- قەرەداغ: هي Karadagh، انظر: المصدر السابق نفسه.
٢٤١- المصدر الكردي (٥١): ص١٢٢.
٢٤٢- نفس المصدر السابق.
٢٤٣- المصدر الانگليزي (١١٩): ص٣٨٣.
٢٤٤- نفس المصدر: ص٣٠٢.
٢٤٥- انظر: الهامش (٢٣٨).

التاريخ في قرداغ[٢٤٦]؛ وذلك بعد عودته الى قرچولان (قەرەچۆلان–Karatcholan [٢٤٧])».

اعتقد إن التقريرين يدعيان الشيء نفسه:

لايمكن ان يكون محمد پاشا هذا ميري كۆره. وهذا يعني ان محمد پاشا المذكور في التقريرين ليس هو محمد پاشاي رواندزي (محمد پاشا الرواندزي)، وانما اغلب الظن انه محمد پاشا البابانى. اضف الى ذلك فإني اود ان اذكر هنا أنه وبموجب القوانين الإسلامية لايجوز لفاقد العينين (أي الضرير أو المكفوف) أن يحكم.

يبدو أن گيو موكرياني نفسه لم يكن مقتنعاً بصدق وثيقته، ولذلك فإنه يقول: «إن لم يكن محمد پاشا هذا، هو ميري كۆره، فسيكون رأيي كما يلي[٢٤٨]: إستخدم الكرد ولبضعة قرون إسم (الأمير– مير) عوضاً عن (الپاشا– پادشاه) أي في زمن الأمير محمد وقبله أيضاً. وكان هنالك العديد من الأمراء الكرد موجودين في أماكن كثيرة من كردستان، إلا أن الأمير محمد پاشا رفع راية الحرية، فأعلن استقلال كردستان، واحتفظ لنفسه بالعرش والتاج وحق السك والجيش، كما قام بانتاج جميع انواع الاسلحة في رواندز. لقد نال كرة التقدم من الأمراء الآخرين[٢٤٩][*٣٤]... كان اقوى واعظم شأناً من غيره من الأمراء واكثر سلطة منهم، فكان الناس يلقبونه لذلك (بالأمير الكبير– ميري گوره)».

ويستطرد موكرياني قائلاً: «ويعلم الجميع بانه في ذلك الوقت لم يكن هنالك حرف خاص بلفظة[٢٥٠] (گ – g) بل كان الحرف (گ– g) يكتب على شكل (ك– K) وحيث لم يكن يرمز للفتحة بالحرف (ـە– h) آنذاك إلا اذا كانت تقع في نهاية الكلمة[٢٥١]؛ فعليه كُتبت (گەورە– gawra) على شكل أو صورة (كۆره– Kwra) ولفظها الناس خطأ هكذا أيضاً (كۆره– Kora). إنه يُسمى في الحقيقة (ميري گەوره) الأمير الكبير، وليس (ميري كۆره) الأمير الاعمى أو الأعور».

أود ان اعلق على هذا التفسير اللغوي لگيو موكرياني، بأنه لا داعي للقول بأن الكُرد تلفظوا الكردية

٢٤٦– انظر: الهامش (٢٣٩).

٢٤٧– انظر– الهامش (٢٤٠).

٢٤٨– المصدر الكردي (٥١): ص١٢٢ وبعدها.

٢٤٩– في الاصل الكردي (انه نال كرة الفن) وهو تعبير كردي يستعمله المرء لاحراز التقدم، مثلما تقع الكرة على شخص في لعبة القمار، شبيهاً بالقول العربي (حاز قصب السبق) انظر: الهامش (*٣٤) ضمن هوامش المترجم.

(*٣٤) النص الكردي: (بەو هۆيانەوە گۆی پێشكەوتنی لەهەموو میرەكانی كوردستان بردبۆوە، ...هتد) انظر: المصدر الكردي (٥١)، ص١٢٢.

٢٥٠– انه يعني بذلك ضبط الكتابة العثمانية.

٢٥١– بمقتضى نوع او طراز الكتابة الكردية الحالية يكتب المرء (ـە a) بدلاً عن الفتحة العربية، فمثلاً (سَر– sar) يكتب هكذا (سەـر) وكذلك (كَوْرَهْ– gawra) هكذا يكتب (گەوره) على العكس من ذلك لاتعرف اللغة التركية العثمانية والفارسية لحد اليوم مثل هذه القاعدة. فقد كتبت هذه الـ(ـە) دائماً كالفتحة العربية. الا اذا اتت الفتحة في اخر الكلمة فكان يرمز لها هكذا (ه).

بصورة خاطئة وهي لغتهم الام. وهذا عدا عن أن اغلبية الكُرد كانوا من الاميين فهم سمعوا إسم (ميري كۆره) فقط ولم يقرأوه. بالاضافة الى هذا اود ان اقول بأن صيغة تقرير گيو موكرياني، تدل على حماسه لميري كۆره. وعليه فإنه حاول كغيره من المؤرخين ان لايترك له أية شائبة منظورة.
كذلك عبّرَ خيلاني عن الشيء نفسه حيث قال: «كان محمد بگ هو الشخص المعروف في بلاد سوران بـ(پاشای- كورة) ويُقرأ هذا المصطلح بالكاف الفارسي[٢٥٢]؛ الا أن الاعداء يقرؤنه بالكاف العربي»[٢٥٣]...

وهكذا يمكن القول بأن شخصية أمير سوران الأعور وبراعته الحربية كذلك، قد جلبتا له السمعة الطيبة، فهو يقف والى اليوم في القمة، وكان فضلاً عن ذلك الباعث في تكوين مجموعة من التأويلات الإشتقاقية والروايات الشعبية.

٢٥٢- هذا هو (گ- gaf).
٢٥٣- انظر: المصدر الكردي (٦٣): ص٢٩.

المبحث الثاني

الاوضاع السائدة في الإمارة على عهد ميري كۆره

اولاً: الاحوال والاوضاع الدينية:

لعب علماء الدين المسلمون دوراً هاماً في إمارة سوران، حتى ان اجهزة القضاء كانت في يد العلماء[٢٥٤] وذلك بسبب التربية الإسلامية للأمير. فقد كتب زكي عن تقوى الأمير قائلاً: «كان محمد باشا على جانب عظيم من التقوى والصلاح والتمسك بالشرع الشريف، إذ لم يكن يقدم على تنفيذ شيء إلا بإستصدار فتوى من العلماء والعمل بآرائهم. فكان القانون المُعَوْلُ عليه لديه هو القرآن الكريم وقواعد الشرع الشريف»[٢٥٥]...

وذكر الدرّه شيئاً مشابهاً حول ميري كۆره، اذ قال: «كان على جانب كبير من التقوى، عادلاً ومستنداً على القانون الإسلامي الحنيف»[٢٥٦]...

ويؤيد خيلاني التقريرين السابقين حول ميري كۆره، إذ يقول: «كان من عادة الپاشا الثابتة استشارة الملا[٢٥٧] حول المشاكل المعقدة الدينية والدنيوية»[٢٥٨]...

لايذكر الدكتور روس شيئاً عن مثل هذه المفاهيم الإسلامية لميري كۆره، لكن تقاريره بخصوص العقوبات التي كانت تُفرض في إمارة سوران تثبت صحة المعلومات السابقة لزكي والدرّه وخيلاني: «.... للسرقة قطع أحد اليدين، للفرار (الهروب) إحدى القدمين، ولجرائم اخرى فقدان إحدى العينين أو كلاهما كان يعتبر كافياً»[٢٥٩]...

ولما كانت هذه العقوبات تطابق اجمالاً[٢٦٠] قانون العقوبات الإسلامي، يمكن للمرء القول بأن

٢٥٤- المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢٢. (رواندز في دائرة المعارف الإسلامية).

٢٥٥- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٠-٢٣١.

٢٥٦- المصدر العربي (٤٠): ص٨٦.

٢٥٧- انه يعني بذلك ملا محمدي ختي (خەتێ). العالم الديني الكردي المعروف الذي كان يشغل منصب (مفتي سوران) انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث في هذا الكتاب (العوامل الدينية كسبب للسقوط).

٢٥٨- المصدر الكردي (٦٣): ص٨٠-٨١.

٢٥٩- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٤.

٢٦٠- بمقتضى القرآن تقطع ايدي السارق وليست يد واحدة، كما يذكر الدكتور روس. انظر: الآية القرآنية: ٣٨ سورة المائدة- الرقم: ٥ (السارق والسارقة فأقطعوا ايديهما.... الخ) ولايقول (فاقطعوا يديهما).

الشريعة الإسلامية كانت سائدة.

نظراً لهذه الوقائع فإنّ اكبر الظن ان العلماء قد حكموا الإمارة الى جانب الأمير، كما يذكر نيكيتين Nikitine. ومن العلماء الذين حظوا بمكانة خاصة في الإمارة وفي سائر انحاء كردستان إثنان وهما[(*٣٥)]:

ملا محمدي ختي (خەتێ)[(*٣٦)] (ولد سنة ١٢٠٠هـ، ١٧٨٥/٦م)[(٢٦١)(*٣٧)]؛ وملا يحيى مزوري (توفي سنة ١٢٥٤هـ، ١٨٣٩/٤٠م)[(٢٦٢)(*٣٨)]...

إن خَتي هو الشخصية المعروفة عند الكرد الى يومنا هذا، خَتي وادريس بتليسي (المتوفى سنة ١٥٢٠م) غالباً ما يُذكران سوية لا لعلمهما الغزير، بل لمواقفهما الغير وطنية في نظر الكرد. اذ يُنظر الى بتليسي كـ(سمسار) و(عميل) لمساعدته العثمانيين ضد أمراء الكرد[(٢٦٣)(*٣٩)]، والى خَتي كـ(بائع

(*٣٥) كذلك كان للعالم الديني (ملا عزرائيل جزيري) مكانة خاصة في الإمارة السورانيه، كان يأتي في المرتبة الثالثة بعد هذين العالمين.

تنظر: المصدر الكردي (٥١)، ص١٠٨، وكذلك: المبحث الرابع من الفصل الثالث لهذا البحث تحت عنوان (العوامل الدينية كسبب للسقوط).

(*٣٦) للمزيد من المعلومات حول ملا محمدي خەتي راجع الملحق الذي اضافه المؤلف الى الترجمة العربية للكتاب. (ص٢٦٩-٣٢٥).

٢٦١- نسبة الى قرية (ختي) (خەتێ) التي تبعد مسافة (١٢ كم) عن شقلاوه، في قضاء رواندز، انظر: هامش المترجم (*٣٦).

(*٣٧) يقول عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق الكردية، بأن: محمد الخطي (ملا محمد خەتێ) من عشيرة خوشناو، هو الذي افتى كور پاشا الرواندزي بقتل اليزيدية وله المؤلفات التالية: ١- حواش علي البيضاوي ٢- حاشية على جمع الجوامع. ٣- حاشية على تحفة ابن حجر ٤- رسالة في علم الكلام، كتبها برغبة من الوالي داؤود پاشا، راجع المصدر العربي (٢٤)، ص, ١٣٠ هذا وقد دفن ختي بعد موته، في مقبرة (گەردە گەرد) بمدينة رواندز.

٢٦٢- مزوري: هي عشيرة كردية في منطقة بهدينان.

(*٣٨) للمزيد من المعلومات حول (ملا يحي مزوري) انظر: شەپۆل/ ژیناوەری زانایانی کورد لەجیهانی ئیسلامەتی، ص, ٦٦٩ هذا وكان (مزوري) في نظر موكرياني عميلا: (المرجع الكردي (٥١) ص١٢٤.

٢٦٣- المصدر الانگليزي (١١٠): ص٣٠، وكذلك: المصدر الكردي (٦٢): ص٣. وأيضاً: المصدر الكردي (٥٤): ص٢٩.

(*٣٩) قام الشيخ ادريس البدليسي بدور فعال لصالح العثمانيين ابان معركة چالديران سنة (٩٢٠هـ / ١٥١٤م) التي دارت رحاها بين الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني. فلقد طلب السلطان العثماني من البدليسي القيام بأجراء اتصالات مع أمراء الكرد وزعمائهم بهدف اثارتهم على الشيعة لصالح الاتراك. انه نجح في مهمته نجاحا تأما، حيث قام بقطع العهود والمواثيق بأسم السلطان، لأمراء كردستان. وكانت تحتوي على الاحتفاظ بأستقلال وحرية الإمارات الكردية مقابل دفع الكُرد للضرائب، وقيام الطرفين بالدفاع عن بعضهما البعض (معاهدة دفاعية مشتركة)، لكن الاتراك نقضوا شروط هذه المعاهدة بعد خمسة عشر عاما من التوقيع عليها. لاجل اعطاء القاريء الكريم فكرة عن مدى العلاقة التي كانت قائمة بين (ادريس البدليسي) والسلطان سليم العثماني، ونوعية تلك العلاقات، اود الاشارة هنا الى مقتطفات من رسالة السلطان العثماني (سليم) الموجهة الى ادريس البدليسي في اواسط شهر شوال سنة ٩٢١هـ / نوفمبر ١٥١٥م. وجاء فيها: (عمدة الافاضل، وقدوة ارباب الفضائل، والسالك مسالك الطريقة =

الوطن) لدعمه العثمانيين ضد ميري كۆره[٢٦٤]...

كان خَتي يشغل منصب مفتي الإمارة[٢٦٥]. وكان الأمير يحترمه كثيراً[٢٦٦]... وحسبما يذكر موكرياني بعث والي بغداد داوود پاشا بخَتي متعمداً وبمهمة الى الأمير، وذلك لحث الأمير على عقد معاهدة او تحالف معه للأوقات العصيبة[*٤٠]...

ويقال ان الوالي قد حاول كسب صداقة ميري كۆره خشية ان يعقد معاهدة صداقة مع الحكومة القاجارية[٢٦٧]... فبموجب ذلك لابد وأن يكون خَتي عميلاً لداوود پاشا[٢٦٨]... إلا أن من الصعب جداً التحقيق في صحة هذا التقرير رغم أن هنالك معلومات مؤكدة تماماً تفيد بأن جيش ميري كۆره لم يقاتل الجيش العثماني سنة ١٨٣٦ نتيجة فتوى من خَتي[٢٦٩]...

لو ظن المرء، كما افترض بعض المعلقين، بأن داوود پاشا قد استطاع استخدام ميري كۆره، لا

= والهادي الى مناهج الشريعة، كشاف المشكلات الدينية، وحلال المعضلات اليقينية، وخلاصة الماء والطين، مقرب الملوك والسلاطين، برهان اهل التوحيد والتقديس مولانا حكيم الدين «ادريس» ادام الله فضائله: ليعلم عند وصول الفرمان العالي الهمايوني، ان كتابكم وصل الان الى سدتي السعيدة مفيدا بشرى تسببكم في فتح ولاية (دياربكر) كلها، على مقتضى حسن ديانتك وأمانتك، وفرط صداقتك واستقامتك، كما هو المأمول منك بيض الله وجهك. وان شاء الله الاعز تكون سببا فعالا في فتح سائر الولايات وانواع عناياتي العلية الملكية متوجهة اليك ومبذولة في حقك. وقد ارسل مع مخصصاتكم الى اخر شهر شوال المبارك، الفا جنيه ذهب (فلوري) وفروة سمور واخرى وشق و(مربعان - ثوبان) من الصوف واثنان من الجوخ وكذا كرك من الصوف مبطنا بفروة سمور واخر مبطنا بفروة وشق وسيف مذهب بغلاف مكسو بجوخ افرنجي... تتسلمها بالصحة والسلامة وتصرفها في نفقاتك. ودمت متمتعا بما انت جدير به من انواع تعطفاتي الملكية الجليلة، تقديرا لخدماتك ومكافأة لاستقامتك واخلاصك. ... وارسلت أيضاً اوراق بيضاء متوجة بالعلامة الشريفة السلطانية، لاجل ارسالها الى أمراء يلزم ارسال كتب استمالة إليهم فتحرر كتب الاستمالة على الصورة المناسبة وترسل اليهم مع الانعامات الملكية. ... هذا وقد اوفد الان إسماعيل الضلالي ابن الشيخ الاردبيلي، المدعوين حسين بگ وبهرام اغا من رجاله بسفارة الى سدتي السعيدة، يعرض بواسطتهما تقريرا وتحريرا من انواع الخضوع والطاعة ويتضرع ويتلمس، بضروب من الملق والدهان عقد الصلح والسلامة، قائلا انه يقبل جميع ما اطلبه وابتغيه من ذلك الطرف بلا قيد ولاشرط. ولكن لايجوز الاعتماد على قوله وخلوص نيته، فلذا امرت بحبس الرسولين المذكورين في قلعة (ديمترقة) وحاشيتهما في قلعة (كليد البحر)، فيجب عليك ان تقوم بدورك في اتخاذ احسن التدابير من جانبك في شأن المقهور المذكور. وفي الختام ارجو ان تظهر منك ضروب من الاثار الجليلة والمآثر الحميدة للتفصيل انظر: المصدر العربي (٣٥)، ص١٧٤-١٧٥.

٢٦٤- المصدر العربي (١٠): ص٥١.

٢٦٥- نفس المصدر.

٢٦٦- المصدر الكردي (٦٣): ص٤٨-٥٣.

(*٤٠) يبدو انه كان لختي علاقات ودية مع الوالي داوود پاشا لدرجة كتب كتابه: رسالة في علم الكلام، برغبة الوالي داوود پاشا، المصدر العربي (٢٤)، ص١٣٠.

٢٦٧- المصدر العربي (١٠): ص٥١.

٢٦٨- نفس المصدر.

٢٦٩- انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث (عوامل وعلل السقوط حسب الشواهد والادلة)، ضمن هذا البحث.

حباً به ولا احترأماً له، وانما لكونه قوة جديدة ضد إمارة بابان والزحف الإيراني المرتقب[٢٧٠]؛ إلا أن عليه رغم ذلك أن يراعي الحقيقة التالية:

ان داوود پاشا لم يكن والياً وقت سقوط ميري كۆره (١٨٣٦)[٢٧١][*٤١]... وكان داوود پاشا إضافة الى ذلك يوقر العلماء كثيراً[٢٧٢]...

يذكر خيلاني بأن داوود پاشا كان كثير الاعجاب بالمعرفة العظيمة لملاي خَتي (الملا الختي)، ولهذا كان هذا الأخير يحظى بالاحترام من قبل داوود پاشا[٢٧٣]... ولكن يبقى هنا شيء آخر وهو ما إذا كان ختي يعمل في الخفاء عميلاً مزمناً للعثمانيين، كما يجب ان يتوقعه المرء، حسبما يذكر موكرياني. ولكن لندع بحث هذه المسألة.

العالم الثاني كان ملا يحيي مزوري وهو من علماء الكرد المشهورين أيضاً[٢٧٤]... حيث لجأ مزوري الى ميري كۆره بعد ان قتل علي بگ داسني[٢٧٥] أمير اليزيدية عمه[٢٧٦] المدعو علي بگ الكوشي[*٤٢]. فأستُقبل من قبل ميري كۆره وملا خَتي بكل حرارة[٢٧٧]...

وحسبما يذكر الدملوجي يحتمل ان يكون داوود پاشا قد بعث المزوري الى ميري كۆره، إذ يقول: «سافر ملا يحيي مزوري الى بغداد واشتكى لوالي بغداد داوود پاشا قضية هذا الظلم المرتكب ضده، وهذا بدوره زوده برسالة توصية الى محمد پاشا أمير رواندز. يروي البعض، بأن داوود پاشا عندما سلم الرسالة الى يحيي، تلا عليه الآية القرآنية الكريمة: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة.... الخ)[٢٧٨]؛ فرد عليه يحيي على الفور: (ياداوُد انا جعلناك خليفة في الأرض.... الخ)»[٢٧٩][٢٨٠]...

٢٧٠- انظر مثلاً: المصدر العربي (٤٠): ص٨٥.
٢٧١- اقيل داود پاشا سنة (١٨٣١) من قبل علي رضا پاشا ونفي الى استانبول. انظر: المصدر العربي (٣١): ص٣٠٦.
(*٤١) يقول زكي: (ولما كان والي بغداد (علي رضا پاشا) عاجزا عن مقاومة هذا التيار الشمالي، تيار (مير محمد الكبير)، بالقوة المسلحة فكان يعامله بالمداراة والمصانعة، حتى انه اضطر للاعتراف بحكومته رسميا مع الانعام عليه برتبة الباشوية، راجع: المصدر العربي (٣٥)، ص٢٢٩.
٢٧٢- المصدر العربي (٢٨).
٢٧٣- المصدر الكردي (٦٣): ص٤٩-٥٠.
٢٧٤- المصدر العربي (٣٦): ص٢٢٢: (عوني). وكذلك: المصدر العربي (٢٣): ص٤٤. وأيضاً: المصدر العربي (٣١): ص٣٠٧.
٢٧٥- نسبة الى جبل (داسن) في سنجار، ويُسمى الإيزيديون بداسني، انظر: المصدر العربي (٤٣): تحت كلمة (داسن).
٢٧٦- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٩. وكذلك: المصدر العربي (١٠): ص٥١. ينبغي ان يكون مزوري ابن اخ علي اغا.
(*٤٢) يسميه زكي بـ(علي اغا البالطي) الذي كان كبير عشيرة (القوش)، نفس المصدر.
٢٧٧- المصدر العربي (١٠): ص٥٢.
٢٧٨- انظر الآية القرآنية (يا يحيى خذ الكتاب بقوة.... الخ) سورة مريم- الرقم: ١٩، الآية: ١٢.
٢٧٩- انظر الآية القرآنية: (ياداود انّا جعلناكَ خليفةً في الأرض.... الخ) سورة: ص- الرقم: ٣٨، الآية: ٢٦.
٢٨٠- المصدر العربي (٢٣): ص٤٥.

إن صحة هذا التقرير او خطأه ليست مهمة لأن المهم هو الدور الذي لعبه مزوري بمساعدة من خَتي المتعاطف معه، من اجل جرّ الإيزيديين الى وضع مأساوي.

توجد هنالك تقارير اخرى تذهب الى القول بأن مزوري كان يريد الإنتقام لأخيه (أو إبن اخيه)[*٤٣] من الإيزيديين، وهذا ما حمله الى دفع الأمير في سنة ١٢٤٧هـ، ١٨٣١/٢م للبدء بهجوم على الإيزيديين[*٤٤] وشن حرب إبادة ضدهم[٢٨١]...

من الواضح ان الأمير قد زحف على المناطق اليزيدية بسبب فتوى صدرت، إلا ان المرء لايعلم بالمقابل أي من العالمين (خَتي ام مزوري) قام باصدارها. فالدملوجي يذكر تقريرين مختلفين حيث يقول: «زرت سنة ١٩٣٢ قرية خَتي، للبحث عن هذه الفتوى التي اصدرها خَتي، لكنني لم اعثر على شئ. البعض قال لي إن من أصدر فتوى ابادة الإيزيديين هو ملا يحيى مزوري وليس ملاخَتي»[٢٨٢]...

ويعرب الدملوجي بعدها قائلاً: «طلب مزوري من عالم سوران (مفتي سوران) ملا محمد ختي اصدار فتوى له تلبي رغبته في شن حملة ضد الإيزيديين، فأصدر خَتي على الفور الفتوى التي بموجبها أحلّ دماءهم»[٢٨٣]...

الاّ ان الدملوجي يشكك في مشروع الفتوى حين يقول: «بعض الناس يقولون بأن مزوري نفسه هو من اصدر الفتوى»[٢٨٤]...

وسواء كانت هذه الفتوى صدرت من المزوري أو خَتي، فأنها لاتغير من النتيجة شيئاً. فالدملوجي نفسه قام بجمع الكثير من الفتاوى غيرها ضد الإيزيديين ودوّنها في كتابه الموسوم بـ(اليزيدية).

ينبغي ان لايكون دور ميري كوّره خارجاً عن الحسبان، وذلك لأن الأمير كان وسيلة لتنفيذ الرغبات الإسلامية التعصبية لعلماء الدين. وقد عانى الإيزيديون كثيراً، وكما نعلم فقد كان زعيم الإيزيديين من ضحايا هذا التعصب.

يقول مينورسكي: «لقد أُدِّب الإيزيديين عدة مرات بالضرب المبرح، حيث تم إعدام زعيمهم علي بگ لأنه امتنع عن اعتناق الدين الإسلامي»[٢٨٥]...

(*٤٣) الصحيح هو لعمه وليس لاخيه، كان ملا يحيى مزوري ابن اخ علي اغا القوشي (البالطي)، راجع المصدر العربي (٣٥)، ص٢٢٩؛ وكذلك: المصدر الكردي (٥١)، ص٦٤.

(*٤٤) اني ارى ان الانتقام لعلي اغا القوشي، ليس الا عاملا ثانويا دفع بالأمير (محمد) لشن حملته ضد الإيزيدين، فقد كان الدافع الرئيسي الى ذلك، هو طموحاته التوسعية على نطاق كردستان، وتلك نتيجة حتمية لكل دولة او إمارة تجد نفسها قوية مقتدرة.

٢٨١- المصدر العربي (٣١): ص٣٠٦-٣٠٧؛ المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٩. وكذلك: المصدر العربي (٢٣): ص٤٥.

٢٨٢- المصدر العربي (٢٢): ص٤٦٣.

٢٨٣- المصدر العربي (٢٣): ص٤٥.

٢٨٤- نفس المصدر.

٢٨٥- المصدر الألماني (٩٢): ص١٢٢٩.

ويؤيد موكرياني هذه المعلومات بقوله: «بناء على ما سمعته من اناس مسنين في رواندز، كان علي بگ شجاعاً وسيماً وخلوقاً. انه لم يكن يستحق القتل والاعدام. إلا ان الأمير الكبير (يعني به ميري كوّره)، طلب منه (علي بگ) بناء على طلب العلماء المتعصبين بأن (علي بگ) يعتنق الإسلام، لكن علي بگ إمتنع. ونتيجة لهذا وبناءً على تحريض هؤلاء العلماء قتل هذا الأمير المحترم (علي بگ) لا لشيء سوى ان زوجته (زوجة علي بگ) كانت قد دبّرت تمرداً في سنجار كما يروي البعض. والى يومنا هذا يعلم جميع اهالي رواندز قصة علي بگ ويسردونها لبعضهم البعض»[٢٨٦]...

يذكر خيلاني نفس المعلومات السابقة، حيث يقول: «على أمل ان يسلك علي بگ في يوم ما الطريق الصائب ويصبح مسلماً إحترمه الأمير كثيراً. وكان الأمير معجباً بصورة خاصة بفروسيته وبشخصيته القوية. لقد طلب منه في ثلاث مناسبات مختلفة (من علي بگ) ان يسلم، إلاّ أن علي بگ كان يجيبه في كل مرة قائلاً: لن أسلم لأجل ملعقة دم. وعندما يأس الأمير منه أمر بقتله.»[٢٨٧](*٤٥)...

ونجد مثل هذه التقارير المتطابقة مع بعضها والتي يقدمها لنا مينورسكي وموكرياني وخيلاني قد ترسخت في إحدى الاغنيات الشعبية الكردية أيضاً[٢٨٨]...

كانت علاقات الأمير سيئة مع المسيحيين أيضاً، الذين يجب ان لاننسى بأنهم يعتبرون في نظر المسلمين من (اصحاب الكتاب) بعكس الإيزيديين الذين يسمون بـ(عَبَدة الشيطان)[٢٨٩]... فقد أعدم بالرصاص ١٧٢ مسيحياً[٢٩٠] في احدى غزواته على قرية (القوش) التي يقطنها المسيحيون. وحسبما يذكر موكرياني كان ضحايا المسيحيين اكثر من ذلك: «أعد سكان القوش انفسهم للحرب، لكن الأمير أبادهم عن بكرة أبيهم، غير ان حسن تدبير القس المسيحي في قرية هرمزد حمى سكان تلك القرية من إجراءات أمير سوران»[٢٩١]...

أما مؤلف كتاب (تاريخ الموصل)، سليمان صائغ والذي اقتبس معلوماته من (تاريخ ربان هرمزد)

٢٨٦- المصدر العربي (١٠): ص٦٠.

٢٨٧- المصدر الكردي (٦٣): ص٧٢-٧٣).

(*٤٥) حسب تعاليم الإسلام والعرف الاخلاقي لايقتل الاسير، كان ميري كوره يود ضمان تعاون وصداقة وثقة الأمير الداسني علي بگ والأطمئنان من ذلك، ولهذا لم يأمر بقتله الا بعد مضي ثلاث سنوات على اسره، اذ ان (علي بگ) كان قد حاك في الاسر وعن طريق زوجته عصيانا مسلحا وصل الى القرب من الموصل. بل وحتى بعد تنفيذ حكم الاعدام بحقه ارسل الأمير السوراني جثة علي بگ برفقة العشرات من الفرسان الى سنجار املا في المصالحة بين سوران وداسن. وذلك بناء على طلب من زوجة علي بگ لكن زوجته امرت بقتل هؤلاء الفرسان اخذا للثأر، فقتلوا جميعا، انظر: المصدر الكردي (٥١)، ص٧٥،٧٦،٧٨.

٢٨٨- المصدر الفرنسي(١١٤): ص١٣٤-١٣٦).

٢٨٩- هكذا يسمون، ولكنهم ليسوا بعبدة الشيطان انظر: المصدر الانكليزي (١٢٤).

٢٩٠- المصدر الألماني (٩٢): ص١٢٢٩.

٢٩١- المصدر العربي (١٠): ص٥٦.

وهي مخطوطة باللغة الآرامية، فيذكر مايلي:

«توجه (ميري كوّره- المترجم) الى قرية القوش وبعدما نهبها وقتل عدداً كبيراً من اهلها، حيث لم يسلم من يده الا من هرب الى الجبال، سار الى دير الربّان هرمزد(*٤٦) المجاور للقرية المذكورة فنهبه وقتل قسماً من رهبانه»(٢٩٢)...

وصف أحد القساوسة المسيحيين من (القوش) في حينه واسمه (داميانوس الألقوشي) في قصيدة حماسية باللغة الكلدانية هذه الويلات والحكم الغاشم لميري كوّره(٢٩٣)... وترجم لي أحد اصدقائي من اهالي القوش مغزاها.

وحول وضع اليهود الذين عاشوا في حينه ضمن إمارة سوران وحتى سنة ١٩٤٨ كأقلية(*٤٧)... ليس بحوزتنا سوى انباء مختصرة لسجادي، الذي يذكر ان سايس ميري كوّره كان يهودياً، وكان ميري كوّره يقدره كثيراً بالرغم من انه لم يكن لليهود في زمن ميري كوّره أي اعتبار على الاطلاق، حسبما يذكر سجادي(٢٩٤)... ولكن هذا لايعني بأنهم قد عانوا من اعمال عدوانية خاصة.

وحسبما جاء في قصيدة (مەليخا- ممَليخا) فقد كان للأمير سمعة طيبة بين علماء بغداد لنشاطاته هذه. فقد كتب علماء بغداد رسالة اليه (سنة ١٢٤٤هـ، ١٨٢٨/٩م) طالبين منه الإستيلاء على بغداد وانقاذ المدينة من حكم المماليك(٢٩٥)... ويروي خيلاني انه «في سنة ١٢٠٤- ١٢٠٨هـ، ١٧٨٩/٩٣م طلب اهالي بغداد وكركوك والموصل من الأمير وفي مناسبات مختلفة الإستيلاء على مدنهم، وانهم

(*٤٦) يقع دير (هرمزد - اهورامزد) في شمال الموصل ويعد من الاثار الكردية الفريدة، اذ ان غرف وصهاريج هذا الدير منقورة في الصخر، وكان مدرسة من المدارس الزردشتية قبل الميلاد، واتخذ كنيسة للمسيحيين في القرن السابع الميلادي. راجع: مدارس قبل الإسلام: تأليف رفائيل بابو اسحق مطبعة شفيق، بغداد- ١٩٥٥، وكذلك المصدر العربي (٣١) ص٣٠٨، وأيضاً: MAPS OF IRAQ , With NOTES FOR Visitors, PUBLISHED BY the Government of Iraq , BAGHDAD, 1929, P.18

٢٩٢- المصدر العربي (٣١): ص٣٠٧.

٢٩٣- نفس المصدر.

(*٤٧) بعد سبي بابل في حدود سنة (٥٧٧ق.م) استقر بعض من اليهود في كردستان، وكانوا على صفاء ووئام مع الكُرد، ولهم معابدهم الخاصة، يؤدون فيها طقوسهم الدينية بكامل الحرية، وكانوا يشتغلون بالتجارة وصناعة الملابس (الحياكة والنسج) ومكاسب اخرى بين العشائر الكردية. هذا وقد غادر معظم اليهود كردستان العراق بعد صدور قانون اسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين في مارس ١٩٥٠ تحت اسم قانون ذيل مرسوم اسقاط الجنسية العراقية رقم ٦٢ لسنة ١٩٣٣. وقد نصت مواده على اسقاط الجنسية عن اليهودي العراقي الذي يرغب في مغادرة العراق بأختياره، او يحاول ان يغادر العراق بصورة غير مشروعة، او الذي سبق له ان غادر العراق بصورة غير مشروعة ولم يعد اليه خلال شهرين من نفاذ هذا القانون. على ان يتم تصفية ممتلكاتهم خلال عملية الهجرة المستعجلة وبيعها بأثمان بخسة. انظر: مدارس العراق قبل الإسلام، المصدر السابق، ص١٢٩.

٢٩٤- المصدر الكردي (٥٨): ص١٣١.

٢٩٥- المصدر العربي (١٠): ص٥٢.

اخبروه بأن الظروف ملائمة له جداً، ولكن الأمير رفض عروضهم هذه»[٢٩٦][(*٤٨)] ...

بالرغم من انني لم اعثر على معلومات اخرى بهذا الصدد فلايمكن ان يكون التاريخ الذي ذكره خيلاني صحيحاً، لأن ميري كۆره لم يكن في الحكم وقت ذاك، إلا إنّني لا أعتبر هذه المعلومات بعيدة عن الواقع او الصحة، لأن علماء أربيل سلموا مدينتهم لميري كۆره دون معركة[٢٩٧] ...

الخلاصة:

بعد تقصي الاوضاع الدينية في إمارة ميري كۆره يلاحظ المرء ما يلي:

١- كان الإسلام بصيغته السنية دين الدولة في الإمارة غير ان تقوى الأمير تطابقت بشكل جزئي مع القوانين الإسلامية:

أ- استناداً الى المعلومات التي يقدمها كل من فريزرFraser[٢٩٨] وموكرياني[٢٩٩]، فقد هاجم ميري كۆره الشعوب الإسلامية وكبدهم خسائر فادحة. وهو تصرف يعدُّ إنتهاكاً صريحاً للقوانين الإسلامية[٣٠٠] ...

ب- بموجب القانون الإسلامي ينبغي محاربة المسيحيين اذا لم يدفعوا الجزية[٣٠١] ... ولكن ليس بالإمكان التحقق من ان ميري كۆره قد حارب المسيحيين بسبب عدم دفعهم الجزية.

٢- بالرغم من هذا الانحراف عن العلوم النظرية للاسلام فان الحياة العامة في الإمارة كانت تسير على نهج الإسلام، لذلك كانت لها ايجابيات معينة، ولكن كان لها اعراض سلبية شديدة أيضاً:

أ- إن احكام القضاء الإسلامية الصارمة وضعت حداً لبعض العادات السيئة: «نادراً ما كان يُسمع عن السرقة والنهب فرغم عدم غلق أبواب المنازل في الليل على الدوام فنادراً ما يصادف (او قلما تحدث سرقة) مادام القصاص يصل الى الموت».[٣٠٢]

٢٩٦- راجع المصدر الكردي (٦٣): ص٦٤-٦٥.

(*٤٨) كان (ميري كوره) يطمح في ان يجعل من إمارة سوران، دولة اسلامية مستقلة وموحدة في كردستان، راجع: جەمال نەبەز، بیری نەتەوەیی کوردی، بنکەی چاپەمەنی ئازاد، سوید، ١٩٨٤/٢٥٩٦، ص٣٦-٣٧؛ وكذلك: سعيد بدل، تاريخچة جنبشهاي ملي كرد، سبق ذكره، ص١٢.

٢٩٧- المصدر العربي (٤٢): ص١٠٠ وبعدها.

٢٩٨- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨٠.

٢٩٩- المصدر العربي (١٠): ص٣٦-٣٧.

٣٠٠- انظر الآية القرآنية الكريمة: [ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدً له عذاباً عظيماً] سورة النساء، الرقم: ٤، الآية: ٩٣.

٣٠١- انظر الآية: [قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغِرون] سورة التوبة، الرقم: ٩، الآية ٢٩.

٣٠٢- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٤.

ففي رأيي، انه يمكن لمثل هذه الإجراءات ان تغير الوضع الظاهري فقط. أما بواعث هذه الجرائم، كالسرقة والسلب والنهب فيمكن تفاديها عن طريق إعادة تربية الشعب فقط. إن الشعب الكردي الأمي الجائع لم يعتنق الإسلام كعقيدة نتيجة اقتناع عقلي، وانما نتيجة تقليد انفعالي عاطفي. فنرى الناس يذهبون الى الصلاة دون ان يفهموا ما ينطقون به من أدعية وصلوات بالعربية.

تروى في كردستان اقصوصة طريفة شاعت بين الناس، يحكى ان الخليفة العثماني عبدالحميد أمر ذات مرة بانه يجب على جميع المسيحيين اعتناق الإسلام وبعكسه سوف يبادون عن بكرة ابيهم. وبناء على ذلك حمل احد المسلمين الكُرد بندقيته وتوجه الى جاره المسيحي وقال له:

– عليك ان تصبح مسلماً والا قتلتك الآن.

– ولكنني جارك ونحن اصدقاء طيبون.

– انني لا افهم هذا. تصبح على الفور مسلماً او انك مقتول.

– حسناً! ساصبح مسلماً، ولكن ماذا ينبغي علي ان اقول او اعمل؟

– اصبح على العجلة مسلماً، ان اردت البقاء على قيد الحياة.

– على الرأس والعين! ولكن قل لي، ماذا يجب عليّ ان اقول او افعل حتى اصبح مسلماً.

– فكر المسلم بعض الشيء، ثم وضع بندقيته جانباً. «والله هذا ما لا أعلمه انا أيضاً».[٣٠٣]

هذه مجرد حكاية نقلت الينا ولكنها شبيهة بالواقع، وعليه يمكن للمرء القول بأن التطبيق الاعمى لقانون العقوبات الإسلامية لا يمكن ان يكون في مثل هذه الحالات مفيداً جداً.

هذا ويمكن للمرء هنا ان يتفق مع ما قاله مؤلفو الكتاب المدرسي الرسمي للمدارس العراقية (التاريخ الحديث) عندما يعتبرون امتناع (الاشرار) عن الاثام نتيجة لحكم ميري كوّره الصارم فقط: «سار محمد پاشا في الحكم على قوانين الدين، فقد كانت أيدي السراق تقطع، وكان القتلة يُعدمون. فكفَّ الاشرار نتيجة لهذه القسوة الصارمة عن الاعمال الشريرة والممنوعة».[٣٠٤]

ب– ادّى الطابع الإسلامي للحكومة الى تسليم اجهزة القضاء لعلماء الدين المتعصبين، وبذلك اصبحت متروكة لرحمتهم. وتبعاً لهذا فقد هوجم الإيزيديون والمسيحيون بلا استبطاء، وهو ما أوجد بدوره لميري كوّره الكثير من الاعداء من بين غير المسلمين في نفس الوقت الذي تهيأت فيه الامبراطورية العثمانية لمهاجمة ميري كوّره وأمراء الكرد الآخرين.[٣٠٥]

لقد كان بامكان ميري كوّره ان يجعل من هؤلاء الإيزيديين والمسيحيين حلفاء مخلصين موالين له ضد العثمانيين، لو لم يعاملهم بهذا القدر من التعصب.

٣٠٣– المصدر الكردي (٥٨): ص٨٣.

٣٠٤– المصدر الكردي (٦٨): ص١٤٦.

٣٠٥– المصدر العربي (٢٣): ص٤٧.

ثانياً: القوة العسكرية:

كان ميري كوّره يجاهد كثيراً في سبيل ان تصبح قوته العسكرية منيعة، حيث شرع منذ بداية حكمه ببناء الحصون والقلاع والجسور: « فقد شيد الكثير من الابراج الحصينة تُشاهد بقاياها الى يومنا هذا كـ(سيدكان، شيروانيان، عقره، رواندز، درا)».[٣٠٦]

فقد سرد لي سكان رواندز، ان اول حصن بناه ميري كوّره كان ئيج قلا (ايج قلعة)[*٤٩]؛ حيث انها لاتزال موجودة وتقع الى الشمال من شقلاوه. كما وان قلعة وسور مدينة رواندز يعود بنائهما الى ذلك الوقت أيضاً. وبالاضافة الى ذلك فهناك بقايا آثار برجين للمراقبة يقعان على احد المرتفعات في الجزء الغربي من المدينة[*٥٠]... ربما كانت رواندز شديدة التحصين لأنها كانت العاصمة.

يروى لنا موكرياني[٣٠٧]؛ بانه قد نقُش على المرقبين الآخرين هذان البيتان من الشعر الفارسي[٣٠٨]:

دوكنگر را نهادم بردو پيكر رواندز شد روين دژ بار ديگر[٣٠٩]

ومعناها «لقد شيدت مرقبين على مُعتركين (ميداني قتال) فاصبحت رواندز بهما قلعة فولاذية حصينة من جديد».[٣١٠][*٥١]

ولا يمكن اليوم رؤية هذه الأبيات الشعرية المنقوشة، كما تحققت من ذلك سنة ١٩٥٦.

حسبما يذكره اليوم سكان رواندز الاحياء، يحتمل ان ميري كوّره قام أيضاً بتشييد المرقبين الآخرين (برجي المراقبة) في شرقي مدينة رواندز والمعروفين بـ(كونگري شَمام)[٣١١][*٥٢]... ولكن وفقاً

٣٠٦– المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢٢.

(*٤٩) اسقرا (ئيسقه را) كما يلفظها سكان رواندز، هي قلعة واقعة الى الشمال من مدينة رواندز.

(*٥٠) قام ميري كوره في غضون ثلاث سنوات بأنشاء اكثر من (١٥) جسرا عظيما وعدد من القلاع الحصينة والمساجد الكبيرة بمنطقة رواندز. (المصدر الكردي (٥١)، ص٥١–٥٣).

٣٠٧– المصدر العربي (١٠): ص٢٧.

٣٠٨– دوكنگر رانهادم بر دوپيكر رواندز شد روين دژ بارديگر.

٣٠٩– ينطوي هذا على تنويه الى أن (رواندز) مرجعها (رويندژ). والكلمة تعني القلعة الفولاذية. انظر: المصدر العربي (١٠): ص٢٨: تعليق المترجم. وكذلك: هامش رقم (*٥٢) ضمن هوامش المترجم في هذا الكتاب.

٣١٠– هذا البيتان الشعريان قآما او بنيا على التلاعب بكلمة (رَواندز) و(رويندز).

(*٥١) القصد من هذا البيت الشعري هو الاعلان عن استرداد مدينة رواندز (عاصمة إمارة سوران) لقوتها ومنعتها مقابل الامبراطوريتين العثمانية والإيرانية. اذ ان كلمة (پيكر) الفارسية تعني (الجثمان) أيضاً.

٣١١– كلمة (شمام) يقال انها كانت اسم امرأة ساعدت اوغزبگ في السيطرة والإستيلاء على رواندز. انظر: المصدر العربي (١٠١): ص١٨.

(*٥٢) في مخطوطة يدوية لعبدالرزاق اصفهاني باللغة الفارسية تحت عنوان (احوال اشنويه)، جاء بأن (روئين دز) تعرف بـ(روندوز)، وذكر بأن هنالك اكثر من خمسمائة عشيرة كردية، وخص بالذكر عددا من العشائر الكردية التي تسكن =

لموكرياني، انهما بنيا من قبل أمير سوراني آخر إسمه أوغز بگ (المتوفى ١٢٠٧هـ، ٣-١٧٩٢م).

لقد عملت هذه المنشآت المحصنة على حماية حمى الأمير وادخال الرعب في قلوب منافسيه، وخاصة أمراء بابان الذين بنوا بدورهم الحصون والقلاع أيضاً. حيث يوجد الى يومنا هذا قلعة في قمچوغه بالقرب من مدينة السليمانية، انشأها أمراء بابان «كقلعة مضادة للحصن من ساردكه (قلعة ساردكه) الواقعة على الضفة المقابلة لنهر الزاب والمشيدة من قبل أمير رواندز الأعور»[٣١٢]...

لم يهتم ميري كۆره ببناء القلاع فقط، وانما اسس قوات عسكرية ضاربة. وتوجد بهذا الخصوص تقارير متنوعة:

فحسبما يذكر فريزر Fraser، بلغت القوة الضاربة للامير (٥٠٠٠٠) رجل: «لقد بات مؤكداً بان له خمسين الف رجل تحت امرته، يتقاضى القسم الاعظم منهم الرواتب بصورة منتظمة ويلازمون العمل النظامي المستمر»[٣١٣]...

يقول موكرياني بالإستناد الى قصيدة (مليخا- مەليخا) واستنطاق العديد من المسنين الكرد، بأن قوة جيش الأمير قد بلغت في سنة ١٢٣٢هـ، ١٨٢٦م حوالى خمسة عشر الف جندي، منهم خمسة آلاف مقاتل في سلاح المشاة، وعشرة آلاف مقاتل من سلاح الفرسان، وكان هؤلاء يقبضون رواتب الخدمة المستمرة.[٣١٤]

ولكن هنالك فرق كبير بين هذا العدد الذي يذكره موكرياني وما ذكره فريزر Fraser، ولكن بالمقارنة مع العدد الذي يدعيه الدكتور روس (Roos) الذي تفقد شخصياً جيش ميري كۆره سنة ١٨٣٣، فلا يوجد هنالك اختلاف كبير مع العدد الذي ذكره موكرياني: «استنتج الدكتور روس (Dr. Roos) ان القوة المعسكرة في المخيم هي في حدود عشرة آلاف رجل، وهي اقل من نصف الجيش النظامي، فقد أُرسلت البقية الى المنزل لحصاد المحصول»[٣١٥]...

وفي مكان آخر يذكر الدكتور روس: «علم الدكتور بان الجيش يتألف من خمسة عشر الى عشرين ألف رجل، من الذين تعطلوا في المعسكر (أو المخيم- المترجم)، فقد تم الإستيلاء على مدينة عقره قبل وقت قصير»[٣١٦]...

وهذا الرقم قريب من الذي ذكره خيلاني في مذكراته: «لمقتضى المتطلبات السياسية، رفع الأمير

= بين مدينتي الموصل واروميه ومنها عشيرة (روند)، لقد ورد ذكر هذا المصدر في صفحات سابقة.

٣١٢- المصدر الانكليزي (١٠٧): ص٣٣٥.

٣١٣- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٦٤.

٣١٤- المصدر العربي (١٠): ص٤١.

٣١٥- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٨.

٣١٦- نفس المصدر: ص٧٥.

قوته العسكرية بعد عودته من بهدينان، وهذا يعني انه زاد عدد الجنود الذين كانوا يتقاضون الرواتب الى خمسة آلاف من الخيالة وعشرين الفاً من المشاة».[٣١٧]

وهنالك أيضاً معلومات اخرى حول قوة جيش الأمير: فبموجب ما يذكره الدملوجي، بلغت قوة جيش ميري كوّره في سنة ١٨٣٥ حينما هاجم منطقة الإيزيديين (٤٠٠٠٠–٥٠٠٠٠) رجل[٣١٨]... يعتبر هذا العدد شبيهاً لما ذكره فريزر Fraser. إلا أن ما يذكره الدملوجي ليس بعيداً عن الواقع لأنه عند إعلان الجهاد يتجمع الكثير من المرتزقة والسذج من الناس، لا من أجل القتال، وانما لجمع الغنائم والاسلاب حتى ان سليمان الصائغ يشبّه جيش الأمير عند الهجوم على الإيزيديين سنة ١٢٤٧هـ، ١٨٣١م بالجراد وذلك نظراً لكثرة عددهم[٣١٩]...

يخمن محمد فيدا في مقاله المقتضب حول ميري كوّره[٣٢٠] القوة الاجمالية لجيش الأمير (المشاة والفرسان) بأربعة وعشرين ألف مقاتل. وهذا الرقم شبيه بالرقم الذي ذكره كل من الدكتور روس وموكرياني. اني اميل الى القول بان تقرير الدكتور روس ادق من غيره مقارنة بالتخمينات الأخرى، لأن روس كان شاهد عيان رأى جيش الأمير في حالة الحرب رأي العين. أدنى قوة لجيش ميري كوّره سنة ١٨٣٣ كانت حوالي (٢٠٠٠٠) مقاتل، ثم ارتفع هذا العدد باستمرار لغاية عام ١٨٣٦ (تاريخ سقوط ميري كوّره). كان إمتلاك أحد الأمراء لهذا العدد من المقاتلين يعتبر في حينه ذا اهمية بالغة ويحسب له حسابه، إذ استطاع ان ينافس الجيش القاجاري والعثماني كذلك. ولكن القوة الضاربة لجيشٍ ما لا تعتمد على عدد الجنود فقط، بل على نوعية القيادة وعلى التنظيم والتسليح أيضاً.

كانت القيادة الواقعية لجيش سوران في يد ميري كوّره نفسه، الذي برهن على قدرته العسكرية عبر سلسلة من الانتصارات[٣٢١]... إلا أن القيادة الفعلية للجيش زاولها أخوه رسول بگ (فيما بعد رسول پاشا) تلك الشخصية ذات القدرة العسكرية الجديرة بالاعتبار. لقد شُرد رسول بعد سقوط اخيه وصودرت امواله، ولكنه نُصب فيما بعد حاكماً على قارص ثم على وان[٣٢٢]؛ وذلك مكافأة له لما انجزه للاتراك من خدمات اثناء قيادته لإحدى الفرق الخيالة الكردية في حرب القرم الاخيرة.

ويُستنتج من ذلك، انه كانت لجيش سوران قيادة جيدة. أما عن تنظيم تلك القوات العسكرية فيقول الدكتور روس:

«ليس للمعسكر نفسه أية مظاهر للتنظيم العسكري فالشيء الوحيد الذي كان منتظماً كان

٣١٧– المصدر الكردي (٦٢): ص٦٧.
٣١٨– المصدر العربي (٢٢): ص٤٦٣.
٣١٩– المصدر العربي (٣١): ص٣٠٧.
٣٢٠– المصدر الكردي (٦٧): ص١٨
٣٢١– المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥.
٣٢٢– المصدر الانكليزي (١١٨): ص١٨٣: ١٨٧. انظر كذلك: المصدر العربي (٣٨): ص٤١٥–٤١٦.

سلسلة الخيم الصغيرة المحيطة بخيمة الپاشا، والتي تضم حرسه الخاص وتعداده ثلاثة آلاف. هؤلاء يعملون أيضاً كخدام تحت امرته. فالمشاة يحملون البنادق والخناجر، أما الفرسان فيحملون الرماح والخناجر. كل رئيس عشيرة او زعيم قبيلة ضرب خيام عشيرته حول خيمته منفصلاً عن البقية، وهذا ما أخلَّ بمظهر المعسكر، بحيث كان يكسو رقعة مترامية الاطراف –والتي لابد وأن تحوي بموجب قواعد تنظيم المعسكرات الأوروپية خمسين ألف رجل– وكل ذلك دون حاجة الى انضباط أو أمر إذ لم يكن يسمع أي صوت وكان باستطاعة كل فرد ان يكون في موضع معين (نقطة ما) خلال خمسة دقائق. كان الرجال يرمون طوعاً وبصورة مستمرة على الاهداف، وفي كل مساء كان يتناول مابين مائة الى مائتين من الجنود الطعام في خيمة الپاشا، حيث كان يأتي دورهم بالتناوب ومن العشائر المختلفة»[٣٢٣]...

نرى في هذا التقرير، ان جيش ميري كۆره كان ينقسم الى صنف المشاة والفرسان، ولم يؤيد موكرياني هذه المعلومات فحسب، وانما أضاف بهذا الخصوص مايلي:

«كانت الازياء العسكرية للعقداء والجنود، والمرافقين المنتمين الى سلاح المشاة والفرسان مختلفة عن بعضها البعض»[٣٢٤]...

إن مثل هذا التصنيف الى مشاة وفرسان يعني تقدماً بالنسبة الى النظام التقليدي لجيوش رؤساء العشائر التي إفتقدت هذا التصنيف. وكذلك كان للانضباط الذي يذكره الدكتور روس، اهمية بالغة لذلك الجيش: «... فلم يكن يُسمع أي صوت، وكان باستطاعة كل شخص ان يكون في موضع معين (نقطة ما) خلال خمس دقائق»[٣٢٥]...

أرى بان الباعث وراء انتقاد جيش ميري كۆره يكمن بصورة خاصة في الحقيقة القائلة بأن: «كل رئيس عشيرة او زعيم قبيلة ضرب خيام عشيرته حوله، منفصلاً عن البقية... الخ»[٣٢٦]...

ومن الصعب الحكم على انه كان في إمكان ميري كۆره بناء جيشه في تلك الاوقات على شكل او طراز آخر؛ لأن احساس الانتماء العشائري والقبلي كان وقتذاك اقوى بكثير مما هو عليه اليوم[*٥٣]. إلا ان توزيع جانب من الجيش على هذا النحو قد ساعد حتماً على خلق الشقاق والتنافس العشائري.

ولم يجند ميري كۆره في جيشه العشائر الكردية فقط، بل إن مجموعة من عشائر الطي العربية كانت منضوية تحت لوائه[٣٢٧]. وقد ادى مثل هذا التوزيع الى نشوء الحقد القومي على الكُرد الذين

٣٢٣– المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٨.

٣٢٤– المصدر العربي (١٠): ص٤١–٤٢.

٣٢٥– المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٨.

٣٢٦– نفس المصدر: ص٧٨.

(*٥٣) لم تستطع الثورات والحركات الكردية ان تحرر نفسها من الطابع العشائري تماماً الى يومنا هذا.

٣٢٧– نفس المصدر: ص٧٤. وكذلك: المصدر العربي (٤٠): ص٨٥.

كان في ايديهم زمام قيادة الجيش والدولة. ولربما لم يكن أمام ميري كوّره خيار آخر غير هذا. ولكن وعلى كل حال كان الأمير يبذل جهده لتخفيف وتهدئة التوتر عن طريق تناوله لطعام العشاء في كل امسية مع طائفة من افراد إحدى القبائل وبالتناوب وذلك حسبما يذكر الدكتور روس[٣٢٨]... وقد تمكن ميري كوّره بواسطة هذه الدبلوماسية البارعة من السيطرة على جيشه سيطرة تامة، إذ لا نجد رغم كل شيء في أي تقرير دلائل تشير الى حدوث أي تمرد او عصيان في جيشه.

لنأتِ الان الى جزء آخر من الموضوع وهو تسليح جيش ميري كوّره:

من الواضح ان ميري كوّره كان في وضع تمكن فيه من صنع المدافع، ولا يزال اثنان منهما موجودين لحد الآن أمام سراي مدينة رواندز[*٥٤]؛ أما الثالث فموجود على احدى المقابر في ضواحي المدينة ولايزال يستخدم الى يومنا هذا لاعطاء اشارة الإفطار في شهر رمضان[*٥٥]...

لقد رأيت بنفسي (سنة ١٩٥٦) هذه المدافع الثلاثة. لقد قام موكرياني برسم اثنين منهما[٣٢٩]... وبعد سقوط حكومة ميري كوّره، تم العثور على هذه المدافع في أماكن مختلفة سنة ١٩٢٦، فعندما كانت بريطانيا دولة منتدبة على ولاية الموصل (كردستان الجنوبية)، عُثر عليها من قبل سيد طه الشمزيني، قائمقام رواندز آنذاك[٣٣٠][*٥٦]...

احد هذه المدافع وزنه قنطاران، وقد تم انتاجه في سنة ١٢٣٤هـ، ٩-١٨١٨م. والثاني وزنه اربعة قناطير ويعود الى سنة ١٢٤٢هـ، ٧-١٨٢٦م، والثالث ستة قناطير صنع سنة ١٢٤٤هـ، ٩-١٨٢٨م.

ان المعلومات هذه منقوشة على المدافع نفسها، وتوجد على احد المدافع كتابة عربية تحتوي على اسم «مير محمد رواندزي، الأمير المنصور» واسم «الأوسطه» الذي صنع المدفع وهو أوسطه رجب، اضافة الى محل الانتاج أي رواندز واخيراً الآية القرآنية: «نصر من الله وفتح قريب.... الخ»[٣٣١]...

واضافة لما ذكر، فقد كتبت على كل مدفع عبارة «ماشاء الله»[٣٣٢]... وماعدا ذلك توجد على المدفع

٣٢٨- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٨.

(*٥٤) تم نقل هذين المدفعين من رواندز الى بغداد، حيث اني شاهدت احدهما سنة (١٩٦٨) في المتحف العسكري التابع لوزارة الدفاع في بغداد، انظر: عبدالرحمن قاسملو، كُردستان وكورد، ص٤٥؛ وكما جاء فيه فقد تم صنع اكثر من (٢٠٠) مائتي مدفع في مصانع رواندز الحربية.

.(*٥٥) بعد بيان ١١ اذار ١٩٧٠، نقل هذا المدفع من مكانه المعروف بـ(گردي توپي - تل المدفع) في منطقة (گەردە گەرد)، ووضع على عجلتين في سوق مدينة رواندز.

٣٢٩- المصدر العربي (١٠): ص٤٤: ٥٠.

٣٣٠- نفس المصدر: ص٤٤.

(*٥٦) لقد تم انتشال المدافع الثلاثة من نهر رواندز.

٣٣١- انظر الآية القرآنية الكريمة: (نصرٌ من الله وفتح قريب.... الخ). سورة الصف، الرقم: ٦١، الآية: ١٣.

٣٣٢- هذا يطابق حسب الاعتقاد الكردي نوعاً ما التعبير الالماني (Gottlob) أي حمانا الله ووقانا من الرؤية الشريرة.

الثاني نجمة داوود السداسية، التي لا يزال معناها غامضاً لدي[٣٣٣]...

وبعد هذا لا يمكن التشكيك بأن ميري كوّره كان يمتلك مسبكاً للحديد في رواندز. وطبقاً لموكرياني فقد جلب الأمير (سنة ١٢٣٠هـ= ٥-١٨١٤م) خبيراً بالاسلحة واسمه خان گلدي من مدينة أورميه الى رواندز[*٥٧]. وكان هنالك في نفس الوقت خبير آخر بالاسلحة واسمه اوسطه رجب (هوستا رجب، حسب اللهجة الكردية المحلية)[٣٣٤] والذي كان منهمكاً في صنع الاسلحة.

بنى الأمير سنة (١٢٣١هـ= ٦-١٨١٥م) مصنعاً للاسلحة في حي كاولوّكان[٣٣٥] برواندز، وعين اوسطه رجب رئيساً وخان گلدي مساعداً له[٣٣٦]...

ويؤيد خيلاني معلومات موكرياني ونيكيتين هذه[٣٣٧]... اذاً يبدو الأمر حقيقة ثابتة، فقد قام شخص اسمه اوسطه رجب بصنع المدافع في رواندز، فالمدافع التي تحمل اسمه لاتزال موجودة الى يومنا هذا. إلاّ أن على المرء ان يتساءل، كيف استطاع ميري كوّره ان يعمل على انتاج مثل هذه الاسلحة.

من المعروف، ان بدرخان الأمير الكردي المعاصر لميري كوّره، قد انتج أيضاً المدافع في الجزيرة. ولكنه قبل البدء بذلك بعث بوفد الى أوروپا، حيث كان ينبغي عليهم تعلم سبك المدافع[٣٣٨]...

ولاتزال بقايا بعض الاسوار تُشاهد في كاولوكان، والتي يربط الناس بينها وبين ذلك المصنع، الا انه لم يتم التأكد من ذلك نهائياً.

ومن الجدير بالذكر- فضلاً عن ذلك- الإشارة الى أن چاوشلي يتحدث عن بعض المصانع العسكرية في رواندز، والتي انتجت البنادق والمدافع وغيرها من الاسلحة[٣٣٩]...

يقول برزنجي في مقالته حول ميري كوّره[٣٤٠] بأن الأمير قد جلب من اذربيجان خبيراً في السيوف والبنادق والمدافع، إلا انه لا يذكر إسم المدينة التي جاء منها الخبير.

روى لي احد المسنين من رواندز وهو (شاكر مَجروم) وكُرد آخرون، بان ميري كوّره بعث ببعض خبراء صنع الاسلحة من رواندز الى روسيا، لأجل إتقان صناعة الاسلحة الحربية. وعلاوة على ذلك

٣٣٣- يعتقد رۆژبياني ان هذه النجمة هي رمز تنجيمي ضد النفوس الشريرة الخبيثة.

(*٥٧) يؤيد عبدالرزاق اصفهاني عند البحث عن احوال روئين دز (رواندز) واميرها (محمد بگ) بأن الأمير كان مشغولا بصب المدافع عندما زار المؤلف إمارة سوران في حوالي سنة (١٨٢٠م)، انظر: مخطوطة احوال اشنوية، ص١٤-١٦، والتي سبق ذكره.

٣٣٤- المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢١.

٣٣٥- حي من احياء مدينة رواندز، اليوم عبارة عن اطلال وخرائب.

٣٣٦- المصدر العربي (١٠): ص٤٠.

٣٣٧- المصدر الكردي (٦٣): ص٥٨-٥٩، حسب الخيلاني كان (خان گلدي) مسيحياً.

٣٣٨- المصدر العربي (٧): ص٤٢.

٣٣٩- المصدر العربي (٤٢): ص١٠٠.

٣٤٠- المصدر العربي (٢).

ذكروا بأن سبب قيام ميري كوّره بمنع الاجانب من زيارة رواندز، كان وجود هذا المصنع هناك[٣٤١]...

أما التحقق من مدى صحة معلومات موكرياني فيما يتعلق بخان گلدي، ومدى مساعدة التكنيك الروسي لميري كوّره فشيئان لايمكن التحقق منهما[*٥٨]... فعلى سبيل المثال يحتمل ان يكون هناك شخص إسمه خان گلدي منحدراً في الاصل من آذربيجان الروسية[*٥٩] يسكن في رواندز.

وتؤيد تقارير كل من فريزر Fraser وموكرياني[٣٤٢] عدم سماح ميري كوّره للاجانب بدخول مدينة رواندز، إلاّ أن من الصعب إيضاح مدى علاقة ذلك بوجود مثل هذا المصنع هناك.

الملخص:

كانت القوة الضاربة لميري كوّره جيدة التنظيم وذات قيادة كفوءة وكانت جيدة التسليح أيضاً وعدا ذلك فانها كانت تتميز بخاصيتين: الشجاعة التي يتميز بها الكرد، والتي يمكن التحقق منها عبر العديد من التقارير[٣٤٣] اضافة الى الموقع الاستراتيجي الملائم لمنطقة رواندز بصورة خاصة[٣٤٤]...

إلاّ أن السبب الوحيد لضعف الجيش وتضاؤل قوته على مر الايام كان يرجع الى العلاقات الإقطاعية والدينية المسيطرة عليه إذ لم يكن مرتبطاً إرتباطاً داخلياً يقوم على حب الوطن والشعور الوطني، بل استندت دعائم اخلاقياته ومعنوياته الى الآصرة الدينية فقط.

ولما لم يكن «الكرسي المقدس» لهذا الدين في رواندز بل في استانبول ولم تكن القيادة الروحية في يد ميري كوّره، وانما في ايدي علماء الدين- الذين كانوا يعتبرون انفسهم جنوداً مسلمين وليس

٣٤١- انظر: الفصل الثالث: المبحث الثاني من هذا البحث تحت عنوان (موقف الأمير من الاجانب).

(*٥٨) يحدثنا التاريخ ان الشعب الكردي كان على جانب عظيم من اتقان الصناعات والفنون والاعمال الهندسية وحسن الاستعداد لها. فلقد عد الاشوريون الى نقل الكثير من الصناع والفنانين الكُرد من كردستان الى المدن الاشورية لتقوية روح الصناعات والفنون ونشر الحضارة فيها. مثلهم كان الملك الارمني (تيگران)، يعتمد على الكرد في ادارة الشؤون الفنية. فعلى سبيل المثال يقول المقدسي في كتابه (احسن التقاسيم) الذي الفه سنة ٣٧٥ هـ بأن اكراد مدينة (دوين) كانوا يسكنون في بيوت من الزجاج والبلور. انظر: المرجع لعربي (٣٥)، ص٨٦،١٠٩،٣٥٧؛ وكذلك: كتاب الكرد في تواريخ جيرانهم، مقتطفات متعلقة بالكرد وكردستان، كتاب (رحلة اولياچلبي)، اعدها وترجمها الى الكردية سعيد ناكام، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد - ١٩٧٩.

(*٥٩) يحتمل ان يكون لخان گلدي هذا علاقة بـ(خاني طالبات) الذي كان اسما لاسرة حاكمة في كردستان ولمنطقة حكمها قبل الميلاد.

٣٤٢- وكذاك نفسه.

٣٤٣- المصدر العربي (١٩): ص٧٦؛ حيث جاء فيه: (لكن بلاشك يمتاز الكردي بشجاعة كبيرة، وهو لايفكر بالموت ان زج نفسه في معركة حربية) انظر كذلك: المصدر التركي(٧٧): ص١٢٨: سنة ١٣٠١هـ، حيث ورد فيه (كردلر، پك شجيع وبهادر اولر). كذلك يصف ريچ الشجاعة القتالية لكُرد رواندز، انظر: المصدر الانگليزي (١١٩): ص٣٠٠، حيث يقول: (انهم جنود مسلحون من الطراز الأول، قبل بضع سنوات ارسل عباس ميرزا جيشاً لمحاربتهم، فقد أجبر على التقهقر بفعل اطلاق نار مدفعيتهم، المتمركزة حالياً في قلعة (رواندز Rewandiz).

٣٤٤- المصدر الانگليزي (١١٢).

جنودا كُرد- فقد كان قدوتهم الخليفة العثماني وليس ميري كۆره. وعليه فالخواص الجيدة للجيش لم تكن ذات تأثير وفعالية أثناء القتال ضد الجيش العثماني.

ثالثاً: الحالة الثقافية

ذكر موكرياني بأنه الأمير «شرع في سنة ١٢٣٢هـ، ١٧-١٨١٦م ببناء الجسور والقلاع والمساجد والمدارس»[٣٤٥]... لكنه لم يتحدث عن نوع تلك المدارس[٣٤٦]...

وقد كتب نيكيتين Nikitine: «يعود الفضل في انشاء الكثير من المدارس اليه (ميري كۆره). »[٣٤٧] إلاّ أن نيكيتين لايعطي تفاصيل حول الموضوع.

ويروي الدكتور روس أن ميري كۆره قد تحدث معه «حول طراز التعليم في انگلترا»[٣٤٨] ثم يذكر: «انه في مناسبات اخرى، أجرى إستقصاءات كثيرة فيما يتعلق بإستعمالات الادوية وتأثيراتها، كحالة النبض اثناء المرض ووباءي الطاعون والكوليرا وغيرهما»[٣٤٩]... تقرير روس هذا يدعم التقارير السابقة ويشير الى اهتمام الأمير بالعلوم والثقافة.

كذلك ينبغي على المرء ان لا ينسى بأن ميري كۆره لم يكن حاكماً جاهلاً وانما كان قد تمتع بثقافة دينية أساسية[٣٥٠]...

وعلى العكس تماماً من اهتمام ميري كۆره بالعلوم والثقافة فإن هنالك تقريراً آخر للدكتور روس فيما يتعلق بتفشي الجهل بين صفوف الشعب: «يبدو ان الناس يعلمون القليل عن الاشياء المفيدة في هذه الدنيا»[٣٥١]...

وفي الوقت الذي يتحدث فيه هذا التقرير عن (الجهل) ويتحدث غيره عن «المدارس الكثيرة» وعن «اهتمام الأمير بالثقافة»، فإن التقارير تبدو متناقضة. ولكن هذه ليست المسألة، فكل من له اطلاع على نظام التعليم في كردستان وفي المناطق الأخرى التابعة لدائرة الحضارة الإسلامية في القرن التاسع عشر، بإمكانه أن يعرف بأنّ عدد الذاهبين الى المدارس من ابناء الشعب كان ضئيلاً[*٦٠]؛

٣٤٥- لقد ابرزه المؤلف واكده بجر خط تحت كلمة المدارس.

٣٤٦- المصدر العربي (١٠): ص,٤٢

٣٤٧- المصدر الألماني (٩٦): ص,١٢٢٢

٣٤٨-المصدر الانگليزي (١٠٩): ص,٧٧

٣٤٩- نفس المصدر.

٣٥٠- انظر: الفصل الثالث: المبحث الأول (تربيته وثقافته) في هذا البحث.

٣٥١- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧١. وكذلك: المصدر العربي (٣٨): ص,٤٠٨

(*٦٠) كان لصعوبة الحياة الاقتصادية في كردستان اثر فعال في عدم تشجيع الاباء لابنائهم بالذهاب الى المدارس، حيث اني لازلت اتذكر قول الفلاح الكردي سنة ١٩٧٣ (في منطقة السندي) عندما سؤل عن وضع واحتياجات قريته، فأجاب بأن الامور مضطربة جدا ونحن لسنا بخير، فلما سؤل لماذا؟ اجاب: منذ ان استحدثت مدرســة في قريتنا، اختلت =

وبأن دور هذه المدارس في مجال الثقافة الشعبية كان شحيحاً، وعندها ستنقشع غمامة التناقض القائم بين هذه التقارير المتضاربة.

مما لا شك فيه، انه اسس في كردستان عدد كثير من المساجد -والتي لا تزال قائمة- التي تعتبر في الوقت ذاته مدارس[٣٥٢]... وفضلاً عن ذلك فقد كانت هنالك بعض المدارس الدينية بإسم (مدرسەی عیلمی یه = المدارس العلمية)[٣٥٣]...

وكان بعض من كبار العلماء يقومون بالتدريس في هذه «المدارس» أحياناً. وما عدا ذلك كانت هناك (مدارس خصوصية) (قوتابخانه)[٣٥٤] أنشأها وأدارها ملالي متعلمون. وكان الاطفال من سن السادسة فصاعداً يدرسون في هذه المدارس (قوتابخانه)، لأنه وبمقتضى فتوى الأمام المالكي لايجوز للاطفال ان يدخلوا المساجد لأنهم لايستطيعون الحفاظ على نظافتهم[٣٥٥]... وكان الهدف الرئيسي لهذه المدارس في كردستان وكذلك في جميع المناطق التابعة لدائرة الثقافة الإسلامية أيضاً، هو تعلم القرآن. فقد كانت القراءة والكتابة وسيلة لبلوغ هذا الهدف[٣٥٦]...

وفي هذه المدارس (اي المدارس والقوتابخانات التابعة للمساجد) تلقى مشاهير علماء المسلمين من الكُرد دروسهم مثل: ابي علي الدينوري، ادريس بتليسي، ابي السعود العمادي، عبدالله بيتوشي، مفتي زهاوي، شيخ محمد قرەداغي، عبدالرحمن رۆژبەیانی ومئات آخرين غيرهم، ليصبحوا بعدها من فطاحل العلماء[٣٥٧]...

وكانت توجد في إمارة سوران مساجد ومدارس وقوتابخانات كثيرة[٣٥٨]؛ وما فعله ميري كۆره لم يتعدَّ زيادة عددها. إلاّ أن وجود مثل هذه المدارس لايعني ان المستوى الثقافي للكُرد كان عالياً، او أن هذه المدارس صانت الشعب من الأمية على أقل تقدير. وقد يبدو هذا الأمر لأول وهلة مناقضاً تماماً لبعض التقارير الكردية التي تتحدث عن (انتشار المعارف والثقافة) في إمارة سوران[٣٥٩]... فيما ارى ان السبب الخفي وراء ما نبحث فيه يكمن في كون تلك المدارس مدارس اسلامية. لذلك ولأجل الإيضاح، نرى من الضروري توضيح موقف الإسلام من التعلم والثقافة:

= امور زراعتنا، لان ابنائنا لايعملون في الحقل بل يذهبون الى المدارس!

٣٥٢- المصدر العربي (٤١).

٣٥٣- كلمة (مدرسة) التركية Medrese استعملت في تركيا العثمانية وفي ايران للدلالة عن المدارس الدينية فقط.

٣٥٤-انظر: هامش رقم (١١) ضمن هوامش المؤلف هنا.

٣٥٥- المصدر العربي (٢٩).

٣٥٦- المصدر العربي (٢٥): ص٤٨: ٥٢.

٣٥٧- حول سيرة حياة هؤلاء الشخصيات الكردية الأصل انظر: المصدر العربي (٣٦): الجزئين الأول الثاني.

٣٥٨- راجع: المصدر الكردي (٦٣): ص٥٠-٥٨,

٣٥٩- انظر مثلاً: المصدر العربي (٢).

يرى مفسرو القرآن بأنّ الله (سبحانه وتعالى) قد شرع في وحيه الى النبي محمد (ص) بالأمر اليه بتعلم القراءة والكتابة(٣٦٠)، لأنه وحسبما يتصوره المسلمون فإن محمداً (ص) كان أمياً(٣٦١)... ومن ناحية اخرى جاء في القرآن، بان الذين يعلمون ليسوا كالذين لايعلمون(٣٦٢)(*٦١)... وينبغي كذلك على المسلم ان يدعو الله كي يزيده علماً(٣٦٣)...

إن هذا (الإجلال) أو التقدير الجلي للعلم ورد في أحاديث كثيرة لمحمد (ص)، فتارةً اعتبر العلم فرضاً على كل مسلم ومسلمة(٣٦٤) وأخرى طَلب من المسلمين ان يسعوا وراء العلم حتى ولو كان في الصين(٣٦٥)(*٦١)... وكان محمد (ص) يؤكد تبجيله للعلماء بقوله: «العلماء ورثة الانبياء»(٣٦٦) ويأمر المسلمين بطلب العلم من المهد الى اللحد(٣٦٧)...

طبعاً من المهم هنا ان نعلم ماذا يقصد الإسلام ويعنيه بكلمة «العلم» وما هو الهدف المنشود والمرجو من وراء التعليم والتربية. العلم في نظر الإسلام هو علم الله. وعليه فقد استهدف الإسلام بذلك التربية، أي اعداد الانسان منذ الايام الأولى من عمره لليوم الآخر. وهذا يعني ان التربية قد اتبعت التوصل الى معرفة العلاقة بين الانسان وخالقه وجرت على هذه القاعدة متجاهلةً تماماً العلم الذي يبحث في العلاقات الكائنة بين الانسان والإنسان ومن ثم بينه وبين المجتمع الانساني(*٦٢)...

وهكذا ووفقاً لأحاديث الرسول (ص) المذكورة اعلاه يعتبر الاشتغال في هذه العلوم (العلوم اللاهوتية) فرضاً(٣٦٨)... إلا أن هذا النوع من «الفرض» يحتاج الى شيء من الشرح والتفسير:

عندما يبحث المرء وراء حكم أقرب لهذا الفرض، فانه لايجده ضمن الفرائض (الواجبات) الخمس الاساسية والملزمة في الإسلام(٣٦٩)... حيث ان الإعراضَ عن الاستجابة لإحدى هذه الفرائض الخمسة

٣٦٠- انظر الآية القرآنية: [اقرا باسم ربك.... الخ] سورة العلق، الرقم: ٩٦، الآية:١ . وكذلك التفسير في: المصدر العربي (٢١): ص٥.

٣٦٢- انظر الآية القرآنية: [قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون.... الخ] سورة الزمر، الرقم: ٣٩: الآية: ٩.

(*٦١) يعتقد الكثير من الفقهاء بأن القصد هنا من كلمة (العلم) هو العلوم الطبيعية.

٣٦٣- انظر الآية القرآنية: [وقل ربّ زدني علماً] سورة طه، الرقم: ٢٠، الآية: ١١٤.

٣٦٤- انظر الحديث النبوي: [فُرضَ العلم على كل مسلم ومسلمة].

٣٦٥- انظر الحديث النبوي: [اطلبوا العلم ولو في الصين].

٣٦٦- انظر الحديث النبوي: [العلماء ورثة الأنبياء].

٣٦٧- انظر الحديث النبوي: [اطلبوا العلم من المهد الى اللحد].

(*٦٢) يرى بعض الفقهاء بأن الدين الإسلامي حث على تعلم العلوم على مختلف اشكالها، راجع: موسوعة الأمام المهدي الكتاب الرابع، اليوم الموعود، تأليف محمد الصدر (اصفهان ١٤٠٠هـ)، ص١٤٦.

٣٦٨- هذا (الفرض) ينطبق او يصح فقط عندما تكون هذه الأحاديث غير مزورة، لأن قسماً أو بعضاً من الأحاديث غير موثوق بها. حيث لم تجمع الاحاديث عندما كان محمد(ص) على قيد الحياة، كما وأن الخلفاء الراشدين لم يهتموا كثيراً بالاحاديث. انظر: المصدر العربي (٢١): ص١٠٨-١١٣.

٣٦٩-أعني بذلك: الشهادة، الصلاة، الصوم، الزكاة والحج.

يُخرج المرء او الانسان من الجماعة الدينية ويقذف به خارجاً وتترتب عليه العقوبة في الدنيا والآخرة. لكن ذلك لا ينطبق على الـ(فرض) المتعلق بتعلم الثقافة والمعرفة. فالمسلم الذي لا يتعلم يبقى بالرغم من ذلك مسلماً، ولانجد أية عقوبة على من لايستجيب لهذا الفرض او الواجب. يبدو لي أنّ فرض التعلم هو في منزلة متساوية مع فرض (واجب) السلوك او التصرف الودي واللطيف حيال الجيران وما يتعلق بدائرة قواعد السلوك العام.

فالكُرد الذين يعيشيون في منطقة جغرافية منيعة[٣٧٠] يسودها مناخ قارص وبارد للغاية طوال ستة اشهر، ويتألف القسم الاعظم من مجتمعهم والى يومنا هذا من الفلاحين والرعاة الذين يجب عليهم العمل بمشقة كبيرة لسد رمق عيشهم، تكون بواعثهم التي تدفعهم ليفكروا في المدارس والتعلم ضعيفة، لاسيما وان هذا التعلم من جانب الدين لايقترن بفرض عقوبة أو منح مكافأة.

كانت الدراسة في المدارس المذكورة اعلاه -والتي يتضاءل عددها كلّ سنة- معقدة ومتعبة للغاية، إذ لاينال المرء شهادة التخرج (الجواز او الاجازة) منها إلاّ بعد مضي ١٥-٢٠ سنة دراسية او أكثر[٣٧١]... وكانت فرص الحصول على عمل مناسب بعد التخرج قليلة، فلو لم يكن العالم مقتدراً مالياً، لإستوجب عليه العيش في فقر مدقع. اذ كان يجب عليه عادةً ان يُعلم مجاناً ودون مقابل[٣٧٢]...

وطالما كان رجال الدين معتمدين على مساعدة الحكام وخاضعين لهم، وقد أضطر عدد غير قليل من العلماء -الذين لم تكن لهم أية اموال خاصة او معونة من الغير- ان يرتزقوا من التسوّل.

فطلاب العلم الديني (فقي) الذين ينتمون الى العوائل الفقيرة، لايزالون الى يومنا هذا يعيشون على صدقة (دقنة)[٣٧٣]. والتي تُخفض او تستقطع عبر العديد من وسائل الخداع او ما يسمى (بالحيلة الشرعية)[٣٧٤]. فقد لام وعاتب احد شعراء الكرد طلاب الدين (فقي) بشدة، لكونهم يعيشون على التسول والإستجداء وفي وضع مُزرٍ من البطالة والكسل قائلاً:

«لاتطمع دائماً في الصدقة والدقنة، انت يا أغَم القفا (غليظ الرقبة قصيرها)،
ليتك تبتلى
بالسؤم ألف مرة. انت، انت الذي لا هم لديك سوى الأكل والنوم،
انت لا أبا لك ايها الكسلان،
كفاك الآن.
الى متى تبقى متخلفاً هكذا؟

٣٧٠- المصدر العربي (١٩): ص, ٧٤
٣٧١- المصدر العربي (٢٣): ص, ٥٩
٣٧٢- نفس المصدر.
٣٧٣- الصيغة الكردية للكلمة (تقنه) تعني بالعربية نصيب، حصة أو سهم.
٣٧٤- المصدر الكردي (٤٧): ص٥.

إنهض وتحرك!
نحو أمور الدنيا والآخرة»

ومما يجدر ذكره هنا هو ان وزارة الاوقاف التي استحدثت منذ بداية القرن العشرين، ليست هيئة مستقلة بل انها مؤسسة حكومية، ومساعدتها للعلماء ضئيلة جداً. وكذلك ليس للمسلمين كنيسة دولية خاصة بهم ذات سلطة وميزانية خاصة بها كما هو الحال عند المسيحيين.

فللأسباب المذكورة اعلاه كانت الدراسة في كردستان وحتى بعد الحرب العالمية الأولى تعتبر[٣٧٥] من الكماليات وتقتصر على قلة من ابناء النبلاء الذين كان بامكانهم الإستغناء عن تشغيل ابنائهم. وعليه فقد كان عدد الذين يقرأون ويكتبون قليلا جداً.

ويكمن الوجه الآخر للمشكلة في كون الثقافة التي كانت تلقن وتكتسب في المساجد والمدارس والقوتابخانات (المدارس الخصوصية) ثقافة غريبة عن الكُرد، لكون المدخل اليها يمرّ عبر لغة اجنبية هي اللغة العربية. في الوقت الذي استعمل الفرس والترك جزئياً لغتهم الأم بجانب اللغة العربية كلغة للدراسة، فإن الكُرد لم يبادروا الى ذلك، حيث ان عملية حصر جميع مواد الدراسة تقريباً في اللغة العربية باقية الى اليوم.

لقد كتب جميع علماء الكرد تقريباً مؤلفاتهم باللغة العربية او الفارسية[٣٧٦]... وعلى الرغم من انه لم تكن لهذه المدارس مناهج دراسية محددة، إلا انه كان من المعتاد غالباً ان يتعلم المرء فيها القرآن والحديث بجانب دراسة شاملة لإثنتي عشرة مادة من علوم اللغة العربية التقليدية[٣٧٧]. وعلاوة على ذلك فقد كان على المرء ان يدرس الكثير من الكتب الفارسية مثل شاهنامه، گلستان، بستان وكذلك بعض الكتب التركية العثمانية (إلاّ أن الحصة التركية تناقصت في السنوات الاخيرة). وكذلك كان تدريس علم المنطق والرياضيات والفلسفة وعلم النجوم يجري باللغة العربية الفصحى[*٦٣]...

فمن الواضح ان عامة الناس من الكُرد لم تتمكن من ايجاد اية صلة لها مع دراسة كهذه وبلغة تختلف كل الاختلاف عن اللغة الكردية. وكنتيجة طبيعية لهذا الوضع، اكتسب العلماء الكُرد ثقافة غريبة تماماً عن ثقافة سواد الكُرد حتى انه كان يصعب على الأخيرين فهم لغتهم (لغة العلماء) التي

٣٧٥- اقصد بذلك الفترة التي اعقبت سقوط الامبراطورية العثمانية والتي انشأت فيها المدارس الحديثة.

٣٧٦- يقول العالم الديني التركي شمس الدين سامي: (هرنه قدر كرد لرن علماسي اوته دن بري، عربي وفارسي ايلة اشتغال ايدوب، كندي لسانلرينة اهميت ويرمد كلرندن)، أي (ان جميع علماء الكرد، بالأصل استعملوا اللغة العربية والفارسية، انهم اهملوا لغتهم الخاصة) راجع المصدر التركي(٨٠): ص٣٨٤٢.

٣٧٧- لهذا السبب يسمى العالم الديني في كردستان (ذو الاثنى عشر علماً) انظر القصيدة التالية: (نحو وصرف، عروض، بعده لغة ثم اشتقاق وقرض الشعر انشاء كذا المعاني، بيان الخط، قافية تاريخ هذا العلم العرب احصاء).

(*٦٣) بقت اللغة الكردية رغم ذلك لغة التفاهم في المدارس والمعاهد الدينية في كردستان. انظر: جەمال نەبەز: پێوەندارێتی کوردی (الانتماء الكوردي)، بنکەی چاپەمەنی ئازاد، ستوکهولم ١٩٨٦، ص٦.

كانت تتخللها كلمات عربية وتُلفظ باصوات أنفية بصورة متعمدة[٣٧٨]...

وليس من المبالغة القول بان العلماء في كردستان لايعرفون الشعب جيداً لأنهم تربّوا بثقافة اخرى. وقد وصف الشاعر الكردي المعروف والمفكر القومي في القرن الماضي، حاجي قادري كويي (١٨١٥-١٨٩٧م) هذا الواقع قائلاً:

«الكُرد هم الوحيدون من بين شعوب العالم،
دون سهم او نصيب في القراءة والكتابة.
جميع علمائنا، من كبيرهم الى صغيرهم،
لم يدرسوا كلمتين كرديتين!
انهم اذكياء الى حد، اصبحوا خبراء في ارقام وكتابة الأوروپيين.
انهم اساتذة الكتابة في اللغات الثلاث[٣٧٩]؛
ولكنهم جهلاء في لغة الأم
تمكنت الشعوب الأخرى خلال ترجمة الكتب
الإلمام بخفايا الشعوب واسرارها
لكل شعب آدابه ورسالته
ولكننا دون غيرنا اصبحنا كالشركس[٣٨٠].
بلى نحن مؤمنون أيضاً ولسنا من الروس[٣٨١].
فهل يعتبر كفراً بالله، اذا
ما كتبنا نحن بلغتنا الكردية؟
ليس في الدنيا شعب دون أدب وكتابة
ما عدا الكرد!»[٣٨٢]...

ينبغي أن لايغيب عن البال حقيقة هامة وهي انه بجانب العلماء العظام الذين كانوا يعملون في هذه المدارس، والقلة من الطلاب الذين تلقوا هذه الثقافة الغريبة، كان هنالك علماء جهلة لدرجة مروعة أيضاً وفي مقدمتهم معلمو القوتابخانات (المدارس الخصوصية) في كافة ارجاء الامبراطورية العثمانية. وبما أن الدولة لم تكن تمارس الاشراف على تلك القوتابخانات، فقد كان باستطاعة كل من يعرف القرآن أن يختار التدريس فيها مهنةً له[٣٨٣]...

٣٧٨- المصدر الكردي (٤٧): ص٥.

٣٧٩- انه يقصد بذلك: العربية، الفارسية والتركية.

٣٨٠- كان المرء يظن خطأ، بأن ليس للشركس مقومات قومية.

٣٨١- كان الروس عند المسلمين المتعصبين نموذجاً لـ(الكفر). كان هذا التصور نتيجة لرد فعل الدعاية العثمانية في صفوف غير المستطلعين من السكان.

٣٨٢- المصدر الكردي (٤٩): ص١١٢-١١٣.

٣٨٣- المصدر العربي (٣٤).

ولم يستطع هؤلاء الحُفاظ تفسير النصوص العربية الصعبة، ولم يتمكنوا من حل الكثير من المعضلات اللاهوتية (الدينية) المعقدة. ونتيجة لذلك تراكم في الواقع وعلى مر الزمن سلوك ملزم تجاه القرآن وذلك بتعلمه عن طريق إستظهاره، دون فهم له، وتخلفوا عن تفسيره فزعموا بأنه لايعلم أحد معنى القرآن سوى الله (جلّ وعلا) وكل تفسير خطأ هو (تجديف) ويعتبر كفراً بالله[*٦٤]... وتبعاً لذلك ظهر في كردستان بعض الملمين بالكتابة والقراءة ممن تمكنوا من حفظ الكثير جداً عن ظهر قلب؟ فاعلنوا عن انفسهم علماء وهم في الحقيقة لم يكونوا سوى مرددين آليين فقط. وبمرور الزمن تكوّن لديهم نوع من الكراهية والنفور ضد كل ما لم يكن مفهوماً عندهم وبوجه خاص ضد علوم الطبيعة مثل الكيمياء والفيزياء.

ويتحدث المصلح الكردي ملا محمد كويي (١٢٩٣هـ- ١٩٤٣م) خلال قصيدة له مخاطباً طلاب الدين ويتأسف لهذه الحالة قائلاً:

«حالَ الملا الجاهل بينك وبين علم الطبيعة[٣٨٤]
متذرعاً بإسم الشريعة
لكن علم الطبيعة هو علم الله
لا فائدة من قواعد النحو العربي ولا مغزى له.
إن أنت لم تدرس الكيمياء
فوالله انك لاتعلم شيئاً عما خلقه الله.
لا وجود للتكنيك عندنا
إن وجد القليل منه، فسيبقى في مجال النظريات
نحن مقيدون بالوهم والخيال
نحن منشغلون بحمار الدجال».[٣٨٥][٣٨٦]

ان هذا النوع من الدراسة والتعليم الذي كان يجري على قدم وساق في المدارس، أدى الى ظهور طائفة من التنابلة الذين وجدوا في تعليم القرآن حفظاً عن ظهر قلب كالببغاء، وسيلة للتسول والإستجداء. فمن يسافر او يذهب الى كردستان يجد الى يومنا هذا العديد من الناس- الذين غالباً ما يكونون من العميان- قابعين أمام المساجد واضعين أمامهم طبقاً لجمع (الصدقة) وهم يتلون القرآن حفظاً عن ظهر قلب دون ادنى خطأ لفظي او صوتي وبضبط صحيح للحركات. ولكن عندما يسألهم المرء عن المعنى يجيبون قائلين (إن كل تفسير هو تجديف وكفر بالله). إن هذا الطراز من

(*٦٤) انهم ربما اساءوا تفسير الحديث النبوي الشريف واستغلوه لتغطية جهلهم والقائل: (من فسر اية له فليتبوء مقعده من النار) علما بأن نصف العلم اخطر من الجهل.

٣٨٤- المصدر الكردي (٦٤): ص١٨.

٣٨٥- انه يقصد بذلك: سرج (الدجال)، حكاية معروفة جداً عند المسلمين.

٣٨٦- المصدر الكردي (٦٤): ص٣٤-٣٥.

(الثقافة) كان مختصاً بطبقة صغيرة فقط، بينما كانت البقية الباقية من السكان تعوم في بحر من العبودية الفكرية منحت لشيوخ الطريقة وكذلك للعلماء (رجال الدين) السلطة المطلقة. وقد وصف الدملوجي تلك الحالة على النحو التالي:

«كان بامكان أحد العلماء (عالم ديني) ان يلقي بكلمة على المنبر ويبعثر بها جيشاً معداً للقتال. فقد تمكن عالم ديني من ان يوقع ويسقط اميراً قوياً ومعتبراً بعد العديد من المعارك المنتصرة، وان يكون السبب في إغتياله وفقدان وضياع دولته».(٣٨٧)

لقد حاولت هذه الفئة الصغيرة –والتي كانت تتمتع بسلطة واسعة– دوماً تربية الشعب وتهيئته للإيمان بالخرافات، حيث كان الشيوخ وعلماء الدين يعدون الناس البسطاء لـ(القبر) ولـ(حياة الآخرة) وليس لحياة الدنيا اطلاقاً.

وهكذا كانت الحال في جميع ارجاء كردستان الى بداية القرن العشرين. لقد نادى الشاعر الكردي فائق بێکەس (١٩٠٥– ١٩٤٨م)، الذي عرف الداء الحقيقي لشعبه جيداً كما اعتقد، فدعا الى إجراء اصلاح جوهري في المجتمع الكردي، وقد سرد الوضع كما يلي في احدى قصائده:

« أُذناي محشوتان تماماً
بكلمات الموعظة والصدقة والسَرفترة(٣٨٨).
والعالم الديني يحدثني دوماً والى آخر لحظة من حياتي
عن الحياة الآخرة فقط.
كُفّ عن هذا البحث، أحلِّفك برب العزة!
فقد تعلم الخلق كلّهم الصلاة.
تعال علّمني شيئاً عن امور هذه الدنيا
لأتمكن من أن احرر نفسي.
احلِّفُك بربك، انت ايها الملا، أعرِضْ عن هذه الافكار
ارني الفنون الجديدة لكي اتطور واتحرر.(٣٨٩)
يا الهي ! إبعث للشعب الكردي الفقير بلوثر(٣٩٠).
ليستطيع انقاذه من رجال الدين والصوفية،
ومن الشيوخ والأولياء.»(٣٩١)

٣٨٧– المصدر العربي (٢٣): ص٥٢–٥٣.

٣٨٨– نوع من الزكاة (الصدقة، الحسنة) يدفع في كردستان بعد شهر رمضان. (هي صدقة الفطر–المصحح)

٣٨٩– المصدر الكردي (٥٩): ص٥٣٠.

٣٩٠– ان ذكر (لوثر) في هذه المناسبة جديرة بالأهتمام. كذلك اعتبر حزب (كاژيك) الكردي. لوثر زعيماً وطنياً جديراً بالاعتبار. ليس فقط بسبب خدماته في حقل ايجاد لغة الكتابة الالمانية الموحدة. سوف اعود الى ذكر دور لوثر والقياس الممكن اتخاذه في المقارنة بين ظروف الالمان والكُرد في فرصة اخرى.

٣٩١– المصدر الكردي (٥٣).

ويتجلى بعد هذا التوضيح السابق ان مثل هذا (التعلم) لايمكن ان يساهم في رفع المستوى الثقافي للكُرد. وعليه يمكن للمرء ان يؤيد الدكتور روس الذي أكد بان كُرد سوران كانوا في حينه أيضاً كبقية الكُرد جهلة تماماً. إلاّ أن ما يُلام عليه الدكتور روس، هو انه لم يبحث عن الاسباب وانما اعتبر الكُرد بكل بساطة (متوحشين وعابسين).

يروي ريچ Rich شيئاً مشابهاً لما ذكره روس، الذي قام في زمن ميري كوّره بزيارة إمارة بابان وقسم من إمارة سوران. ويقول ريچ بان الكُرد يعتقدون فقط بما قاله محمد(ص):

«ذات مرة ذكرت التاريخ الآري لأليكسندر، حيث كان عمر آغا من المتشوقين لمعرفة بعض المسائل التاريخية الغابرة ذات المصادر الموثوقة. وكان بعض الاحداث في القصة التي رويتها يتباين مع روايات المسلمين، فقال احد الحاضرين وهو من عشيرة شنكي، انه ربما تكون تلك القصة اقدم من زمن ألكسندر نفسه، إلاّ انها لايمكن ان تكون موثوقة لأن نبينا اوضح الامر كذا وكذا»[٣٩٢]...

وهذا مثال نموذجي لمدى تأثير اساليب التعليم في الدولة العثمانية كلها، ذلك النهج الذي استهدف المحاكاة والتقليد حيث وكما يقول بروكلمان (Brockelmann):

«مجمل الحياة العلمية للعثمانيين تقريباً كانت تفتقر للاصالة وتتحرك على قضبان ثابتة للتقاليد. فالعلم عند المسلم لايعني إكتساب معرفة جديدة، وإنما الإتقان الشامل للمادة المُنجزة من قبل الاجيال السابقة واجادتها حد الإمكان»[٣٩٣]...

ويروي ريچ أيضاً، بان الكُرد قد اهملوا ثقافتهم وتوجهوا الى ثقافة غريبة عنهم:

«لاحظت بوجه عام أن الكُرد متحمسون جداً للمعارف، لايثقون بأنفسهم كثيراً، واكثر قابلية للتعلم من الاتراك وحتى من الفرس أيضاً حسب إعتقادي»[٣٩٤]...

ويبحث ريچ في سبب الشر الاّ انه لايتحدث عن ثقافة غريبة او اجنبية فُرضت على الكُرد، ولا عن مناهج الدراسة ورؤية الإسلام للثقافة، بل يرى العيب في الإسلام نفسه كدين بالدرجة الأولى وفي نبيه محمد (ص) فيقول: «الدين المحمدي هو عائق أمام كل إصلاح، ولايمكن ان تصبح امة متمدنة ببقائها على دين محمد. فالإسلام وبدون استثناء هو الدين المساعد جداً على إستمرار النفاق والخطأ. إن محمداً تدخل في كل امر لايعنيه وسَمَّمَ كل شيء لمسه. لقد جعل من كل شيء (العلم ،الفن، التاريخ، الاخلاق) مواداً للدين، ووضع حاجزاً أمام كل تحسين، او افكار جديدة في كل واحدة منها»[٣٩٥]...

٣٩٢- المصدر الانكليزي (١١٩): ص٣١٠-٣١١.
٣٩٣- المصدر الألماني (٨٦): ص٢٨١.
٣٩٤- المصدر الانكليزي (١١٩): ص٣٠٨.
٣٩٥- نفس المصدر: ص٣١٠.

في الحقيقة يضيق نطاق هذا الكتاب عن التعرض لهذا الرأي المبسط جداً لريج. ولكن من المؤكد أن هذه الثقافة الغريبة ونهجها في التهذيب جلبت معها طرازاً من التعليم ساهم في الركود والجمود الثقافي للكُرد.

الملخص:

يمكن للمرء القول بأن المستوى الثقافي في إمارة ميري كوّره كان متدنياً جداً كسائر انحاء كردستان، وكان للكُرد علاقة متصدعة بنمطهم الخاص. وكانوا أميين جميعاً عدا رجال الدين والقليل من النبلاء. أما المثقفون منهم فكانوا مثقفين بثقافة اجنبية. لذا نرى أنّ إستخدام اللغة العربية لغة رسمية وحيدة للدولة (الى جانب قليل من الفارسية) (انظر مثلاً الكتابة المنقوشة على الأسلحة، وغيرها.... الخ). وكان السذج من الناس يثقون ثقة عمياء برجال الدين، الذين كانوا في الغالب على درجة متدنية من الثقافة. وعليه فقد لعبت هذه الحالة دوراً جوهرياً في زوال إمارة سوران.

رابعاً: الظروف السياسية:

١- الاوضاع الداخلية في إمارة سوران:

جاء ميري كوّره الى الحكم في وقت كانت إمارته تغوص في بحر من الفوضى والفتن، لأنها عاشت في عهد والده مصطفى بگ حالة من الاضطرابات والقلاقل السياسية.

ان حكم مصطفى بگ الحكيم[٣٩٦] وتأسيسه لعلاقة قرابة مع أمراء بابان عن طريق المصاهرة[٣٩٧] لم يُجدِهِ كثيراً، حيث تألب عليه اقرباؤه فيما كان أمراء بابان يطمعون في ولايته[٣٩٨]...

وعندما نصب محمد اميراً ورث من والده العداوات وظروف التنافس والالتزام بأخذ الثأر، واخيراً وكما هو مألوف في جميع المجتمعات العشائرية ورث الانتقام للدماء التي سفكت منذ قرون وذلك بمقتضى المثل الكردي القائل: «ان بقي من النسل نفر واحد، فإنه سينتقم للكل من الاعداء»[٣٩٩]...

إلاّ أن الأمير الماهر والطموح لم يواصل سياسة والده المعتدلة. وربما كان يعلم بأنه لايستطيع في مثل هذه الظروف ان يبقى في الحكم دون استعمال القوة. وعليه فقد خطط قبل كل شيء ليشل حركة اقربائه ومؤيديهم، فيما أجَّل محاربة منافسيه في الخارج (وبصورة خاصة أمراء بابان) الى الشوط او المرحلة الثانية. ويدل هذا على مدى بعد نظر ميري كوّره وحسن تدبيره. فالتقارير تخبرنا بأن ميري كوّره بذل جهداً كبيراً من اجل ازالة اقربائه والقضاء عليهم دون رحمة. ورغم ان هذه المعلومات

٣٩٦- انظر: المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥.
٣٩٧- المصدر العربي (٢٧): ص١٢٩.
٣٩٨- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٨.
٣٩٩- المصدر الكردي (٥٦): ص١٧.

أو التقارير تختلف في التفاصيل وفي بيان الاساليب المختلفة التي استخدمها الأمير، ولكنها تخرج بنتيجة واحدة وهي: أن ميري كوّره استطاع القضاء على منافسيه من اقربائه قضاء تاماً.

يعتبر تقرير موكرياني اكثر هذه التقارير تفصيلاً، حيث يستند على كرونولوجيا الإمارة الموسومة بـ(مليخا) وعلى مصادر اخرى ويروي لنا القصة التالية:

«في ٢٠ من شهر رجب سنة ١٢٢٩هـ (٥ تشرين الأول ١٨١٤م) أمر الأمير بإعتقال امين صندوقه عبدالله آغا واعدامه بعد بضعة ايام، وذلك لأنه كان قد زار- وعلى العكس من اوامر ميري كوّره الصريحة- عم الأمير ومنافسه تمرخان. وسقط عبدالله أول ضحية على يد الأمير»[٤٠٠]...

وحسب موكرياني كان القضاء على عبدالله اغا قد منح الأمير هيبةً كبيرة، إذ ادخل الرعب في قلوب أعمامه[٤٠١]... ويذكر موكرياني فيما يتعلق بالقضاء على منافسيه الآخرين قائلاً:

«في الأول من محرم ١٢٣٠هـ (١٤ كانون الأول ١٨١٤م) خرج الأمير محمد من رواندز الى هاوديان ومعه (٢٠٠٠) من المشاة وهو محتدم الغيظ[٤٠٢]... وبعد معركة ضارية تحصّن عمه تمرخان في قلعة شيتنه القريبة من هاوديان. وحاول الأمير الإستيلاء على القلعة ولكن دون جدوى، واخيراً اقتحم رجاله هذا الحصن المنيع عن طريق وضع لغم تحته وتفجيره»[٤٠٣]...

ان صح هذا التقرير، فبإمكان المرء القول بان استعمال مواد التفجير في القتال كان مثالاً على تطور اساليب الحرب التي ساعدت في توطيد حكم ميري كوّره. ويمضي موكرياني في سرده قائلاً:

«في ٢٨ محرم سنة ١٢٣٠هـ (١٠ كانون الثاني ١٨١٥م) وبعد ان اسقطت القلعة حدث اشتباك دموي وعلى مدى يوم كامل بالسلاح الابيض والقربينة[*٦٥] في القلعة المدمرة بعدها تم القاء القبض على تمرخان وولده محمد بگ[*٦٦]... ثم قام ميري كوّره بنصب محمد اغا شيتنه محافظاً لمدينة شيتنه»[٤٠٤]...

وهذا الإجراء كما أراه يمثل تطوراً في السياسة الى حدٍّ ما، حيث كان رجال الإقطاع في الماضي يقومون غالباً بقتل الحاكم بعد هجوم ينتهي بالإنتصار والسيطرة على منطقة ما، كما كانوا يحولون بعدئذ دون تعيين حاكم او تعيين حكومة.

٤٠٠- المصدر الكردي (١٠): ص٢٩-٣٠.

٤٠١- نفس المصدر: ص٣٠.

٤٠٢- هاوديان هي (خفتيان) في ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الثاني، ص٣٧٩-٣٨٠. انظر: المصدر العربي (٤٣).

٤٠٣- راجع: المصدر العربي (١٠): ص٣١.

(*٦٥) القربينة (Karabiner) هي بندقية قصيرة.

(*٦٦) محمود بگ وليس محمد بگ، انظر: المصدر الكردي (٥١)، ص٣٥.

٤٠٤- نفس المصدر: ص٣٢.

«في ١٠ رجب الأول سنة ١٢٣٠هـ (٢٠ شباط ١٨١٥م) أُعدم تمرخان عم الأمير وابنه محمد بگ وذلك بناءاً على أمر من ميري كوّره»[٤٠٥]...

وبناءً على ما يذكره موكرياني يتضح للمرء، ان يحيى بگ أمير روست[٤٠٦]؛ كان من اقرباء عم ميري كوّره ومنافسه. وكان ميري كوّره قد كتب الى الاثنين رسائل وطلب منهما اعلان الولاء له. فلما ردّ أمير روست على طلب ميري كوّره بالتهديد والوعيد، حاول جيش ميري كوّره ولثلاث مرات الإستيلاء على منطقة روست ولكن دون جدوى. ثم ارسل ميري كوّره بعد ذلك (١٠٠٠ جندي) من المشاة بإمرة احمد چاويش رئيس احدى العشائر الكردية حيث تحايل على أمير روست وجلبه الى ميري كوّره. وفي الثاني من ربيع الأول سنة ١٢٣٠هـ (١٢شباط ١٨١٥م) امر الأمير بشنقه[٤٠٧]...

كان تصرف ميري كوّره حسب مفاهيم الكرد وتقاليدهم عملاً شائناً[٤٠٨] ومناقضاً من حيث المبدأ لإعتقاده الإسلامي[٤٠٩]... ولكنه كان بالتأكيد نصراً كبيراً له من الناحية السياسية. وبالمناسبة فقد خالف النبي محمد (ص) ذات مرة تعاليم الإسلام عندما قتل عدداً من اسرى الحرب[٤١٠]...

يروي موكرياني أنه سمع من اهالي (شيتنه)، ان ميري كوّره وبعد ان قضى على أمير (روست)، أغار على المنطقة الواقعة تحت سيطرة عمه يحيى بگ. فاضطر الاخير الى الاحتماء بقلعة (سيدَكان) المجاورة، واخيراً استسلم يحيى بگ وابنه عثمان بگ وأُخذا أسيري حرب الى رواندز واودعا السجن. ثم مالبثا ان تمكنا من الهرب، إلاّ انه سرعان ما أُلقي القبض عليهما مرة اخرى وقُتلا في رواندز[٤١١]...

وتسفر المقارنة التالية عن مدى تطابق هذه الرواية مع الروايات الأخرى:

بغض النظر عن معلومات موكرياني تعتبر تقارير گوراني وخيلاني الوحيدة حول مقتل عبدالله آغا. ويكتب گوراني:

«كان عبدالله آغا خزنه داراً في عهد مصطفى بگ، فلما اعتزل الحكم إشترط على ابنه المير محمد ابقاءه في منصبه. فقام بعهده غير ان كثرة تردد عبدالله آغا على عميه تمرخان بگ ويحيى بگ أدخلت الريبة الى نفسه ولاسيما بعد ان نصحه مراراً بعدم العودة الى زيارتهما.

٤٠٥– نفس المصدر: ص٣١–٣٢.

٤٠٦– ريف في منطقة رواندز.

٤٠٧– المصدر العربي (١٠): ص٣١–٣٢.

٤٠٨– انظر المثل الكردي: (زەبوون ئازاردان شێوەیٚ نامەردییە) ايذاء البائس، عمل غير رجولي. انظر: المصدر الكردي (٥٦): ص٨٨.

٤٠٩– انظر: هامش المؤلف رقم (٣٠٠).

٤١٠– المصدر العربي (٢١): ص٦٧. وكذلك: المصدر الألماني (٨٦): ص٢٨.

٤١١– المصدر العربي (١٠): ص٣٣.

ولما لم ينتصح امر بقتله فصلُب»[٤١٢]...

ويسرد خيلاني نفس الوقائع[٤١٣]؛ كما سمعت من اهالي رواندز حديثاً مشابهاً لذلك. وفيما يخص القضاء على اقرباء ميري كۆره، يتحدث گوراني بشكل مشابه لموكرياني إذ يقول:

«ساق الأمير جيشاً من المشاة الى هاوديان في اليوم الأول من محرم لمحاربة عمه تمرخان بگ الذي تراجع الى قلعته –شيتنه Shaiteney– واعلن الحصار. وفي الثامن والعشرين منه فتح القلعة بعد مذبحة كبيرة وأسر عمه وابنه محمود بگ وقتلهما. وبعد ذلك استولى على (روست) وقتل أميرها ثم هاجم عمه يحيى بگ واستولى على قلعته (سيدكان) وقتله هو وابنه عثمان بگ. وبعد قتل عميه لم يبق من يقضّ عليه مضجعه فإنصرف الى توسيع إمارته»[٤١٤]...

يؤيد هذا التقرير ما نقله موكرياني. وبالاضافة الى ذلك فأني اجد ان گوراني على صواب عندما اعتبر القضاء على عميه نقطة انطلاق للامير لتوسيع إمارته، إذ لم يبق أمام ميري كۆره بعد ذلك أي منافس آخر. ولم يعتبر گوراني القضاء على العمين الاثنين شرطاً للتوسع فحسب، بل أكّد ذلك المؤرخ قفطان أيضاً عندما قال:

«بعدما اصبح هذا الرجل بعيد النظر اميراً، القى القبض على اثنين من اعمامه واعدمهما لأنهما تمردا عليه، ثم بدأ بتوسيع إمارته»[٤١٥]...

أما زكي فلايتحدث عن هذه المعارك ولكنه يؤيد بأن ميري كۆره قد قضى على أعمامه:

«القى (محمد بگ) القبض على كل من عميه بعد وفاة ابيه مباشرة»[٤١٦]...

وكما نرى فإن زكي لايتحدث عن أية إعدامات، ولايذكر اسماء الاعمام ولا أسباب ودواعي هذه الوقائع، غير انه يؤيد العداء المتبادل بين ميري كۆره واعمامه.

يؤيد رۆژبەیانی تقرير زكي ويشير الى مصير الأعمام بقوله:

«قبض الأمير على اثنين من اعمامه، يحي بگ وتمرخان وشنقهما»[٤١٧]...

ويتحدث عوني عن نفس الموضوع فيقول:

"قبض (اي الأمير) على عميه تيمور خان ويحيى بگ واعدمهما عِبرةً لغيرهما»[٤١٨]...

ورغم ان عوني لا يذكر شيئاً عن القتال، لكنه يؤيد بان العمين كانا منافسين لميري كۆره الذي

٤١٢– المصدر العربي (٢٧): ص١٣٠.
٤١٣– المصدر الكردي (٦٣): ص٣٠–٣٢.
٤١٤– المصدر العربي (٢٧): ص١٣٠.
٤١٥– المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٨.
٤١٦– المصدر العربي (٣٨): ص٤٠٦.
٤١٧– المصدر العربي (٥): ص٢٨٧)(الترجمة العربية لرۆژبیاني).
٤١٨– المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧ (تعليق عوني).

قضى عليهما.

ويروي لونگريك (Longrigg) أن الأمير «قتل اثنين من اعمامه حالما تولّى الحكم»[٤١٩]...

بالإمكان إذن أن نستخلص من هذا العرض (كما هو الحال عند زكي أيضاً)، بأن ميري كوّره كان يخشى من منافسة اعمامه وانه كان قد خطط مسبقاً لإزالتهم. وعندما يضع المرء الآن جميع التقارير السابقة في الحسبان، سيتأكد من ان درّة قد اصاب كبد الحقيقة حينما قال:

«لقد قام (اي ميري كوّره) بقتل عميه الإثنين ليتخلص من منافستهما ولكي يحافظ على الإمارة وينقذها»[٤٢٠]...

يبدو ان الاعمام لم يكونوا المنافسين الوحيدين لميري كوّره، بل كذلك اخوانه كذلك، لأن الدكتور روس (Roos) يروي لنا أن:

«للأمير او بالاحرى للپاشا محمد اربعة إخوان على قيد الحياة، اثنان منهما (تيمور خان وسليمان بگ) مكبلان بالحديد في حصن يبعد عن رواندز بخمس ساعات»[٤٢١]...

الملخص:

يمكن للمرء ان يستنتج من التقارير المذكورة بان ميري كوّره تمكن وبفضل استعمال العنف والدهاء أو كما يقول چاوشلي[٤٢٢] «بشتى الطرق والاساليب» من التخلص من ألدِّ اعدائه في الداخل ولم يبق له أي منافس ضمن العائلة.

كان هذا يعني بالطبع نصراً كبيراً للأمير الكُردي، لأن الخلافات العائلية بين أمراء الكرد، كانت على الدوام نقطة انطلاق ملائمة جداً لتوطيد السلطة والسيادة العثمانية – الإيرانية[٤٢٣]. وكان هذا الحقد المتبادل والموجود الى يومنا هذا، في حينه كبيراً لدرجة انه يجب على المرء ان يعترف ويقرّ بصحة وسدادة وصف كنين (Kinnane) له حينما قال:

«كان أسهل على الأمير كردي ان يصبح إقطاعاً تابعاً[*٦٧] لسيد اجنبي من ان يكف عن نزاعه وصراعه مع منافس كردي»[٤٢٤]...

٤١٩– المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥.

٤٢٠– المصدر العربي (٤٠): ص٨٥.

٤٢١– المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٢.

٤٢٢– المصدر العربي (٤٢): ص١٠٠: (بشتى الطرق والأساليب).

٤٢٣– المصدر الانكليزي (١٢٣): ص٥٥.

(*٦٧) المقطع: شخص يقطعه السيد الإقطاعي ارضا لقاء عهده بتقديم المساعدة العسكرية اليه.

٤٢٤– المصدر الانكليزي (١١٥): ص٢٢.

٢- موقف الأمير من الاجانب:

يوجد بين التقارير الكردية وغير الكردية حول ميري كۆره، ما يؤيد سوء ظن الأمير إزاء الاجانب. إذ يقول موكرياني:

«اختار الأمير من بين طلاب العلوم الدينية وصغار التجار والدوم[٤٢٥] -أي من بين الذين كانت اعمالهم تتطلب منهم غالباً الذهاب الى خارج المدينة- بعضاً منهم لنقل المعلومات اليه حول كل ما كان يحدث في القرى والارياف. وكان من بين مهام هؤلاء المكلّفين إخبار الأمير بوصول وتحركات كل الاجانب أيضاً. كان الأمير يدفع اجوراً عالية مقابل هذه المعلومات. وكانت تصل اليه مثل هذه المعلومات من العلماء والتجار أيضاً، ولهذا لم يكن باستطاعة أي اجنبي دخول او مغادرة المدينة في النهار او الليل دون ان يعلم الأمير به»[٤٢٦]...

اذن تبعاً لذلك كان هنالك تنظيم سري أي (جهاز مخابرات) خاضع للامير لم يكن يراقب الاهالي فحسب، بل كل اجنبي يأتي الى رواندز أيضاً. ان هذا النوع من المخابرات العامة التي كانت تحت تصرف ميري كۆره آنذاك، تعدُ نموذجاً مثالياً للمخابرات العامة التي تملكها دولة حديثة في عصرنا، ونحن نتحدث هنا عن جهاز حكومي قائم لدى الأمير قلما كان معروفاً في الدول الإسلامية. إذ وعلى العكس من الأوروپيين، كان يقف في وجه المسلم القليل من العوائق لإجتياز حدود الدول والبلدان الإسلامية. والسائحان المعروفان ابن بطوطة واوليا چلبي ليسا سوى مثالين على ذلك.

وهناك تقرير لفريزر Fraser مشابه لما ذكره موكرياني، يذكر فيه بان الأمير كان يراقب الاجانب مراقبةً صارمة:

«إن اليقظة الشديدة للأمير كانت تلاحق الغرباء فقط من المسافرين في البلاد من الذين ليست لهم مهمة معينة. أما التجار والبغّالون او القاطنون في البلدان المجاورة، فلا يحتاجون الى جواز سفر. فهم احرار جيئةً وذهاباً. إلاّ أن الاشخاص الذين يأتون من ولايات كانت لها مواقف عدائية في وقت ما قد يعرضون انفسهم لخطر التوقيف والحبس كجواسيس»[٤٢٧]...

يتضح من هذا، أن الأمير وضع على الاجانب رقابةً شديدة، غير انه بإمكان المرء القول بان ممارساته تلك لم يكن مَردّها التفرقة او التمييز، وانما نتيجة لعدم الثقة والحذر. اذ ان اكبر الظن بانه قد ادرك طبيعةً بان له اعداء كثيرين.

لقد اضطر فريزر Fraser نفسه ان يعاني من سياسة الأمير هذه عندما اقدم على جولته الدبلوماسية الى طهران في خريف ١٨٣٤، حيث زار لدى عودته بعض المدن الكردية مثل سلماس، اشنويه

٤٢٥- هم الذين يتاجرون بالبضائع المستعملة.
٤٢٦- المصدر العربي (١٠): ص٢٨-٢٩.
٤٢٧- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨٠.

(بالكردية شنۆ)... الخ. وقد اراد زيارة إمارة سوران أيضاً، لكنه تأكد من انه لايستطيع الوصول الى هنالك دون رخصة من الأمير. وكتب يقول:

«سألت عمّا قد ألاقيه اذا دخلت دولته دون الحصول على رخصة مسبقة. فكان رد الجميع على نحو مريب، وهو ان الشروع في تلك الخطوة سيكون بمنتهى الغباء لأنه رجل ذو افكار شريرة فلربما سيظن انني جاسوس ويسيء معاملتي خصوصاً وانا قادم من تبريز»[٤٢٨]...

ومن هذا يتضح بان ميري كۆره كان يخشى من التجسس عليه، اذ من الجلي انه كان منافساً للدولة القاجارية. وفي الوقت ذاته كان هناك بعض الضباط الانكليز يتولون مراكز عليا في الجيش القاجاري[*٦٨] حتى ان ج. راولنسون J.Rawlinson قاد سنة ١٨٣٤-١٨٣٦ أي في الوقت الذي كان فيه ميري كۆره في أوج قوته - فرقة كردية تابعة للجيش الامبراطوري للدولة القاجارية[٤٢٩]... واغلب الظن أن فريزر Fraser شاهد بأم عينيه هذه الحقيقة فأراد ان لايغامر بمواصلة جولته من تبريز عاصمة عباس ميرزا الى إمارة سوران.

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور روس الذي إستدعاه الأمير لمعالجة والده مصطفى بگ لم يُستثن من أوامر وتعليمات الأمير هذه:

«لم يسمح للدكتور بزيارة رواندز، ولا ان يتجول كثيراً في ارجاء البلد»[٤٣٠]...

وأياً كانت البواعث التي حدت بالأمير لإتخاذ هذا الموقف، فقد كان له بأية حال جوانب ايجابية وأخرى سلبية:

فالايجابي منها يشير الى شدة حذر الأمير رغم انتصاراته العسكرية التي لم تجعله يستهين باعدائه. وعليه فقد استطاع أن يميط اللثام عن مؤامرات اعدائه ويقضي عليها وهي في مهدها.

أما الجوانب السلبية التي أراها فتتمثل في عدم ثقة الأمير بالإنكليزيَيْن (فريزر والدكتور روس Fraser- Dr. Roos) وغلق باب إمارته أمام تقديم التقارير او إقامة الاتصالات مع الخارج[*٦٩]... اذ انني لا أعتقد بأن التعصب الإسلامي كان دافع الأمير وراء منع الدكتور روس المسيحي من زيارة رواندز،

٤٢٨- نفس المصدر: ص٨٠-٨١.

(*٦٨) يذكر عبدالرزاق اصفهاني في مخطوطته (احوال اشنوية) بأنه التقى مع اثنين من الانكليز، احدهما يدعى (داكتر جان مك ميل) وذلك في المراحل الأولى من جولته الى إمارة سوران والتي يعتقد بأنها كانت في حدود عام (١٨٢٠م)، سبق ذكر المصدر.

٤٢٩- المصدر الانكليزي (١٠٥): ص٥٥٢.

٤٣٠- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٠.

(*٦٩) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ظهرت بين الكرد فكرة مفادها انه من الصعب انشاء كيان كردي مستقل دون دعم من الدول الاوربية (العظمى)، واول من سار على هذا النهج كان (يزدانشير - من أمراء بوتان)، ولكن خابت أماله عندما سلم نفسه الى العثمانيين (عام ١٨٥٥) عن طريق الوسيط الانكليزي (نمرود رسام)، ومنذ ذلك الحين اخذت معظم قادة الحركات والاحزاب الوطنية الكردية بهذه النظرية، وحاولت ايجاد علاقات وبناء صداقات مع =

اذ انه اجرى معه محادثة ودية كما يروي لنا الدكتور روس نفسه[٤٣١]... ولكن للأسف ليس بحوزتي أي تقرير حول تجارب الأمير مع الاوروپيين، لذا فإنّني لاأعلم بالضبط لماذا كان ينفر منهم، يقول فريزر:

«لقد عَبَّر العديد من الأوروپيين وفي اوقات مختلفة عن رغبتهم في زيارة الإمارة، إلاّ أن الرخصة كانت ترفض دائماً»[٤٣٢]...

ولكن فريزر لايعطي أي سبب لذلك.

وحسب إعتقادي، فإن عدم ثقة الأمير بالأوروپيين يرجع الى علمه بان الدول الاوروپية العظمى، ونعني بها انگلترا وروسيا وفرنسا[*٧٠][*٧١] كانت لها مصالح مع منافسَيْه الامبراطوريتين العثمانية والقاجارية. حيث سأل الأمير على الاقل الدكتور روس عن العلاقات بين إيران وانگلترا، إذ يقول الأخير بهذا الصدد:

«لقد اراد (ميري كوّره) ان يعلم أيضاً نوع التفاهم الموجود بيننا وبين إيران وروسيا»[٤٣٣]...

أما السبب الآخر وراء سوء ظن الأمير تجاه الأوروپيين، فيحتمل ان يرجع الى أن الكثير من الأوروپيين كانوا يخدمون في الجيش العثماني. فعلى سبيل المثال: ميلنگن Millingen، مولتكه Moltke، جوانا ....Jouannin الخ. حتى ان احد الفرنسيين واسمه احمد پاشا بونيڤال (Bonneval) لم يخدم في الجيش العثماني فحسب، وانما اصبح مسلماً وقدم للعثمانيين خدمات عظيمة. كما كان للإنگليز في

= تلك الدول املا في الحصول على الدعم الخارجي والتضامن الدولي. إلاّ أن اثار هذه السياسة كانت سلبية اكثر مما هي ايجابية، لان هؤلاء القادة لم يتمكنوا من استيعاب مفهوم الاستراتيجية الاستعمارية للدول العظمى، واهملوا في اتخاذ مجموعة من الإجراءات الداخلية الضرورية لديمومة كل ثورة، ربما لأنهم افرطوا احيانا في عقد الأمال على الخارج.

٤٣١– نفس المصدر: ص٧٧.

٤٣٢– نفس المصدر: ص٧٧: ٧٠.

(*٧٠) ساعدت روسيا القيصرية، حكومة ايران عندما طلبت مساعدتها في مقاومة قوات الأمير محمد التي حررت قسما كبيرا من كردستان ايران ووصلت الى القرب من مراغة وتبريز في خريف عام ١٨٣٥، راجع: سعيد بدل: سبق ذكره، ص١٤.

(*٧١) حاولت امريكا منذ عام (١٨٢٠) عقد علاقات متينة مع الباب العالي، وقام بهذه المهمة العميل الامريكي (انغليش) الذي كان قد خدم كضابط في عمارة البحر الابيض المتوسط الامريكية ثم احيل الى التقاعد، واعتنق الإسلام وتسمى (محمد افندي)، وفي سنتي ١٨٢٠ - ١٨٢١، خدم في جيش إسماعيل پاشا ابن حاكم مصر. فبعد ان اكتملت ديبلوماسية (انغليش) السرية ورشوات الوزراء بالقوة البحرية الحربية، ثم عقد اول اتفاقية بين الامريكيين والعثمانيين سنة (١٨٣٠) تمنح الراسمال الامريكي امتيازات لاسابق لها في الامبراطورية العثمانية وتؤمن الشروط للباب العالي لاجل بعث اسطوله البحري الحربي في الترسانات الامريكية، فأتاحت المعاهدة هذه للامريكيين التغلغل لا في اقتصاد الامبراطورية العثمانية وحسب، بل أيضاً في قواتها المسلحة. وفي اوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر حمل المرسلون الامريكيون الشاه القاجاري محمد علي اصدار فرمان بفتح مدرسة امريكية في مدينة (ارومية) الواقعة في كردستان ايران، راجع: بونداريفسكي الغرب ضد العالم الإسلامي، دار التقدم موسكو - ١٩٨٥.

٤٣٣– نفس المصدر: ص٧٧.

ذلك الوقت اهتمام خاص بالإمبراطورية العثمانية[٤٣٤]...

٣- الاوضاع العامة في كردستان إبان حكم ميري كۆره:

عند البحث عن تاريخ كردستان في النصف الثاني للقرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر، يجد المرء فيه سمتين مميزتين:

أ- سلسلة من الانتفاضات الكردية ضد الامبراطورية العثمانية والدول القاجارية في مختلف الإمارات الكردية.

ب- عداوة مريرة ومصادمات بين القاجاريين والعثمانيين نتيجة التنافس على كردستان.

ويمكن للمرء ان يذكر من بين الثورات الكردية ضد القاجاريين، معركة المنافسة لصادق خان زعيم قبيلة شكاك الكردية التي باءت بالفشل. فقد إستغل صادق خان النزاع العائلي العنيف داخل العائلة القاجارية حول وراثة العرش طامحاً بولاية العهد لنفسه (سنة ١٢١١هـ، ٧-١٧٩٦م)، أي بعد وفاة آغا محمد شاه قاجاري (١٧٧٩- ١٧٩٦/٧). إلاّ أن مساعيه أُحبطت من قبل فتح علي شاه قاجاري (١٧٩٧- ١٨٣٤)[٤٣٥]...

وكانت هنالك في الفترة المذكورة أيضاً إنتفاضات كردية عديدة ضد امبراطورية الترك. فعلى سبيل المثال ألحق العثمانيون لواء ماردين الذي تسكنه اغلبية كردية بلواء بغداد، فأدى ذلك الى انتفاضة عشيرة (ملّي) الكردية سنة ١٢٠٤هـ، ١-١٧٩٠م[٤٣٦]...

كما يمكن للمرء أيضاً الإشارة الى انتفاضة عبدالرحمن پاشا البابانى (في سنة ١٢٢٣هـ/ ٩-١٨٠٨م) ومعاركه العسكرية ضد والي بغداد سليمان پاشا في كفري[٤٣٧] بإعتبارها احدى اهم هذه الثورات، وذلك لأن البابانى إلتجأ الى القاجاريين بعد هزيمته. وقد هيأ ذلك للقاجاريين فرصة مناسبة لإجتياز الحدود العثمانية بغية الدخول مع أمراء الكُرد ميدان القتال ضد الجيش العثماني[٤٣٨]...

ان ضراوة هذه الحرب وقسوتها والمنافسة بين العثمانيين وأمراء الكرد البابانيين قد سُجِّلت في الملحمة المعروفة بـ(بەیتی عبدالرحمن پاشای بەبە) أي ملحمة عبدالرحمن پاشا البابانى[٤٣٩]...

هذا وقد واصل تيماوي بگ حفيد الأمير الكردي تيمور پاشا انتفاضة جده. ودامت هذه السلسلة من الانتفاضات التيمورية ضد الامبراطورية حتى سنة ١٨١٩[٤٤٠]...

٤٣٤- انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث في هذه الدراسة تحت عنوان: (موقف الانكليز من العثمانيين).

٤٣٥- المصدر الانكليزي (١٢٧): ص١٠٧: ١١٥: ١٢٥.

٤٣٦- المصدر الانكليزي (١٠٤): ص٢٩٣؛ وكذلك: المصدر العربي (٢٠): الجزء الرابع: ص٢١: (اخبار سنة ١٢٠٥هـ) وأيضاً: المصدر التركي(٨١): الجزء الرابع: ص٣٧٧.

٤٣٧- المصدر التركي (٧٨): الجزء التاسع: ص٢٢٦.

٤٣٨- المصدر الانكليزي (١١٩): ص٣٨٤.

٤٣٩- المصدر الألماني (٩١): الجزء الثاني: ص٤٥٤-٤٦٠؛ وكذلك: المصادر الكردي (٦٦).

٤٤٠- المصدر التركي (٧٨): المجلد الثاني: ص٦٤: (حوادث سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨/ ١٩).

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر اعد الأمير بدرخان (المتوفى سنة ١٨٦٨) أمير بوتان نفسه لبناء دولة كردستانية مستقلة تمام الإستقلال عن العثمانيين. وبنى في سبيل ذلك مصنعاً للاسلحة في الجزيرة[٤٤١] واقام إتصالات مع رؤساء العشائر الكردية. وهكذا اصبح بدرخان منافساً كبيراً للامبراطورية.

ولدى مراجعة ودراسة اسباب وعوامل هذه الانتفاضات المتواصلة، يمكن للمرء ان يكشف عن العاملين التاليين:

أ- ضعف الامبراطورية العثمانية وسوء نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ب- إنتشار الشعور الوطني الكردي ومحاولة الكُرد تحرير انفسهم من السيادة العثمانية. وكان ذلك رد فعل على السياسية المركزية للعثمانيين في المجالات الكردية.

وعند التعليل يمكننا القول بأن سبب بروز العامل الأول هو ان السلوك السيء للدولة كان قد وصل الى ذروته، فقد تكاثرت الرشوات:

«ولم يكن في الامكان إنجاز أي عمل ولا حل أية مسألة دون دفع الرشوة»[٤٤٢]...

كما لم يكن بالإمكان تعيين أي والٍ دون تفاوض مسبق مع السلطان حول مقدار الإتاوات أو المدفوعات التي ينبغي عليه إرسالها سنوياً إليه. يقول العالم الديني المسيحي العراقي المعروف أنستاس الكرملي:

«كان الولاة يشترون مناصبهم بالمال من السلاطنة. وكانوا يتعهدون بدفع هذه الأثمان قبل ان يقصدوا الولاية التي نُصِّبوا عليها. لذلك كان همهم الأول جمع المال بسرعة قبل ان يتم عزلهم»[٤٤٣][*٧٢]...

كان الحكم ظالماً للشعب بأسره أما التحريض ضد غير المسلمين فقد كان يتصف بصرامة ووحشية

٤٤١- المصدر العربي (٧): ص٤٢-٤٣.

٤٤٢- المصدر العربي (١٧).

٤٤٣- المصدر العربي (٤)؛ وكذلك: المصدر العربي (٢٥): ص٢٥.

(*٧٢) من الفكاهات التاريخية يروى بأن الوالي العثماني في العراق فكر في ايجاد ذريعة لجمع المال، فأمر بإحضار ماعز وشد سرج حصان عليه، ثم استدعى اليه رؤساء الطوائف الدينية الثلاث، وامر بأدخال كل واحد منهم على حدة. فدخل الملا او مفتي الإســلام. سأله الوالي مشـيرا الى الماعز: ما هذا الذي تراه؟ بعد التمحيص اجابه الملا: ماعز وعليه سرج...! الوالي: كيف يمكن شد السرج على الماعز! جزاؤك (١٠٠٠) ليرة فاذهب. كان كل من المطران المسيحي والحاخام اليهودي ينتظران دورهما في الدخول ويستمعان ما يدور في ديوان الوالي متلهفين لمعرفة الجواب وعدم نيل الجزاء. فدخل المطران وواجهه نفس السؤال: فخوفا من قول الحقيقة والغرامة رأى من المستحسن القول: هذا حصان وعليه سرج!! الوالي: جزاؤك (٢٠٠٠) ليرة فاذهب!. واخيرا دخل الحاخام بعد كل ما سمع فرأى ما رأى، سأله الوالي نفس السؤال، فرد الحاخام قائلا: مولانا ليس هذا الا غضبا من الله وقد انزل علينا من السماء!! فأمره الوالي بدفع (٣٠٠٠) ليرة ثم الانصراف.

خاصة. ويقول الدملوجي بهذا الصدد:

«أمر محمد پاشا إنجه بيرقدار والي الموصل بقطع رقاب الإيزيديين في سنجار ووضع الرؤوس في اكياس ثم ارسالها اليه. كما كان يخوزق ويقتل كل مَن كان يثير سخطه من سكان الموصل. وكان جوم الماز احد قواده، يقبض على الشباب في تلعفر ويدفنهم احياء في جدار السور الذي شيده لتلك القلعة»[٤٤٤]...

ومن الناحية السياسية تصرفت الحكومة العثمانية بوقاحة تجاه الإمارات الكردية، وقد نتج عن ذلك وقوع الإصطدامات. وهو ما ينطبق بصورة خاصة على تعيين وعزل الأمراء. فكان يحدث وان ينصب أمير ما، ثم يُعزل بعد ذلك مباشرةً ليخلفه احد اعدائه. فساد جو من الإرتباك وعدم الاستقرار، وكانت تلك السياسة المتأرجحة جلية فيما يتعلق بأمراء بابان. وهكذا فلزكي الحق إذ يتساءل:

«اذا لم تقصد (الحكومة العثمانية– المترجم) به اثارة الفتن والحروب وتحطيم البلاد، فأي شيء تقصده؟ وهل يُفسر ذلك بغير هذا التفسير؟»[٤٤٥]...

لذا فمن الطبيعي ان لاتشجع هذه السياسة الكُرد على الاعتناء ببلدهم وتطويره اقتصادياً. وقد رد احد الكُرد على سؤال ريچ Rich سنة ١٨٢٠، عندما سأله لماذا تبدو السليمانية عاصمة بابان كخرائب وانقاض، قائلاً:

«...... تلك مطلوب ترميمها– ولكنه اضاف قائلاً– مَن الذي يود ان يرمم شيئاً، ان لم يتأكد من انه سيتمتع به، فلربما دمره الاتراك او الفرس بعد ذلك بايام قلائل»[٤٤٦]...

وعدا ذلك إنتهجت الدولة العثمانية سياسة مركزية ازاء الإمارات الكردية. وكانت هذه السياسة على اشدها في زمن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨– ١٨٣٩م)، الذي حاول تقليص سلطة زعماء القبائل مما ادى الى استياء وتذمر العشائر الكردية[٤٤٧]... ويقيناً اسفرت هذه السياسة عن استفزاز الكُرد الذين حاولوا من جانبهم التهرب والتنصُّل من الحكم العثماني كما عملت في الوقت نفسه على تقوية الشعور القومي لدى الكُرد.

أما الكُرد الذين كانوا يعيشون تحت السلطة القاجارية فلم يكن وضعهم باحسن او افضل من الذين كانوا تحت السيطرة العثمانية. فلقد حكم القاجاريون كردستان بمنتهى الوحشية والقسوة. ويروي ريچ بأنه وجد الناس جميعاً في حزن وعزاء عندما زار مدينة سنندج سنة ١٨٢٠، وذلك لأن واليها القاجاري كان قد إعتقل في يوم واحد (١٠٠ شخص) من الوجهاء واعدمهم جميعاً[٤٤٨]... كما

٤٤٤– المصدر العربي (٢٣): ص٥٢.

٤٤٥– المصدر العربي (٣٧): ص٤٩؛ وكذلك: المصدر العربي (٤٠): ص٦٤.

٤٤٦– المصدر الانگليزي (١١٩): ص٨٠.

٤٤٧– المصدر الانگليزي (١٠٢): ص٢٢.

٤٤٨– المصدر الانگليزي (١١٩): ص٢١٠.

اجبرت الحكومة القاجارية الكُرد على دفع ضرائب عالية. وعليه فقد ناصر هؤلاء الكرد ميري كۆره وساندوه عندما دخل بلادهم نتيجة كرههم لحكم القاجار.[٤٤٩]

ومن هذا الوصف الموجز للوضع العام تبرز لنا حقيقتان تتعلّقان بما سبقت الإشارة اليه:

أ- إن الوضع العام للكُرد في الامبراطوريتين وبصورة خاصة العثمانية، كان مدعاة لثورات وانتفاضات كان نجاحها مأمولاً. وهو ما ساعد ميري كۆره على مواصلة توسعاته.

ب- إستغلت الدولة القاجارية تذمر وضجر الكُرد داخل الامبراطورية العثمانية مراراً. فعلى سبيل المثال احدث نزوح وهجرة العشيرة الكردية الرحّالة (حيدر آنلو) من إيران الى موش (في الامبراطورية العثمانية) جدلاً سياسياً ومشكلة عويصة بين الامبراطوريتين، عندما طالبت إيران بعودة هذه العشيرة[٤٥٠]... كما ولم تكن هنالك اطلاقاً اية مراعاة للحدود العثمانية من جانب إيران «فقد كانت الحدود العثمانية الشرقية في اضطراب وقلق من جراء غارات العشائر والاشقياء الإيرانيين»[٤٥١]...

وقد حاول عباس ميرزا ومحمد علي ميرزا، حاكما كرمانشاه اللذان لم يعترفا بالسلطة المركزية للدولة القاجارية، اجتياز الحدود العثمانية دوماً. واستفاد محمد علي ميرزا من انتفاضات أمراء بابان لمهاجمة الامبراطورية العثمانية. ولم يكن عباس ميرزا هذا رجلاً محبوباً. فحسبما يذكر المؤرخ الكردي زكي، فقد كان «يسير على سياسة سيئة جداً ضد الترك، فلم يكن يبالي قط بالمعاهدات ولا يراعي حقوق الجوار»[٤٥٢]... وترك قواته تقتحم الدولة العثمانية دون سابق انذار، حيث حاصر قلعة گارى (جنوب وان) وتسبب بذلك في سفك دماء كثيرة[٤٥٣]... وذات مرة، عندما كان الترك منشغلين مع المشكلة اليونانية، اقتحم عباس ميرزا في ١٢ ذي الحجة ١٢٣٦هـ (١١ ايلول ١٨٢١م) الامبراطورية واستولى على بايزيد وتُپرق قلعة (قلعة توپرق). فيما احتلت قوات إيرانية اخرى بدليس وجعلت البلد خراباً يباباً[٤٥٤]... ورغم ان معاهدة ارضروم لسنة ١٢٣٨هـ، ١٨٢٢-١٨٢٣م[٤٥٥] كانت قد حددت الحدود بين الدولتين على اساس حدود زمن السلطان مراد الرابع، إلاّ أنه كانت توجد دائماً بواعث خصومات بين الامبراطوريتين، لأن الإيرانيين رفضوا اخلاء (زهاو) والجلاء عنها وطالبوا بإقليم السليمانية لهم. ان مثل هذه العلاقة بين الامبراطوريتين، والتي ادت الى ضعف الطرفين، منحت ميري كۆره فرصة طيبة لكي يواصل توسعاته.

٤٤٩- المصدر الروسي (٨٢): ص٤٧.
٤٥٠- المصدر التركي (٧٨): المجلد ١٢: ص٤.
٤٥١- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٤.
٤٥٢- نفس المصدر: ص٢٢٥.
٤٥٣- المصدر التركي (٧٨): المجلد ١١ (مطبعة استانبول ١٣٠١)؛ المجلد: ١٢: ص١-١٢.
٤٥٤- المصدر الألماني (٩٢): ص١٢٢٨.
٤٥٥- المصدر التركي (٧٨): الجزء ١٢: ص٨٨.

٤- الأوضاع العامة في الإمبراطورية العثمانية وأثرها في ميري كۆره:

أ- الوضع السياسي الداخلي:

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، تزعزعت الإمبراطورية العثمانية وتزلزلت نتيجة العديد من الانتفاضات والثورات الداخلية وتورطت في نزاع خارجي مع روسيا، فجلبت تلك الاوضاع الكثير من المصائب على الامبراطورية وادت الى تقوية اعداء السلطة المركزية. كما نتج عن ثورات الشعوب غير المسلمة أو بالاحرى المسيحية وخاصة اليونانيين والصرب، سَلْخُ بعض الاجزاء عن الامبراطورية. فقد اعلن اليونان سنة ١٨٣٠ استقلالهم عن العثمانيين، وذلك بعد سلسلة من الانتفاضات التي بدأت في بداية القرن التاسع عشر. واستطاعت صربيا سنة ١٨٣٠ ان تحصل على استقلالها التام بمقتضى معاهدة ادريانوڤل[٤٥٦]. وكذلك تقرب المسيحيون اللبنانيون رويداً رويداً من «الكرسي البابوي» وحاولوا قطع ولائهم وطاعتهم عن الإمبراطورية العثمانية. لم يتمرد المسيحيون فحسب بل المسلمون أيضاً. فعلى سبيل المثال تمرد الوهابيون سنة ١٢١٦هـ، ١٨٠١-١٨٠٢م، في شبه الجزيرة العربية ضد الامبراطورية العثمانية، وهاجموا كربلاء واقترفوا الجرائم وارتكبوا اعمالاً وحشية ضد الشيعة[٤٥٧][*٧٣]. وكل ذلك دون ان تتصدى لهم الحكومة المركزية او تقدم على إتخاذ أي إجراء جدير بالذكر.

وتعتبر انتفاضة محمد علي باشا (١٧٦٩- ١٨٤٩) في مصر، أهمَّ انتفاضةٍ داخلية ضمن نطاق الامبراطورية والتي لا بد من ذكرها، لا لعلاقتها مع حركة ميري كۆره فقط بل لإرتباطها مع انتفاضات وثورات كردية اخرى أيضاً. حيث تتحدث بعض النصوص الكردية عن علاقات طيبة بين محمد علي باشا وميري كۆره، فمثلاً يقول موكرياني: «قبل سنتين او ثلاث بعث اليّ بعض المثقفين

> الكرد تلك الرسائل التي تبودلت بين محمد علي باشا والي مصر والأمير محمد (ميري كۆره)، ويظهر منها انه بعدما استولى الأمير على زاخو وآميدي (العماديه) وسنجار عقد ميثاقاً مع محمد علي باشا عرض بموجبه كل جانب مساعدته على الآخر، الى درجة ان محمد علي باشا زحف مع جيشه على سورية وأدنه. أما الأمير فعلى ماردين ودياربكر. وقد تمت تلك المراسلة في تشرين[٤٥٨] ١٨٣٢م/ ١٢٤٧هـ. وقد احتل الأمير في مايس ١٨٣٢

٤٥٦- المصدر الألماني (٩٧): ص٩-١٠.

٤٥٧- المصدر الفارسي (٧٤): ص٣٨٠-٣٨٣؛ وكذلك: المصدر الفارسي(٧١): ص٣٧-٣٨.

(*٧٣) تذكرنا هذه الجرائم بالجرائم التي اقدمت عليها السلطات السعودية صيف عام ١٩٨٧، حينما بادرت بأطلاق النار على الحجاج الايرانيين وتسببت في قتل (٤٠٠) حاج اثناء ادائهم لفريضة الحج وما اعقبتها من إجراءات فرض الحظر على زيارة الايرانيين لبيت الله الحرام.

٤٥٨- جاء في النص فقط (تشرين) دون ذكر ما اذا كان تشرين الأول او تشرين الثاني. كما وان ذكر السنة موجود في النص أيضاً.

المناطق المذكورة. وكان كل منهما يخبر صاحبه بالموقف.

وعندما وصل ابراهيم پاشا نجل محمد علي پاشا الى حمص في تموز ١٨٣٢، ارسل الى الأمير محمد برسالة تسلمها الأمير وهو على ابواب الموصل»[٤٥٩]...

ولايذكر موكرياني شيئاً عن المثقفين الذين وضعوا تلك الرسائل تحت تصرفه، كما لم يقم بطبع نص تلك المراسلة في كتابه. كما أنّ ماردين ودياربكر هوجمتا في ١٢٤٩هـ وليس في ١٢٤٧هـ.

ويذكر خيلاني[٤٦٠] بأن تلك السنة كانت ١٢٤٩هـ وهي مطابقة مع تقرير الدكتور روس، حيث هوجمت إمارة بوتان بعد بابان. ورغم ذلك تعتبر المعلومات التي يذكرها موكرياني مثيرة للاهتمام، وذلك لأن جيش محمد على پاشا احتل في ٢١ كانون الأول ١٨٣٢ قونيه[٤٦١]. وفي ١٨٣٣ إحتل ميري كۆره العماديه وعلى وجه التحديد حسب تقرير الدكتور روس الذي التقى بميري كۆره في ٣ تموز ١٨٣٣ في ثكنة آكري (عقره)، بينما كان ميري كۆره يريد الإستيلاء على إمارة بهدينان وغزوها.

انني لااستطيع ان اقرر فيما اذا كان تطابق تواريخ هذه الاحداث مع بعضها البعض من باب المصادفة، ام أمراً مُخططاً له كما يقول موكرياني.

ويقول عوني في هذا الصدد: «كان لمحمد علي الكبير والي مصر علاقات وثيقة مع محمد علي پاشا الرواندزي»[٤٦٢]...

ولكن عوني لايتحدث عن نوع تلك العلاقات، مع انه كان بالإمكان ان يكون المخبر والمقرر الوحيد تقريباً، لأنه كان مدير المكتبة الملكية في القاهرة ومسؤولاً عن الوثائق التي كانت تعود لزمن محمد علي پاشا وعهده. شرح گوراني هذه العلاقة بين هاتين الشخصيتيْن باعتبارها مطامح واطماعاً سياسية مشتركة ضد الامبراطورية، بقوله: «تم الاتفاق على إقتطاع البلاد الكردية والعربية (بلاد الشام ومصر) من جسم الدولة العثمانية»[٤٦٣].

الجدير بالذكر هو ان گوراني أغفل أيضاً ذكر أي مصدر او مرجع بهذا الصدد.

كذلك يؤيد برزنجي هذه العلاقة إذ يقول: «بينما كان الأمير منشغلاً بالإصلاحات هاجم محمد علي پاشا والي مصر بلاد سورية من اجل تحريرها من الإحتلال التركي. وقد كانت هذه العملية سبباً في تقارب الأميريْن من بعضهما البعض، لأن اهدافهما ونواياهما الإصلاحية كانت متشابهة»[٤٦٤]...

٤٥٩- المصدر العربي (١٠): ص٥٣-٥٤.
٤٦٠- المصدر الكردي (٦٣): ص٦٥.
٤٦١- المصدر الألماني (٨٩): ص٧٣٥-٧٣٦.
٤٦٢- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٨: (تعليق عوني).
٤٦٣- المصدر العربي (٢٧): ص١٣٣.
٤٦٤- المصدر العربي (٢).

لقد حاولتُ كثيراً العثور على مرجع او مستند، يؤيد هذه العلاقة ولكن دون جدوى. وعليه فإني لااستطيع وصف شكل أو نوع هذه العلاقة ومستواها اكثر مما فعلت. ولكن من المؤكد، حتى في حالة عدم وجود اية علاقات مباشرة بين محمد علي باشا وميري كوّره، بأنه كانت هناك علاقات غير مباشرة بينهما لمصالحهما المشتركة:

١- يتحدث مولتكه Moltke الذي اشترك في حروب وغزوات العثمانيين ضد الكُرد عن إستغلال الكُرد الظروف التي كان فيها الجيش العثماني مثقلاً بالقتال ضد محمد علي باشا[٤٦٥]...

٢- ادعى القائد العام للجيش العثماني بحضور الفرنسي بوجولا Poujoulat ان محمد علي باشا والي مصر، هو الذي اعدَّ ودبّر هذه الثورات الكردية ومهد الطريق أمامها. ويكتب بوجولا بهذا الصدد: «يستنتج مما سمعناه في معسكر العثمانيين ان تمرد الكُرد كان مدبراً من قبل محمد علي وقد كان مدعوماً بالاسلحة والغيار التي يقدمها محمد علي إليه. وقد اضاف الاتراك قائلين: بأنه لولا الإمدادات التي كان المتمردون يحصلون عليها من باشا مصر لم تكن الحرب تستمر طويلاً. هذه الاشاعة التي انتشرت في البلاد، يحتمل ان تكون صحيحة»[٤٦٦]... وبرأيي ان ذلك مبالغ فيه، ولكنه يشير الى العلاقة بين الحركتين.

٣- كانت للأمير بدرخان علاقات مع محمد علي باشا[٤٦٧]، وكذلك فإن أمير بابان كان يهتم بمحمد علي باشا. يقول فريزر Fraser بهذا الصدد: «لقد وجّه لي (امير بابان) فيضاً من الاسئلة حول وضع اوروپا وعلاقات كل قوة مع غيرها، وعلى وجه الخصوص تلك التي بين الباب العالي وروسيا ومحمد علي باشا»[٤٦٨]...

ولايتحدث الدملوجي عن مثل هذه العلاقات المباشرة، ولكنه يرى في الزحف العسكري لمحمد علي باشا الكبير فرصة مفيدة لميري كوّره وأمراء الكرد الآخرين لم يتمكنوا من استغلالها بسبب شقاقهم:

«كان مصير الحكم العثماني في هذه البلاد مرتبطاً بمصير هذه الإمارات. لقد قامت الدولة العثمانية بهذه العمليات العسكرية وهي تتأرجح تحت الضربات القوية لجيش محمد علي، الذي تقدم نحو قلب سورية وهدد البسفور. مُنيَ الجيش العثماني بهزائم متتالية، وأُسرَ قادته الواحد تلو الآخر. ولو ان جيش محمد علي شاهد أمامه وقوف أمراء الكرد في جبهة متراصة في ثلاث من الإمارات الكردية الرئيسة لفُتحت في كتاب التاريخ صفحة أخرى»[٤٦٩]...

ان استنتاج الدملوجي يقوم على اساس منطقي، اذ يقول المثل الكردي «عدو عدوي صديقي»[٤٧٠]...

٤٦٥- راجع: المصدر الألماني (٩٣): الجزء الثاني: رسائل.

٤٦٦- المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٩٣.

٤٦٧- المصدر العربي (٨): ص٤٥.

٤٦٨- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص١٤٩.

٤٦٩- المصدر العربي (٢٣): ص٤٩.

٤٧٠- المصدر الكردي (٦٣): ص٧٥.

إلاّ أن الدملوجي تجاهل حقيقة واقعة وهي أن النظام الإقطاعي كان يتحكم كثيراً او قليلاً بهذه الإمارات، وعليه فقد كان التعاون والعمل المشترك بين عدد من الأمراء في سبيل بناء وأقامة دولة مركزية موحدة امراً مستحيلاً[٤٧١]...

وعلى أي حال فقد شجعت ثورة محمد علي باشا، ميري كوّره على توسيع بلاده، مثلما يقول نيكيتين Nikitine:

«ان مير محمد الرواندزي الذي التحق به بعض الزعماء الكُرد، انتهز الفرصة لينتفض في وجه الاتراك»[٤٧٢]...

ويرى خالفين Chalfin أيضاً، بان انتفاضة محمد علي باشا قد خلقت للامبراطورية العثمانية ازمة سياسية، وخلقت لميري كوّره ظروفاً جيدة[٤٧٣]...

٤- إنتهز الأمير الكردي تيماوي بگ حفيد تيمور باشا، فرصة الحرب بين الحكومة العثمانية ومصر، فقدم لإبراهيم باشا (١٧٨٦/٩- ١٨٤٨)، إبن محمد علي باشا وقائد قواته مساعدات قيّمة[٤٧٤]... لقد كان بإمكان ميري كوّره أيضاً ان يقدم تلك المساعدات لمحمد علي.

٥- كان كل من ميري كوّره ومحمد علي باشا مسلمين سنييْن ولم يكونا منافسين، ولهذا كان التعاون بينهما امراً ممكناً.

وماعدا هذه الانتفاضات التي زعزعت الامبراطورية، لاحقت العثمانيين نكبات وشدائد اخرى ساعدت ميري كوّره في نشاطاته:

أ- ففي نيسان ١٨٣١ ابتليت بلاد مابين النهرين بمرض الطاعون الأسود[٤٧٥] وتفشت المجاعة أيضاً. وفي مثل هذه الأحوال والظروف لم يكن بالإمكان إنجاز وتنفيذ اية عملية عسكرية.

ب- إستغل علي رضا باشا، الوالي العثماني في حلب، الفرصة للقضاء على آخر والٍ للمماليك أي داوود باشا وتصفيته[٤٧٦]... كان علي رضا باشا حديث عهد بالحكم ولم يكن في امكانه ان ينقلب على ميري كوّره في الحال. فكان بحاجة الى كسب الحلفاء اولاً لتوطيد مركزه.

ج- حَسَمَ السلطان محمود في سنة ١٨٢٦ النزاع مع الانكشاريين وأنهاه، ولم تحن الفرصة بعد للتعويض عنهم.

٤٧١- لقد اوضحت وجهة نظري وموقفي من ذلك مفصلاً، انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث في هذا الكتاب تحت عنوان: (التنافس بين أمراء الكرد كسبب للسقوط).
٤٧٢- انظر: المصدر الفرنسي (١٣٠): ص١٩٣.
٤٧٣- راجع: المصدر الروسي (٨٢): ص٤٦.
٤٧٤- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٢.
٤٧٥- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٦٥.
٤٧٦- المصدر العربي (٤٠): ص٦٢-٦٣.

د- تعثر ما يسمى (بالتنظيمات) او إصلاحات السلطان محمود بعوائق كثيرة، الأمر الذي أدى الى خلق إستياء شعبي عام ضد الدولة.

ب- الوضع السياسي الخارجي:

لم يكن كاهل الحكومة العثمانية على عهد ميري كوّره مثقلاً بأعباء الحرب مع روسيا فحسب، بل ومع الدولة القاجارية أيضاً. وترتبت على هذه الحروب الروسية - التركية والروسية - الإيرانية آثار ونتائج عظيمة ومهمة هي:

١- ظهور تعاون روسي - كردي كان قد بدأ منذ سنة ١٨٠٤- ١٨٠٥[٤٧٧]... بعد ان قام الروس بارسال كتيبة كردية الى الحرب في سنة ١٨٢٩[٤٧٨]...

فحسبما يذكر زكي منحت الحروب الروسية - التركية الروس فرصة للتعرف على القوة القتالية للكُرد، فألفت روسيا سنة (١٢٤٥هـ-١٨٢٩م) كتيبة (فوج - آلاى) من الكُرد وشجعت هجرة الكرد الى البلاد الروسية[٤٧٩]...

٢- ادت مصاعب ومشاكل كلتا الدولتين مع الروس الى تمتع ميري كوّره بفوائد إستراتيجية. لذا يمكن للمرء هنا ان يؤيد فريزر Fraser عندما يربط بين المساعي التوسعية لميري كوّره والحروب الروسية - الإيرانية:

«إلاّ أن بدء ثورته الفعلية، يؤرخ ببدء الحرب بين إيران وروسيا، عندما اضطر ولي العهد، الذي كان قد ابدى شيئاً من الإستعداد لسحق الأمير (مير Meer)، ان يسحب قواته لأجل تحشيدها ضد اعداء أكثر رعباً.

وإنتهز الأمير هذه الفرصة، لا لإسترجاع كافة المقاطعات التي سبق وان اغتصبها ولي العهد القاجاري منه فحسب، بل لمدّ نفوذه غرباً وشمالاً بنجاح بحيث شمل قسماً كبيراً من اعالي بلاد مابين النهرين، اضافة الى الاقاليم الممتدة من أربيل (أربيلا) الى كركوك بما فيها شرق دجلة»[٤٨٠]...

في مثل هذه الظروف والاوضاع كان الإيرانيون والترك مجبرين على تقديم التنازلات والصبر والتريث أمام حكم وسيادة ميري كوّره والاعتراف به «اميراً للأمراء».

ويقول زكي بهذا الصدد:

«هذا وكان (علي رضا پاشا) والي بغداد يقف إزاء هذه الحالة مكتوف الايدي لايدري ماالعمل لمقاومة بطش هذا الأمير الكبير وشدّة بأسه. واخيراً وجد نفسه مضطراً الى الملاينة

٤٧٧- المصدر الألماني (٩٢): ص١٢٢٩.
٤٧٨- نفس المصدر.
٤٧٩- المصدر العربي (٣٥): ص٢٥١.
٤٨٠- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٦٤.

وتفضيل السلام على الحرب وبادر الى الاعتراف بحكومته مستصدراً رتبة (المير ميران) (بالكردية ميرى- ميران تعني أمير الأمراء- المترجم) له من استانبول»[٤٨١]...

ويفهم من ذلك ان الاعتراف بالاستقلال الذاتي لأمراء الكرد كان امراً لابد منه كما يقول ئيگلتون Eagelton على الوجه السديد: «وجّه الأتراك اهتمامهم الى مكان آخر تماماً، او بالاحرى الى مصر. ومنحوا الإستقلال الذاتي لمناطق كردية شاسعة»[٤٨٢]...

ج- حركة ميري كۆره ودولته:

استناداً الى ما ورد في المصادر المتوفرة، لايكاد ان يكون هنالك أي شك بان حركة ميري كۆره كانت تستهدف تشكيل دولة مستقلة عن الامبراطورية العثمانية والدولة القاجارية. وتؤيد العديد من التقارير الكردية وغير الكردية، بأن ميري كۆره كان قد اعلن إستقلاله في الواقع. ولا تختلف تلك التقارير سوى فيما يتعلق بتعيين تاريخ إعلان الاستقلال.

ويترك مينورسكى Minorsky[٤٨٣] مسألة تاريخ إعلان الإستقلال معلقة بين عامي (١٨٢٠ او ١٨٣٠). فيما يذكر موكرياني[٤٨٤] بانه حدث في (١٢٣٤هـ، ١٨٢٦/٧م). والى ذلك اشار برزنجي[٤٨٥]. ويعتبر كل من قفطان[٤٨٦] وكذلك الكتاب الرسمي للتاريخ في المدارس العراقية[٤٨٧] ذلك التاريخ سنة (١٨٣٠). وتشير بعض الادلة والقرائن الى إحتمال ان تكون سنة (١٨٣٠) تاريخ اعلان الاستقلال. فلقد وسع ميري كۆره إمارته في حدود ذلك الوقت بصورة كبيرة، بعد انتصاره سنة (١٢٤٢هـ، ١٨٢٦/٧م) على أمير بابان محمد پاشا في منطقة سورداش[٤٨٨][٤٨٩]...

أما الدرة[٤٩٠] فقد خالف هذه المعطيات مستنداً في ذلك على اطروحة غير مطبوعة لعبدالعزيز ابو نوار[٤٩١]. يزعم فيها بان ميري كۆره اعلن وبوضوح ولاءه الدائم للدولة العثمانية وارسل الهدايا

٤٨١- المصدر العربي (٣٨): ص٤١٢.
٤٨٢- المصدر الانگليزي (١٠٦): ص٥.
٤٨٣- المصدر الالماني (٩٢): ص١٢٢٨.
٤٨٤- المصدر العربي (١٠): ص٤٥.
٤٨٥- المصدر العربي (٢).
٤٨٦- المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٨.
٤٨٧- المصدر الكردي (٦٨).
٤٨٨- قرية في محافظة السليمانية الحالية.
٤٨٩- انظر المصدر العربي (٣٦): ص١٨٣: (تعليق عوني)؛ وكذلك: المصدر الكردي (٦٣): ص٤٤: بموجبه عاد ميري كوره الى رواندز من هذه الحرب في سنة (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨/ ٢٩م).
٤٩٠- المصدر العربي (٤٠): ص٨٦.
٤٩١- ينبغي ان يكون مضمون هذه الرسالة على النحو التالي: "تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود پاشا الى نهاية حكم مدحت پاشا (١٨٣١- ١٨٧٢)"؛ لكنني مع الأسف الشديد لم احصل عليها (المؤلف). راجع: المصدر العربي (٤٠): ص٧٠.

والنقود الى والي بغداد[٤٩٢]...

ولكني اشك في صحة المعلومات التي يقدمها الدرة، والمهم هنا هو أنه لم يذكر اسم الوالي، إذ تولى كل من داوود پاشا وعلي رضا پاشا حكم الولاية إبان عهد ميري كوّره. فإن كان قصد الدرة هو داوود پاشا، فمن المؤكد بانه كان قد تصادق مع ميري كوّره، لأن داوود پاشا كان بحاجة لصداقة ميري كوّره ضد أمراء بابان الذين كانوا من مؤيدي ومؤازري القاجاريين. حتى انه يوجد تقرير لحسين ناظم يؤكد فيه بأن داوود پاشا هو الذي اقحم ميري كوّره في الحرب ضد محمد پاشا – البابان‍ي سنة (١٨٢٣/٤)[٤٩٣]...

أما إذا كان الدرة يعني الوالي علي رضا پاشا، فقد كان علي رضا پاشا مضطراً للإعتراف بميري كوّره في سنة (١٨٣٣) كـ«أمير الأمراء». حيث جاء ذلك صريحاً في الكثير من التقارير ومن ضمنها تقرير للدرة نفسه[٤٩٤]...

وما عدا ذلك فقد قرّ رأي علي رضا پاشا –اثناء الجدال بين العثمانيين وميري كوّره– على وجوب حل مشكلة ميري كوّره حلاً عسكرياً، مخالفاً محمد رشيد پاشا والي سيواس الذي كان يريد التفاوض[٤٩٥]. وهذا يعني انه لايمكن ان يكون ميري كوّره موالياً لعلي رضا پاشا، بل بالتأكيد كان مناوئاً له. ولكن لاتوجد بالمقابل أيضاً أية أدلة على عدم قيام ميري كوّره بإظهار ولائه للعثمانيين في بداية ارتقائه. ولكن الشيء المؤكد هو ان ميري كوّره عمل على تأسيس دولة مستقلة بعد توسعاته الناجحة، حسبما ذكره اخوه وقائد جيشه رسول بگ (پاشا– فيما بعد) للكولونيل (العقيد) ميلنگن Milingen. وخيلاني أيضاً[٤٩٦] يذكر ذلك.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أي نوع من الحركات كانت حركة ميري كوّره؟

يوجد بهذا الصدد مصدر أوروپي، بالاضافة الى تقرير أوروپي وتقارير كردية، يتحدث عن كون حركة ميري كوّره «حركة قومية». وأدناه اقتباسات من تلك التقارير:

يروي ميلنگن Millingen استناداً الى مقابلة مع رسول پاشا في سنة ١٨٧٠ وقد سبق ذكرها، بأن ميري كوّره كان اول كردي اراد استقلال كردستان:

«دفع التطلع القومي في هذا القرن[٤٩٧][٤٩٨] الكُرد للإنتفاض ثلاث مرات خلعوا فيها سطوة

٤٩٢– المصدر العربي (٤٠): ص٨٦.
٤٩٣– المصدر التركي (٥٠): وكذلك: المصدر العربي (٣٧): ص١٥١.
٤٩٤– المصدر العربي (٤٠): ص٨٥. وكذلك: المصدر العربي (٣٨): ص٤١٢.
٤٩٥– المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٥.
٤٩٦– المصدر الكردي (٦٣): ص٦٤–٦٥.
٤٩٧– يقصد ميلينگن بذلك القرن التاسع عشر.
٤٩٨– تم جر الخط (التشديد) من قبل المؤلف.

السلطان ونالوا فيها استقلالهم. وكانت ثورة محمد پاشا الرواندزي في سنة ١٨٣٤ اول حركة[٤٩٩] من تلك الحركات. وعلى الرغم من ان الإجراءات الأولية للپاشا ماتت مكتومة، فمما لاشك فيه ان هدفه كان تحرير بلاده من السيطرة العثمانية»[٥٠٠]...

لا أريد هنا مناقشة هذا التقرير بصورة شاملة، وانما اود في البداية الاشارة فقط الى ان حركة ميري كۆره لم تكن اول حركة كردية انفصالية ضد الامبراطورية العثمانية كما يدعي ميلنگن، وانما كانت حركة عبدالرحمن پاشا البابانى في سنة ١٨٠٦[٥٠١] هي الأولى... وعدا ذلك هناك انتفاضات احمد پاشا الباباني في سنة ١٨١٢[٥٠٢] وكذلك انتفاضة كُرد زازا سنة ١٨٢٠ وتمرد إيزيدية سنجار سنة ١٨٣٠[٥٠٣]... ويقول سون Soane بهذا الصدد:

«شهدت الروح القومية في القرن الأخير فترة نهوض، إذ إنتفض الكُرد اربعة مرات في محاولة للتخلص من عبودية الاتراك. وحدثت الإنتفاضة الأولى في ١٨٠٦.... الخ. وبعد بضع سنوات نال محمد پاشا – وهو من سلالة بابان[٥٠٤][*٧٤] أيضاً– سلطة كبيرة في رواندز، وعمل في الخفاء من اجل الاستقلال الوطني، حيث سيطر فعلاً على اعالي بلاد مابين النهرين أربيل، وكركوك»[٥٠٥][*٧٥]...

اني ارغب هنا مناقشة وبحث التقريرين الأوروپيين الا انني لا اعلم بالضبط، ماذا كان يعنيه او يقصده كل من ميلنگن Millingen وسون Soane في حينه من التطلعات القومية national aspirations

٤٩٩– تم جر الخط (التشديد) من قبل المؤلف.

٥٠٠– المصدر الانگليزي (١١٨): ص٢١١–٢١٢.

٥٠١– المصدر العربي (٧): ص٣٩.

٥٠٢– المصدر الانگليزي (١٢٣): ص٣٧١.

٥٠٣– المصدر العربي (٧): ص٤٠.

٥٠٤– هذا الأصل (الحسب والنسب) الباباني لميري كوره موضع نقاش.

(*٧٤) يشير شيخ رضا طالباني في احدى قصائده بأن صلاح الدين الايوبي ينحدر من سلالة اكراد بابان، ان صح ذلك فمن البديهي ان يكون الادعاء جديرا بالثقة يقول طالباني:

نەمردووی ئەی سەلاحەددینی ئەییوبی نەسەب
هەربژی ئەی شاه بنی کورد ئەی فەخری عەرەب
(انك لازلت حيا يا صلاح الدين الايوبي النجاد
انت يا ابن ملوك الكرد ويا مفخرة العرب)

راجع: جەمال نەبەز (جمال نبز)، گۆڤاری نیشتمان (مجلة نيشتمان...الخ) بنكەی چاپەمەنی ئازاد، سويد ٢٥٩٧ك - ١٩٨٥ف، ص٥٦،٩٤؛ وكذلك هامش المترجم: رقم (*١٢).

٥٠٥– المصدر الانگليزي (١٢٣): ص٣٧١–٣٧٢.

(*٧٥) (ترجع البدايات الأولى لاستيقاظ الوعي القومي الكردي الى القرنين السادس عشر والسابع عشر، أي الى الحقبة التي تحولت فيها كردستان الى ساحة الحروب الطاحنة بين الدولتين العثمانية والصفوية كرد فعل على الدمار الذي اصاب كردستان من جراء تلك الحروب واستغلال الدولتان للشعب الكردي وكردستان في حروبهما المدمرة). انظر: محمد امين زكي: تأريخ الدول والإمارات الكردية، ترجمة محمد علي عوني، اعيد طبعه في لندن - ١٩٨٦.

والروح القومية National Spirit. حيث تستعمل في اوروبا غالباً كلمة (National) للدلالة على الامور او الشؤون المحلية. فعلى سيبيل المثال يقول المرء: «الزي الوطني (القومي) البافاري Baverische National trach او النشيد الوطني البافاري Nationalhymne او المشروبات الوطنية النمساوية Osterreichische Nationalgetranke. إن لغة التحادث المتداولة هذه هي مضللة، لأن باڤاريا والنمسا ليستا قوميتين متميزتين لوحدهما. فإذا كان ميلنگن وسون يقصدان من وراء ذلك حركة انفصالية محلية للإنفصال عن الامبراطورية العثمانية فقط، فإن ذلك سيكون مطابقاً لدراستي للظروف الواقعية. حيث ان ميري كۆره ليس الوحيد الذي ثار في النصف الأول من القرن التاسع عشر للتخلص من السياسة المركزية للسلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) وانما ثار آخرون كثيرون من أمراء الكرد أيضاً[٥٠٦]...

وهناك اقوال وملاحظات لبوجولا-Poujoulat[٥٠٧] ومولتكه Moltke[٥٠٨] تبين بان الكُرد اعتبروا الاتراك اعداء ألداء لهم وتلك هي علامة التذمر والإستياء العميق للكُرد. وبهذا يمكن للمرء القول بأن ميري كۆره لم يكن يرغب في البقاء تحت السيادة والسلطة العثمانية وانه قاد حركة انفصالية. ولكن السؤال الذي يبقى هو:

ما هو الدافع الذي كان يقف وراء حركة ميري كۆره، وهل كان ذلك الدافع قومياً أم شخصياً؟

ليس من السهل الاجابة على هذا السؤال، ولكن يمكن المقارنة بين مفهوم الحركة القومية وحركة ميري كۆره.

ان الحركة القومية الحقيقية هي التي تسعى الى حرية واستقلال ووحدة امة ما، بصرف النظر عن المذاهب والاديان المكوِّنة لتلك الامة. إلاّ أن السؤال الثانوي الذي يطرح نفسه هنا، هو هل كان في زمن ميري كۆره ثمة وجود للشعور القومي الكردي على الاطلاق؟
وبودي الاجابة على هذا االسؤال بنعم داعماً فرضيتي وإدعائي بالأدلة والبراهين التالية:

لايمكن الإنكار بانه لم يكن للاغلبية الساحقة من الكُرد في عهد ميري كۆره وعي قومي. ولكن كان هناك من الكُرد مَن يدرك بأنهم شعب متميز وبأنهم ليسوا اتراكاً أو فرساً. وثمة تقرير لريچ Rich يشير الى ان بعض الكُرد كانوا على وعي وادراك بأن التفرقة والشقاق بين عشائر وطوائف الامة الكردية كانت العقبة الكأداء أمام مواجهة القاجاريين والعثمانيين.

وكان وعي هؤلاء الكرد بادياً للعيان لدى إشارتهم الى «الانانية» و«الحسد» الشخصي لرؤسائهم باعتبارهما السببين الرئيسيين لتلك الويلات والمصائب. كما يورده ريچ سنة (١٨٢٠) الذي تحدث مع الكُرد في إمارة بابان، حيث قال بعض البسطاء منهم:

٥٠٦- المصدر الانگليزي (١٠٢): ص٢٧. وكذلك: المصدر الانگليزي (١٠٦): ص٤-٦.

٥٠٧- المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٧٥، حيث يقول (.... عامل الكُرد جنود الترك الذين وقعوا في ايديهم دون رحمة واشفاق؛ لقد اقلعوا اظافرهم وعيونهم، ثم احرقوهم احياء).

٥٠٨- المصدر الألماني (٩٣): الجزء الثاني (الرسائل).

«إن حسد وغيرة امرائنا هو السبب في دمارهم وهلاكهم. لا الاتراك ولا الفرس (الإيرانيون) قادرون اطلاقاً على عمل أي شيء ضدنا، ولكنهم يغتنمون الفرصة جراء إنقساماتنا والحسد العائلي لرؤسائنا. نحن نعرف ذلك، حتى ان الاتراك كانوا ينجحون دائماً بشكل او بآخر في التغلب علينا. فنحن الكُرد بالتأكيد أناس قليلو الفهم»[٥٠٩]...

وسجّل ريچ كذلك تصريحات مشابهة لكُردٍ آخرين[٥١٠]... وكان الأمير بدرخان المعاصر لميري كۆره كردياً ذا وعي قومي: فبالرغم من نظام حكمه الإقطاعي، فإنه كان يتحدث بإسم الشعب الكردي[٥١١]...

ان مثل هذا الوعي والإدراك بالانتماء للأمة الكردية، لم يكن موجوداً عند بعض الأمراء والبسطاء من الكرد فحسب، بل وعند قسم من الملمين بالكتابة والقراءة وعلماء الدين. فقد مدح الشيخ رضا الطالباني (١٨٣٥– ١٩٠٩) واثنى في حينه على الإمارة البابانية وعاصمتها السليمانية بقوله أنها لم تكن «ذليلةً للإيرانيين ولا مملوكةً لآل عثمان»[٥١٢]... واشاد طالباني بأمراء بابان وجيشهم واحترامهم للعلماء. وافتخرالشيخ رضا بكرديته رغم «أفضلية» العرب في نظره[*٧٦]. ويقول في ذلك بأنه فضلٌ «لايمكن نكرانه» لأن النبي كان عربياً، بيد ان «صلاح الدين الذي غزا العالم كله كان كردياً»[٥١٣]...

يصف حاجي قادر كويى (١٨١٥–١٨٩٢) وهو من شعراء القرن التاسع عشر المعروفين، حال

٥٠٩– المصدر الانگليزي (١١٩): ص٩٠.

٥١٠– نفس المصدر: ص٨٩.

٥١١– المصدر الانگليزي (١٢١): ص٥٦؛ وكذلك: المصدر العربي (١٩): ص٢٥؛ المصدر العربي (٧): ص٤٠؛ وأيضاً: المصدر الانگليزي (١١٥): ص٢٣؛ المصدر الانگليزي (١٠٦): ص٥.

٥١٢– المصدر الكردي (٥٩): ص٣٥٣–, ٣٥٤

(*٧٦) في الإسلام لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) لكن قسما من الروحانيين العرب حاولوا نتيجة التعصب الشوفيني بذر الشقاق والفرقة بين المسلمين، بدعوى (افضلية العرب) على بقية الشعوب الإسلامية غير العربية، متذرعين بشتى التفسيرات والتأويلات، مستغلين لغة القرآن الكريم وقدسية الديانة الإسلامية وانتشار الجهل بين المسلمين، وسيلة لتغطية اداعائاتهم الباطلة تلك، فعلى سبيل المثال يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١–٧٢٨هـ) في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم، الطبعة الثانية، القاهرة - ١٩٥٠م، ص ١٦٠–١٦١، ما يلي: (اسباب التفضيل: العلم النافع والعمل الصالح وذلك ان الفضل: أما بالعلم النافع، وأما بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ، وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم، وتمام: وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة. والعرب هم افهم من غيرهم، واحفظ واقدر على البيان والعبارة. ولسانهم اتم الالسنة بيانا وتمييزا للمعاني، جمعا وفرقا... وأما العمل: فإنّ مبناه على الاخلاق. وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم اطوع للخير من غيرهم، فهم اقرب للسخاء والحلم، والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الاخلاق المحمودة. لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله. ليس عندهم علم منزل من السماء، ولاشريعة موروثة عن نبي. ولاهم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة، كالطب والحساب ونحوهما. انما علمهم ماسمحت به قرائحهم: من الشعر، والخطب، وماحفظوه من انسابهم وايامهم... الخ). ارجو ان لااكون موضع انتقاد العرب، اذا ما قلت: يا ترى اين هي هذه (الاخلاق المحمودة) ونحن نرى ان الذين يفتخرون بأنتمائهم الى الامة العربية يقدمون على قتل اكثر من خمسة الاف انسان من الابرياء الكُرد، معظمهم من الاطفال والنساء في غضون دقائق او ساعات قلائل فقط، بأستخدام الاسلحة الكيماوية والغازات السامة الممنوعة دوليا. مثلما حدث في مدينة حلبجه الكردية، دون احتجاج من جانب معظم العرب، حتى ولو بالاقوال؟

٥١٣– نفس المصدر: ص٣٥٤.

الكُرد حينها[٥١٤]... ويحث الكُرد في إحدى قصائده على حماية تراثهم الادبي والحضاري، كما يُظهِر إفتخاره بشعبه حين ينشد:

«ان لم يعرف الكردي لغة ابيه،
فأمه عاهرة وأبوه فاجر، لاشك فيه[*٧٧]...
تعال هنا، دعني اقص عليك ما في التاريخ من اسرار:
صلاح الدين ونورالدين الكردي
وكذلك اعزاء الجزيرة وموش ووان
ومهلهل[*٧٨] واردشير ودايسم[*٧٩] وشير
وقُباد وباز وأمير أردلان
هؤلاء جميعهم كُرد، غير ان احداً لا يعلم بذلك
لفقدان مستنداتهم بالكردية
فلو كانت الكتب والوثائق والتواريخ والرسائل
تكتب باللغة الكردية
لبقيت اسماء وآثار علمائنا واوليائنا وشيوخنا وملوكنا الى يوم الدين»[٥١٥]...

ولكن من الملاحظ هنا، ان نقاوة المشاعر هذه لم تكن تلعب أي دور يذكر وذلك للأسباب الآتية:

١- لم تكن تلك المشاعر سائدة لدى عامة الشعب، وانما لدى بعض علماء الدين والأمراء الذين كانوا رغم وجود هذا الشعور القومي لديهم، غير متحررين تماماً من ميولهم ونزعاتهم الدينية. ويظهر ذلك بوضوح من قصيدة الطالباني وكذلك في بعض المواضع من قصيدة الكويي أيضاً[٥١٦]...

٢- منح النظام الإقطاعي الذي كان يسود المجتمع الكردي الرؤساء والعلماء -الذين كانوا بعيدين عن الوعي والشعور القوميين- سلطة كبيرة للغاية، وإستندوا على الروابط والاواصر الدينية فقط. فكان ذلك عائقاً كبيراً أمام تطور الوعي القومي.

وبعد شرحنا للنزعة القومية لدى الكُرد في عهد ميري كۆره، نود طرح السؤال التالي، الى أي مدى كانت النزعة القومية هذه، موجودة عند ميري كۆره؟

٥١٤-المصدر الكردي (٥٩): ص٣٠٩.

(*٧٧) حول مدى العلاقة بين اللغة والانتماء الى القومية الكردية انظر: جەمال نەبەز (جمال نبز) پێوەندارێتی کوردی (الانتماء الكردي)، سبق ذكره.

(*٧٨) مهلهل: أمير من أمراء اكراد (شاذنجان)، وقد عرفت إمارتهم بأسم حكومة بني عنان في حلوان (٣٨٠ - ٥١٠هـ) انظر: زكي: تاريخ الدول... سبق ذكره، ص١٢٦.

(*٧٩) دايسم – ديسم: هو ابو سالم ديسم بن ابراهيم الكـردي، قائد معروف ثم أمير من أمراء الحكومة السالارية باذربيجان فقد دام حكمه من ٣١٤ الى ٣٣٠هـ ثم قتل في السجن عام ٣٤٥هـ.

٥١٥-نفس المصدر: ص٣٢٤.

٥١٦- المصدر الكردي (٤٩): ص١٨: ٢٤-٢٥.

لقد اخبر (رسول پاشا) شقيق ميري كۆره وقائد قوات جيوش سوران ميلنگن Millingen عن قصد ونية اخيه حين قال:

«إنه يطمح ويتطلع لتحقيق الفكرة العظيمة وهي تحرير بلاده (وطنه) من سيطرة السلطان وتوطيد سلطة عائلته»[٥١٧]...

إن رسول پاشا يفصح هنا علناً عن النزعة الانفصالية لحركة ميري كۆره، التي استهدفت تأسيس دولة مستقلة. ولكن لا ينبغي القول هنا بأن الدوافع والبواعث القومية كانت تكمن وراء تلك النزعة. فرسول پاشا لم يتحدث بأي شكل من الاشكال عن مبادرة قومية لميري كۆره. كما لم يوضح أيضاً ما يعنيه بعبارة (بلاده او وطنه أهي إمارة سوران او كردستان باجمعها)، وإنما تحدث فقط عن تولي الحكم العائلي ويبدو هذا المطمح العائلي الصرف أكثر وضوحاً إذا تمعن المرء في هجوم ميري كۆره على بدرخان پاشا سنة ١٨٣٤. ففي الوقت الذي أراد فيه بدرخان فصل كردستان عن العثمانيين، هاجمه ميري كۆره[*٨٠]...

وعلى الرغم من هذه الوقائع، فقد ورد في عدد من التقارير التي كتبها بعض المعلقين المعاصرين من الكُرد ومن غير الكُرد، بأن ميري كۆره كان يملك شعوراً قومياً كردياً وبأنه قد اسس في الواقع «دولة كردية»، فيقول الچاوشلي مثلاً:

«...... هكذا كان عصر محمد پاشا الكبير او محمد پاشا الرواندزي، عصراً مزدهراً في التاريخ الكردي، حيث أنشأ (ميري كۆره) دولة كردية بكل معنى الكلمة»[٥١٨]...

٥١٧- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٥.

(*٨٠) من المؤكد ان ميري كوره كان متدينا وذا ثقافة اسلامية عالية، انه كان معتقدا بعدم مخالفة الإسلام لانشاء دولة اسلامية كردية مستقلة. واذا اردنا البحث في مفهوم القومية وفق التحليلات الاوربية او الغربية في عصرنا هذا ومقارنته مع تلك الازمان فنحن نكون على تفاوت كبير، فنحن نعلم بأن الشعور القومي يتوفر لدى كل انسان ولكن بدرجات متفاوتة وفقا للظروف الموضوعية ونوع ومستوى الثقافة ... الخ، فحب الوطن واللغة والأدب... الخ في نظر الإسلام ليس الا حب واعتزاز لما وهبه الله لعبده، علينا ان لاننسى بأن التعبير عن العواطف القومية كان ولازال في بعض المجتمعات امرا مشينا ولم يكن من السهل بحث القومية في عهد ميري كوره كما نبحثها اليوم. فكيف يجوز ان ننتظر من ميري كوره او رسول پاشا حديثا كالذي كان يلقيه عبدالناصر او اتاتورك او رضا شاه او ميشيل عفلق... الخ في عصرنا هذا، أما فيما اذا كان القصد من (وطنه) هو إمارة سوران فمن المعلوم ان هذه الإمارة كانت جزء من الوطن الكبير (كردستان)، وحول ما اذا كانت مطامحه عائلية صرفة نتيجة قيامه بمهاجمة بدرخان پاشا سنة (١٨٣٤) اني ارى في مبادرة ميري كوره الى انشاء معامل الاسلحة قبل سنوات (١٨٢٠) وقبل ان يفكر أي أمير كردي اخر بذلك، دليلا ساطعا على نواياه التحررية وعزمه الراسخ في دخول الحرب ضد الامبراطوريتين العثمانية والقاجارية كما حدث فعلا، واذا كانت محاربته لبدرخان پاشا مقياسا لمدى الوطنية او القومية وعلى وجه الخصوص في كردستان، لاننا نرى ولحد الأمس كيف حاربت الاحزاب القومية الكردية بعضها البعض بل وحتى لم تتردد في قتل الاسرى أيضاً. هنالك امثلة كثيرة حول مدى العلاقة بين نزعة الحكم العائلي والوطنية لا مجال لذكرها هنا.

٥١٨- المصدر العربي (٤٢): ص١٠٢.

ويقول البرزنجي بهذا الصدد:

«... لقد أنشأ (ميري كوّره) اول دولة في كردستان سُميت سوران»[٥١٩]...

ولم يقل البرزنجي «دولة كردية» وانما «أول دولة في كردستان» مع إن سوران لم تكن أول دولة في كردستان كما يدعي البرزنجي، فقد كانت هناك دول اخرى موجودة على هذا النمط كالدولتين المروانية والحسنوية[٥٢٠] وما على المرء إلاّ أن يراجع الشرفنامه وتاريخ الدول والإمارات الكردية لزكي من اجل التأكد من هذه الحقيقة. ولايذكر (قفطان) «دولة كردية»، وانما حكومة مستقلة وميري كوّره هو الپاشا فيها. ويطابق الرأي الاخير تحليلي للموضوع، ورغم ان قفطان لايتحدث عن دولة إسلامية (دولة الاسرة الحاكمة) حيث يقول:

«...... لقد أراد (ميري كوّره) ان لايعترف بسلطة الحكومة العثمانية في إمارته، ومن ثم يقيم فيها حكومة مستقلة يصبح هو الپاشا فيها»[٥٢١]...

الجدير بالذكر بانني من مؤيدي رأي الباحث الروسي خالفين Chalfin، الذي يقول: «كان أمير رواندز يريد ان يؤسس كردستاناً مستقلة»[٥٢٢]...

ولكننى أقبل ذلك بتحفظ، لأن هذا الرأي سيفترض وجود نوع من الشعور القومي لدى ميري كوّره، حيث يوجد فرق كبير بين القول بأن «ميري كوّره سعى الى دولة مستقلة –حتى لو كانت تلك الدولة في كردستان فقط» وبين أن «ميري كوّره سعى الى تأسيس كردستان مستقلة».

لقد كافح ميري كوّره بالتأكيد من اجل دولة عائلة مالكة وراثية (Dynastic) دون اسباب اقليمية او قومية[*٨١]... أما وان كردستان كانت مسرحاً لهذا المطمح فهذا امر ثانوي.

يبقى هنا التذكير بتقرير غريب للكابتن الباكستاني (وحيد):

لايتحدث وحيد Waheed مباشرة عن حركة ميري كوّره، إلا انه يدعي بأن جميع الحركات الكردية في القرن التاسع عشر وبعضاً من حركات القرن العشرين، تم التخطيط لها من قبل اعداء

٥١٩- المصدر العربي (٢).

٥٢٠- المصدر الانكليزي (١٠٢): ص٩.

٥٢١- المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٨.

٥٢٢- المصدر الروسي (٨٢): ص٤٦؛ حيث جاء فيه: "PabahuackNN Mnp ctpemnncr cobuatb Heaabncnmbn Ky- punctah"

(*٨١) يذكر الميجر ميلينگن في كتابه (حياة بدائية بين الكرد، ص٢١٦) أن الشعب الكردي عاش من قديم الازمان محتفظا بكيانه القومي وعاداته الموروثة بالرغم من تطور الاحداث والظروف، وقد اظهرت الاحداث والوقائع التي نشأت بكردستان في القرن التاسع عشر الميلادي، وجود العاطفة القومية الكردية هذه بأجلى مظاهرها. وهذه الحوادث هي محاولات وحركات (محمد پاشا) الرواندزي و(احمد پاشا) البابانى و(بدرخان بك) وقد اجتمعت شخصيا بكل من احمد پاشا البابانى ورسول پاشا الرواندزي وغيرهما من أمراء الكرد وتداولنا الرأي حول الموضوع فعرفت ان نار العاطفة القومية والنزوع الى الاستقلال بين الشعب الكردي لم تخمد بعد. راجع المصدر العربي (٣٥) ص٢٤٤-٢٤٥.

المسلمين[٥٢٣]... هذا ولايقدم وحيد اية وثيقة أو مستند يدعم مزاعمه. ولهذا فإني ارى دعواه باطلة. ولايبدو واضحاً ماذا يقصد وحيد بـ«اعداء المسلمين». فإن كان يعني بذلك الحكومات الأوروپية، كما اتوقع، فعليه الاعتراف بان تلك الحكومات قد ساعدت الامبراطورية العثمانية ضد بدرخان[٥٢٤] وضد ميري كۆره[٥٢٥] وكذلك ضد محمد علي پاشا في مصر[*٨٢]، حتى ان الانكليز بعثوا برسالة شفوية الى ميري كۆره يدعونه فيها ان لايقدم على إتخاذ أي إجراء ضد العثمانيين[٥٢٦]...

الملخص:

بعد تدقيق الشواهد والادلة الكردية وغير الكردية السالفة حول حركة ميري كۆره ودولته اود القول، وبخلاف جميع الباحثين الاخرين – بأن مساعيه لم يكن مبعثها حركة قومية كردية واعية، بل كانت في الواقع نتيجة للأسباب التالية:

١- كان لدولة ميري كۆره طابع اسلامي متعصب، حيث ينص الإسلام على «ان المؤمنين إخوة»[٥٢٧] وانه لا فرق بين القوميات[٥٢٨]، لذلك لم يكن هناك في إمارة سوران ذكر لمشاعر الانتماء القومي المشترك بين المسيحيين والإيزيديين والمسلمين... الخ. كما لم تكن هنالك مساواة في الحقوق بين الطوائف الدينية المختلفة، المساواة التي يعتمد عليها لتحديد مفهوم الدولة القومية الحقيقية.

٢- لم تلعب دولة ميري كۆره أي دور في احياء الثقافة الكردية، التي تمثل احدى سمات الحركة القومية. لذلك كانت دولته دولة اسلامية- سنية وكانت غايته ترسيخ الحكم العائلي الصرف.

وأود القول إضافة لذلك أن جميع المساعي الكردية الاخرى في النصف الأول من القرن التاسع عشر- ما عدا حركة بدرخان (١٨٤٣- ١٨٤٦)- لاتمثل حركات قومية. واشارك هنا كينين kinnane رأيه بإعتبار إنتفاضة بدرخان: «اول انتفاضة يمكن اعتبارها قومية بالمعنى الحديث»[٥٢٩]...

٥٢٣- انظر: الفصل الأول: المبحث السابع من هذه الدراسة.

٥٢٤- المصدر العربي (٧): ص٤٢-٤٣.

٥٢٥- انظر: الفصل الثالث: المبحث الرابع من هذا البحث تحت عنوان: موقف الانكليز من ميري كوره والعثمانيين كسبب للسقوط.

(*٨٢) يقول بونداريفسكي في كتابه الغرب ضد العالم الإسلامي، ص٨٠، ما يلي: (في غضون الثلاثينيات والاربعينيات من القرن التاسع عشر، خاضت الاوساط الحاكمة في بريطانيا العظمى النضال الدائب ضد محاولات (محمد علي) لتأسيس دولة اسلامية قوية، للمرة الأولى بعد (صلاح الدين الايوبي) تضم مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وقسما من الجزيرة العربية. وفي حزيران (١٨٣٩) كتب وزير الخارجية البريطانية (بالمرستون): انا اكره محمد علي واعتبره همجيا جاهلا احرز النجاح بفضل الدهاء والوقاحة والجرأة... واعتبر حضارته الممدوحة هراء في هراء.)

٥٢٦- نفس المصدر؛ وكذلك: المصدر العربي (٤٠): ص٦٩.

٥٢٧- انظر الآية القرانية: [انما المؤمنون اخوة... الخ] رقم: ١٠، سورة رقم: ٤٩.

٥٢٨- انظر الآية القرآنية: [وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقاكم]. رقم: ١٣، سورة رقم: ١٣.

٥٢٩- المصدر الانكليزي (١١٥): ص٢٣.

ورغم اني اعتقد ان دولة ميري كوّره لم تكن تمتلك مقومات البقاء، وذلك لعوامل دينية(٥٣٠)... ولكن مع ذلك فلو لعبت العوامل الاستثنائية دورها (على سبيل المثال الظروف الدولية الملائمة)، واذا قُدِّر لدولة ميري كوّره ان تدوم مدة اطول، لأصبحت بالتأكيد جنيناً لدولة كردية في المستقبل.

خامساً: الظروف الاجتماعية:

لما كانت الاحوال الاجتماعية في الإمارات الإقطاعية مرتبطة بالأمراء، فمن المفيد جداً إلقاء نظرة على ثقافة وعقلية الأمير ونظرته الى الحياة.

لقد كان ميري كوّره مسلماً حازماً نفّذ واجرى بعض الإجراءات والاصلاحات الاجتماعية التي كانت مطابقة مع القوانين الإسلامية:

١- مكافحة السرقة والنهب:

كان السلب والنهب سائدين في القرن الماضي وبصورة خاصة في زمن ميري كوّره. ففي سنة (١٨٣٠) قُتل الباحث في علوم الطبيعة البروفيسور الالماني شولتس Schultz رمياً بالرصاص(٥٣١)... لقد اساء الاضطراب العام وفقدان الامن الى سمعة الكُرد، وبصورة خاصة عند هؤلاء الذين لم يأخذوا بقسوة ظروف المعيشة في كردستان والموقع الجغرافي الصعب والنظام الإقطاعي المسيطر وسوء الإدارة العثمانية – القاجارية، بل اعتبروا الكُرد غادرين Treacherous غير كرماء Unhospitable(٥٣٢)...

إن السلب والنهب ليسا من طباع الكرد وفطرتهم، فلقد اقدمت الكثير من الشعوب على الغزوات وقامت بها في مرحلة معينة من تكوينها. فعلى سبيل المثال عاث اللصوص في النصف الثاني من القرن الثالث عشر في ألمانيا فساداً وأُعتبر ذلك «ظاهرة او علامة على تدهور وانحلال مجتمع الفروسية وحياة القصور»(*٨٣)... ويقول يوهانس شير Johannes Scheer، في كتابه (تاريخ الثقافة والتقاليد الالمانية Deutsche Kultur and sittengeschiche) بهذا الصدد مايلي:

«استسلم الرجال للسلب الهمجي وحب الشجار... وأصاب النبلاء فقر مدقع نتيجة للكلفة

٥٣٠- انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث: (العوامل الدينية كسبب للسقوط).

٥٣١- المصدر الانكليزي (١١٨): ص٢٣٤؛ وكذلك: المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٦٢.

٥٣٢- مثلاً يقول ميلينگن: "الكردي هو خائن (غادر)، وهو لايتردد ابداً في ان يلطخ اياديه بدماء الضيف الذي يطلب منه الحماية، ان ارتكاب مثل هذا النوع من الجرائم كثيراً مايحدث في كردستان. لقد كان القتل المتعمد للرحالة الالماني (شولتس Schultz) من هذا النوع، انه سقط ضحية غدر (خان محمود) في ١٨٣٠؛ كما وان اغتيال (مُشوُ) التاجر اليهودي؛ واحمد افندي، ومدير المحجز الصحي (كرنتينا) في قطور، الذي طرح ارضاً والقي بـه في النهر من قبل رجال المدير (احمد اغا)". راجع المصدر الانكليزي (١١٨): ص٢٣٤.

(*٨٣) في القرنين العاشر والحادي عشر سدت المجاعة بلدان اوروبا نتيجة سوء المواسم الزراعية والكوارث الطبيعية، وبلغت الامور حدا صار يؤكل لحم البشر، حيث يذكر الراهب المؤرخ (رادولف غلابر) حالات كانوا يأكلون فيها اجسام الموتى: انظر: ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، دار التقدم موسكو - ١٩٨٦، ص١٥.

الخارقة حتى اضطروا الى قطع الطريق لسد رمقهم... وسادت في الجبال حياة اللصوصية المتوحشة. لقد إنغمس الجميع في حرب طائشة ضد بعضهم البعض، حملت في طياتها اهانة لجميع القوانين الكنسية والحكومية... الخ»[٥٣٣]...

ونرى بأن خصباك على صواب عندما يقول:

«لا ريب في ان السلب والنهب هو السلوك الذي مارسته اغلبية الشعوب في إحدى مراحل تطورها. وذلك ينطبق على بعض الجماعات الكردية في ظل ظروف وحالات معينة»[٥٣٤]...

إلاّ أن ميري كوّره استطاع ان يضع حداً للسلب والنهب والسرقة في إمارته. وهناك العديد من التقارير التي تؤيد ذلك، فمثلاً يقول فريزر Fraser:

«نادراً ما يُسمع عن حدوث سرقة أو نهب. والأبواب مشرعة طوال الليل رغم ان العقاب بالموت قلما يطبق»[٥٣٥]...

ويؤيد نيكيتين Nikitine ذلك بالقول:

«لم تحدث في عهده حوادث السرقة والنهب والابتزاز... كانت قطوف العنب تبقى متدلية على الطرقات الى موسم الخريف، دون أن يغامر أحد بلمسها»[٥٣٦]...

ولكن ما أنجزه ميري كوّره لم يكن توجيهاً مبدئياً جديداً وانما ممارسة عقائدية لقانون العقوبات الإسلامي، إذ ينصُّ القرآن على:

«والسارق والسارقة فإقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله، والله عزيز حكيم»[٥٣٧]...

وجاء كذلك في القرآن بصدد السلب والنهب:

«انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يُقتَّلوا او يُصلَّبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ أو يُنفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم»[٥٣٨]...

وهكذا فعل ميري كوّره:

«للسرقة، بتر اليد وللفرار بتر القدم، ولجرائم اخرى سمل احدى العينين او كلاهما كان يعتبر كافياً»[٥٣٩]...

وعليه لايمكن إعتبار «اصلاح» ميري كوّره اساسياً وجذرياً، لأنه حارب ظواهر النهب والسرقة التي

٥٣٣- المصدر الألماني (٩٩): ص١٠٦.

٥٣٤- المصدر العربي (١٩): ص٧٤.

٥٣٥- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٤.

٥٣٦- المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢٢.

٥٣٧-انظر: سورة المائدة: رقم: ٥؛ الآية: ٣٨.

٥٣٨- نفس المصدر: الآية: ٣٣.

٥٣٩- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٤. وكذلك؛ المصدر الكردي (٦٨).

كان إنتشارها قليلاً في إمارة سوران، وقد يكون ذلك نتيجة لحكمه الصارم:

«يبدو الپاشا وكأنه محبوب كثيراً، او بالاحرى مهاباً، ربما بسبب طراز واسلوب حكمه الصارم»[٥٤٠]...

يتحدث فريزر عن حكومة صارمة وشديدة، بل وعن تغير وتبدل في أخلاق الشعب أيضاً إذ يقول:

«...إلاّ أن الجدير بالذكر في هذه القضية هو التحول الأخلاقي الكبير الذي احدثه في البلدان والأقاليم الخاضعة له»[٥٤١]...

من الواضح بان فريزر يشير الى تحفظ الشعب خوفاً من العقوبة ويصفه بـ(التحول الاخلاقي). وهو يذهب الى ما ذهب اليه كل من الدكتور روس والخيلاني حول الاسلوب الذي سلكته حكومة ميري كوّره إزاء السرقة واعمال السلب والنهب، لكنه لا يريد الاعتراف بأن تدابير وإجراءات ميري كوّره تلك لم تكن سوى نتائج اعمال عنف واضطهاد وذات اثر ضيق ومحدود فقط. فنادراً ما يمكن القضاء على مرض اجتماعي عن طريق حكم صارم ما لم تفلح تلك الحكومة في الوقت نفسه في رفع المستوى الاقتصادي والثقافي للشعب.

٢- الجهاز القضائي:

يذكر كل من زكي والدرة «عدالة» الأمير فيما يتعلق بنظرته الإسلامية الى العالم:

فالأمير كمسلم متدين «وفر للشعب العدالة وفق مباديء العدل الإسلامية»[٥٤٢]...

من الناحية الموضوعية ارى في شروط العدالة وحدودها سلوكاً نسبياً ضمن اطار النظرة الذاتية لها: إن «عدالة» ميري كوّره هذه تستند على الروايات التي يتميّز البعض منها بطابع أسطوري. ولكنه اعتُبر على أية حال جديراً بالفخر لكونه لم يفرّق في احكامه بين احد اتباعه ومرؤوسيه وبين أفراد عائلته. ويروي فريزر رجولته في القصة التالية: «يقال بان شخصاً اعلمه بأن احد إخوانه او بالاحرى

عزيزاً جداً عليه قد مد يده اثناء ركوب الخيل الى بستان رجل فقير الحال، وقطع رماناً دون اخذ رخصة من صاحب البستان. فأمر الأمير بإحضاره وامره بقول الحقيقة التي كانت غير قابلة للانكار. ثم سأله: وأي يد كانت تلك التي مددتها لتنفيذ الأمر؟ فاشار الشاب الى يده. ثم قال: وبأي اصبع قطفت الفاكهة؟- فأجاب الشاب: بهذه. واخيراً قال الأمير: اذن اقطعوا ذلك الإصبع في الحال. ونُفذ الحكم في نفس المكان».

ويضيف فريزر قائلاً: «وهناك قصة شائعة اخرى تذكرنا بقصة مماثلة تُنسب الى نادر شاه...»[٥٤٣]...

٥٤٠- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٤.

٥٤١- نفس المصدر: ص٦٤-٦٥.

٥٤٢- المصدر العربي (٤٠): ص٨٦. وكذلك: المصدر العربي (٣٥): ص٢٣١.

٥٤٣- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٦٦.

وجاء في المجلة الكردية (رۆژی نوێ- اليوم الجديد) حول ذلك ما يلي:

«قام پاشای کۆره (میري کۆره) بقتل أحد إخوانه بسبب زيارته لإحدى العوائل وإحتجاج رب البيت على هذا العمل المخالف للقانون»[٥٤٤]...

ويروي خيلاني أيضاً أن: «ميري کۆره هدد أحد إخوانه بالقتل لمضايقته امرأة رجل فقير»[٥٤٥]...

وهناك بعض التعليقات والملاحظات حول ما جاء في تقارير كل من (فريزر) و(رۆژی نوێ) وما ذكره (خيلاني):

١- تُنسب نفس القصة التي ذكرها فريزر الى نادر شاه أيضاً كما يؤيد ذلك فريزر نفسه. وعليه فان صحتها مشكوك فيها. وقد اسفرت الدراسات والابحاث التي اجريتها حول الروايات الشعبية الكردية والآداب الشعبية الأخرى عن ان رواية معينة غالباً ما تُنسب الى عدد من الشخصيات المختلفة. فعلى سبيل المثال: ناقش اثنان من الانكليز الشيخ محمد عبده حول القرآن وكان إسم احدهما (مستر كوك Mr. Cook). ادعى عبده بأن جميع ما في العالم له وجود في القرآن أيضاً. فسأله احد الانكليزيين: «اين يذكر اسم صديقي مستر كوك؟». رد عليه عبده في الحال: «وتركوك قائماً»[٥٤٦]... وهذا يعني «انك ترى ان كوك يقف هنا» (ولكن الترجمة الحقيقة هي: انهم تركوك قائماً). إلاّ أن ذلك التلاعب بالكلمات في هذه القصة، الذي اشتهر به عبده وصديقه الروحي جمال الدين الافغاني، يروى ويُنسب من قبل بعض الناس أيضاً الى العالمين الكرديين (مفتي الزهاوي) و(ملا محمدي كويي) اللذين كانا معروفين بتلاعبهما بالكلمات والالفاظ. وحسب إعتقادي فإن مثل هذه الروايات هي من النوادر والطرائف، أو أن صحتها مشكوك فيها للغاية.

٢- لنفترض صحة الروايات السالفة الذكر، فانها رغم ذلك ليست ضماناً لنزاهةٍ موضوعيةٍ مطلقة للأمير أو لعدالته الإسلامية. فعلى سبيل المثال لم يرا ع الأمير حدود العدل في حروبه ضد المسلمين. وفريزر الذي يصف عدالة ميري کۆره على هذا النحو يعطي الدليل على انه لم يكن يردعه شيء عن اراقة الدماء، لو بدا له ذلك ضرورياً:

«...... تشرب كثيراً بافكار العدل الصارم، إلاّ أن التطبيق العملي لتعليماتها عزز في الواقع وسيلة التبجيل أي اسلوب التعظيم او المبالغة بدلاً من خدمة الغرض نفسه. انه لايبالي بسفك الدماء، لكنه غير مائل الى القتل عبثاً او بدون سبب، ولم يصفح لحد الآن عن قضية على الإطلاق، ومع ذلك فان التقصير يظل قائماً»[٥٤٧]...

٥٤٤- المصدر الكردي (٦١).

٥٤٥- المصدر الكردي (٦٣): ص٧٧-٧٨.

٥٤٦- انظر الآية القرآنية: رقم: ١١، سورة رقم: ٦٢، [.... وتركوك قائماً....]

٥٤٧- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٨٠.

٣- الادارة ونظام الحكم:

يشيد الكثير من واضعي التقارير بالادارة الجيدة لإمارة سوران ويثنون عليها. فمثلاً يتحدث الدكتور روس Roos عن الادارة الجيدة لإمارة ميري كۆره ويقارنها بالادارة السيئة للامبراطورية العثمانية. كما يعيد فريزر وصف الدكتور روس ثانية فيقول:

«فور دخول الدكتور روس الى الثانية[٥٤٨] (يقصد الدولة العثمانية- المترجم)، ذُهل من كثرة المطالبة بالبخشيش (هدية)[٥٤٩]؛ وبعد ان تم فضه من كل ما كان لديه حول اقاليم ومقاطعات رواندز. لم يطرق بكلمة واحدة. لقد اجريت مقارنة في جميع النواحي والجوانب بين حكم علي باشا والي بغداد وحكم الأمير، يكون من الجائز جداً ان تؤدي الى خسارة الأول حيث انه كان يوبخ علناً لخيانته، بينما يُمجَّدْ أمير رواندوز بعلانية»[٥٥٠]...

كذلك يشير لونگريگ Longrigg الى ادارة ميري كۆره ويصفها بأنها جيدة، على النقيض من الادارة العثمانية في العراق:

«.... كانت امبراطوريته في مقدمة الانظمة التي لاتخطيء والمصانة بعدالته الصارمة. مثل امنها الذي لم يكن معروفاً على الاطلاق. وكان العراق على النقيض منها تماماً، حيث كانت تسوده الفوضى والإضطراب»[٥٥١]...

ويصف زكي ادارة ميري كۆره بشكل مشابه:

«كانت إدارته من أحسن الإدارات، ولم يكن لها مثيل في تلك الاوقات في المحافظة على الأمن ونشر ألوية السلام وتحقيق العدالة في دائرة الشريعة الإسلامية. بخلاف ادارات جيرانه حكام (بغداد) وغيرها التي كانت في الحقيقة بعيدة عن الحق ومباديء العدل والقانون»[٥٥٢]...

هنالك تقرير آخر للدرة يحتمل انه قد اقتبسه من زكي رغم من انه لا يشير الى ذلك، يصف الادارة على الشكل التالي:

«كان الأمير الكبير معروفاً بتنظيم الادارة في إمارته واستتباب الاوضاع فيها. لقد طبق مباديء العدل بين الناس بمقتضى القانون الإسلامي بخلاف ادارة الوالي العثماني في بغداد والمناطق الأخرى، التي كانت في الحقيقة بعيداً عن الحق ومباديء العدالة والقانون»[٥٥٣]...

ويتضح من التقارير السابقة ان الطمأنينة والامن كانتا تسودان إمارة ميري كۆره. وقد ساعد ذلك الأمير على مواصلة مطامحه التوسعية بكل هدوء وراحة.

٥٤٨- انه يعني بذلك الحدود العثمانية.

٥٤٩- Bukhsheesh كردي (به-خشيش) هو هبة (بقشيش) وليست هدية.

٥٥٠- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٧٩.

٥٥١- المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٦.

٥٥٢- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣١.

٥٥٣- المصدر العربي (٤٠): ٩٦.

ولايورد أي من الكتاب بخلاف موكرياني معلومات وافية عن تركيب دولة ميري كوّره. فحسبما يذكر موكرياني، الذي يستند في تقريره على كرونولوجيا «مليخا Malixa» كانت الحكومة على الوجه التالي:

١- الأمير المنصور محمد پاشا، أمير رواندز رئيساً.

٢- رسول بگ اخو الأمير نائباً عاماً للرئيس.

٣- احمد بگ الاخ الآخر للامير قائداً عاماً للقوات المسلحة.

٤- حميد شيرواني(*٨٤)، خدر محمد، ماميس، سوراو، عبدالله آكويي وصوفي آغا، قادة للجيش بإمرة احمد بگ.

٥- اوستا (اوسطه) رجب قائداً للمدفعية(*٨٥)...

٦- خان گلدي رئيساً لمنتجي اسلحة الطعن والهجوم والصاغة.

٧- اوستا (اوسطه) ابراهيم ماويلي رئيسا للمعماريين والبنائين.

٨- حاجي (الحاج) مصطفى اغا ممثلا للتجار والباعة.

كان الجميع يجتمعون معاً في الاسبوع مرة، وحين كان يُطرح او يُثار امر مهم، كان يجري نقاش جماعي للإجراءات الواجب اتخاذها(٥٥٤).

بعض الشخصيات التي يذكرها موكرياني في هذا التقرير، مثل رسول بگ، احمد، أوسطه رجب وخان گلدي، قد تولوا في الواقع هذه المراكز كما تم بيانها وإيضاحها في الفصول المختلفة. المهم أنه بإمكان المرء أن يفهم من ذلك ان حكومة ميري كوّره قامت على نوع من تقسيم العمل والمسؤوليات كما هو جارٍ في الدولة في الوقت الحاضر، ولكن على اساس الإسلام كعقيدة للدولة. إلاّ أن المرء يجد مع ذلك بعض الإنحرافات عن تعاليم الإسلام من قبيل:

١- أن الدولة لم يكن لها (امير للمؤمنين) الذي يعد من سمات الدولة الإسلامية، فقد كان ميري كوّره يحمل لقب (الأمير) وليس الخليفة. وكذلك لم يكن مدى إعتراف ميري كوّره بشرعية الخليفة العثماني أمراً معلوماً. ويروي خيلاني، ان ميري كوّره رفض عرضاً او طلباً لأهالي الموصل وكركوك وبغداد بضم بلدانهم لإمارته معللاً ذلك بأنه لايهاجم أملاك الخليفة العثماني وانه يكتفي بالمناطق الكردية(٥٥٥).

وليس بالإمكان الدفاع عن حجة ميري كوّره الواهية هذه، لأن قسماً من تلك الاراضي الكردية

(*٨٤) حمد شيرواني (حەمەدى شيرواني)، المصدر الكردي (٥١)، ص٤٩.

(*٨٥) ومذاخر الاسلحة، نفس المصدر.

٥٥٤- المصدر العربي (١٠): ص٤٠.

٥٥٥- المصدر الكردي (٦٣): ص٦٤-٦٥.

التي أراد ان يكتفي بها لنفسه كانت جزءً من الامبراطورية العثمانية، حتى ان خيلاني يشكك أيضاً في العذر الذي قدمه الأمير عندما يقول:

«... هذا ما ادلى به هو: أما ما كان يخفيه في نفسه، فيعلم الله وحده به»[٥٥٦][*٨٦].

على أي حال كان ميري كوّره غير موالٍ للخليفة، لأنه اراد قطع علاقاته بالعثمانيين والإنفصال عنهم وتأسيس حكومة تحت حكم وسلطة عائلته، كما أيد ذلك أخاه[٥٥٧]...

٢- لم يكن نظام الحكم مستنداً على (الشورى) الإسلامي المتبع في الإسلام[٥٥٨]. فقد كان الشعب محكوماً من قبل عائلة الأمير وبعض الملاكين وعلماء الدين، ولم يكن للشعب حق الإدلاء بصوته.

٤- الحالة الاقتصادية:

الاقتصاد السائد في إمارة سوران في تركيبه وبنيته الزراعية اليدوية يماثل ما كان سائداً في المجتمعات الإقطاعية المتعارف عليها. وكانت توجد في المجتمع الكردي السوراني ثلاث طبقات مختلفة، أضعفها طبقة الفلاحين والرعاة (مربي المواشي والأُجراء Tagelöhnem) معاً. أما الطبقة الثانية فقد كانت تعيش وبصورة خاصة في المدن (مثل رواندز)، وكانت تتألف من صغار أرباب المهن والباعة الذين كانوا يتمتعون بمستوى معاشي أكثر تحسنا من الطبقة الأولى. أما الطبقة العليا، فكانت تتكون من عائلة الأمير، وكذلك من شلة العلماء ورؤساء العشائر.

تختلف الإقطاعية الكردية في أساليب ومستويات المعيشة إختلافاً جوهرياً عن المستوى الأوروپي. فما سُمي برجل الإقطاع الكردي كان ولايزال رئيساً للعشيرة في المقام الأول، وغالباً يملك السلطة الدينية والدنيوية معاً وقلما تسمح له القوانين غير المدونة للقبيلة بأن يتمتع بحياة افضل من افراد عشيرته. وكانت سلطته تشمل في الغالب المجال الديني والادارة الدنيوية، ولكنه نادراً ما كان يملك مالاً اكثر من اللزوم او نفوذاً اقتصادياً كبيراً.

ويروي فريزر أن الأمير البابانى الكردي محمود پاشا، كان فقيراً لدرجة أنه لم يكن في وضع يتمكن فيه من دفع (٢٠٠) تومان[*٨٧] للوحدات الفارسية المرابطة عنده[٥٥٩]، رغم انه تمكن من إرسال

٥٥٦- نفس المصدر: ص٦٥.

(*٨٦) انظر: جەمال نەبەز (جمال نبز): بیری نەتەوەیی کوردی، ١٩٨٤ ي ف/ ٢٥٩٦ ي ك، ص ٣٦-٣٧.

٥٥٧- المصدر الانكليزي (١١٨): ص١٨٥.

٥٥٨- انظر الآية القرآنية: [والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون] رقم:٣٨، سورة الشورى رقم: ٤٢.

(*٨٧) وان كانت في كردستان ملكيات للارض احيانا غير قليلة، الا انها ليست الا نسبة ضئيلة مما كان عليه الإقطاع الاوروپي، كما ولم يتصف بنفس المعاملة الوحشية مع الفلاحين، وذلك لوجود الفوارق الاجتماعية والدينية والنفسية بين كردستان واوروپا. (التومان: هي عملة ايرانية تعادل درهما عراقيا).

٥٥٩- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص١٦١.

ألف رجل لإستقبال فريزر فقط.[٥٦٠]...

وكان من النادر في تلك الأزمنة تطبيق ما يمكن تطبيقه اليوم من قواعد وضوابط، أي أن يبسط رجال الإقطاع سيطرتهم خارج نطاق عشيرتهم، ويتمكنوا من إمتلاك الكثير من الأراضي الزراعية والتصرف بها كما هو اليوم، علماً بأن الفلاحين والرعاة (اصحاب المواشي) يعيشون غالباً والى يومنا هذا في ظروف غير لائقة بالإنسان[٥٦١]...

وقد تحدث الدكتور روس عن الفوارق الطبقية في إمارة سوران، الامر الذي يجعلني استشهد ببعض مقتبسات لتأكيد اقوالي:

«السواد الأعظم من الناس كان رث الملبس، أما منازلهم فلم تزد عن زرائب الخنازير... ولباس الرجال الأغنياء كلباس البغدادي نفسه»[٥٦٢]...

ولم تكن تلك البدلات (البغدادية) غالية ولم تكن تختلف كثيراً عن زي الفقراء. ولايحتاج المرء ليعرف المستوى سوى أن يمعن النظر في الزي البغدادي التقليدي في الوقت الحاضر.

ويصف الدكتور روس زي وملابس ميري كۆره نفسه، فيقول:

« ،من جهة اخرى فقد كان انيق الملبس»[٥٦٣]...

ولأجل إلقاء الضوء على أسلوب حياة ميري كۆره نفسه: أقدم هنا وصف الدكتور روس لها، من خلال وصف الأشياء والادوات التي كانت موجودة في خيمة الأمير:

«... سلاح ناري انگليزي ذو سبطانتين وبندقية مع سيف، منظار، وشمسية، سرير خشبي، وبضع سجادات، كانت قد ألَّفت القسم الأكبر من اثاث وأمتعة خيمته»[٥٦٤]...

نستنتج من ذلك أنه لم يكن لميري كۆره مستوى معاشي رفيع ومتميز عن عامة الناس، وذلك على نقيض الباشوات الاتراك والأمراء القاجاريين، الذين كانوا معروفين بقصورهم وترف معيشتهم.

أما عن مستوى الشعب فنعلم بعض الشيء من الدكتور روس وذلك خلال وصفه للدور والمنازل في (دم دم Dum Dum) وهي احدى القرى القريبة من رواندز، كما يصف من على مبعدة أيضاً بيوت رواندز أيضاً:

«تبدو مدينة رواندز من هنا مشتملة على ما يقرب من ألفين من البيوت الفقيرة على هيئة قلعة كائنة في مضيق جبلي»[٥٦٥]...

٥٦٠- نفس المصدر: ص١٤٥.

٥٦١- المصدر الكردي (٤٧)؛ وكذلك: المصدر الانگليزي (١١١): ص١١٨-١٦٢.

٥٦٢- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧١.

٥٦٣- نفس المصدر: ص٧٧.

٥٦٤- نفس المصدر: ص٧٨.

٥٦٥- نفس المصدر: ص٧٠.

حتى أن عاصمة ميري كوّره كانت ذات مستوى معاشي منخفض. وهنا يطرح السؤال التالي نفسه، فيما اذا كان الوضع في المناطق الخاضعة للوالي العثماني أحسن من ذلك؟ يقول الدكتور روس بهذا الصدد:

«... وضمن الملاحظات الأولى، كان يظهر التباين الكبير في الزراعة والسكان بين الاقاليم التركية والكردية. ففي الأولى كانت جميع الوديان متروكة، حيث فّر السكان هرباً من ضرائب الحكومة. أما مَن بقى هناك، فكان يجأرُ بالشكوى من مظالم علي پاشا والي بغداد. وفور ظهور شخص ينتسب الى الحكومة، كان الناس يركضون بعيداً للإختباء. وما أن وصل الموكب الى (آلتون كوپري) حتى احتشد الناس لاستقبال بايز بگ والترحيب به، واضعين الورود فوق رؤوسهم، كما في العطلات والاعياد، متنافسين فيما بينهم من اجل تقبيل يده، وهم يصيحون ويهتفون عندما كان يمر من أمامهم»[٥٦٦]...

وهذا يعني أن الوضع الاقتصادي في إمارة سوران، رغم مستواها المعاشي المنخفض، كان أحسن قياساً الى المناطق التي كانت تابعة للإدارة العثمانية.

أما الزراعة في إمارة سوران فكانت في وضع جيد نسبياً، وذلك حسبما أيّده الدكتور روس في تقريره الذي ورد فيه ان جميع المواد الضرورية كان يتم انتاجها في هذا المجتمع الريفي إنتاجاً محلياً. وقد جعل هذا الإكتفاء الذاتي، اقتصاد إمارة سوران مستقلاً عن الإقتصاد العثماني:

«انهم لايعتمدون على أي بلد، بل على انفسهم في إنتاج كافة إحتياجاتهم محلياً، في حين تتوفر في جبالهم الحماية المنيعة ضد الغزاة الأجانب. فمنحدراتها الوعرة ووديانها تحتاج الى جهد قليل كي تنتج وبكثرة كل ما يرغبون بزراعته، ولن ينقصهم قط انتاج مؤونة الغابة، والمياه، والمراعي»[٥٦٧]...

إذن كان النظام الإقطاعي، الذي كان للشيوخ فيه حق التصرف بالأراضي الزراعية، هو السائد في ذلك الوقت. ولذلك (كانت أراضي الريف المحيط بأربيل مؤجرة من قبل الپاشا للشيوخ بمقاطعات على غرار النظام الإقطاعي)[٥٦٨]... ومثلما هو الحال في جميع الانظمة الإقطاعية، وزع الأمير الوظائف والمناصب الأرفع على أقربائه الذين كان يثق بهم (طبقا لسياسة المحسوبية او محاباة الأقارب Nepotismus). فقد تولى كل من إخوانه رسول بگ وأحمد بگ أهم تلك المناصب. يقول الدكتور روس:

«كان احمد بگ حاكما على أربيل، والرابع، رسول بگ كان مع الجيش[٥٦٩]... تولى رسول بگ فيما بعد قيادة جيش سوران فأصبح قائداً لجيش سوران[٥٧٠]... وعندما إحتل ميري كوّره

٥٦٦- نفس المصدر: ص٦٩.

٥٦٧- نفس المصدر:ص٧٤.

٥٦٨- نفس المصدر ونفس المكان.

٥٦٩- نفس المصدر: ص٧١.

٥٧٠- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٥.

مدينة هَولير (أربيل)، نصّب أحد أقربائه حاكماً عليها[٥٧١]، وكذلك عمد الى نفس الشيء في كويسنجق حيث عيّن احد ابناء عمه هناك»[٥٧٢]...

وكانت لإمارة سوران عملة نقدية خاصة بها وهناك تقرير لموكرياني يبين طبيعة تلك المسكوكات الخاصة ويشير اليها بأنها كانت تحمل توقيع ميري كۆره.

ويؤكد خيلاني هذا التقرير ويدعمه. فحسبما يذكر موكرياني، كانت هنالك سبعة انواع مختلفة من العملات المتداولة، وحسب خيلاني ثمانية[٥٧٣]...

لم يكن ميري كۆره الأمير الكردي الوحيد الذي سَكَّ النقود بتوقيعه، فلقد قام بدرخان پاشا أمير بوتان بذلك أيضاً[٥٧٤]...

ولهذا السبب أيضاً أود اعتبار تقريرَي موكرياني وخيلاني المذكورين سالفاً، تقريرين جديرين بالتصديق. وهذا يعني انه لم يكن صعباً بالطبع أن يقوم ميري كۆره– الذي بنى مصنعاً لصنع المدافع الحربية، أن يقوم بسكّ النقود، وان يسعى لإنشاء دولة، ويجب ان يكون ناجحاً في مساعيه تلك أيضاً. واذا كانت تقارير موكرياني وخيلاني هذه صحيحة، فإنّ سك النقود يعتبر سمة من أهم سمات استقلالية ميري كۆره عن السلطان العثماني[*٨٨]...

٥– مكانة المرأة في المجتمع:

يقول العالم الألماني فوخلر هاوكه Focler - Hauke: «الإستقامة، الصراحة، الكفاءة العسكرية والتواضع تعد من اهم شيم الكُرد. وبالرغم من اعتناقهم الإسلام، فقد تمتعت المرأة لديهم منذ القدم بمنزلة ذات حرية اكثر من حرية المرأة عند الشعوب المجاورة لهم»[٥٧٥]...

ان هذه المنزلة الرفيعة للمرأة الكردية هي ليست حقيقة يعترف بها علاّمة كالپروفيسور فوخلر هاوكه فقط، بل يعترف بها الكثير من السواح والملمّين بالشعب الكردي، فمثلا يقول نيكيتين:

«لاريب ان المرأة عند الكُرد تتمتع بشخصيتها المعترف بها».[٥٧٦]...

٥٧١– المصدر الكردي (٦٣): ص٤١.

٥٧٢– نفس المصدر: ص٤٢.

٥٧٣– المصدر العربي (١٠): ص٤١؛ وكذلك: المصدر الكردي (٦٣): ص٥٨؛ وأيضاً: المصدر الألماني (٩٦): ص١٢٢٢.

٥٧٤– هذا ما أخبرني به الأمير البروفيسور الدكتور كامران بدرخان.

(*٨٨) لقد ذكر موكرياني اسماء تلك العملات الكردية التي كانت متداولة في إمارة سوران، وهي مسكوكات من الذهب والفضة والنحاس، واسمائها كالاتي: (ريال، قروش ـ تەنيگر، يوزلغ، جلك، خودابەندە، شايي) واشار موكرياني الى قيمة تلك العملات بالنسبة للعملة الذهبية العثمانية (الليرة الذهبية - العملة الصعبة) مؤكدا بأن ثلاثة من هذه المسكوكات الكردية لاتزال بحوزته وهي (خودا بەندە، جلك، تەنيگر)، راجع: المصدر الكردي (٥١)، ص٥٠.

٥٧٥– المصدر الألماني (٨٨).

٥٧٦– المصدر الفرنسي(١٣٠): ص٩٩.

كذلك يقول خالفين بالنص: «يحترم الكردي المرأة بخلاف الشعوب الشرقية الاخرى، إحتراماً فائقاً».[٥٧٧]

ويمكن ملاحظة هذا الاختلاف والتباين بين المرأة الكردية وغيرها من المسلمات الى يومنا هذا. فعلى سبيل المثال تقول الممثلة العربية المعروفة (زينب): «وجدت عند المرأة الكردية الذكاء، روح التقدم والإنطلاق الحقيقي من عبء عبودية التقاليد... إنها المثال الحي لما ينبغي ان تكون عليه المرأة في بلادي، كما وانني آمل ان تنال الفتاة العربية على الأقل جزءً من هذه الحرية التي تتمتع بها الفتاة الكردية»[٥٧٨]...

ويعتبر كتاب (عادات واعراف الطوائف الكردية) لمؤلفه العالم الديني الكردي المعروف والمعاصر لميري كوّره ملا محمود بايزيدي (ولد سنة ١٧٩٧) من المراجع الموثوقة في هذا المجال، حيث جاء فيه: «في الحقيقة ان خضوع المرأة للرجال عندهم (عند الكُرد) ليس عرفاً، فنساؤهم وفتياتهم لايخجلن من أحد، إنهن متحررات كنظيراتهن الأوروبيات»[٥٧٩]...

فالتحجب غير معروف عند المرأة الكردية وخاصة في الريف، حيث أن واقع صعوبة الحياة التي تتميز بشبه البداوة عند الكرد، قد أجبر الرجل أيضاً على استخدام القوة العاملة النسوية. وهكذا إستطاعت المرأة الإنطلاق من إسار العمل المنزلي، بل وجب عليها مساعدة الرجل قبل كل شيء في الزراعة.

ومن جهة اخرى، فرض نمط الحياة الجبلية هذا على النسوة ان يقاتلن بشجاعة كالرجل، حيث يقول بايزيدي: «المرأة الكردية تقاتل الى جانب زوجها في الحرب»[٥٨٠]...

ويعرف التاريخ الكردي الكثير من الزعيمات الشهيرات مثل (قره فاطمة) التي قادت فرقة قوامها خمسمائة مقاتل من المتطوعين الكُرد إبان الحرب الروسية - العثمانية سنة (١٢٩٤ هـ-١٨٧٧م) في أرضروم وقارس.[٥٨١][*٨٩]...

وعليه فقد تمكنت المرأة الكردية أيضاً من نبذ الحجاب، لعدم ملاءمته لواجباتها الاقتصادية

٥٧٧- المصدر الروسي (٨٢): ص٢٣.
٥٧٨- المصدر العربي (٤٥): جريدة (النور) العراقية: العدد (٣١٨)، بغداد ١٩٦٧/٧/٩: مقابلة مع الممثلة العربية زينب.
٥٧٩- المصدر الكردي (٦٥): ص١٩٠.
٥٨٠- نفس المصدر: ص١٩٣-١٩٤.
٥٨١- المصدر العربي (٤٦).
(*٨٩) استطاعت المرأة الكردية ان تثبت منذ القدم بأنها قادرة على منافسة الرجل في جميع المجالات، فلقد دون التاريخ لنا اسماء الكثيرات منهن، ولايسعني هنا إلاّ أن اشير الى ملكة المسلمين (شجرة الدر) وهي من حفيدات صلاح الدين الايوبي وشهده دينوري (المتوفاة سنة ٥٧٤هـ) ونورنيسا خانم، والشاعرة مةستورة خانم الاردلانية المعروفة باسم ماه خانم (المتوفاة سنة (١٢٣٦هـ) وكثيرات غيرهن.

والعسكرية. وقد اسفر ذلك عن تسنم الكثير منهن لوظائف ومناصب عالية في المجتمع الكردي، حيث تولت (خانزاد) مثلاً حكم امارة سوران بعد وفاة زوجها[*٩٠] الأمير سليمان بگ ابن شاقلي بگ، وهي المرأة التي سجل اسمها في التاريخ الكردي كـ(اميرة سوران)[٥٨٢]...

لذلك فلا غرابة في ان تكون منزلة المرأة في إمارة ميري كۆره أحسن منها في البلدان الإسلامية المجاورة غير الكردية، التي كانت قد تخلت والى حد ما عن حياة شبه البداوة (شبه الرحالة). ولكن لم تكن هذه الحالة اكثر من تعبير عن النفس وما تملكه إزاء الاعتقاد الإسلامي الذي يعتبر الرجل قواماً على المرأة[*٩١]، ويحصر كل تعاون بين الجنسين بعوائق شتى. فعلى سبيل المثال جاء في القرآن الكريم: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض...الخ»[٥٨٣]...

كما يقول محمد (ص) أيضاً: «النساء ناقصات عقل ودين»[٥٨٤]...

لقد جعلت هذه الرؤية بعض علماء الدين والسلطات الدينية يتخذون إجراءات غير إنسانية ضد النساء. فلقد كتب أحد علماء الدين الإسلامي المعروفين وهو (خيرالدين الآلوسي) كتاباً حول الأسلوب الذي يمكِّن الرجل من إبعاد المرأة عن التعليم[٥٨٥]... أما ما يتعلق بميري كۆره، فلم يتمكن من خلال تطبيق الأعراف الإسلامية، ان يحد من حياة شبه البداوة (شبه الرحالة) التقليدية المشتركة بين النساء والرجال في إمارته، وذلك كالحجاب وشعار «المرأة للمنزل».

الدكتور روس الذي يصف ملابس وزي النساء، لم يذكر شيئاً عن الأحجبة والأقنعة أو عن معاملة سيئة للنساء بوجه خاص. ولو أنه لاحظ شيئاً من هذا القبيل لكان تحدث عنه بالتأكيد. ولم يتعدَّ ما بلغه وحققه ميري كۆره بهذا الصدد منع الرقصة الشعبية الكردية التقليدية (رەشبەڵەک)[٥٨٦]، التي يرقص فيها الرجال والنساء معا بنشوة[*٩٢]...

(*٩٠) كانت (خانزاد) اخت الأمير سليمان بگ بن شاقولي بگ وليست زوجته، انها حكمت إمارة سوران وكانت عاصمتها (هرير - حرير) بعد ان دبر والي بغداد مؤامرة قتل اخيه (سنة ٩٩٩ هـ/ ١٥٩م)؛ اثارها لاتزال باقية من قلاع ومدارس وجوامع وجسور والتي تحمل اسمها. انها كانت معروفة بالشجاعة والثقافة وبعد النظر والفروسية، وكانت تشترك في المعارك بنفسها. وللمزيد من المعلومات راجع: شرفنامة، ترجمة هذار، ص٥٠٣،٥١٤؛ وكذلك: المصدر الكردي (٥١)، ص١٤، خانزاد ولەشكرى، محمد توفيق وردي؛ مجله رۆشنبيرى نوێ، العدد ٨٧، تموز ١٩٨١، ص٣٢ وفيها مقال بقلم اسعد عەدو، وأيضا: رۆژمێرى هاوسەر ساڵى سێيەم - ١٩٧٠، چاپخانەى كامەران، سلێمانى، علما بأن هنالك رواية غنائية تعرف بـ(بەيتى سليمان بەگ وخانزادي).

٥٨٢- المصدر العربي (٣٩).

(*٩١) انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث (اولا) حول دور والدة الأمير بووك شازەمان.

٥٨٣- انظر الآية القرآنية: رقم ٣٤، سورة النساء رقم: ٤.

٥٨٤- انظر الحديث النبوي: [النساء ناقصات عقل ودين].

٥٨٥- المصدر العربي (١٣).

٥٨٦- المصدر العربي (١٠): ص٢٨. كذلك المصدر الكردي (٦٣): ص٢٩-٣٠.

(*٩٢) كذلك منع ميري كوره الجلوس في المساجد دون العبادة (المصدر الكردي ٥١) ص٣٢، علما بأن ثورة ايلول ١٩٦١ في الجزء العراقي من كردستان منعت أيضاً وبصورة رسمية الرقصة الشعبية الكردية (رەشبەلەک) في المناطق المحررة من كردستان العراق؛ قد يكون تفادي وقوع المنازعات المحتملة من بين دوافع الحضر هذا.

وتعتبر هذه الرقصة في نظر المسلمين الأصوليين مثالاً لفساد الخلق واللاأخلاقية، حتى ان الشاعر الكردي المعروف في القرن التاسع عشر والعشرين احمد بگ صاحبقران (١٨٧٦-١٩٣٦م) أنحى في حينه عن طريق إحدى قصائده الإنتقادية على الملك الكردي شيخ محمود (١٩٢٢-١٩٢٤) باللائمة ودعاه الى إلغاء هذه الرقصة[٥٨٧](*٩٣)...

ومن ناحية أخرى منع ميري كۆره كل تلاقٍ او لقاء بين النساء والرجال غير المتزوجين، وكأنه إستطاع فرض وتنفيذ هذا التوجيه أو الإرشاد داخل مدينة رواندز وحدها[٥٨٨]...

٦- المنشآت والمرافق الاجتماعية:

من الضروري اعتبار بناء الجسور والمدارس والجوامع خصوصاً في كردستان، ضمن نطاق الحقل الاجتماعي لعلم المباني. حيث قدّمت الجسور التي انشأها ميري كۆره تسهيلات كبيرة للناس، وبالأخص لسكان الارياف الذين كانوا يجلبون سلعهم الى العاصمة للبيع يومياً.

شيد ميري كۆره سبعة عشر جسراً في مختلف الأماكن، قسم منها لازالت باقية، والقسم الآخر برهن على صلاحيته الممتازة الى يومنا هذا[٥٨٩]... كما صمدت بعض قلاعه بوجه الزمن.

لقد تفقدت جميع هذه الجسور والقلاع في صيف عام ١٩٥٦. وكان سكان رواندز -كما علمت- يستخدمون جزئياً الماء الصالح للشرب في القلعة الموجودة هناك. فقد تم ضخ الماء الى تلك القلعة من وادٍ عميق يدعى (گلي مج - مهجه) إذ ان احد المهندسين الذين كانوا قد شاهدوا قبلي هذه القلعة ومواسير مياهها، اعرب لي عن دهشته لمثل هذا الحصن العجيب جداً في ذلك التاريخ ولمجاري مياهه. وقام ميري كۆره ببناء بعض المدارس والمساجد أيضاً[٥٩٠](*٩٤)...

٥٨٧- تعني القصيدة: "هل ينبغي ان يسمح للشعب وللمجتمع الكردي برقصة الرشبلك (رهشبهلهک)؟. فالكبيرة رحمة (رحمة كانت سكرتيرة خاصة للشيخ محمود، انها كانت امراة ساذجة، تسترت على حقوق جميع المثقفين في المملكة وظلمتهم)- حفظها الله، لاتتركنا ان نرقص مرفوعي الرأس منتصبين". راجع: المصدر الكردي (٥٩): ص٤٤٤.

(*٩٣) يقول محمد كرد علي في كتابه (غرائب الغرب) الذي الفه بعد ان قام بثلاث زيارات لاوروپا في اوائل هذا القرن مايلي: (قرأت في الصحف الباريسية ان امبراطور المانيا منع ضباط مملكته من رقص (التانغو) (والوان ستب) في الحفلات الرسمية وكذلك فعل ملك الانگليز وهما رقصتان قيل انهما من اصل امريكي في اقصى مايكون من الخلاعة خلافا للرقص الذي اعتاده الاوربيون ففي حفلاتهم الراقصة خاصة كانت او عامة... اننا بحسب عاداتنا واصطلاحنا سكان المدن العربية لا البوادي العربية نكره الرقص ونعده حطة ولكن الغربيين يرون غير رأينا فيه، يرونه من الحاجات الطبيعية لبسط النفس ولذلك لاتكاد ترى الكبير والصغير والرجل المرأة الا ويعتادون الرقص على انواعه من غير مكير اللهم الا رقص التانغو والوان ستب فإنّ العقلاء انكروه لأنه باعث الشهوات البهيمية ومخرج للرقص عما وضع له). انظر: محمد كرد علي: عجائب الغرب، الطبعة الثانية، مصر - ١٩٢٣م، ص٢٠٧.

٥٨٨- المصدر الكردي (٦٣): ص٢٩-٣٠.

٥٨٩- نفس المصدر: ص٤٤-٤٥.

٥٩٠- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث: (الحالة الثقافية).

(*٩٤) باشر ميري كوره بناء سد على نهر رواندز بهدف جلب الماء الى وادي خرند (گهلى خهرهند) وقام ببناء مشروع جديد لجلب الماء الى مدينة رواندز من گلي بيجان.

المبحث الثالث

المطامح التوسعية لميري كۆره

أولاً: فتح الأقاليم والإمارات الصغيرة:

حاول ميري كۆره وقبل كل شيء إخضاع الإمارات الصغيرة والقريبة مثل شيروان، برادوست وخوشناو لحكمه، وضم اليه كذلك مناطق السورچية[٥٩١]... وكان إختياره نقطة انطلاق توسعه من الضعفاء إختياراً حكيماً من جانبه.

وحسب ما يروي موكرياني[٥٩٢] وگوراني[٥٩٣]... فقد هاجم الأمير سنة (١٢٢٩-١٢٣١ هـ = ١٨١٤-١٨١٦م) الإمارات الواقعة شمالاً، أو بالأحرى انه بدأ ببرادوست. وكانت قلعة (هركيلا) في يد محمد بگ سليم خان بگ البرادوستي. ووفق ما جاء في تقرير لموكرياني، فقد إنتصر ميري كۆره عليه بالخديعة [٥٩٤]. وحسب گوراني[٥٩٥] كان ذلك عن طريق القتال. ويعتبر موكرياني يوم (٢١ ربيع الثاني ١٢٣١هـ = ١٢ اذار ١٨١٦م) تاريخاً للإستيلاء عليها. وإستولى ميري كۆره على حصن آخر للبرادوستيين يدعى (سارداو) في يوم (٢ جمادى الأولى ١٢٣١ هـ = ٣١ اذار ١٨١٦م)، وكان الحصن تحت إمرة حسن خان البرادوستي[٥٩٦]... ثم توجه بعد ذلك نحو مناطق ليتان وشيروان وإستولى عليها[٥٩٧]... وحسب قول موكرياني فقد كان (احمد سرهنگ - او أحمد بديري)[٥٩٨] قائداً لجيشه، والذي قام بالهجوم على قلعة (ككل - كەكلە) التابعة لشيروان[٥٩٩]...

كذلك فإنّ كلاً من خيلاني[٦٠٠] وچاوشلي[٦٠١]ولونگريگ[٦٠٢] يؤيدون التقارير الواردة أعلاه، غير

٥٩١- راجع: المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٩.
٥٩٢- المصدر العربي (١٠): ص٤٣-٤٨.
٥٩٣- المصدر العربي (٢٧): ص١٣١.
٥٩٤- المصدر العربي (١٠): ص٣٤-٣٦.
٥٩٥- المصدر العربي (٢٧): ص١٣١.
٥٩٦- المصدر العربي (١٠): ص٤٣.
٥٩٧- المصدر العربي (٢٧): ص١٣١.
٥٩٨- المصدر الكردي (٦٣): ص٣٤ (احمد بدري).
٥٩٩- المصدر العربي (١٠): ص٣٧-٣٨.
٦٠٠- المصدر الكردي (٦٣): ص٣٤-٣٥.
٦٠١- المصدر العربي (٤٢): ص١٠٠.
٦٠٢- المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٥.

انهم لايذكرون مفردات التواريخ والتفاصيل مثل موكرياني. ويحدد خيلاني[٦٠٣] سنة (١٢٣٧ هـ = ١٨٢١–١٨٢٢م) تاريخاً لعودة ميري كۆره الى رواندز من تلك الحرب.

والبرادوستي هي عشيرة شجاعة تتصف بالقدرة القتالية، فقد أبدت هذه العشيرة المقاومة والصمود سنة (١٦٦٦) في حرب لا هوادة فيها ضد شاه عباس الثاني وقتلوا عدداً كبيراً من جنود جيش عباس[٦٠٤]... وترد في الأدب الكردي في أغنية تحت عنوان (معركة قلعة دم دم - شەڕی قەڵایی دم دم) إشارة الى تلك الحروب[٦٠٥]...

وتُعرف عشيرة (سورچي) أيضاً الى اليوم ببراعتها الحربية. ومن خلال فتح تلك المناطق والإستيلاء عليها حصل ميري كۆره على مقاتلين جدد لجيشه.

حسبما يذكر موكرياني[٦٠٦] وگوراني، فقد عادت منطقة (برادوست) على ميري كۆره بمنافع إقتصادية، لغناها بالنحاس والرصاص. ويقول گوراني بهذا الصدد:

«كانت منطقة برادوست مركزاً غنياً بمعدني النحاس والرصاص الذي كان يستعمله الأمير في صنع المدافع والبنادق وغير ذلك من الأدوات والذخائر الحربية».[٦٠٧]

قد تكون هذه التقارير جديرة بالتصديق، سيما وأنه كان هناك مصنع للأسلحة في رواندز[٦٠٨]...

وحسب تقرير لموكرياني تمكن ميري كۆره مع جيشه من الإستيلاء على (مرگور - مەرگەوەر) وشنۆ بعد ثلاثة ايام من الحصار، فيما قام (احمد سرهنگ) بمهاجمة قلعة (كەكلە)[٦٠٩]... وبموجب نفس التقرير لابد وأن ميري كۆره قد قتل بعد تدمير قلعة (نەلوس) وقتل كل السكان (بما فيهم الاطفال)، وذلك في (١٥ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ = ١٣ نيسان ١٨١٦م). ولابد وأن الأمير عاد الى رواندز في شهر رجب ١٢٣١.

لم أجد هذا التقرير هذا سوى لدى موكرياني، ولكن اذا صحَّ أمر إقتراف ميري كۆره لجريمة كهذه، فإنه يكون بذلك قد أخلَّ بمباديء دينه الإسلامي[*٩٥]...

ليس هنالك أي تقرير حول فتحه لمدينة (شنۆ) عدا تقرير واحد لموكرياني. ويرى المرء في تقرير

٦٠٣- المصدر الكردي (٦٣): ص٣٦.

٦٠٤- المصدر الفارسي(٦٩): الجزء الثاني: ص٧٩١–٨١١.

٦٠٥- المصدر الألماني (٩١): الجزء الأول: ص XIX :XX؛ الجزء الثاني: ص١٩–٤٠.

٦٠٦- المصدر العربي (١٠): ص٣٧.

٦٠٧- المصدر العربي (٢٧): ص١٣١.

٦٠٨- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث: (القوة العسكرية).

٦٠٩- المصدر العربي (١٠): ص٣٦–٣٧.

(*٩٥) ان قتل الاطفال والابرياء ليس من شيمة رجال كميري كوره، ومثل هذه الدعايات الباطلة تنبئنا بتعرض ميري كوره انذاك لحملة اعلامية مغرضة من قبل اعدائه.

لفريزر، الذي كان قد سافر الى شنۆ سنة ١٨٣٤، أن مدينة (شنۆ) كانت غير تابعة للإمارة لأن فريزر أراد أن يسافر من هناك الى إمارة سوران[٦١٠]...

ولا شيء يدل على أن فريزر كان يعتبر إقامته في (شنۆ - أشنويه) بمثابة وجوده في إمارة سوران، غير أن لاهيجان (لاجان الكردية) أصبحت الحدود المعترف بها لإمارة سوران عند رسم الحدود بين بابان وسوران وإيران بعد انتصار ميري كۆره على الجيش الإيراني - البابانى[٦١١]...

ويسمّي خيلاني نهراً في منطقة شنۆ عند وصفه لخط الحدود بإعتباره الحدود الشمالية لإمارة ميري كۆره[٦١٢]... وهذا يؤيد بصورة غير مباشرة تقرير موكرياني، الذي يعني فيه بأن لاجان وشنۆ القريبتين من بعضهما البعض كانتا قد احتُلتا فيما بعد من قبل ميري كۆره، مثلما يذكر خالفين:

«في بداية شهر تشرين الأول سنة ١٨٣٥، اقتحمت القوات العسكرية الكُردية لأحمد باشا[٦١٣] إيران وإحتلت مناطق الحدود وتمكنت من الإنتصار على الجيوش الإيرانية المعادية، وحشد القوات في المناطق المحتلة.

وفي الوقت نفسه هاجم أمير رواندز بقوات كبيرة المناطق الإيرانية من طريق سلدز وإحتل أكثر من عشر قرى، بينما استولى أخوه (أخ ميري كۆره) على بعض القرى الإيرانية بالقرب من أورميه في بداية شهر تشرين الثاني».[٦١٤](*٩٦)...

وهناك تقرير في كتاب (ناسخ التواريخ قاجارييه) لكاشاني يتحدث عن معركة بين (شاه مراد بگ) أمير رواندز والجيش الإيراني في (١٠ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هـ = ١١ مايس ١٨٣٢). فلابد وأن يكون هذا الأمير قد هاجم لاهيجان وساوجبلاق (مهاباد الحالية - سابلاغ). إلاّ أن والي كردستان (المقصود بذلك أردلان) قد قام بناءً على أمر من فتح علي شاه القاجاري بتأديب الأمير الثائر، بعد أن قتل ما يقارب الف جندي من قوات رواندز.[٦١٥]...

٦١٠- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث: (موقف الأمير من الاجانب).

٦١١- المصدر العربي (٣٧): ص١٥٦.

٦١٢- المصدر الكردي (٦٣): ص٦٧.

٦١٣- المصدر الروسي (٨٢): ص٤٧.

٦١٤- نفس المصدر.

(*٩٦) جاء في كتاب (تأريخچۀ جنبشهاي ملي كرد، ص١٤-١٥، ما يلي: استغل (مير محمد) فرصة الفوز على القوات العثمانية فتوجه نحو تحرير كردستان ايران، حيث احتل منطقة (قطور) وخوي ثم توجه عن طريق سلدوز الى المناطق الجنوبية حتى وصل الى القرب من مراغة وتبريز. فاستقبل كمنقذ من قبل اكراد ايران الذين كانوا يعانون من سوء الاوضاع الاقتصادية والصحية. وهذا ماحدا بحكومة ايران ان تطلب العون والمساعدة من (روسيا) بعد ان يأست من المقاومة لوحدها. كانت هذه الحوادث مقارنة لبداية مجيء (محمد شاه قاجار) الى الحكم. كذلك انظر مجلة:
INTERNATIONAL 1/86 Zeitschrift fur intern, politik Die, KURDEN, staatenlos in verbrannter Heimat, von Ferdinand Hennerbichler S.12 -15.

٦١٥- المصدر الفارسي(٧٠): الجزء الثاني: ص٦٦.

وهذا يؤيد بأن جيش رواندز قد هاجم (لاهيجان) و(مهاباد)، إلاّ أن ما لايمكن الدفاع عنه في هذا التقرير، هو ان يرد فيه بأن شخصاً إسمه (شاه مراد بگ) كان في سنة (١٢٤٧هـ = ١٨٣٢م) أميراً لرواندز. أما ماعدا ذلك فقد جاء في التقرير نفسه ان هذا الأمير قد قام وبأمر من (عباس ميرزا) بإدارة اقاليم كويه وهرير[٦١٦]...

ليس هنالك أي تقرير آخر، يؤيد هذا الإدعاء، كما أنّ فقدان ألف جندي في يوم واحد، يبدو موضع شك للغاية. لقد كان ميري كۆره أميراً على رواندز في (سنة ١٢٤٧هـ = ١٨٣٢م) وكان قد نال لقب (پاشا) من العثمانيين، وهو مَن انتزع كويه وهرير من البابانيين.

ثانياً: الاغارة على إمارة بابان:

بعدما قام ميري كۆره بإحتلال الإمارات الصغيرة والضعيفة المجاورة، توجه نحو الأقوياء، أي الى إمارات بابان، بهدينان (بادينان) وبۆتان. كان أمراء بابان في زمن ميري كۆره اقوى منافسيه الخارجيين، وقد كانت ادارة بابان منذ زمن (فقي احمد)[٦١٧]–الذي ينبغي ان يكون مؤسس الإمارة– وحتى عهد (سليمان ببه)[٦١٨] شبيهة بإدارة قبيلة صغيرة. إلاّ أن سلطة بابان إتسعت في زمن سليمان ببه (بەبه)، بحيث أُلحقت بهذه الإمارة مناطق السليمانية بضمنها قزلجة، سروچك، قرداغ وشارزور. وقد حدث هذا الإلحاق او الضم حسب تقرير لزكي في (سنة ١٠٨٠–١١١٠هـ = ١٦٧٠–١٦٩٩م)[٦١٩]... عندما جاء ميري كۆره الى الحكم، كان البابانيون يحكمون كويه وهرير أيضاً[٦٢٠]. ولكن أمراء عائلة بابان كانوا دائماً ضحية لتنافسهم العائلي وكذلك للتنافس بين العثمانيين والفرس. فكان لابد أن يتركوا شعبهم في فقر وضيق، يقول زكي بهذا الصدد: «ولكن المناوشات المستمرة بين

> الحكومتين الإيرانية والعثمانية من جهة، والتنافس الدائم بين أمراء بابان وتباغضهم من جهة أخرى– حالا دون تمكن هؤلاء الأمراء المحنّكين الأذكياء من إظهار مقدرتهم، ومن دعم الإمارة ليشيدوا بناءها بناء سياسياً متقناً، ولاسيما وأن ثاني السببين المذكورين إضافة الى تسببه في انهيار الإمارة البابانية - احلّ ببلادها البوار والدمار أيضاً، وجعل السكان يحيون حياة بؤس مضن وفقر مدقع»[٦٢١]...

٦١٦– نفس المصدر.

٦١٧– ينبغي ان يكون هو مؤسس الإمارة يروي ريچ قصة اسطورية للأكراد عن فقي احمد هذا، انظر: المصدر الانكليزي (١١٩): ص٢٩٩–٣٠٠؛ وكذلك: المصدر الانكليزي (١١٧): ص٨٠–٨١.

٦١٨– اصل اسم ببه (او بابان) غير معروف: انظر المصدر العربي (٣٧): ص٥٣، ولكن تمت تسمية الإمارة نسبة الى سليمان بگ، الذي كان معروفاً بسليمان ببه أيضاً، انظر: نفس المصدر: ص٥٢.

٦١٩– نفس المصدر: ص١٦٢.

٦٢٠– المصدر الكردي (٦٣): ص٤٠.

٦٢١– المصدر العربي (٣٧): ص١٦٢.

إن تقرير زكي هذا، الذي يكشف عن ضعف إمارة بابان إزاء سوران القوية، يجد تصديقاً له في إحدى تقارير ريچ، الذي قام بزيارة الإمارة (سنة ١٨٢٠) واجرى اتصالات مع الأمير محمود پاشا والسكان. فخلافات ومصادمات أمراء بابان تتجلى في أقوال وملاحظات أحد الكُرد كما ينقله ريچ:

«حسد امرائنا، هو سبب دمارهم، لا الأتراك ولا الفرس قادرون على عمل شيء ضدنا قط، ولكنهم يستفيدون من انقساماتنا، ومن الحسد العائلي لرؤسائنا»[٦٢٢]...

لقد اوضح الأمير محمود پاشا بنفسه حراجة هذا الموقف لريچ، الذي كان يرجو للإمارة التقدم والازدهار: «... لقد إبتهلت الى الله لأجل نجاح ونصرة عائلته وبلده. قال إن أمله ضعيف، إذ يوجد في العائلة العديد من الخصوم الأقوياء. لكني أكّدت إمكانية ذلك، قال: نعم، لو أرسل الله وباء الطاعون وتسرب بيننا فلم يترك سواه على قيد الحياة»[٦٢٣]...

ألمح محمود پاشا بذلك الى موقف اخيه عثمان بگ الذي كان قد تمرد عليه حينها[٦٢٤]... كذلك أدرك فريزر أن هذا العامل كان أحد اسباب ضعف الإمارة: «لم تكن دويلة أو باشوية السليمانية قط غنية ولا مقتدرة وأصبحت أخيراً فريسة للنكبات التي أدت بها الى التدهور. وفي مقدمة الأسباب التي أدت الى ذلك يأتي النزاع والخصام العائلي، ثم الحرب الأهلية - إثنان من الإخوة يجاهدان ليكونا إبنا العائلة الاقوى. وقد جرّ ذلك معه التدخل الاجنبي بوصفه نتيجة منطقية، وسقطت الباشوية، التي كانت خاضعة لبغداد قبلاً، سقطت في أيدي الأمير الإيراني في كرمنشاه - محمد علي ميرزا»[٦٢٥]...

أما الوضع الاقتصادي في إمارة بابان فكانت تسوده الفوضى وخالياً من النظام، وكانت (سليمانية) عاصمة الإمارة عبارة عن خرائب وأطلال.

ويصف فريزر، الذي ترك (أورميه) في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣٤ وسافر الى السليمانية، يصف حالة المدينة حينها قائلاً: «ورغم أنّ قفر الطرق وخلوها من السكان كان مذهلاً ويوقع الكآبة في النفس، فقد كان هناك قدر ضئيل من حوافز التشجيع للإقتراب أو لدخول المدينة، لم اشاهد في حياتي بؤساً وآلاماً ودماراً (holes) كهذا»[٦٢٦]...

لم يكن الناس يرغبون في تعمير المدينة، لأنهم لم يكونوا مطمئنين أو واثقين من أمنهم وسلامتهم، وقد أوضح احد الكُرد لريچ هذه الحال بقوله: «صحيح جدا، ولكن لماذا ينبغي علينا ان نبني بيوتاً ومنازل جيدة أو نحافظ عليها بحالة جيدة، إذا لم نكن واثقين من التمتع بها على الدوام في

٦٢٢- المصدر الانكليزي (١١٩): ص٩٠.
٦٢٣- نفس المصدر: ص٣٢٣.
٦٢٤- المصدر العربي (٣٧): ص١٦٣.
٦٢٥- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص١٤٧.
٦٢٦- نفس المصدر: ص١٤٤.

حياتنا؟ يُستبدل هذا الپاشا، ويُعين مكانه آخر من نفس العائلة، ويأتي هذا بأصدقائه الذين يشردوننا من بيوتنا وعقارنا. إن دمار هذا البلد يكمن في غياب الاستقرار وقصر عمر حكامه. فبغض النظر عن طبع ومزاج الأمير، فإن بإمكانه أن يفيد البلاد لو كان واثقاً من الإحتفاظ بمنصبه مدى الحياة»[٦٢٧]...

وقد أثّر هذا الإرتباك على الزراعة أيضاً في إمارة - بابان. فقد أوضح محمود آغا، أحد معتمدي الپاشا لريج هذا الوضع بصراحة بقوله:

«ان غياب الأمن والإستقرار عن ملكياتنا هو السبب الوحيد في دمار هذا البلد، فمادمنا نحن رجال القبيلة غير واثقين من الإحتفاظ بعقارنا، فنحن حتماً لاننهك أنفسنا في الزراعة قط ولانعكف عليها وحتى لو عملنا فلا يمكن أن ينجح البلد مطلقا. لماذا عليَّ أن أبذر بطغار من البذور في الارض، إن لم أكن متأكدا من أن سيدي يبقى في الحكم وسأبقى مالكاً لأرضي حتى موسم الحصاد»[٦٢٨]...

كانت احوال الإمارة من السوء لدرجة أنّ الأمير نفسه لم يكن يعيش أحسن من شعبه، إذ يروي فريزر بهذا الصدد:

«... اجتزنا ونحن راكبون الى دار الپاشا، أو القصر إن شئت أن تسميه، أكواماً من النفايات. لقد كان في خراب تام، غير صالح للسكن عدا زاوية صغيرة، كانت قد خُصصت لحريمه. أما الأمير فكان يسكن تحت خيمة خارج المدينة»[٦٢٩]...

ويتبين من هذه التقارير ان إمارة بابان كانت في زمن ميري كوّره في حالة يرثى لها من الناحيتين الإقتصادية والسياسية. فمن الناحية السياسية كانت خاضعة لعباس ميرزا، وتعين على بابان أن تتحمل مرابطة قوات جاءت من اذربيجان، وتدفع الأجور لذلك. ويبدو ذلك واضحاً في تقرير لفريزر:

«يوم أمس، بعد الفطور (٣١ تشرين الأول ١٨٣٤- نبز) جاء لزيارتي بعض الضباط الإيرانيين، الذين يقودون القوات الاذربيجانية هنا،... الخ»[٦٣٠]...

وقد ترتب علي مرابطة هذه القوات، إفتقار البلد أكثر فأكثر، يقول فريزر:

«لجميع استفساراتي حول كيفية نشوء هذا الإقفار العمومي، كان يأتيني الجواب نفسه دائماً: لقد جاء وباء الطاعون قبل ثلاث سنوات وجرف البلاد معه، ثم أعقبه الجيش الإيراني فإلتهم ما تخلّف عن الطاعون، وخرّب ودمّر كل قرية في طريقه بحيث لم يبق هنالك الآن أحد»[٦٣١]...

٦٢٧- المصدر الانگليزي (١١٩): ص٩٠.

٦٢٨- نفس المصدر: ص٩٦.

٦٢٩- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص١٤٤.

٦٣٠- نفس المصدر: ص١٤٧.

٦٣١- نفس المصدر: ص١٤٦.

وبالمقابل كان الوضع في إمارة سوران بخلاف ذلك تماماً، كما يروي زكي: «وازاء قلق الإمارة البابانية وتضاؤل نفوذها كانت الإمارة السورانية (الصهرانيه) التي تطهّرت بفضل عناية الأمير (محمد پاشا) السامية من المنافسين والحساد تتقدم تقدماً محسوساً»[٦٣٢]...

فطبعا خلقت الحالة أرضية مناسبة لأمير طموح مثل ميري كوّره لكي يتابع سياسته التوسعية على حساب إمارة بابان، وقد كان النصر حليف ميري كوّره.

وبموجب المعلومات المتوفرة يمكننا أن نقسم أسباب وعوامل هذا النصر كما يلي:

١- كان محمود پاشا الباباني في عداوة مع والي بغداد داوود پاشا[٦٣٣]... ومن الطبيعي أن داوود پاشا كان يتمنى للإمارة المعادية التدهور أيضاً. لقد إتصل داوود پاشا من وراء الستار مع أخ لمحمود پاشا وحاول دفعه ضد اخيه[٦٣٤]...

يروي لنا كل من الدملوجي وموكرياني حالة العلاقات الشخصية بين ميري كوّره وداوود پاشا[٦٣٥]... وكذلك يروي حسين ناظم سكرتير مكتب أمير بابان، بأن داوود پاشا قد شجّع ميري كوّره في حدود (سنة ١٨٢٣-١٨٢٤) على محاربة بابان[٦٣٦]... فحدث إصطدام بين محمود پاشا وميري كوّره سنة (١٢٤٢هـ = ١٨٢٦م) في سورداش[٦٣٧]...

٢- إعتمد الأمير الباباني محمود پاشا على الجيش القاجاري، إلاّ أن موت محمد علي ميرزا منح ميري كوّره الفرصة للاستيلاء على إمارة بابان كما يخبرنا فريزر:

«... بعد موت محمد علي ميرزا، رأى جارهم أمير رواندز، أن الوقت ملائم للإستيلاء على جزء مهم من الأقاليم لنفسه»[٦٣٨]...

وهكذا هجم ميري كوّره على إمارة بابان، حيث إستولى في البداية على سهل هرير، الذي كان تابعاً لإمارة بابان، واجبر حاكم بابان في هرير على الهرب[٦٣٩]... ولكي يتمكن من الزحف والتقدم نحو اراضي بابان، حاصر وطوق مدينة أربيل الشهيرة القديمة. إن الإستيلاء على المدينة لم يكلفه أية خسائر، لأن العلماء الذين كانوا يحكمونها قرروا تسليم المدينة اليه[٦٤٠]؛ وقد ساعدته سمعته كـ(مسلم

٦٣٢- المصدر العربي (٣٧): ص١٥٤.

٦٣٣- المصدر الانگليزي (١١٩): ص١٣١؛ كذلك: المصدر العربي (٣٦): ص١٨٣.

٦٣٤- المصدر الانگليزي (١١٩): ص١٣١.

٦٣٥- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث: (الاحوال والاوضاع الدينية).

٦٣٦- المصدر التركي (٥٠) وكذلك: المصدر العربي (٣٧): ص١٥١.

٦٣٧- المصدر العربي (٣٦): ص١٨٣.

٦٣٨- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص١٤٨.

٦٣٩- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٩. المصدر الكردي (٦٣): ص٤٠، حسب موكرياني ينبغي وان حدث ذلك سنة ١٢٣٨هـ.

٦٤٠- المصدر العربي (١٠): ص٥٦-٥٧، المصدر الكردي (٦٣): ص٤١؛ المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٩؛ المصدر العربي (٤٢)؛ ص١٠٠-١٠١.

طيب) على إنجاز ذلك. وتمكن من قمع تمرد وعصيان عشيرة - دزەيى الكردية وعشيرة - طي العربية، اللتين تمردتا ضده[٦٤١]...

استولى ميري كۆره بعد هذا النصر على منطقة (پردێ - آلتون كوپري)[٦٤٢]... يقول موكرياني، بأن الإستيلاء على (پردێ) حصل نتيجة اتفاق بين والي كركوك[٦٤٣] محمد پاشا وبين ميري كۆره، ليتمكنا من الإستيلاء على بلاد بابان سوية. إذن فحسبما يذكر موكرياني، لابد وأن مدينة پردێ كانت قد سقطت في (١٠ رجب ١٢٣٩ هـ = ١١ اذار ١٨٢٤م)[٦٤٤]... (وبإستيلائه على مدينتي (كويي) و(رانيه) إتسعت رقعة حدود إمارة سوران لغاية الزاب الأسفل - المترجم)[٦٤٥](انظر الخارطة).

لقد حاول محمود پاشا هذه المرة وبمساعدة الكولونيل القاجاري سرتيپ محمد خان إعادة السيطرة على اراضيه المفقودة، وإشتبك جيش ميري كۆره مع جيش بابان في قمچوغه[٦٤٦]؛ اضطر ميري كۆره على إثر ذلك ان ينسحب الى كويه. ورغم أن ميري كۆره لم ينتصر في تك المعركة عسكرياً، إلاّ انه أجبر خصومه على الإستسلام، وذلك من خلال الخسائر التي ألحقها بالجيش الباباني والإيراني، وتم تحديد الحدود من جديد حسب الخطوط التالية:

١- الخط المارّ من رانيه عبر بيتوين ثم خلكان وچناران الى الزاب الأسفل. كانت المناطق الواقعة الى اليمين من الزاب (في الشمال) تعود الى حكومة رواندز والمناطق الواقعة الى اليسار منه للحكم الباباني.

٢- وقعت مناطق لاهيجان (كُردي: لاجان) تحت حكم رواندز، وسقطت أجزاء من المناطق الأخرى الباقية بيد إيران، ولم يُسمح لأي طرف بإجتياز هذه الحدود.

٣- كان القسم الغربي من دربند[٦٤٧] خاضعاً لحكومة رواندز والشرقي لحكومة بابان في السليمانية.

٤- كان لكل فريق أو طرف الحق في بناء حصن في المكان الذي يرغب فيه، لأغراض المراقبة والرصد أو الدفاع[٦٤٨]. وأجبر ميري كۆره منافسيه بمقتضى هذا الإتفاق على الإعتراف بالزاب الأسفل (زيي بچوك) منطقة حدود بين الإمارتين[٦٤٩]...

٦٤١- المصدر العربي (١٠): ص٦٠.
٦٤٢- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٥.
٦٤٣- المصدر العربي (١٠): ص٤٨؛ ان قصد موكرياني بوالي كركوك هو الحاكم فقط، لأنه لم يكن في كركوك أي والي.
٦٤٤- المصدر العربي (١٠): ص٦٠.
٦٤٥- المصدر العربي (٣٥): ص٢٢٩.
٦٤٦- المصدر العربي (٣٧): ص١٥٦.
٦٤٧- دربند: أي وادي او مضيق بين چمچمال والسليمانية ويعرف أيضاً بـ(دربندي بازيان).
٦٤٨- المصدر العربي (٣٧): ص١٥٦.
٦٤٩- المصدر العربي (٢٣): ص٤٤.

وبالرغم من أن زكي يقول، بأن ميري كوّره لم يراعِ هذا الاتفاق أبداً وتجاهله[٦٥٠]. إلاّ أننا لانملك أية معلومات تفيد بأن ميري كوّره قد إقتحم إمارة بابان فيما بعد.

ثالثا: الإغارة على إمارة بهدينان:

بموجب بعض التقارير لابد وأن الهجوم على إمارة بهدينان لم تكن فكرة ميري كوّره الشخصية، وإنما خطة مدبرة من قبل الملا يحيى المزوري وموسى پاشا بهديناني. يقول الدملوجي:

«يقولون، بأن مزوري قد كشف لميري كوّره عن عورات أمراء العمادية[٦٥١]. وعن ضعفهم وإنحلال وتدهور عشائرهم. ويقال بأن مزوري هو الذي أذكى آمال ميري كوّره في إمارة العمادية، بعدما أظهر له بأن أمراءها غير قادرين على إدارتها. فأدخلت الآمال هذه النشوة في نفس ميري كوّره»[٦٥٢]...

يعتبر الدملوجي ضعف أمراء بهدينان سبباً في هجوم ميري كوّره، ويؤيده في ذلك تقرير فريزر:

«الإمارة كان يحكمها پاشا ينحدر من اسرة كردية تولت هذا المنصب من الباب العالي، إلاّ أن سوء الإدارة والحسد والشجار الداخلي تسبب في إندحار الباشا. واصبحت البلاد منقسمة على زعامات صغيرة متعددة لم يعر رؤساؤها أي اهتمام للسلطة. فأوصد الباشا الأبواب على نفسه في قلعة العمادية، ظاناً انه مصانٌ لايقهر، هذا في الوقت الذي كان فيه ميري كوّره قد إكتسح البلاد وأخضع كل الرؤساء الصغار الذين كانوا قد جعلوا من انفسهم رؤساء مستقلين. ووصل في النهاية لحصار العمادية نفسها مغتنماً فرصة النزاعات والخيانات العائلية، فإشترى طريقه الى داخل القلعة الحصينة المهمة، ليندفع بعدها لإخضاع وإسقاط المعاقل الباقية في البلاد...»[٦٥٣]...

ويروي خيلاني بأن سعيد پاشا ويحيى مزوري كانا ساخطين على أمير بهدينان إسماعيل پاشا وهربا الى رواندز، حيث إستقبلهما ميري كوّره بحرارة. مكث سعيد پاشا ومزوري في رواندز لمدة سنتين، وأبلغا ميري كوّره بالتفصيل عن إسماعيل پاشا والوضع في بهدينان. وحثّ هذان ميري كوّره على إحتلال بلاد بهدنيان، فأعطاهم الأخير (ميري كوّره) الوعد التالي:

«لأجلكم سأجهّز حملة الى بهدينان (إن شاء الله) ولسوف أرضيكم»[٦٥٤]...

ويؤيد كل من عوني وزكي التقارير السابقة ويتحدثان عن دور موسى پاشا بهديناني في تحريض

٦٥٠- المصدر العربي (٣٧): ص١٥٦.
٦٥١- المصطلح العربي: هو (العورات).
٦٥٢- المصدر العربي (٢٣): ص٤٤.
٦٥٣- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٦٨-٦٩.
٦٥٤- المصدر الكردي (٦٣): ص٥٩-٦٠.

ميري كۆره على قبول قضية بهدينان وإحتضانها: «... بعد ذلك استطاع موسى پاشا البهديناني جرّ ميري كۆره للإستيلاء على منطقة بهدينان»[٦٥٥]...

وحسبما يروي زكي لابد وأن موسى پاشا، الذي سبق ذكره، كان منافساً لسعيد پاشا أمير العمادية ولاجئاً لدى الأمير محمد (ميري كۆره)[٦٥٦]. وهو الذي شجع ميري كۆره على مهاجمة بهدينان.

أما موكرياني فيركز على دور سعيد پاشا، ولكنه لايهمل دور العالم الديني (مزوري) أيضاً: «بعد أن وصل مزوري الى رواندز هرب سعيد پاشا[٦٥٧] من العمادية أيضاً. لأنه كان مستاءً من إبن أخيه إسماعيل پاشا.[٦٥٨]والتجأ الى أمير رواندز للحصول على مساعدته. فاستقبله الأمير بمنتهى الود ووعده بالمساعدة. إذاً فقد حرض كل من ملا يحيى وسعيد پاشا الأمير للقيام بفتح آميدي (العمادية) ومهاجمة داسني»[٦٥٩]...

ثم يقول بعد ذلك: «لم يكفّ كلاهما حتى أعطاهما الأمير المحنك والبعيد النظر وعداً بالهجوم، فكتبا سراً الى أنصارهما ومعارفهما في بهدينان وأعدّوا لهم لليوم الموعود. وأصبح جميع السكان نتيجةً لهذا التواطؤ بين أمير بهدينان[٦٦٠]والملا الكبير مزوري أتباعاً وأنصاراً لأمير رواندز وإنتظروا قدومه»[٦٦١]...

وهكذا فهناك إتفاق بين هذه التقارير، فقد أدى ضعف أمراء بهدينان ومساعي العالم الديني مزوري والأمير البهديناني موسى پاشا (او سعيد پاشا)، الى إغراء ميري كۆره لغزو بهدينان والإستيلاء عليها، فأعدّ جيشاً وزحف به على آكري[٦٦٢]...

وينبغي ان تكون هذه الحملة قد حدثت سنة (١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢-١٨٣٣) أي بعد حملة إبادة الإيزيديين بسنة واحدة [٦٦٣].

ويتحدث الدملوجي عن فتح آكري قائلاً: «قام أمير سوران بعبور الزاب (الأعلى) (زێی گەورە-زێی

٦٥٥- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧: (هامش المترجم عوني).
٦٥٦- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٠.
٦٥٧-ان كلا من خيلاني وموكرياني يسميان ابن اخ إسماعيل پاشا بسعيد پاشا، في حين ان اسمه عند زكي والدملوجي، هو موسى پاشا.
٦٥٨- كان إسماعيل پاشا، اميراً لبهدينان؛ انظر: المصدر العربي (٢٣): ص٤٠.
٦٥٩- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث: (الأحوال والأوضاع الدينية).
٦٦٠- انه يقصد بذلك سعيد پاشا (أو موسى پاشا).
٦٦١- المصدر العربي (١٠): ص٦٥.
٦٦٢- الاسم الكردي لمدينة عقره.
٦٦٣- المصدر العربي (٢٣): ص٤٥؛ كذلك: المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٠؛ انظر: المصدر العربي (٣٦): ص١٤٧، (حسب عوني هي سنة ١٢٤٩هـ= ١٨٣٣/ ٣٤م).

بادينان - المترجم) في نفس الموضع الذي كان قد عبره في حملته ضد الإيزيديين. وتقدم نحو آكري وحاصرها ثم فتح بوابات المدينة أمامه، وهرب إسماعيل پاشا الذي كان رئيساً للمدينة الى جبال زكار القريبة، واختفى هناك[٦٦٤]... بعدها توجه ميري كوّره الى العمادية وحارب أميرها سعيد پاشا وانتصر عليه وأخرجه منها وعيّن اخاه رسول پاشا حاكماً فيها. ثم تقدم نحو دهوك وزاخو وإستولى على المدينتين. وهكذا إحتل إمارة بهدنيان برمتها وألحقها بإمارته»[٦٦٥]...

كان الدكتور روس في تلك الأيام يمكث في هَوْلير (أربيل) بإنتظار جواب من ميري كوّره اذ كان يتعين عليه أن يعالج والد الأمير. ويتحدث روس عن غزوة آكري (عقره) وفتحها وتأثير سقوطها على معنويات سكان العمادية، فيقول: «لقد إرتعد كُرد العمادية من هذا الهجوم الصاعق، لدرجة أنهم رجّحوا فكرة التخلي عن مواضعهم دون مقاومة... ففي السادس من حزيران وصلت المعلومات بأن أمور العمادية قد إستقرت وتوطدت وبأن سعيد پاشا السابق قد فرّ وعيّن موسى پاشا الآن في مكانه. كان تم تعيين سليم پاشا في آكري وتم إخضاع البلاد بكاملها لحكم رواندز بهدوء كامل»[٦٦٦]...

ويتضح من ذلك، لأي مدى خابت آمال سكان بهدينان، فيما لو إعتبرنا تقرير موكرياني صائباً والذي جاء فيه: «أصبح جميع سكان بهدينان من أتباع ميري كوّره»[٦٦٧]...

أما مَن الذي خلف سعيد پاشا فهذا موضع جدال وخلاف حسبما يذكر كل من زكي[٦٦٨] وصائغ[٦٦٩] أصبح موسى پاشا حاكماً جديداً على العمادية. ولكن لونگريگ[٦٧٠] والدملوجي[٦٧١] أشارا الى رسول بگ أخو ميري كوّره بإعتباره حاكماً. وعارض زكي هؤلاء المؤلفين قائلاً بأن رسول بگ أصبح حاكماً في المرة الثانية وليس بعد الغزوة الأولى[٦٧٢]... وهذا يطابق تقرير الدكتور روس الذي يقول فيه إنه علم في السادس من مايس ١٨٣٣ –بينما كان في أربيل– بأنه تم الإستيلاء على العمادية وخسر سعيد پاشا إمارة بهدينان ونصّب موسى پاشا حاكماً في مكانه على العمادية[٦٧٣]... ويبدو ان وضع العمادية ساعد ميري كوّره على غزوها اكثر من امكاناته العسكرية. ويعطي

٦٦٤– المصدر العربي (٢٣): ص٤٦.
٦٦٥– نفس المصدر.
٦٦٦– المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٦.
٦٦٧– المصدر العربي (١٠): ص٦٥.
٦٦٨– المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٠.
٦٦٩– المصدر العربي (٣١).
٦٧٠– المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٦.
٦٧١– المصدر العربي (٢٣): ص٤٦.
٦٧٢– المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٠.
٦٧٣– المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٦.

الدملوجي صورة عن العمادية في ذلك الوقت بقوله:

«كانت العمادية في رمقها الأخير وعجزت عن المقاومة عندما أغار ميري كوّره على قسم من اراضي الأمير الذي أباد شعباً[٦٧٤]. كان يُفترض بامرائه ان يحموه، ولكن اكثرية العشائر عوضاً عن ذلك خرجت عن طاعته وفي مقدمتها سنده القوي عشيرة مزوري. وكان الأمراء منقسمين كلٌّ يقيم مستقلاً في بلده معزولاً عن نظرائه»[٦٧٥]...

ومنح النصر ميري كوّره فرصة للإستيلاء على زاخو وسنجار. وهكذا وقعت جميع بهدينان تحت سيطرته. يقول زكي: « وبعد أن فرغ (محمد پاشا) (ميري كوّره - المؤلف) من الإستيلاء على (العمادية) و(دهوك) استولى على (زاخو)، ثم عمد الى الأمور الإدارية في هذه البلاد فنظمها أحسن تنظيم بواسطة رجاله، وإستتب الأمن في جميع بلاد بادينان بشكل لم يُسمع بمثله في تلك الجهات.»[٦٧٦]...

ويدعم لونگريگ[٦٧٧] تقرير زكي هذا: «زاخو ودهوك يسودهما نظام يخلو من الأخطاء والعيوب بفضل عدالته الصارمة. لم يكن هذا الامن والطمأنينة معروفاً على الإطلاق بخلاف الإضطراب والفوضى السائدين في العراق».

ولكن يمكن للمرء الإفتراض بأن اسلوبه في الحكم كان عبارة عن إجراءات شديدة لقمع الشعب، ويظهر من إنتفاضة سكان بهدينان ضد ميري كوّره –في الوقت الذي كان هو مشغولاً بالإستيلاء على بوتان– بجلاء مدى إستياء الشعب من الإجراءات العنيفة لميري كوّره. وقد توالت بحق سكان بهدينان إنتقاماً لتمردهم، لتميط اللثام عن سياسته. يقول الدملوجي: «قضى ميري كوّره بين ليلة وضحاها على إمارة ذات شهرة واسعة وماضٍ متألق»[٦٧٨]...

رابعا - الإغارة على إمارة - بوتان:

أغار ميري كوّره على إمارة بوتان بعد فتح بهدينان مباشرة، في وقت كان فيه بدرخان پاشا يسعى الى توحيد الإمارات الكردية وتأسيس دولة كردية مستقلة[٦٧٩]...

يقول الدملوجي: «إنتشى أمير سوران بإنتصاراته، فأراد توسيع إمارته أكثر فأكثر، فامتدّت عيناه

٦٧٤– يقصد الدملوجي بذلك، الإيزيديين الذين ابادهم ميري كوره قبل ذلك بسنة، دون ان يقوم أمراء بهدينان بتقديم الدعم للإيزيديين.

٦٧٥– المصدر العربي (٢٣): ص٤٥–٤٦.

٦٧٦– المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٠.

٦٧٧– المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٦.

٦٧٨– المصدر العربي (٢٣): ص٤٦.

٦٧٩– انظر: الفصل الأول: المبحث الثالث من هذا البحث: (التقارير المتعلقة بوصف الرحلات والسياحات). وكذلك: الفصل الثالث: المبحث الثاني من هذا البحث: ـــحركة ميري كوره ودولته). وذلك حول مطامح بدرخان.

لإمارة بوتان التي كانت عاصمتها جزيرة إبن عمر (كردي: جزيره) وأميرها بدرخان پاشا، الذي كان معروفاً بسلطته كحاكم لإحدى الإمارات الكبيرة. فزحف عليها مشيعاً فيها الإضطراب ومهدداً قلعتي ماردين ونصيبين، ثم سار على رأس قواته الى جبل سنجار وقضى على سكانه من الإيزيديين. فتعرضت إمارة بوتان القوية لتهديد السيطرة السورانية»[٦٨٠]... يتبين من ذلك أن ميري كڎرة لم يتمكن من إحتلال إمارة بوتان، ولكنه إحتل حسب خيلاني مدينتي جزيرة وماردين: «زحف ميري كڎرة في سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣-١٨٣٤م - المؤلف) على بدرخان بگ جزيري. وبعد عدة معارك ترك بدرخان الجزيرة وإنسحب بإتجاه ماردين. توجه محمد پاشا الى الجزيرة وأرسل منها بجيش قوي الى ماردين وفتحها في وقت قصير. وقد نصّب اينما وجد ذلك ضرورياً موظفين سياسيين وجعل القوات العسكرية ترابط فيه»[٦٨١]...

ورغم أن تقرير خيلاني هذا لايتحدث بوضوح عن فتح فعلي للجزيرة وماردين، إلاّ أنه يؤيد إحتلال هذه المناطق. ويؤيد لونگريگ إحتلال الجزيرة دون نصيبين وماردين: «احتل جزيرة إبن عمر وأرهب البدرخانيين في حسنكيف وهدد نصيبين وماردين»[٦٨٢]... وعلى أي حال، فإن التقارير السالفة تتناقض وما يرويه قفطان الذي يقول: «ابرم ميري كڎرة إتفاقاً مع رؤساء الجزيرة وماردين ونصيبين حول توحيد مناطقهم، فأقام بذلك نوعاً من الحكم الفدرالي (الإتحادي) بمفهوم ذلك الوقت على الأقل»[٦٨٣]... إن من الصعب تصديق هذا التقرير، إذ لا وجود في أي مصدر آخر لإشارة الى دخول بدرخان في إتفاق مع ميري كۆره وإعتباره حليفاً يتعين الدفاع عنه اثناء هجوم العثمانيين عليه. فعلى النقيض من ذلك يوضح خيلاني بأن جيش بدرخان ساند ودعم العثمانيين ضد ميري كۆره[٦٨٤]... وكذلك يروي خالفين أن بدرخان قام بمحاربة ميري كۆره[٦٨٥](*٩٧).

ويمكن من التقارير السابقة الإستنتاج بأن الإستيلاء الفعلي على جميع مناطق إمارة بوتان ليس مؤكداً. وقد مكث جيش ميري كۆره في مناطق بوتان الى أن اضطر ميري كۆره بسبب تمرد سكان إمارة بهدينان الى التوجه إليها ثانية.

٦٨٠- المصدر العربي (٢٣): ص٤٦.
٦٨١- المصدر الكردي (٦٣): ص٦٥-٦٦.
٦٨٢- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٦.
٦٨٣- المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٩.
٦٨٤- انظر: الفصل الثالث: المبحث الرابع: (عدم شعبية ميري كوره كسبب للسقوط).
٦٨٥- المصدر الروسي (٨٢): ص٤٥.

(*٩٧) بعدما اقترح الأمير محمد (ميري كوره) على أمير بوتان بدرخان بگ عقد اتفاق سياسي ضد الباب العالي، ارسل بدرخان بگ باخيه سيف‌الدين الى ميري كوره ممثلا عنه للاعلان عن موافقته وابراز علاقة صداقته، إلاّ أن أمير بوتان نكث بوعوده وشارك العثمانيين حربهم ضد ميري كوره، لأنه كان يطمح في ان يكون هو أمير كردستان في يوم ما، وليست الخيانة غريبا عند الكرد فلقد اصبح بدرخان نفسه أيضاً ضحية لخيانة ابن اخيه عزالدين شير (يزدانشير؟) بن سيف‌الدين، مثلما اصبح عبدالرحمن پاشا الباباني ضحية لخيانة اخيه خالد پاشا في مضيق بازيان والامثلة كثيرة. راجع: سعيد بدل، سبق ذكره، ص١٣-١٩، وكذلك: المصدر العربي (٣٥)، ص٢٤٥.

من المحقق أن الهجوم على بوتان حدث في وقت كانت الحكومة العثمانية فيه ماضية في مخطط تدمير الإمارات الكردية. لذلك لم تكن الحرب الداخلية بين الكُرد من مصلحة بدرخان ولا ميري كڏرة. وبالمناسبة يذكر موكرياني، بأن شهر مايس ١٨٣٢ (١٢٤٨هـ) هو تاريخ إغارة ميري كڏرة على بوتان، كما ونجد هذا التاريخ الخاطيء عند صائغ أيضاً: «كان قدومه (ميري كڏرة - المؤلف) اولاً الى جزيرة إبن عمر سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨هـ»[٦٨٦]... لا أعتقد بصحة هذا التاريخ، لأن الإغارة على بوتان جاءت بعد الإستيلاء على بهدينان، وفتح بهدينان في سنة (١٨٣٣) بموجب تقرير شاهد العيان الدكتور روس. وعلى كل حال لم يقدم الهجوم على إمارة بوتان لميري كوّره أية إمكانيات توسعية أخرى، بل كان (نقطة تحول) او (نهايته)، كما يقول لونگريگ[٦٨٧] وللأسباب التالية:

١- بينما كان ميري كوّره مشغولاً بفتح بوتان، ثار اهالي العمادية ضد موسى باشا الحاكم المعين من قبله واخرجوه من البلد واعادوا مكانه محمد سعيد پاشا. فاضطُر ميري كوّره الى الانسحاب من بوتان والزحف بجيش جرار على اطراف الموصل دون أن يتعرض لمدينة الموصل[*٩٨]، بل توجه نحو العمادية واعاد فتحها. ثم عيّن أخاه رسول بگ حاكماً عليها وألحقها برواندز[٦٨٨].

٢- كان الأمير بدرخان پاشا مثل ميري كوّره يملك جيشا قوياً مسلحاً ومستعداً للقتال[٦٨٩]... لذلك لم يتمكن ميري كوّره من الحصول على بوتان بالسهولة التي حصل فيها على بهدينان.

٣- بعد هجوم ميري كوّره على إمارة بوتان مباشرة، قررت الحكومة العثمانية اتخاذ إجراءات ضده لخوفها من نفوذه وسطوته وسياسته التوسعية. فعهدت الى رشيد پاشا بمهمة الإطاحة بحكم ميري كوّره[٦٩٠]. وعلى اثر ذلك تحركت الى سوران فرق مختلفة من الجيش العثماني.

إن سقوط (أو اسقاط) ميري كوّره، هو الآخر موضوع شيق وجدير بالاهتمام، ووهو أيضاً موضع نقاش حام في التاريخ الكردي.

٦٨٦- المصدر العربي (٣١): ص,٣٠٧

٦٨٧- المصدر الانگليزي (١١٧): ص,٢٨٦

(*٩٨) بعد ان اعاد ميري كوره فتح مدينة العماديه والحقها بمدينة رواندز، توجه نحو مدينة الموصل (للمرة الثالثة والاخيرة) فحاصرها ونصب حولها المدافع ثم بدا بمهاجمتها؛ فأضطربت احوال المدينة ولما لم يكن لوالي الموصل (محمد سعيد پاشا ال ياسين افندي) المقدرة على مقاومة جيش سوران القوي والوقوف بوجه هجمات نمور ميري كوره، اسرع الى اعلان الولاء لميري كوره، حيث بعث اليه برسائل الولاء وبوفود من اعيان واشراف المدينة، ثم ذهب بنفسه الى أمير سوران فقدم له الطاعة مع الكثير من الهدايا؛ وبعد المباحثات التي جرت بين ميري كوره ووالي الموصل (محمد سعيد پاشا آل ياسين افندي، حدد الأمير محمد (ميري كوره) فرمانا يقتضي بنصب (محمد سعيد پاشا) واليا على الموصل من قبله واعاده الى المدينة بعد ان قدم له الهدايا. هكذا لم ير ميري كوره موجبا لدخول مدينة الموصل بقوات عسكرية، فعاد الى عاصمته رواندز. وبعد ذلك قامت السلطات العثمانية بعزل محمد سعيد پاشا ال ياسين افندي عن الموصل سنة ١٨٣٥ (١٢٥١هـ)، وفوضت ولايتها الى محمد پاشا البيرقدار الذي كان تركيا من مدينة بارطين. راجع: المصدر الكردي (٥١)، ص٧١،٧٤؛ وكذلك: المصدر العربي (٣١)، ص٣٠٦،٣١٠-٣١١.

٦٨٨- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣١.

٦٨٩- المصدر العربي (٧): ص٤٠-٤٢.

٦٩٠- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٦.

المبحث الرابع

سقوط ميري كۆره وانهيار دولة سوران

أولاً: عوامل السقوط حسب الشواهد والادلة

لدى مراجعة الشواهد والأدلة المختلفة يجد المرء اسباباً متنوعة قد تكون مسؤولة عن سقوط إمارة ميري كۆره، التي أرغب في مناقشتها هنا وبحثها بحسب اهميتها:

١- العوامل الدينية كسبب للسقوط:

يرى المعاصرون من المثقفين الكُرد أن السبب الوحيد لسقوط إمارة سوران كان موقف علماء الدين، الذين ربّوا الشعب الكردي على الولاء للإمبراطورية العثمانية[٦٩١]...

وهناك رواية شائعة جداً في كردستان حول اسباب سقوط ميري كۆره، وهي:

«تطرّق احد علماء كردستان المشاهير في خطبة الجمعة التي كان يلقيها في الجامع الى عدم شرعية مقاومة جيش خليفة المسلمين والإشتباك معه في قتال. فأثرت الخطبة في جيش محمد پاشا، الذي بادر أفراده بالذهاب الى المعسكر العثماني لتقديم الطاعة للخليفة، حسبما أوحت إليه صلابته في العقيدة الدينية»[٦٩٢]...

وكتب خيلاني في مذكراته:

«لما كان إنتصار رشيد پاشا[٦٩٣] مكتوباً في سجل الأزل، فقد تأمل محمد پاشا ذات امسية في مسألة الحرب والسلام وبعث في الساعة السادسة ليلاً[٦٩٤] في طلب مولانا خَتي. فتوجه الملا الموقر الى الپاشا. ولما كان من عاداته الثابتة إستشارة الملا في المشاكل الدينية والدنيوية العصيبة، فقد استشاره حول مسألة الحرب ضد رشيد پاشا. فتفضل مولانا ختي الموقر بالقول: لاتحاربه دعنا نذهب اليه ونستسلم له. ولما لم يكن من عادة الپاشا معارضة رأي الملا فقد توجه على الفور مع الملا الى رشيد پاشا»[٦٩٥]...

٦٩١- راجع: المصدر الكردي (٦٢): ص٣؛ كذلك: المصدر العربي (٢). وأيضاً المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٩-٣٠٠.

٦٩٢- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٢.

٦٩٣- انه يقصد بذلك، الگرجي الأصل رشيد پاشا، المتوفى في شهر كانون الثاني ١٨٣٧ (انظر: المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٧٥): والي سيواس. الذي كان يعرف بـ(الدبلوماسي). انه الذي انتصر على اليونانيين في معارك (١٨٢٥) و(١٨٢٧). لقد عُين رشيد پاشا والياً على سيواس في سنة ١٨٢٦. انظر: الصفحات القادمة من هذا المبحث.

٦٩٤- انه يعني بذلك الساعة (٢٤) الثانية عشر ليلاً. يستخدم علماء الدين الى يومنا هذا التوقيت الإسلامي الذي بموجبه يبدأ الليل بغروب الشمس.

٦٩٥- المصدر الكردي (٦٣): ص٨٠-٨١.

وفي إعتقادي أن هذا التقرير يستحق اهمية كبيرة، وعدا ذلك فإني اعتبره جديراً بالتصديق للأسباب التالية:

أ- ينحدر خيلاني من عائلة كردية ليس لها نزعة عدائية ضد الإسلام، فعليه ليس هنالك أي مسند لإتهام الخيلاني بالإنحياز ضد العلماء المسلمين.

ب- مدح خيلاني في مذكراته مولانا ختي وهو فخور جداً بصلة قرابته الشخصية به[٦٩٦]...

ج- سمع خيلاني بهذه الحوادث من افواه كُرد ذوي إطلاع جيد[٦٩٧]، منهم خصوصاً والده الذي كان من أشهر علماء كردستان ومن معاصري ميري كۆره.

وهناك تقارير للمؤرخ الكردي المعاصر محمد فيدا تعاضد وتؤيد ما ورد في تقرير خيلاني، يقول فيدا:

«استشار مير محمد عالمه الديني (الملا)، فقال العالم: لايجوز لك ان تحارب المسلمين، بل يجب أن تسلم نفسك. ولما كان الأمير محمد متديناً فقد سلم نفسه ليؤخذ أسيراً الى استانبول، التي لم يرجع منها ثانية، ولايعلم احد ماذا جرى له»[٦٩٨]...

يتحدث فيدا مثل خيلاني عن الإستشارة ولكنه لايذكر أية فتوى، إلاّ أن مثل هذه الاستشارة يمكن أيضاً إعتبارها فتوى غير رسمية، ويجب ان يكون لذلك في نظري سبب تاريخي. وعندما يعتبر الكرد في الوقت الحاضر الملا ختي واحداً من بين اثنين من أشهر (خونة التاريخ الكردي)[٦٩٩]، فإن تقرير خيلاني يكتسب مصداقية أكبر.

ويلاحظ في تقرير موكرياني المفصل أيضاً بأن علماء الدين لعبوا دوراً مباشراً في إسقاط الإمارة:

«عندما إقترب جيش بيرقدار[٧٠٠] من رواندز لم يكن من رأي العلماء ان يقف الأمير بوجه الأتراك»[٧٠١].

ويورد موكرياني أسماء المشتركين ويصفهم:

«بعث الخليفة العثماني سلطان محمود رسالة بإسم الخلافة الإسلامية (منشور همايوني) الى العلماء التالية أسماؤهم: يحيى مزوري، ملا ختي وملا إزرائيل جزيري. وهكذا أمر السلطان ونفخ في آذان هؤلاء العلماء، بإسم الدين والخلافة»[٧٠٢]...

٦٩٦- نفس المصدر: ص٥١، حيث جاء فيه: (... كان ملا ختي عالماً ربانياً، لم يكن في قلبه أي شيء اخر ماعدا الدين والعلم).

٦٩٧- نفس المصدر: ص١-٢.

٦٩٨- المصدر الكردي (٦٧).

٦٩٩- راجع: المبحث الثاني من الفصل الثالث لهذا المبحث تحت عنوان: (الأحوال والأوضاع الدينية).

٧٠٠- كان (بيرقدار) والياً على الموصل، انه رافق رشيد پاشا في حملته على ميري كوره.

٧٠١- المصدر العربي (١٠): ص٦٣.

٧٠٢- نفس المصدر: ص٦٤-٦٥.

يعتبر موكرياني بأن ختي كان من انشط هؤلاء العلماء:

«عندما وصل رشيد پاشا الى الموصل، أرسل الى ملا محمد ختي (فرماناً) مزيفاً، وإلى الأمير محمد رسالة مليئة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في سبيل خداعه. أما الملا ختي- الذي كان قد تهذب على يد داوود پاشا[٧٠٣]، فقد سبق وأُحيط علماً بأمر هذه الفرمانات والرسائل، فأدلى في الحال بفتوى تكون الحرب ضد السلطان العثماني بمقتضاها مسيئة للدين والإيمان وشرعية الحياة الزوجية، مما أدى الى انهيار معنويات السورانيين»[٧٠٤]...

يتحدث موكرياني عن رد فعل ميري كۆره على الرسالة ثانية لمصطفى رشيد پاشا[٧٠٥]، التي كانت (مكتظة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية) وعن موقف ملا ختي منهما بإعتباره مفتياً لسوران، قائلاً:

«عندما تسلم الأمير الرسالة استشار ملا محمد ختي وقادة الجيش، كان الجميع من جنود وضباط واهالي على رأي واحد وقالوا جميعاً وبصوت واحد: سوف لن تذهب أنت، إلاّ إذا قُتلنا جميعاً. فنهض الملا وألقى خطاباً طويلاً جاء فيه إن كل مَن يقاتل الحكومة العثمانية تحرم عليه زوجته ويبقى طيلة عمره دون زواج شرعي ويموت كافراً. وقد أثّرت خطبة ذلك اليوم وأضعفت موقف الأمير جداً. فوجد نفسه مضطراً لأن يسلّم نفسه الى الاتراك وهذا بالضبط ما قام به»[٧٠٦]...

أما موكرياني فيروي لنا عن رسالة ثالثة لمصطفى رشيد پاشا موجهة الى الأمير وملا ختي[٧٠٧]. ويؤخذ من تقرير موكرياني أن ملا ختي كان مذنباً، وهو ما يتفق والرأي السائد اليوم بين الكُرد، وكذلك رأي الخيلاني ومحمد فيدا أيضاً. ويبدو من هذا أن ختي كان مسلماً متعصباً[٧٠٨]. ولكن عليَّ رغم ذلك أن اذكر بأن ما توصّلت اليه شخصياً يجعلني اعتقد بأن ختي كان قد وقع تحت تأثير الرشوة التي دفعها العثمانيون له، مَثَله في ذلك كمثل إدريس البتليسي[٧٠٩]. فأحد أحفاد ختي، الذي

٧٠٣- لقد بحثت وناقشت جدارة تصديق فرضية العلاقات بين ختي وداود پاشا في مكان اخر من هذا البحث؛ راجع: المبحث الثاني من الفصل الثالث لهذا البحث تحت عنوان (الأحوال والأوضاع الدينية).

٧٠٤- المصدر العربي (١٠): ص,٦٦

٧٠٥- اسم هذا القائد موضع جدال، حسب موكرياني: انه مصطفى رشيد پاشا؛ حسب عوني: رشيد محمد پاشا (المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٢)؛ حسب زكي: رشيد پاشا (نفس المصدر ونفس الصفحة)؛ حسب بوجولا- Poujoulat: رشيد محمد پاشا (المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٧٣)؛ حسب جوانين- Jouannin: رشيد محمد پاشا (المصدر الايطالي(١٣٢): ص٤٤٣)؛ وحسب ميلينگن هو: رشيد پاشا (المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٤).

٧٠٦- المصدر العربي (١٠): ص٦٨.

٧٠٧- نفس المصدر: ص٦٨-٧٠.

٧٠٨- يؤيد الخيلاني هذه الحقيقة، انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث تحت عنوان: (العوامل الدينية كسبب للسقوط).

٧٠٩- او ادريس بدليسي، انظر: رسالة السلطان العثماني سليم الى البدليسي والهدايا والأموال التي ارسلها السلطان اليه، في سعدالدين خوجه، تاج التواريخ، الجزء الثاني، ص٣٢٢. (انظر: هامش مترجم هذا الكتاب برقم (*٣٩) وفيه مقتطفات من تلك الرسالة- المترجم).

تعرفت عليه سنة ١٩٥٥ في بغداد (وكان رجلاً معمماً)، روى لي وبصراحة الكثير عن (فضل وحسنات) العثمانيين عليه وعلى أجداده، وأظهر تعصباً أعمى لصالح العثمانيين بإعتبار أنهم كانوا من (حماة تراث محمد).

أما گوراني، فيتهم هو الآخر ملا ختي إذ يقول:

«... بيد أن الصدر الأعظم الذي كان يعرف مبلغ قوة الكُرد لم يقدم على حربهم، بل إستمال علماءهم ليكون النصر بجانبه كلية بإقناعهم بإستنكار وقوف الأمير في وجه خليفة رسول الله. فأصدر منهم الملا محمد خطي فتوى مؤداها "إن كل من يحارب جيش الخليفة غير مؤمن تُطلّق منه زوجته"»[٧١٠]

ويعتبر گوراني هذه الفتوى سبباً لسقوط ميري كوّره، فيقول:

«كان لهذه الفتوى أثرها العظيم في الجند وأعوان الأمير الذين إنفضّوا من حوله»[٧١١]...

يتفق هذا التقرير والتقارير الاخرى عن دور ختي، إلا أن گوراني يريد بخلاف موكرياني، ان يشفع لخطيئة وذنب ختي بالإيحاء أن ملا ختي نفسه كان قد خُدع:

«ولاريب أن الملا محمد خطي حين أصدر فتواه لم يكن يتصور هذه النتيجة ولم يكن يعلم أن الترك يستغلونه وغيره من علماء المسلمين ليحققوا ما تعذّر تحقيقه بحدّ السيف... فهذه الإمارة التي توسعت هذا التوسع إنقرضت دون ان يظهر عليها من علامات الهرم أو تقف بوجه تقدمها قوة ما، اللّهم إلاّ فتوى شيخ مخدوع»[٧١٢]...

ان عذر گوراني هذا مشكوك فيه. فالعلماء كانوا الوحيدين تقريباً ملمين بالقراءة والكتابة وكانوا يعدون قادة الفكر للشعب. لذا فمن المستبعد، أن يكون عالم كختي ساذجاً لدرجة الغفلة عن سر العثمانيين، أو انه لم يكن ليدري، ماذا يمكن ان تنطوي عليه الثقة بخلفاء آل عثمان الذين بنوا سعادتهم وترفهم على شقاء الشعوب وضنائها. وان محاولة گوراني التشفّع لختي، مردها حسب رأيي، رغبته في عدم إغضاب علماء الدين. بينما يتوصل بنفسه الى أنّ هذه (النكبة) او الكارثة لم تكن الأولى، بل انها تكررت مرات عدة، فيضيف قائلاً:

«من المؤسف جداً أن يدرك المتتبع لتاريخ الكُرد ان سيطرة بعض رجال الدين على رجال السياسة كانت سبباً لنكبتهم، لا لأنهم يقصدون ذلك بل لأنهم كانوا ينساقون إنسياقاً أعمى»[٧١٣]...

إن ما يذكره عنه گوراني هنا صحيح دون شك. فقوله إن العلماء طبعوا التاريخ الكردي بطابع

٧١٠- المصدر العربي (٢٧): ص١٣٣.

٧١١- نفس المصدر.

٧١٢- نفس المصدر: ص١٣٤.

٧١٣- نفس المصدر ونفس المكان.

حاسم، وكان بإمكانه ان يضرب مثلاً على ذلك بالعالم إدريس البتليسي الذي ساقه تعصبه المذهبي السني[٧١٤] الى دفع أمراء الكرد (السنيين) للإتحاد مع العثمانيين، وهو التحالف الذي تسبب في زوال الاستقلال الكردي.

ان قول گوراني بأن "بعض رجال الدين يسيطرون على رجال السياسة" لابد أن يعني بأنه يفصل بين السياسة والدين. إذاً (فعلماء الدين او الروحانيون للمساجد، والساسة للحكم)، إلاّ أن هذا غائب عن ماهية الإسلام، لأن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل هو دين وسياسة أي دين ودولة في الوقت عينه. وإن من يؤمن بالإسلام، ينبغي عليه الإيمان بنظام حكمه ودولته أيضاً. ووفق هذا الاعتقاد يجب إطاعة الخلفاء، فالخليفة يقف فوق اولي الامر بأسرهم. وقد جاء في القرآن الكريم:

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...الآية)[٧١٥]...

فقبل انشاء المدارس الحديثة، كان العلماء في الدولة العثمانية هم المدرسون، وقد عهد إليهم رسمياً القيام بتربية الشعب وتهذيبه بشكل يضمن الطاعة للخلفاء، بل إن ذلك أصبح مقرراً ومثبتاً في "قواعد سلوك التعليم" بصورة رسمية في عهد السلطان عبدالحميد حسب نظام ٧ شعبان ١٣١٠ (١٥ شباط ١٨٩٣م)[٧١٦]...

يعتبر زكي العامل الديني سبباً رئيسياً من بين ثلاثة عوامل كانت مسؤولة عن سقوط ميري كۆره:

«التعصب الممقوت، والإفراط في الإعتماد على علماء الدين الجاهلين بالشؤون والظروف السياسية».[٧١٧]

إن لتقرير زكي هذا وقع أكبر من تقرير گوراني. إذ يعارض زكي (التعصب الديني) ويقف كذلك ضد (الثقة المطلقة بالعلماء، والإفراط في الإعتماد على علماء الدين، الذين لايعلمون شيئاً عن الشؤون السياسية) حسب ما ورد في قوله. ولكن كيف كان يمكن لميري كۆره ان لايعتمد على علماء الدين هؤلاء في الوقت الذي كان هو فيه (مؤمناً؟).

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا في نظري هو، هل كان الإسلام يخدم المصالح القومية للكرد أم لا؟ اني اعتقد بأن ميري كۆره حتى لو وقف حينها ضد العلماء فإنّ شعبه الذي تربى بالتربية الإسلامية لم يكن سيتبعه[*٩٩]...

٧١٤- كان بدليسي سنياً متعصباً لدرجة انه كتب بحثاً ضد المذهب الشيعي، انظر، المصدر العربي (٢٣): ص١٧: الهامش.

٧١٥- انظر: سورة النساء: رقم: ٤، الآية رقم: ٥٩.

٧١٦- المصدر العربي (٢٥): ص١١٢.

٧١٧- المصدر العربي (٣٥): ص٢٤٦.

(*٩٩) حتى قبل سنوات وربما لحد اليوم، يقوم البسطاء والسذج بزيارة قبر (ملا ختي) في مقبرة (گەردەگەرد) برواندز ويطلبون الشفاعة منه، ياترى كيف كانت طاعة الناس له قبل اكثر من قرن ونصف قرن؟

يتحدث المؤرخ الكردي المعاصر قفطان بصراحة عن تردد وتريث جيش ميري كوّره في القتال:

«حاول الصدر الاعظم عن طريق الخدعة والحيلة صرف جيش محمد باشا عن الحرب بواسطة الدين والعلماء، وبالتالي نودي جهاراً بأن الحرب ضد الخلفاء وما يصحبها من إراقة دماء المسلمين تعتبر خطيئة ومعصية. وأثّر هذا المرسوم حالاً في قلوب جنود جيش سوران الأميين الجهلاء. وهكذا أصبح محمد باشا يرى بأم عينيه كيف أن جيشه قد إنحاز الى جانب السلام. على هذا النحو إضطر الأمير ان يسلّم نفسه. وذهبت جهوده التي كلفته سنوات طويلة ودماء رجال سوران أدراج الرياح، وكل ذلك بسبب قلة الوعي السياسي للشعب»[٧١٨]...

حسب تقديري لهذا الأمر، أرى ان لعوني كامل الحق حينما يقول أنه لم يبق لميري كوّره أية إمكانية أخرى عدا التنازل (التسليم). يقول عوني:

«شرع الصدر الأعظم بالتفاوض مع الأمير وحذره من القتال ضد خليفة الإسلام وطلب منه ان يعتمد على الضمانات ويسلم نفسه. وإستطاع الصدر الأعظم أيضاً كسب علماء رواندز الى جانبه، خاصة ملا محمد ختي الذي كان يتمتع بإحترام كبير في تلك المنطقة، فأصدر ختي فتوى فحواها (كل من يحارب جيش الخليفة كافر وتحرم عليه زوجته). وكان للفتوى اثر عميق في نفوس الجند وأتباع الأمير فتخلوا عنه، لذلك لم يجد الأمير أمامه اية فرصة للسيطرة على الموقف، ورضخ لضغط الصدر الأعظم»[٧١٩]...

القول بأن علماء الدين كانوا سبباً في سقوط ميري كوّره ليس رأي الكُرد وعلمائهم فقط، بل هو رأي الكثير من غير الكُرد أيضاً، فمثلا يقول الدملوجي:

«يسلم محمد باشا نفسه الى القائد العثماني بعد صدور فتوى من عالم جاهل يمنع الأمير ويحرم عليه قتال جيش خليفة المسلمين. في الوقت الذي كان فيه لمحمد قوات حربية تمكنه من قهر جيش الخليفة وتهديد عرشه. وعدا ذلك لم تكن طاعة الخليفة واجبة»[٧٢٠].

ويصف الدملوجي ملا ختي بإعتباره عالم سوران[٧٢١]، ورغم أنه لايذكر صراحة بأن ختي أصدر هذه الفتوى ولكنه وهذا هو المهم يشير الى الخليفة بإعتباره (غاصباً) طاعته (غير واجبة)[*١٠٠]...

٧١٨- المصدر الكردي (٥٧): ص٢٩٩-٣٠٠.

٧١٩- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٨: (هامش المترجم عوني).

٧٢٠- المصدر العربي«٢٣): ص٤٨-٤٩.

٧٢١- نفس المصدر: ص٤٥.

(*١٠٠) في نظر فقهاء الإسلام كانت الخلافة الاموية والعباسية والعثمانية خارجة عن حقيقة مهمتها الإسلامية لأنها جميعا كانت تتصف بالتفسخ الديني والانصراف الى الملذات والمشاحنات الداخلية، اذ ينظم الدين علاقات البشر تنظيما عادلا ويشجب الاستغلالات المنحرفة له ويتجاوب مع أمال البشرية والامها. (راجع: محمد الصدر، اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني، اصفهان ١٤٠٠ هـ، ١٤٦-٦١٦). ولاجل اعطاء القاريء نظرة عن رجال في الإسلام رفضوا الانصياع لطاعة أمير المؤمنين (الخليفة او السلطان) وقادوا انتفاضات وحركات مصلحة ضد السلطة المركزية، اود الاشارة هنا الى مقتطفات من رسالة موجهة من ابي طاهر بن الحسن بن بهرام الجنابي زعيم القرامطة في =

ولايتحدث فريزر عن عالم أو عن فتوى، لكنه يعتبر السلطة او المكانة الدينية للسلطان وتاثير العقيدة الدينية للسورانيين بهذه السلطة سبباً في عدم دخول ميري كۆره الحرب. يقول فريزر:

«... من الثابت أن أولئك الذين كان من الممكن ان يناصروه في المناسبات والظروف العادية حتى النهاية، فزعوا لدى مشاهدة رايات (Sanjak) صفوف جند السلطان وقد إنتظمت في المعركة ضدهم. وظلوا مترددين تبجيلاً لخليفة الرسول وزعيم دينهم. وحرم الكُرد من مقاومة قوات السلطان بالسلاح، وشعر الأمير بذلك، وبعد فقدانه معاقله الحصينة الواحدة تلو الاخرى، قام في حدود نهاية آب ١٨٣٦م بتسليم نفسه فعلاً على يد علي پاشا بغداد»[٧٢٢]...

الخلاصة:

يمكن القول بأن العقيدة الإسلامية المسيطرة على الأمير الكردي أدت به الى إجلال وتوقير العلماء الروحانيين، الذين دأبوا على الدوام على تهذيب الشعب بوجوب تقديس الخليفة بإعتباره نائب محمد (ص). وإستغل العثمانيون هذا الأمر، فحققوا هدفهم دون خوض قتال. ان مثل هذه العقيدة وهذا الايمان بالدين ليس أمراً عقلانياً، بل يرجع الى التقاليد التي تعمّقها سلطة ومكانة رجال الدين فحسب. ويروي لنا ريچ شيئاً جديراً بالاهتمام هنا عن اهل رواندز في زمن ميري كۆره، إذ يقول:

« ابناء وأهالي خوشناو ورواندز بدائيون وسذج الى أبعد حدّ. ففي الوقت الذي لايترددون فيه عن قتل المرء، تراهم لايفوّتون صلواتهم لأي سبب كان، حتى لو انه ادركهم خوض المعركة في المسجد»[٧٢٣]...

= البحرين، الى الخليفة العباسي المقتدر في سنة (٣١٧هـ)، ردا على الرسالة التي بعث بها الخليفة الى ابي طاهر يستنكر فيها اعتداءه على الحرم واقتلاعه للحجر الشريف ثم قتله لآلاف المسلمين يوم الحج الاكبر: (بسم الله الرحمن الرحيم... خبرني ايها المحتج لهم والمناظر عنهم في أي اية من كتاب الله او أي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اباحة شرب الخمر وضرب الطنبور وعزف القيان ومعانقة الغلمان وقد جمعوا الاموال من ظهور الايتام واحتووها من وجوه الحرام. وأما ما ذكرت من احراق مساجد الابرار فاي مسجد احق بالخراب من مساجد اذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله تعالى وعلى رسوله (ص) باسانيد عن مشايخ فجرة بما اجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة. وأما تخويفك لي بالله وامرك بمراقبته فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك اترى اني اجهل بالله منك وصرفك اموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ومنعها عن مستحقيها، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان، الله اذن لكم ام على الله تفترون. وأما ما ذكرت اني تسميت بإسمه عدوان فليس باعظم من تسميك بالمغيث بالله أمير المؤمنين، أي جيش صدمك فاقتدرت عليه ام أي عدو ساقك فابتدرت اليه لانت أمير الفاسقين اولى بك من أمير المؤمنين، وانك لتقلد بعض خدمك شيئا من امرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى، فاي الامرين اقرب للتقوى، او ماعلمت انه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بني عمه واسرته فقد سادهم وعلا فيهم، وبعد فمالك وللوعيد والابراق والتهديد اعزم على ما انت عليه عازم... الخ). راجع: الدكتور حسين علي المسري: تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي/ ٧٤٩ -١٢٥٨، بيروت - ١٩٨٢، ص٣٥٠-٣٥٢.

٧٢٢- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨١-٨٢.

٧٢٣- المصدر الانگليزي (١١٩): ص١٥٠.

ثانياً- العمليات العسكرية سبباً للسقوط:

يتحدث كل من موكرياني[٧٢٤] وزكي[٧٢٥] وعوني[٧٢٦] والدملوجي[٧٢٧] وگوراني[٧٢٨] وميلنگن[٧٢٩] عن تقدم الجيش العثماني نحو رواندز، لكن دون أن يذكر أي منهم شيئاً عن نصر عسكري مباشر للجيش العثماني على ميري كۆره.

ويقول مينورسكي:

«أُخذ أمير رواندز أسيراً بسبب الدسيسة».[٧٣٠]

ولايتحدث مينورسكي عن أية (حرب) وإستعماله لكلمة الدسيسة تعني أن الأمير لم يُهزم عسكرياً.

أما لونگريك فيقول بأن الأمير سلم نفسه فقط مقابل ضمانات قوية:

«سلم نفسه مقابل ضمانات قوية بالمعاملة الطيبة»[٧٣١]...

وهذا يعني ان الأمير لم يهزم بالقتال لأن من الواضح أنّ مَن يُدحر في ساحة القتال ليس له منطقياً أي حق في طلب الضمان.

وعلى النقيض من جميع التقارير السابقة، يتحدث آخرون عن فوز عسكري للإمبراطورية العثمانية. فمثلا يكتب مولتكه Moltke أن ميري كۆره أو (البگ الرواندزي) كما يسميه هو (هُزم من قبل رشيد پاشا).[٧٣٢] إلاّ أن مولتكه لايقص علينا شيئاً عن الحرب التي ينبغي أن يكون ميري كۆره قد هزم فيها. اضف الى ذلك فالهزيمة لاتكون دائماً بحد السيف، بل قد تكون عن طريق (الحيلة) أيضاً.

يتحدث نيكيتين عن نصر الجيش العثماني من خلال (ضرب الحصار) فيقول:

«وأخيراً وفي عام ١٨٣٦ انتصر الاتراك على الپاشا بعد أربعة أشهر من الحصار.»[٧٣٣]

فهل يا ترى حدث هذا الحصار؟

يتحدث موكرياني عن (عمليات) يمكن للمرء ان يفهم منها (مصادمات عسكرية) أو (حصاراً)، كذلك يقول موكرياني:

٧٢٤- المصدر العربي (١٠): ص٦٧-٦٩.
٧٢٥- المصدر العربي (٣٨): ص٤١٣-٤١٤: وكذلك: المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٢-٢٣٣.
٧٢٦- المصدر العربي (٣٦): ص١٤٨: (هامش المترجم عوني).
٧٢٧- المصدر العربي (٢٣): ص٤٧.
٧٢٨- المصدر العربي (٢٧): ص١٣٣-١٣٤.
٧٢٩- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٥-١٨٦).
٧٣٠- المصدر الألماني (٩٢).
٧٣١- المصدر الانگليزي (١١٧): ص٢٨٦.
٧٣٢- المصدر الألماني (٩٣): الجزء الثامن: ص٢٨٤.
٧٣٣- المصدر الألماني (٩٦).

«عندما توجه الجيش التركي بإمرة بيرقدار نحو رواندز، أراد القائد السوراني (احمد) مخالفة رغبة العلماء الذين ارادوا منع الأمير من محاربة الاتراك. فأصر احمد بگ[*١٠١] على خوض المعارك ورابط جيش الأمير بالقرب من زاب بهدينان (الزاب الاعلى) لقتال الأتراك، وانتصر على بيرقدار، وغنمت قوات الأمير الكثير من المغانم وعادت الى رواندز»[٧٣٤]...

اضافة لذلك يتحدث موكرياني عن فتوى (ختي) المذكورة سلفاً ضد ميري كۆره، فيقول:

«بالرغم من ذلك قام الأمير بتعبئة قواته، وكان اخوه أحمد بگ وثلاثة آلاف من المقاتلين يرابطون في هرير. جمع مصطفى رشيد پاشا الجيش من الموصل وبغداد ودياربكر وسيواس وتوجه من آكري (عقره) عبر شيروان ومزوري الى رواندز... وسار حافظ علي پاشا[٧٣٥] والي بغداد على رأس قوات كبيرة من بغداد الى أربيل»[٧٣٦]...

وفي الختام يتحدث موكرياني عن دور (ملا ختي) كما سبق ذكره. أما زكي فيروي لنا تحشدات العثمانيين في رواندز لكنه لايذكر شيئا عن نصر مسلح تحقق على ميري كۆره[٧٣٧]...

يمكننا ان نستنتج من ذلك ان (الحصار) العثماني لرواندز، الذي ذكره نيكيتين، لايعني أبداً أي نصر للمحاصِرين.

أما المؤرخ العثماني محمد ثريا فلا يتحدث عن نصر عسكري عثماني بل عن (عزل) ميري كۆره، ويقول:

«كان محمد پاشا بگ في رواندز، وتم عزله سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٦-١٨٣٧م) وتحررت المنطقة من حكمه الغاشم ثم إختفى ذِكره بعدها»[٧٣٨]...

أما ميلنگن، الذي التقى في وان عام ١٨٧٠ برسول پاشا، شقيق ميري كۆره وقائد قوات جيش سوران، فيروي لنا على لسان رسول پاشا بأن رشيد پاشا إستغل صداقته مع ميري كۆره كي يجعله يستجيب له بقوله:

«طبعا لم يستطع الباب العالي أن يغض الطرف عن تزايد قدرة پاشا رواندز وشعبيته. فقرر وضع حد لسياسته التجاوزية واخضاعه لسلطته. فأرسل جيشاً الى الموصل بإمرة رشيد پاشا السَر عسكر، وقد عهد اليه بهذه المهمة الصعبة لصداقته الصميمة مع پاشا رواندز.

(*١٠١) احمد بگ بن مصطفى بگ وهو اخ لميري كوره، انه تولى مقاليد الحكم بعد استشهاد ميري كوره، ثم اصبح ضحية للتنافس العائلي، حيث قتل وهو في طريقه الى صلاة الجمعة.

٧٣٤- المصدر العربي (١٠): ص٦٣.

٧٣٥- لم يكن حافظ علي پاشا والياً على بغداد، بل قائداً في الجيش العثماني؛ انظر: المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٨٣-٣٨٥.

٧٣٦- المصدر العربي (١٠): ص٦٧.

٧٣٧- المصدر العربي (٣٨): ص٤١٣-٤١٤> وكذلك: المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٢-٢٣٣.

٧٣٨- المصدر التركي (٨١): الجزء الرابع: ص٢٨٩.

وكانت الحكومة العثمانية متلهفة لحسم هذه المشكلة دون معركة شاملة. فإستقر الرأي على إنتهاج سياسة غادرة جرت تحت ستار الصداقة، وذلك لأن الحملة شُنت دون استخدام السلاح. وسقط محمد پاشا في المصيدة وذهب الى المعسكر التركي للتفاوض، فتم تسفيره الى القسطنطينية على عجل ووُضع بين يدي صديقه السلطان محمود»[٧٣٩]...

رواية هذا الحادث تعدُّ برهاناً آخر على أن ميري كوّره لم يُهزم عسكرياً أمام العثمانيين. إلاّ أنها لاتدحض في الوقت نفسه دعوى أن ميري كوّره قد إستشار ملا ختي قبل حركته او سيره الى القائد العثماني، لأن هذه الرواية لاتتضمن شيئاً ينفي احتمال الدور الذي لعبه ختي.

أما بوجولا Poujoulat، الذي إلتقى في آب ١٨٣٧ بالقائد العثماني حافظ پاشا وسمع منه الكثير عن ميري كوّره، فلايتحدث عن أي انتصار للعثمانيين بل يروي فقط:

«لقد تم تطويق البگ الرواندزي بجيش قوي جداً، فأدرك إستحالة الإفلات من الهزيمة، فعرض الإستسلام مقابل العفو عنه»[٧٤٠]...

إن على المرء هنا ان يتغاضى عن حقيقة أن بوجولا وإن كان قد إستقى معلوماته من أعداء ميري كوّره، إلاّ أنه لايتحدث عن أي انتصار عسكري للجيش العثماني.

أما فريزر فيصف الوضع كما يلي:

«لقد دافع الأمير ببسالة عن نفسه، ولو كانت قواته صادقة معه لتمكن من الإستهزاء بالقوات الزاحفة عليه الى أقصى حد»[٧٤١]...

وهكذا تبقى حقيقة أن العثمانيين قد نالوا الفوز كهدية، لإمتناع جيش ميري كوّره عن القتال بسبب الإنفعالات الدينية. ويتحدث فريزر في تقريره عن خيانة جيش ميري كوّره، وينسب ذلك مرة الى عدم شعبية الأمير (عدم تعلق الجماهير به) وأخرى الى تأثير النفوذ الإسلامي فيقول:

«إلاّ أن الأمير لم يكن محبوباً في البلدان الخاضعة له. فقسوته جعلته مهاباً اكثر مما يجب وكان بعض ضباطه خونة. ومن المؤكد بان هؤلاء الذين كان من الممكن ان يناصروه في المناسبات او الشؤون الاعتيادية حتى النهاية فزعوا عند مشاهدتهم رايات (Sanjak) جند السلطان وقد إنتظمت في المعركة ضدهم. فظلوا مترددين تبجيلاً لخليفة الرسول وزعيم دينهم. وهكذا حُرم الكُرد من مقاومة قوات السلطان بالسلاح»[٧٤٢]...

الظاهر أن جيش ميري كوّره لم يكن من الناحية العسكرية اسوأ حالا من الجيش العثماني، فتعداد الجيش العثماني، الذي كان تحت إمرة كل من رشيد پاشا وعلي رضا پاشا (والي بغداد) ومحمد

٧٣٩- المصدر الانكليزي (١١٨): ص١٨٥-١٨٦.

٧٤٠- المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٧٣-٣٧٤.

٧٤١- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٨١.

٧٤٢- نفس المصدر: ص٨١-٨٢.

پاشا (والي موصل)، كان يبلغ (٤٠٠٠٠) مقاتل[٧٤٣]... وذلك لايعدُّ تفوقاً عددياً مقارنة بجيش ميري كوّره[٧٤٤]... إلاّ أن الشيء الذي لاأعتبره صائباً في تقرير فريزر وأراه مناقضاً للتقارير الأخرى هو قوله:

«في نهاية اب ١٨٣٦، سلّم (الأمير) نفسه فعلاً الى علي پاشا والي بغداد »[٧٤٥]...

إذ أن الامر لايمكن ان يكون متعلقاً بعلي پاشا، بل بمحمد رشيد پاشا فقط[٧٤٦]...

أما الكتاب الرسمي للتاريخ والذي يدرس في مدارس العراق، فقد جاء فيه:

«أدرك العثمانيون شدة إنتفاضة محمد پاشا فخشوا من بسط سيطرته على كردستان، لذلك أرسلوا على الفور من الموصل وبغداد ودياربكر بقوات كبيرة للحد من توسعه. وشرعوا بإحتلال مناطق سوران شيئاً فشيئاً حتى إقتربوا من رواندز. وهناك أدركوا بأن التقدم عن طريق گلي علي بگ ليس بالأمر الهين. فكتبوا رسالة الى محمد پاشا وطالبوه بعقد اتفاقية وطلبوا منه أن يعترف بالسيادة العثمانية مقابل العفو عنه. فأعلن محمد پاشا موافقته منعاً لإراقة المزيد من الدماء. لقد وثق بالقائد العثماني وسلّم نفسه. وبعدها تم تسفيره بكل إحترام الى استانبول. وفي الشهر التالي لعام ١٨٣٦ عفا عنه السلطان وسمح له بالعودة الى وطنه، لكنه أُغتيل في الطريق»[٧٤٧]...

كذلك يصف كل من قفطان وصائغ الحالة بشكل لايعترفان فيه بدور الإنتصار العسكري للعثمانيين[٧٤٨]... يقول صائغ:

«فأرسل الباب العالي الوزير الشهير مصطفى رشيد پاشا الديبلومات لقطع دابر العصاة وحسم المشاغب السارية في الموصل. فأقبل هذا الداهية السياسي بالجنود الكثيرة الى الموصل وإصطحب معه محمد پاشا والي موصل وعلي پاشا والي بغداد، وسار بهم يريد القبض على ميري كوّره. وخيمت عساكرهم في سهل حرير (دشتي حرير) وهي ناحية مابين أربيل ورواندز. وهناك أدركوا عجزهم عن إلقاء القبض على الأمير العاصي لمناعة حصونه وكثرة جنوده. فعمد ذلك السياسي الخطير رشيد پاشا الى الحيلة ورأى خير ذريعة للقبض عليه إستئمانه بالحيلة. فراسله وأمّنهُ حتى وثّقه من نفسه. فأقبل إليه مير كور صاغراً»[٧٤٩]...

٧٤٣- المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٧٣.

٧٤٤- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث تحت عنوان: (القوة العسكرية).

٧٤٥- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨٢.

٧٤٦- انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث: تحت عنوان: (العوامل الدينية كسبب للسقوط) و(العمليات العسكرية كسبب للسقوط.

٧٤٧- المصدر الكردي (٦٨): ص١٤٦؛ كذلك: المصدر الكردي (٥٧): ص٣٠٠-٣٠٢.

٧٤٨- انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث لهذا الكتاب، تحت عنوان (العوامل الدينية كسبب للسقوط).

٧٤٩- المصدر العربي (٣١): ص٣١٢؛ الجزء الأول.

ان تقرير صائغ هذا مطابق تماماً للتقرير الرسمي في (سالنامەی ولايتي موصل = التقويم السنوي لولاية الموصل)[٧٥٠]... المهم هنا أن العرض في سالنامەی ولايتي موصل هو عرض للآراء الرسمية للعثمانيين عن الحوادث.

بعد تدقيق هذه التقارير يمكن للمرء أن يدرك الشواهد والادلة على انتصار العثمانيين عسكرياً واهية ولا تستحق التصديق. اذاً لم تلعب العمليات العسكرية للعثمانيين ضد ميري كۆره سوى دوراً ثانوياً في سقوطه. كما وينبغي على المرء هنا ان يدخل في الحسبان الموقع الاستراتيجي الهام لمدينة رواندز والوضع الجغرافي لما حولها لإثبات ما نقول. وليس على المرء إلاّ أن يستمع في الوقت الحاضر الى قائد عراقي يحارب ضد الثوار الكُرد في نفس المنطقة، وهو يعلن بصراحة قائلاً:

«الجندي العراقي يلاقي هنا نفس الصعوبات التي كان يلاقيها الجندي الألماني في ستالينغراد»[٧٥١]...

ولو قارن المرء اسلحة اليوم بأسلحة العثمانيين عام ١٨٣٦، لأدرك كم كان من الصعب محاربة ميري كۆره والإنتصار عليه عسكرياً.

ثالثاً- التنافس بين أمراء الكرد سبباً للسقوط:

يعتبر زكي تقصير ميري كۆره في عقد تحالف مع جيرانه الأمراء سبباً آخر لهزيمته إذ يقول:

«...... عدم الإهتمام بفكرة الإتفاق مع الأمراء المجاورين لتوحيد العمل»[٧٥٢]...

ويصف زكي سبب هذا الإهمال بأنه نوع من الكبرياء والغرور عند ميري كۆره من جهة وحقد وحسد جيرانه الأمراء من جهة أخرى:

«ولا غرو فلو لم يكن (محمد پاشا) مغروراً جداً وكان الأمراء المجاورون بعيدين عن التحاسد والتنافس والتباغض والعداوة وعاملين على وحدة الفكر والقيادة فيما بينهم، لواجهت الحكومة العثمانية صعوبةً كبيرة في القضاء على حركاتهم، ولربما حالف التوفيق حركة كل واحد منهم. ولكن الشقاق الذي كان مستحكما بينهم أدى في النهاية الى اندحارهم جميعاً واحداً تلو الآخر»[٧٥٣]...

كذلك يحمّل الدملوجي أمراء الكُرد انفسهم مسؤولية إندحارهم أمام العثمانيين ويتهمهم قائلاً:

«الذين جنوا على هذه الإمارة كانوا أمراءها أنفسهم، فلو مارسوا سياسة حكيمة سليمة خالية من التحريض، ولو توحدوا وتعاونوا مع بعضهم على ردع الاعتداء الخارجي، بدلاً من

٧٥٠- نفس المصدر: كذلك المصدر التركي(٧٦).

٧٥١- المصدر العربي (٤٤).

٧٥٢- المصدر العربي (٣٥): ص٢٤٦.

٧٥٣- نفس المصدر.

أن يتقاتلوا وينتزعوا اراضيهم فيما بينهم، لما وجدت الدولة (العثمانية) منفذاً إليهم»[٧٥٤]...

لقد كان الأمير منهم تماماً كما يصفه كل من زكي والدملوجي. فقد كانوا منقسمين على أنفسهم مختلفين فيما بينهم. وعليه فقد إستسلموا للهزيمة جميعاً.

صحيح فالكل يعلم بأن (القوة في الوحدة)، ولكن التساؤلات التي تبرز هنا هي:

لماذا ظهرت الفرقة والخلاف بين أمراء الكُرد؟

وهل كان عدم إتفاق ميري كوّره مع إسماعيل پاشا البهديناني مردُّهُ أن ميري كوّره كان متكبراً كما يقول زكي؟

وهل كان ما يطالب به زكي والدملوجي من إتحاد وقيادة مركزية موحدة وتعاون، بسيطاً الى هذه الدرجة وممكنا في ذلك الحين على الإطلاق؟

إن مثل هذه الأمور لم يناقشها الكُتّاب أبداً.

ولمّا كان موضوع الشقاق بين أمراء الكُرد خاصة وبين أمة الكُرد بوجه عام غالباً ما يتكرر دون أي تحليل موضوعي، اود هنا ان ابحث في هذا المسألة وأستعرضها ولأول مرة باسهاب وبشكل موضوعي:

لم يكن الشقاق بين أمراء الكرد موجوداً بين ميري كوّره وجيرانه من الأمراء فحسب، بل هو مرض كُردي مزمن. وأود ان أذكر هنا أن الشقاق القائم بين المذهبين السني والشيعي كان سبباً في عجز الكُرد عن إستغلال التنافس العثماني - الصفوي والإستفادة منه لمصالحهم الخاصة من أجل إنشاء دولة خاصة بهم كما سأوضحه فيما بعد.

لقد أثار هذا الشقاق في عام (١٠٠٦هـ = ١٥٩٧–١٥٩٨م) إهتمام المفتي العثماني ومدرس السلطان مراد الثالث، خوجة سعدالدين وحدا به الى البحث عن أسبابه. وقد فسّر خوجة القضية بشكل أسطوري حيث قال:

«ينزع الكُرد للأفكار الإنفرادية فكل واحد منهم يخلو الى نفسه وهم يتحصنون في قمم الجبال للحفاظ على حبهم الفطري للحرية وعلى كبريائهم وإستقلاليتهم. ولايتفق الكُرد على شيء ماعدا كلمة التوحيد[٧٥٥][*١٠٢][٧٥٦]. ويعتبر بعض العلماء دعاء النبي محمد (ص) (اللهم

٧٥٤– المصدر العربي (٢٣): ص٤٨.

٧٥٥– المصدر التركي (١٥)؛ وكذلك: المصدر العربي (٥): ص٢٦.

(*١٠٢) يؤسفني جدا ان اضطر الى القول بأنهم الان لايتفقون حتى على كلمة التوحيد. اني ارى بأن تفسير خواجة سعدالدين يحتاج الى تحليل شامل ودقيق وفق مباديء علم النفس والاجتماع. انظر: تعليق المؤلف على هامش المترجم هذا ضمن هوامش المؤلف تحت تسلسل (٧٥٦).

٧٥٦– تعليق من المؤلف على هامش المترجم (*١٠٢): "لقد قمت في السنين الأخيرة بالبحث عن قضية الاختلاف في صفوف الكُرد، وتكلمت عنه لأول مرة في المحاضرة التي القيتها في ميونيخ على اجتماع للطلبة الكُرد بتأريخ =

لاتجعلهم على الاتفاق لأن اتفاقهم سبب لخراب العالم) سبباً لهذا الشقاق»[٧٥٧]...

ولايرى مؤلف (الشرفنامه) تفسيراً آخر لشقاق الكُرد أفضل من السبب ذاته الذي أشار اليه الآخرون من العلماء بقولهم: «ومنذ ذلك الوقت لم يتسنَّ لهذا الشعب ان يُنشيء دولةً عظيمة»[٧٥٨]...

اني اعتقد بأن هذه التصريحات والبيانات التي صدرت عن البعض من الذين يطلق عليهم البسطاء من الكرد إسم العلماء، لم يكن تأثيرها ضئيلاً على الروح المعنوية للكُرد. وبدا ذلك وكأنه أمر حتمي وكأنها حالة لابد منها، فإستغلها خصوم الكُرد للإساءة اليهم. وإتجهت الامبراطورية العثمانية عملياً الى تغذية هذه النزعة، حيث اوقعت بين الأمراء، وقام ولاتها بذبح غير المسلمين كالإيزيديين مثلاً[٧٥٩] لأجل تحريض أمراء المسلمين المتعصبين.

وخير مثال على قيام العثمانين بزيادة حدة التنافس بين أمراء الكرد ما نجده في أسلوب نصبهم وتعيينهم الأمراء. فقد كانوا ينصّبون هذا ثم يعزلونه ثانية، فكان عليه التخلي عن منصبه واخلاء المكان لخصمه ومنافسه. كانت هذه السياسة قائمة على زمن رضا باشا بصورة خاصة.[٧٦٠] وهنا يصح ما يقوله زكي بهذا الصدد: «اذا لم تكن تقصد به إثارة الفتن والحروب وتحطيم البلاد، فأي شيء آخر تقصده؟ وهل يُفسر ذلك بغير هذا التفسير؟»[٧٦١]...

ليس العلماء وحدهم مَن ذكر شقاق الكرد وعدم إتفاقهم هذا. فهناك بعض الأوربيين أيضاً ممن اظهروا إعجابهم بشجاعة الكُرد يدونون في الوقت ذاته شقاقهم وانقسامهم الدائم بإعتباره السبب الدائم لخذلانهم، فمثلاً يقول سون:

«إنهم (الكُرد) سيظلون الى الأبد شعباً فخوراً لايُقهر إلا بسبب نزاعاته الداخلية، كارهاً للسلطات التي تحكمهم إسمياً»[٧٦٢]...

وترد في الادب الكردي أيضاً إشارات الى ذلك. فالشاعر الكردي المعروف أحمدي خاني (١٦٥٠ - ١٧٠٦م) مثلاً قال في حينه:

«الشجاعة والجسارة والسخاء موجود عند الكرد، ولكنهم غير متحدين فيما بينهم.

= ١٩٨٣/٩/٢٣ حيث كان المترجم الفاضل الأخ فخري سلاحشور احد الحاضرين وقد كانت المحاضرة بعنوان (تناقضات في صفوف المجتمع الكردي وسبيل ارخائه). كما وقد عالجت الموضوع نفسه في محاضرتي (الأنتماء الكردي) التي القيتها على اللاجئين الكُرد في كوبنهاطن بتاريخ ١٩٨٥/١٢/٢٧".

٧٥٧- راجع: المصدر التركي (٧٧): ص١٣٨: حيث جاء فيه: (اللهم لاتجعلهم على الأتفاق، لأن اتفاقهم سبب لخراب العالم).

٧٥٨- نفس المصدر؛ وكذلك: الشرفنامه "المصدر العربي (٥)".

٧٥٩- المصدر العربي (٢٣): ص٥١-٥٢.

٧٦٠- المصدر العربي (٤٠): ص٦٤.

٧٦١- المصدر العربي (٣٧): ص٤٩.

٧٦٢- المصدر الانكليزي (١٢٣): ص٥٥.

إنهم يميلون الى التمرد والشقاق دائماً.
فلو كنا متحدين جميعاً وتحت زعامة واحدة معاً،
لهبَّ الروم(٧٦٣) والعرب والفرس الى خدمتنا»(٧٦٤)...

وبقدر تعلق الأمر بميري كوّره فلم يكن له كما إتضح أي منافس في الداخل، بل من الذين حاربوه من منافسين خارجيين فقط. أما بصدد عقد إتفاق بين ميري كوّره وغيره من أمراء الكرد، فقد كان بالامكان حدوثه على اساس المصالح المشتركة التالية فحسب:

أ- المصالح القومية المشتركة.

ب- المصالح الدينية المشتركة.

ج- المصالح المادية (الشخصية) المشتركة.

وأود هنا أن أتحدث عن كل نقطة منها على حدة:

أ- في إمارة ميري كوّره وفي الإمارات الكردية الأخرى، كانت العلاقات الإقطاعية هي التي تحدد شكل نظام الحكم. ولايمكن للبواعث القومية أن تجد في مثل هذه الانظمة غذاءها الروحي. فقد كان وطن كل أمير إمارته التي ورثها من والده، وكان يستولي على الإمارة الأخرى لدوافع غير دافع الوحدة القومية للشعب. فكل ما كان يهمه هو توسيع رقعة نفوذه وثروته أو أملاكه. وهكذا فقد كان ميري كوّره وجيرانه والحالة هذه، ينظر كل منهم الى الآخر بعين الشك والريبة ويعتبره منافساً معادياً له لا كواحد من ابناء وطنه.

ب- ونأتي الآن الى المصالح الدينية المشتركة، حيث كان بإمكان المرء ان يطرح السؤال على الشكل الآتي: ألم يكن ميري كوّره وجيرانه الأمراء جميعاً مسلمين وسُنّة، فلماذا لم يتحدوا؟

وبإمكان المرء أيضاً ان يجيب على السؤال بآخر هو: ضد مَن كان ينبغي على هؤلاء الأمراء الكرد - السنة أن يتحدوا؟

والجواب الوحيد له لابد أن يكون: ضد الدولة العثمانية.

وذلك حسب رأيي كان مستحيلاً، ولابد لي هنا ان اشرح ذلك بعض الشيء:

كان الدين في الماضي أقوى عامل لتوحيد شعب ما او عدة شعوب مختلفة، وبمجرد ان ينقسم شعب بين مذهبين مختلفين تتمزق نتيجةً لذلك لغته وثقافته أيضاً. وهو ما ينتج عنه احساس بتكون أمتين. وخير مثال على ذلك إنقسام اللغة السريانية الى لهجتين رئيسيتين وبالنتيجة إنقسام السريان الى يعاقبة ونساطرة بسبب المشاحنات والنزاعات في المعسكر المسيحي في القرن الخامس(٧٦٥)...

٧٦٣- انه يقصد بذلك الأتراك، كما هو مألوف عند الكرد.
٧٦٤- المصدر الروسي (٨٥): ص٢٢٥-٢٣٥: ٥٢-٥٣.
٧٦٥- المصدر الألماني (٨٧): ص٣.

لقد استطاع الدين أن يجذب قوميات مختلفة تحت راية واحدة ويصهرها، وغالباً ما إستطاع الشعب الذي صدر عنه الدين ان يرأس الشعوب الأخرى، بل وتمكن حتى من دمج تلك الشعوب في ثقافته القومية، ومثال ذلك ما وصل اليه العرب. فقد تمكنوا من دمج السريان (السوريين) والمصريين بعد إعتناق هذين الشعبين للإسلام، وتم تعريبهم لغوياً في الوقت نفسه أيضاً[*١٠٣]...

لكن سبق وان حدث في التاريخ أيضاً، ان تمكن شعب آخر من إنتزاع زعامة طائفة دينية من يد الشعب الأصلي، فاصبح في وضع استطاع فيه جمع الشعوب الاخرى تحت رايته. إنتزع الاتراك بعد دخولهم الإسلام الخلافة من الخليفة العربي الشرعي المتوكل على الله سنة ١٥١٧، فباتوا زعماء للعالم الإسلامي وفرضوا ثقافتهم التركية بإسم الإسلام على الشعوب الأخرى[*١٠٤]...

وعلى ضوء هذه الحقائق نريد إعادة النظر في موقف الكُرد ومراجعته، فنقول:

عندما نُقل الإسلام في سنة (١٨ هـ = ٦٣٩م) بواسطة السيف الى كردستان، دافع الكُرد عن دينهم القديم[٧٦٦]، لكنهم أُجبروا على إعتناق الدين الجديد لأسباب اقتصادية. وجاء الإسلام بالثقافة العربية وأجبر الكُرد كبقية المسلمين – بإسم الاعتقاد الإسلامي على تبجيل وتوقير الثقافة العربية[٧٦٧] والإعتراف بزعامة العرب. ولكن حدثت مع هذا إنتفاضات كردية ضد السلطة المركزية للإسلام، إلاّ انها جرت إمّا تحت قيادة عقائديين ينتمون الى شعب آخر (مثل ثورات الزنج ٢٥٥ هـ - ٢٧٠ هـ = ٨٦٩ - ٨٨٣–٨٨٤م)[*١٠٥]، ويعقوب الصفّار (٢٦٢ هـ = ٨٧٥م)، ومنصور مساور الخارجي (٢٥٢ هـ

(*١٠٣) يؤيد شيخ الإسلام ابن تيميه (٦٦١–٧٢٨هـ) ذلك بقوله: (انما يكره اتخاذ لغة العجم شعارا: وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة لمصر واهله، ولاهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولاهل السوق، او للأمراء، او لاهل الديوان، او لاهل الفقه: فلاريب ان هذا مكروه. فإنه من التشبه بالاعاجم، وهو مكروه كما تقدم، ولهذا كان المسلمون المتقدمون، لما سكنوا ارض الشام ومصر، ولغة اهلها رومية. وارض العراق وخراسان، ولغة اهلها فارسية، واهل المغرب، ولغة اهلها بربرية: عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على اهل هذه الامصار: مسلمهم وكافرهم، ثم انهم تساهلوا في امر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولاريب ان هذا مكروه. وانما الطريق الحسن: اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب. واعلم ان اعتياد اللغة: يؤثر في العقل والخلق والدين، تاثيرا قويا بينا... الخ). راجع: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم. سبق ذكره: ص٢٠٦–٢٠٧.

(*١٠٤) كان بامكان الكُرد انتزاع الخلافة الإسلامية، فلقد تهيأت الظروف لهم ايام ابي مسلم الخراساني سنة (٧٥٠م) عندما قضى على الدولة الاموية؛ وفي عهد الدولة الايوبية (١١٨٦ - ١٢٦٠م) وعلى وجه الخصوص ايام السلطان صلاح الدين الايوبي، ولكنهم لم يفعلوا ذلك لجملة من الاسباب.

٧٦٦– انظر: مقاومة الكُرد للفتوحات الإسلامية في المصدر الفارسي (٧٢): المصدر العربي (٣): ج٢: ص١٦–١٨.

٧٦٧– انظر: هامش المؤلف رقم (٣٧٦).

(*١٠٥) ادى التطور الزراعي الذي طرأ على العراق الى ظهور الحاجة للايدي العاملة، وقد دفع ذلك التجار والسماسرة لجلب اعداد هائلة من العبيد (الزنوج) من سواحل افريقيا الشرقية واستخدامهم في فلاحة الارض وكسح السباخ مقابل اجور ضئيلة جدا كانت لاتتكافأ وعملهم الشاق المضني. علاوة على ذلك انهم كانوا يعانون من سوء معاملة الطبقات الغنية في العراق، فكانوا يباعون ويشترون في الاسواق على خلاف مباديء الدين الإسلامي الذي يدعو الى =

= ٨٦٦م). أو كالتي لم تكن تستند إطلاقا الى أية فكرة مثل ثورة جعفر إبن الأمير حسن داسني (سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٩م) ضد الخليفة المستعصم بالله[٧٦٨]...

لم تكن في كردستان أية مدرسة فلسفية خاصة على غرار المدارس الشيعية في إيران، تمنح الكرد إستقلاليةً عن العرب. وهكذا بقي الكُرد بصورة عامة خاضعين وتابعين للعرب لغاية سقوط الدولة العربية سنة (١٢٥٨م) على يد هولاكو. ومنذ ذلك الوقت ولحين قيام دولتي الأسرتين الحاكمتين العثمانية والصفوية، ظل الكُرد منقسمين الى أغلبية سنّية وأقلية شيعية تنتميان لمدرستين غير كُرديتين. هذا ولما تمكن الأتراك من انتزاع الخلافة لأنفسهم، تولّوا زعامة العالم الإسلامي السني. فوجب على السنّة الكُرد وبتأثير من مذهبهم أن يصطفوا الى جانب استانبول وليس كردستان.

لقد عمل العالم الكردي - السني المتعصب، إدريس بتليسي (المتوفى في ١٥٢٠م)[٧٦٩] طوعاً عميلاً للسلطان السنّي (سليم)، الذي حكم سنة (١٥١٢ - ١٥٢٠) بين أمـــراء الكرد، وذلك لأجل ربط الإمارات الكردية وإلحاقها بالإمبراطورية العثمانية[*١٠٦]...

ومن جهة أخرى تمكن الفرس بواسطة اعتقادهم الشيعي من صيانة هويتهم الخاصة وجعل المذهب عقيدةً للدولة في زمن الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠٢ - ١٥٢٤م).

أما الشيعة الكُرد الذين كانوا ضئيلين عددياً، فقد تعلقوا بالدولة الشيعية الفارسية وخضعوا لها، إذ كانت قيادة المذهب الشيعي في بلاد فارس لا في كردستان[*١٠٧]... ولم تكن هناك في كردستان مدارس دينية تستطيع جمع الكُرد تحت راية مذهب واحد وتتمكن من أن تحول دون تعاونهم مع الشيعة أو السنة . ولم تكن قيادة هذه المدارس الأجنبية موجودة هي الأخرى في كردستان.

= تحرير الانسان من العبودية. فكانت هذه المعاملة الوحشية وسوء وضعهم الاقتصادي والاجتماعي هي الدافع الحقيقي من وراء ثورتهم على السلطات العباسية.

٧٦٨- المصدر العربي (٣٣): الجزء الثاني: ص٢٢٧.

٧٦٩- انظر: المبحث الرابع من الفصل الثالث، تحت عنوان: (العوامل الدينية كسبب للسقوط).

(*١٠٦) انظر: هامش المترجم (*٣٩).

(*١٠٧) اود ان اشير هنا الى انه علاوة على هذا التباين في المذاهب الإسلامية (الشيعة والسنة)، فإنّ تعدد الاديان (المسيحية والإيزيدية وغيرهما) في كردستان كانت أيضاً ثغرة لبث سموم الاعداء ووسيلة لتدخلات الاجانب في امور الكُرد وتقرير مصيرهم. وخير مثال على ذلك هو النزاع الذي دبره العثمانيون بين الكُرد اليزيدية واكراد سوران، وبين المسيحيين الكُرد والمسلمين الكُرد مرارا، فلقد حرض رجال الانكليز والامريكان العشائر المسيحية في كردستان ضد بدرخان بعدم دفع الضرائب والمساعدات واشعال الفتنة، ثم تقديم اعتراض رسمي من دولتي فرنسا وانكلترا الى العثمانيين وتشجيعهم القضاء على حركة بدرخان، ولاشك في ان تنوع الاديان سلاح فعال يمزق المجتمع حتى في عصرنا الراهن هذا، وما اضطرابات لبنان ومصر والهند وايرلندة... الخ الا دليل صارخ على ذلك. ومن الجدير بالذكر، ان شيوخ المذاهب الدينية (الشيخات الكردية أي اصحاب الطريقة القادرية والنقشبندية) الذين لعبوا دورا سياسيا على الساحة الكردستانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لم يفلحوا أيضاً في ايجاد نوع من الوحدة المذهبية بين قبائل الشعب الكردي، وغالبا ما كانت نفوذهم متوطنة في محل سكناهم والمناطق المحيطة بها.

وفي مثل هذه الظروف فإن المرء لايتوقع وجود أمير كردي يذعن طوعاً ببساطة وسهولة لنفوذ وسلطة أمير آخر في وقت لم تكن لأي أمير سلطة دينية على الآخرين. اذا فمن الطبيعي عندما أمر الخليفة العثماني جيشه بأن يدخل في إحدى الإمارات، لم يتصدَّ له الأمراء الذين لم يخصهم الأمر لأن كل واحد منهم كان يعتقد بأن الخلفاء هم قادة الإسلام لا هو الذي كان خاضعاً لتلك القيادة ومنافساً لغيره من الأمراء. فمثلا عندما هاجم العثمانيون ميري كۆره فرح إسماعيل پاشا أمير بهدينان لذلك، لأنه كان منافساً شديداً لميري كۆره وقابل بترحاب كبير هزيمة منافسه من قبل العثمانيين[٧٧٠]... وكذلك بدرخان پاشا أمير بوتان[٧٧١](*١٠٨)...

وقد وصف مولتكه في حينه هذه التفرقة بين أمراء الكرد وساسة العثمانيين أيضاً، رغم انه لم يتمكن من التعمق في الأسباب، إذ قال:

«... دافع كل واحد لوحده عن موقد طبخه (مركزه) فقط، وفي هذا يكمن ضعف هذا الشعب. كان من الصعب قهرهم لو كانوا متحدين، ولكن لم يهتم احد منهم بالوقوف الى جانب الآخر أو التعاضد معه، وبينما كان يقوم رشيد وحافظ پاشا بضرب منطقةٍ ما كانت البقية فرحة بحريتها المؤقتة، الى أن جاء دورها أيضاً»[٧٧٢]...

ج – كان بإمكان المصالح المادية لهؤلاء الأمراء أن تؤدي الى إتحاد فيما بينهم، مثلا لو كانوا يتعرضون جميعاً وفي آن واحد للخطر من قبل جهة واحدة (الجيش العثماني مثلاً). إلاّ أن مثل هذه الحالة لم تحدث فقد تصرف العثمانيون بكثير من الدهاء، فمارسوا على الدوام سياسة مهاجمة الإمارات كل واحدة على حدة ثم كانوا يتجهون بعدها نحو الأخرى. وقد سلكوا في إجراءاتهم الترتيب التالي:

هاجموا سنة ١٨٣٦ سوران، وفي ١٨٣٧ بهدينان[٧٧٣]، وفي ١٨٤٣ بوتان وفي سنة ١٨٥١ بابان[٧٧٤] وبذلك قضوا على آخر إمارة كردية وطرحوها أرضاً. إذن كان الشقاق بين أمراء الكرد

٧٧٠– المصدر العربي (٣٥): ص٢٤٦–٢٤٧؛ كذلك: المصدر الكردي (٦٣): ص٧٩.

٧٧١– المصدر الكردي (٦٣): ص٧٩؛ كذلك: المصدر الروسي (٨٢): ص٤٥.

(*١٠٨) لما لم يتصف الكُرد بالعقلانية في معالجة ومواجهة قضاياهم السياسية والمصيرية، يتبادر الى الذهن بأنهم قد سلموا انفسهم الى القضاء والقدر الذي عبر عن نفسه في احدى النوادر: يحكي ان كرديا كان ضمن مجموعة من الناس على ظهر قارب في وسط البحر. حدث وان تسربت المياه الى القارب لوجود ثقب فيه، بدأ ركاب القارب جميعا بالبكاء والصراخ ماعدا الكردي الذي اخذ يضحك ويغني مرحا. فسأم الناس من تصرفه وسألوه غاضبين: ما بك ونحن أمام الغرق؟ فأجابهم الكردي: منذ ان خلقني الله قبل اكثر من ستين عاما وانا على وجه الارض لم ار امرا وقد نفذ بما انا راغب فيه، فهو يفعل ما يشاء. اذا فالضحك اولى من البكاء.

٧٧٢– المصدر الألماني (٩٣): الجزء الثاني: ص٢٩٥.

٧٧٣– المصدر العربي (٣٥): ص٢٤٦–٢٤٧.

٧٧٤– المصدر العربي (٣٨): ص٤٢٢.

نتيجة حتمية من الصعب تفاديها وذلك بسبب الأوضاع والظروف الدينية، ولم يكن متوقفاً على سجايا وطبائع ميري كۆره وحده. فسلوكه كان حصيلة التركيب الإجتماعي الذي لم يسمح بتعاون شامل. وهذا ما فتح أمام العثمانيين أبواباً موصدة للقضاء على ميري كۆره والآخرين من الأمراء أيضاً.

رابعاً- عدم شعبية ميري كۆره كسبب للسقوط

إن شخصا مثل ميري كۆره الذي حكم بتلك القسوة المقترنة بالتعصب الديني، وتصرف بعنف شديد إزاء العشائر المقهورة، أو بالأحرى إزاء الإيزيديين والنصارى، لم يكن بإمكانه أن يكون محبوباً عند الشعب، مثلما يزعم الناس ذلك في يومنا هذا[٧٧٥]...

يذكر موكرياني، بأن جيش ميري كۆره قد أباد وأفنى عشائر سواء كانت مسلمة، مسيحية أو إيزيدية. وقد نفذ إجراءات الإبادة ضد الإيزيديين مرتين[٧٧٦]، بل وحتى أنّ ميري كۆره جمع الكثير من الفتيات الإيزيديات وأعطاهن للمسلمين كزوجات[٧٧٧]... أما وضع المسلمين في الاقاليم الخاضعة فلم يكن أحسن من ذلك. إذ يروي لنا فريزر: «لقد علمت بأن عشيرة كردية معينة عارضته بشدة أثناء حصار مدينة العماديه وأصرت على رفض التفاهم او الإذعان له حتى بعد سقوط تلك المدينة، فوجّه قوة من جيشه ضدهم وقتل جميع الذين وقعوا في يده، وكان عددهم بضعة آلاف وذلك تحذيراً لغيرهم»[٧٧٨]...

اذاً المسلمون أيضاً لم يكونوا في منأىً عن عنفه، فقد كان على المرء وبكل بساطة الإعتراف بسيادته وإلاّ فأنه كان يواجه الموت. يقول الدكتور روس كشاهد عيان: «وحط في المعسكر عدد من السجناء وهم مغلولون ومقيدون»[٧٧٩]...

مثلما جاء في الكثير من التقارير. لا مجال للإنكار بأن ميري كۆره كان موقراً ومعترفاً به[٧٨٠]،

٧٧٥- الرأي العام السائد في كردستان في الوقت الحاضر.

٧٧٦- المصدر الكردي (٦٣): ص٧٠-٧٢.

٧٧٧- ربما حاول الأمير بذلك محاربة الدين اليزيدي وخدمة دينه الأسلامي بتكثير اتباعه، لكنني استطيع القول وبطمأنينة، ان التاريخ اثبت لنا خطأ رايه. اذ لم يستسلم الإيزيديون قطعاً، بل انهم متمسكون بعقيدتهم الى اليوم. عندما كنت ادرس في ثانوية أربيل (هولير) وفي دار المعلمين الأبتدائية هناك عام ١٩٦٠، كان لي الكثير من التلاميذ الذين كانت جداتهم من بين تلك الفتيات اليزيديات. انهم جميعاً كانوا فخورين بنسبهم الإيزيدي بأعتبارهم (اكراد اصلاء). لقد قال لي البعض منهم: من جهة الأب، فأني كردي من هولير (أربيل)، ولكن من جهة الأم، فأني كردي قح" ايّ كردي إيزيدي. ثم انهم كانوا يتحدثون عن الإجراءات العنيفة لميري كوره ضد اليزيديين. لابُدّ وان هذه القسوة التي لايزال الجيل الجديد يذكرها وينقل ابعادها، كانت فضيعة في وقتها.

٧٧٨- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨٠.

٧٧٩- نفس المصدر: ص, ٧٩

٧٨٠- على سبيل المثال انظر: المصدر العربي (٤٢): ص١٠٠.

لكن مثل هذا الإحترام كان مبنياً على نمط واسلوب حكمه المدعم بجيش قوي، فكما يذكر سون:

«كان حكمه قاسياً جداً وصلب الجوهر بحيث يقهر حتى أعظم متمرد، وكانت سلطته تلك ناجمة عن جيش كبير من سلاح الفرسان غير النظاميين، وقد حافظ على أقاليمه بإخضاع مطلق ونظام ممتاز»[٧٨١]...

ويؤيد الدكتور روس وفريزر بأن ميري كۆره حظي بما كان يتمتع به من إحترام لإستبداد حكمه، إذ يقول:

«كان الپاشا يبدو محبوباً جداً، او بالأحرى مُهاباً ربما بسبب أسلوب حكمه الصارم»[٧٨٢]...

وقد أكد فريزر بأن الأمير كان غير مستحب في البلدان المفتوحة:

«لكن لم يكن الأمير محبوباً في الاقاليم الخاضعة له فصرامته جعلته مُهاباً أكثر مما يجب»[٧٨٣]...

لقد شجّع إنعدام شعبية ميري كۆره سكان الأقاليم الخاضعة أو البلدان المفتوحة على البحث عن فرص لتدبير الفتنة بهدف التمرد عليه. ويروي لنا خيلاني أن الإيزيديين أعاقوا ميري كۆره بعد عودته من معركة بهدينان- عن العمل بهدوء لتحقيق اهدافه. إذ أنهم أحرقوا (٣٠) من جنود ميري كۆره من المرابطين في منطقة الإيزيدية. وإحترق الجميع مع ضباطهم في منازلهم، فإضطُر ميري كۆره لشن حرب جديدة ضدهم[٧٨٤]...

وفي الوقت الذي كان فيه ميري كۆره منشغلاً بشن حرب ضد الأمير بدرخان للإستيلاء على الجزيرة وحسنكيف، إنتفض سكان العماديه، فأدى ذلك الى تمرد على ميري كۆره وإخراج الحاكم المعيّن من قبله موسى پاشا[٧٨٥]... وعند عودته من بوتان، توجه ميري كۆره نحو العمادية وحاصرها ثلاثة شهور الى ان إستسلم حاكمها سعيد پاشا. فإنتقم ميري كۆره من السكان وقتل منهم خلقاً كثيراً[٧٨٦]... ويروي الدملوجي ما جاء في التقرير الآنف الذكر: «يروي الكُرد: أن ميري كۆره ألقى القبض على مائة وخمسين من وجهاء المنطقة. وفي اليوم الثاني اخرجوهم جميعاً من السجن قتلى»[٧٨٧]...

لقد ظلت قسوة ميري كۆره في بهدينان حية في ذاكرة أهل بهدينان لعدة أجيال. ويروي لنا

٧٨١- المصدر الانگليزي (١٢٣): ص٣٧٢.

٧٨٢- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٧٤.

٧٨٣- نفس المصدر: ص٨١.

٧٨٤- المصدر الكردي (٦٣): ص٦٩.

٧٨٥- اشار الدملوجي الى رسول بگ باعتباره حاكماً انظر: المصدر العربي (٢٢): ص٤٦٦، إلاّ أن ذلك خطأ، لقد جاء رسول بگ بعد موسى پاشا.

٧٨٦- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣١.

٧٨٧- المصدر العربي (٢٢): ص٤٦٦.

الدملوجي عن ذلك قائلاً: «بقدر ما نستطيع ان نتذكر، إعتادت الأمهات في بهدينان لتهديد أطفالهن- القول (سۆرانی هات) أي جاء السوراني»[(٧٨٨)(*١٠٩)]...

إن إنعدام شعبية ميري كۆره الناجمة عن قسوته- أوجدت للعثمانيين حلفاء ممتازين حاربوا ميري كۆره وجيشه مباشرة الى جانب العثمانيين، أو أنهم وبكل بساطة لم يبدو سوى مقاومة سلبية. فالقائد الكردي بايزيد بگ باپشتي[(*١١٠)]، الذي سبق وأبعده ميري كۆره الى إستانبول، رافق القائد العثماني رشيد پاشا في حملته ضد ميري كۆره[(٧٨٩)]...

كذلك لم ينس البدرخانيون هجوم ميري كۆره عليهم. فبمجرد وصول جيش رشيد پاشا الى ماردين إنضموا إليه (الى رشيد پاشا) وقاتلوا جيش ميري كۆره. وبذلك لم يتمكن الأخير من إبداء أية مقاومة وتراجع الى دهوك وعقره[(٧٩٠)]... وكذلك عاد إسماعيل پاشا أمير بهدينان على وجه السرعة الى بهدينان عندما سمع في بغداد بحملة رشيد پاشا والتحق بجيش رشيد پاشا ضد ميري كۆره[(٧٩١)]...

روى عزيز بگ خوشناو - حفيد عثمان بگ خوشناو (نبيل قتله ميري كۆره) للگوراني قصة تدعم الإدعاء السابق بشدة: «في عهد جدنا عثمان بگ، هاجم محمد پاشا أمير رواندز (باليسان) وحاصر جدنا فإستعان بالبابان مغتنماً فرصة الفتور المستحكم بينهم وين أمير رواندز، ولكن ذخيرته نفدت قبل وصول نجدة بابان فأستسلم على ان يحتفظ بسيادته على قبيلة خوشناو فقط. وحين عودتهم الى رواندز إشتم الأمير رائحة الغدر من جدنا، فأمر بالتشديد عليه. ولما وصلوا البلدة[(٧٩٢)] أعدمه وألحق أملاكه بإمارته. ولم يغفل محمد بگ إبن عثمان عن الإنتقام من أمير رواندز. فساعد الجيش التركي خصم الأمير وأعاد شقلاوه، ولكن الأتراك سيطروا على كردستان وقضوا على الإمارات الكردية في منتصف القرن التاسع عشر وادخلوا انظمتهم»[(٧٩٣)(*١١١)]...

٧٨٨- نفس المصدر.

(*١٠٩) على المرء ان لايتوهم بأن الاقليمية السورانيه كانت موجودة في نفس ميري كوره، صرامته كانت عادلة دون تمييز بين قريب وغريب، جندي من سوران وكردي من الجزيرة، علما بأن علاقة المصاهرة (النسابة) كانت موجودة بين أمراء سوران وبهدينان منذ القدم، وان اثنين من كبار علماء الدين في إمارة سوران كانا من ابناء الجزيرة وبهدينان وهما الملا عزرائيل الجزيري والملا يحيى المزوري. انظر: المصدر الكردي (٥١)، ص٧٢،١٦.

(*١١٠) بايز بگ (بايزيد) هو من اسرة أمراء سوران، امر رسول پاشا (اخ ميري كوره) بحجز امواله ثم ابعده الى أربيل انتقأما لخيانته؛ ولم يقتله لأنه كان شيخا مسنا.

٧٨٩- المصدر العربي (١٠): ص٦٧.

٧٩٠- المصدر الكردي (٦٣): ص٧٩.

٧٩١- نفس المصدر: ص٧٩-٨٠.

٧٩٢- انه يعني بذلك مدينة رواندز.

٧٩٣- المصدر العربي (٢٧): ص١٢٢-١٢٣.

(*١١١) انظر كذلك: عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، مطبعة المعارف - بغداد، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م، ص١٣٣؛ حيث جاء فيه: «عشيرة (خوشاو) فرقة مير محملي... ومن اجداد هذه القبيلة عثمان بگ كان في ايام محمد پاشا الرواندزي وينقلون انه قتله وترك ابنا اسمه محمود بگ مال للدولة العثمانية ومناصرتها لما رأى والده من كور پاشا =

الملخص:

لقد كان الأمير غير محبوب نتيجة لتعصبه الديني وحكمه الصارم، والذي يمكن أن نعزوه الى عقيدته الإسلامية، اذ يدعو الإسلام الى استسلام قاطع للحاكم[٧٩٤]... فكان تصرفه مع الأقاليم الخاضعة له غير متسامح. وبهذا منح العثمانيين حلفاء جدد، ذلك لأن تلك الاقاليم لم تدافع عن حكمه.

خامساً- موقف الانگليز من ميري كۆره والعثمانيين كسبب للسقوط

أ- موقف الإنگليز من العثمانيين:

في النصف الأول من القرن السابع عشر تحدد نوع من العلاقات بين إنگلترا وإمارة سوران من خلال المصالح الانگليزية في العراق والخليج الفارسي. فقد تحتم على الإنگليز في هذه الفترة تعزيز سيطرتهم على الخليج والعراق لتأمين مصالحهم في الهند. حيث كانت الهند (اللؤلؤة البراقة في التاج البريطاني) كما عبر عن ذلك بصواب المؤرخ وسكرتير مجلس الوزراء العراقي الحسني[٧٩٥]...

ان اهمية الهند لإنگلترا ستتضح، فيما لو إستمعنا الى ديبلوماسي مثل كرزن Curzon وهو يقول: «لايمكن للإمبراطورية البريطانية أن تحافظ على بقائها بدون الهند»[٧٩٦]...

ولكي نتمكن من إيضاح كيفية تطور تلك المصالح لابد من ذكر لمحة عنها:

في بداية القرن السابع عشر، توجب على الإنگليز ان يحسبوا لمنافسة البرتغاليين حساباً، إذ أنهم كانوا قد بنوا قلعة سنة ١٥٠٧م في هرمز لحماية طرق مواصلاتهم التجارية من قراصنة البحر[٧٩٧]...

وكقوة مضادة أنشأ الإنگليز شركة الهند الشرقية البريطانية British East India Company وبعدها مباشرة (١٦٠٢م) قام الهولنديون من جانبهم بإنشاء شركة الهند الشرقية الهولندية Holand East India Company نظراً لوجود منافسين أقوياء إستوجب على الإنگليز إبرام عقد مع شاه عباس الإيراني سنة ١٦٢٢م لحماية تجارتهم في الخليج الفارسي[٧٩٨]... ثم إفتتح الإنگليز سنة ١٦٤٣م مركزاً تجارياً في البصرة. وإستطاع الهولنديون من جانبهم رشوة الوالي العثماني في البصرة وتصدير الكثير من البضائع الى العراق سنة ١٦٤٣م، ثم تم سدّ مخزن بضائع الانگليز في العراق بواسطة الوالي. وقد

= المذكور ومن ذلك الحين بقيت قبيلته مخلصة للدولة العثمانية حتى اخر ايامها...» فلقد واصل الرؤساء المتنفذون لهذه العشيرة خيانتهم للشعب الكردي وحركته الوطنية واستمروا في اخلاصهم للحكومة العراقية حتى بعد انهيار إمارة سوران واغتيال ميري كوره بل والى اليوم أيضاً كالكثير من رؤساء العشائر الكردية الاخرى.

٧٩٤- انظر: هامش المؤلف رقم (٧١٥) في هذا البحث. والآية القرآنية: [اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم... الخ].

٧٩٥- المصدر العربي (١٨): ص٣٩.

٧٩٦- المصدر الفارسي (٧٣): ص١٩.

٧٩٧- المصدر العربي (١١): ص٥٣.

٧٩٨- المصدر العربي (٢٦): ص٢٦.

تسببت هذه المنافسة الشديدة في مضاعفة إهتمام الانكليز بالعراق وولاته والسياسة العثمانية.[*١١٢]...

إن انتفاضة عشائر بني كعب العربية ضد الإمبراطورية العثمانية سنة ١٧٦٣م وإخمادها سنة ١٧٦٦م بمساعدة من حكومة بومباي والشركة الانكليزية العاملة في الخليج الفارسي، أوجدت الأرضية اللازمة للصداقة بين العثمانيين والانكليز، الذين افتتحوا فرعاً لشركتهم في العراق. وتعززت هذه الصداقة بمرور الزمن. وإكتسب الإنكليز نفوذاً قوياً في زمن الوالي سليمان باشا الكبير الملقب بأبي سنان، لدرجة ان ضباطاً من الانكليز كانوا يدربون الجنود العثمانيين. ويعود تعزز العلاقات العثمانية - الانكليزية الى الفترة التي حاول فيها نابليون السيطرة على الهند في أوائل القرن التاسع عشر بدعم مالي روسي (بقيادة القيصر پاول) وبمساعدة عسكرية إيرانية[٧٩٩]...

تمكن الإنكليز ولأول مرة في عام ١٨٠٢ من إنشاء قنصلية في بغداد. وفي ١٨٠٨ تم تعيين كلوديوس جيمس ريچ Claudius James Rich وكيل شركة الهند الشرقية، قائماً بأعمال إنكلترا في بغداد. وكان ريچ يشرف على البصرة أيضاً فالمصاعب التي خلقها داود باشا والي المماليك للإنكليز سنة ١٨١٦م عن طريق رفع رسوم الضرائب وإلغاء إمتيازاتهم دامت لفترة قصيرة فقط. فقد قام علي رضا باشا سنة ١٨٣١م بقلب نظام حكم داود باشا فأجاز للنفوذ الانكليزي بسط جناحه ثانية. لقد كانت للبعثة التجارية الإنكليزية في سنة ١٨٢٢م صبغة سياسية، فلقد تحولت العلاقات التجارية بين بريطانيا العظمى والخليج الفارسي الى علاقة سياسية[٨٠٠]...

منذ ذلك الوقت فصاعداً وقع والي العراق تحت سيطرة الإنكليز لدرجة كبيرة، وقد عبر عنه وبحق المعلم والمربي والسياسي الكردي رفيق حلمي (المتوفى في ١٩٦٠) عندما قال: «قام الانكليز برشوة خلفاء الأتراك بالهدايا والأموال والفتيات لدرجة مكّنتهم من عزل كل والٍ كانوا يرونه »[٨٠١]...

وفي ١٨٢٦م كانت هناك سفينتان انكليزيتان تجوبان نهري دجلة والفرات وتقومان بالخدمة. وأرسل الإنكليز عام ١٨٣٥م أول بعثة تحت إمرة چيسني Cheseny لمسح الطرق المائية بحثاً عن صلاحية الملاحة في دجلة والفرات بهدف التحقق من مدى قصر المسافة الى الهند[*١١٣]. وكان من

(*١١٢) يقول لورد كرزن في خطاب القاه أمام مجلس اللوردات البريطاني سنة ١٩١٢م: (من الخطأ ان يظن ان مصالحنا السياسة تنحصر في الخليج. انها ليست منحصرة في الخليج ولافيما بين بغداد والبصرة، بل هي تمتد حتى تصل الى بغداد). راجع تأريخ العراق السياسي الحديث، السيد عبدالرزاق الحسني، لبنان ١٩٤٨،ص٤٤.

٧٩٩- المصدر الفارسي (٧٣): ص١٩.

٨٠٠- المصدر الانكليزي (١١٣): ص٣٧.

٨٠١- المصدر الكردي (٥٢): ص١٧٣.

(*١١٣) كانت كردستان ترتبط قديما بمنطقة الخليج بشبكة متشعبة من الطرق التجارية النهرية والبرية وبالتالي ببلاد الهند والصين وسواحل افريقيا الشرقية. وكان نهرا دجلة والفرات اهم ممرين تجاريين يربطان كردستان بالمناطق الجنوبية من العراق حتى الخليج الفارسي. اذ كانت الطرق النهرية اكثر اهمية من الطرق البرية لرخص نفقاتها، بالاضافة الى انها اسرع من الطرق البرية، وعلى الرغم من ان صادرات كردستان الى الخارج لم تكن تتم دائما =

شأن هذه البعثة كما يذكر الحسني، انها أقامت معياراً جديداً للمصالح الإنكليزية في العراق[٨٠٢]...

يتضح من الحقائق الآنفة انه كان للإنكليز مصالح جوهرية في العراق إبان عهد ميري كۆره، فقد كانت علاقاتهم بالعثمانيين مسألة حيوية بالنسبة لهم. وعلى المرء ان لاينسى أيضاً بأن العمل الإنگليزي كان معرضاً للتهديد من قبل منافس قوي ألا وهو روسيا. كما حاول الروس وبإستمرار مواصلة توسعاتهم على حساب العثمانيين.

ب- موقف الانگليز من ميري كۆره:

لم يصرف الإنگليز النظر عن ميري كۆره ودولته بل حاولوا إجراء إتصالات معه، إلاّ أن ميري كۆره كان كثير الشك بالأوروپيين الى درجة رفض فيها كافة الطلبات الأوروپية لزيارة إمارته[٨٠٣]... لكن تمكن الانگليز من الإتصال مع ميري كۆره لأول مرة عندما طلب الاخير سنة ١٨٣٣ من القنصلية البريطانية في بغداد طبيباً لمعالجة والده المكفوف البصر. فأرسل الكولونيل (تايلر Tayler) في منتصف شهر مايس[٨٠٤] طبيب القنصلية الدكتور (روس Dr. Roos) الى ميري كۆره. وكتب روس تقريراً مفصلاً حول ميري كۆره وإمارته للقنصلية. وبعد ذلك بفترة قصيرة سافر فريزر منتدباً عن شركة الهند الشرقية الى كردستان، وحاول إجراء اتصال مع ميري كۆره الذي يسميه فريزر بـ(الأمير المتميّز Remarkable Emir) ولكن دون جدوى[٨٠٥]... وعلى الرغم من ذلك فقد قام فريزر بإستقصاء دقيق عن ميري كۆره ودولته وكتب عن مختلف أمور سوران وشؤونها.

وتوصلتُ الى هذه الأسباب كمانع لدعم الإنگليز ميري كۆره وتوسعاته المخالفة للمصالح العثمانية:

١- أدت المساعي التوسعية لميري كۆره الى إشتباكات ومعارك بين الإمارة السورانية والإمبراطورية العثمانية سببت فوضى كبيرة في الإمبراطورية. مما أوجد أرضية ملائمة لإمكانية تدخل القاجاريين والروس في شؤون العثمانيين. وسعى القاجاريون فعلاً الى إستغلال تلك الأوضاع. ففي صيف عام ١٨٣٦ جنّدت الحكومة الإيرانية عشرة آلاف رجل من أذربيجان بقصد الإعتداء

= بصورة منتظمة، إلاّ أن معظم تلك الصادرات الى البلدان المذكورة اعلاه كانت تمر عبر هذين النهرين ولاسيما نهر الدجلة. فلقد اشتهرت كردستان في العصر العباسي بتصدير السلع ومواد الخام التالية: (الرصاص والقير والحديد والسلاسل وحجر الزجاج الفاخر، وكذلك الملح والصابون والزيت والاقلام والموازين، الجلود وخاصة جلود النعال، والخيول الاصيلة والطيالسة من الصوف والثياب الموشية والمنسوجات والمناديل والمقارم والستور وثياب الكتان والصوف والقطن، الحنطة والشعير والماش وسائر انواع الحبوب والبقول، العسل والجبن والسمن والسماق وحب الرمان، والفواكه المقددة والمجففة والتين والرمان والكافح والزبيب وغيرها). راجع: الدكتور حسين علي المشري؛ سبق ذكره، ص٢٧٠-٢٨٣،٣٢٩-٣٣٠.

٨٠٢- المصدر العربي (١٨): ص٤٣.

٨٠٣- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث في هذا البحث تحت عنوان: (موقف الأمير من الأجانب).

٨٠٤- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٦٩.

٨٠٥- انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث تحت عنوان: (موقف الأمير من الأجانب).

على رواندز[٨٠٦]... وفي الوقت ذاته إتصل ميري كۆره بالشاه القاجاري معلناً له ولاءه. ووعده ميري كۆره بقبول التبعية الإيرانية ودفع الضرائب لإيران مقابل عمل مشترك ضد العثمانيين[٨٠٧]. وبذلك نشأت حالة لابد منها وكان من المحتمل جدا ان تؤدي الى تهديد المصالح الانكليزية في الخليج الفارسي والهند. وعلى المرء ان يأخذ في الاعتبار التدخل الروسي أيضاً، لذلك لم يكن الانكليز يؤيدون حركة ميري كۆره، بل كانوا يشجعون الحفاظ على أمن وإستقرار الإمبراطورية.

٢- من المحتمل جداً إن الإنكليز كانوا مطمئنين من عدم إمكانية تحوّل ميري كۆره الى حليف جيد لهم. والسبب كما يورده ويؤيّده فريزر لأن ميري كۆره كان انسانا طموحاً وحذراً[٨٠٨]... لقد كان يملك جيشاً قوياً حسن التسليح يوجهه التعصب الإسلامي. لذا كان من الأفضل للانكليز الحفاظ على بقاء امبراطورية الترك من السماح لميري كۆره بتطوير إمارته الى قوة لايستهان بها في آسيا الصغرى. يتحدث الجنرال ثاوسند Thousand بصراحة في مذكراته عن تلك السياسة قائلاً:

«لقد قلت هذا، لأنه ليس هنالك أي شعب يمكن ان يحل محل الأتراك الذين يجب ان يظلوا باقين على طريق الهند، لأنهم ضعفاء ولايستطيعون إلحاق الضرر بنا»[٨٠٩]...

وقام الانكليز بتطبيق هذه السياسة ضد ميري كۆره عملياً، لقد إهتموا برفض إيران لمقترح ميري كۆره[٨١٠][*١١٤]. ثم سعى الإنكليز بعدها لبلوغ هدفهم بمنع حدوث أي اشتباك بين ميري كۆره والعثمانيين تجنباً لحدوث أية تدخلات أجنبية أو تعقيدات دولية[٨١١]... فأثناء النزاع بين ميري كۆره والعثمانيين سنة ١٨٣٦، إتصل الإنكليز بميري كۆره عن طريق مستر (ريچارد إدورد Richard Edward) أيضاً لينصحوه بالتصالح مع العثمانيين[٨١٢]...

سادساً- اغتيال ميري كۆره:

تؤيد الشواهد والأدلة الكردية واغلب الوثائق غير الكردية بأن مصطفى رشيد پاشا أخذ ميري كۆره الى استانبول . وهناك عفا عنه السلطان، لكي يتعرض للإغتيال في طريق العودة الى وطنه.

٨٠٦- المصدر الروسي (٨٢): ص٤٨.
٨٠٧- نفس المصدر.
٨٠٨- المصدر الانگليزي (١٠٩): ص٨٠.
٨٠٩- المصدر العربي (١٨): ص٤٦.
٨١٠- المصدر الروسي (٨٢): ص٤٨.
(*١١٤) الباعث الاخر الذي حدى بشاه ايران (محمد شاه قاجاري) رفض اقتراح ميري كوره، كان اعتقاده بأن خطر ميري كوره في المستقبل سيكون اكبر بكثير من الدولة العثمانية، انظر: سعيد بدل: تاريخچهء جنبشهاي ملي كرد (المصدر السابق ذكره)، ص١٥.
٨١١- المصدر العربي (٤٠): ص٦٩.
٨١٢- انظر: Fonsonlyto Palmerston, oct, 12, 1839 (المصدر السابق) رقم (٤) ص٦٩.

يقول سون Soan بهذا الصدد:

«لقد كان في النهاية متقدماً في السن، فأغراه الاتراك ووضعوه في الفخ. وبعد رحلة الى القسطنطينية -المكان الذي استُقبل فيه بأسمى مظاهر الحفاوة والتكريم والمكافأة، تم التخطيط لقتله اثناء رحلة عودته الى وطنه»[٨١٣]...

يروي صائغ عن أحد أحفاد ميري كوّره ما يلي:

«ذكر أحد أحفاد مير كور (ميري كوّره) أن مصطفى رشيد پاشا سار بالأمير المذكور الى عاصمة العثمانيين، حيث نال العفو السلطاني والإذن بالعودة الى وطنه. وبينما كان في الطريق عند سيواس فاجأه التتر (حامل البريد السلطاني) الذي كان يحمل أمراً بقتله الى والي سيواس. فقُتل في سيواس ودُفن فيها»[٨١٤]...

ذكر رسول پاشا أخو ميري كوّره لميلنگن ما جاء في التقارير السابقة تقريباً بقوله:

«استقبل السلطانُ محمد پاشا بأعلى درجات الوقار والسمو ومنحه العديد من أنواط امبراطوريته المشهورة. كان الأمير الكردي مُعترفاً به كرجل ذي مؤهلات رفيعة، فقد كان أحد الأعمدة التي إرتكز عليها عرش السلطان. وقرر الباب العالي الإعتراف له بكامل كردستان وعيّن محمد پاشا حاكماً عاماً على ذلك الاقليم، مانحاً إياه سلطةً مطلقة. ثم وُضع مركب تابع للأسطول الامبراطوري تحت تصرف الپاشا، الذي كان في طريق العودة الى وطنه القومي لتولي مهام القيام بسلطاته العليا طبقاً للتسوية التي أُبرمت بينه وبين الباب العالي. منذ خمسة وثلاثين عاماً ترك الپاشا المثير للشفقة القرن الذهبي ودخل البحر الأسود، إلا أنه لم يصل مطلقاً الى مكانه المقصود. ومنذ ذلك الحين لم يره أحد ولم يسمع عنه أحد. وحدها معجزة رفعه الى السماء أو سقوطه في اعماق البحار يمكن ان توضح أسباب إختفاء محمد پاشا وخمسة آخرين من رجال حاشيته. وأما أمواله فقد تبخرت هي الأخرى وهطلت كمطر غزير داخل خزينة الإمبراطورية»[٨١٥]...

يؤيد هذا التقرير إختفاء ميري كوّره دون ذكر شيء عن أي حادثة إغتيال في الطريق.

يجب على المرء أن لاينسى حقيقة كون كل من ميلنگن ورسول پاشا من موظفي الدولة العثمانية ولم يكن من السهل على المرء إتهام السلطان مباشرة.

أما جوانين Jouannin الصحفي الفرنسي والعسكري الذي كان في ذلك الوقت في تركيا فيروي الأمر او المسألة كما يلي:

«توجد في آسيا قبيلة كردية معروفة بإسم رواندز. كان يحكمها رجل بگ ثار ولُقب بالپادشاه.

٨١٣- المصدر الانگليزي (١٢٣): ص٣٧٢.

٨١٤- المصدر العربي (٣١): ص٣١٣.

٨١٥- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٦-١٨٧.

ثم أُخضع في شهر ايلول من قبل رشيد محمد پاشا. فأُلقي القبض عليه وأُرسل الى استانبول مع (٥٠) رهينة من أعضاء عوائل الوجهاء المعروفين في المنطقة»[٨١٦]...

وهنا ليس هناك إشارة الى الإغتيال ويختلف هنا عدد الأسرى من بين أتباع ميري كوّره عن الذي ذكره ميلنگن على لسان رسول پاشا.

أما بوجولا فيروي القصة بشكل مغاير تماماً:

«سلّم الرواندزي نفسه الى رشيد محمد، فاستقبله هذا بإحترام وإقتاده الى الآستانة. ولما وصل الى عاصمة الامبراطورية ومثل الأمير الكردي بين يدي السلطان محمود، أدى بگ رواندز اليمين على أنه سيبقى وفياً له ولن يستخدم سلاحه إلاّ للدفاع عن الإمبراطورية. فقبل السلطان معذرته وأعاده الى ميزوپوتوميا. لقد لمس بگ رواندز شيئا من الفضل فقال بأنه لايمكنه ان يغفر خطيئته وانه لايستكين الى الراحة والهدوء إلاّ بعد ان يكون أهلاً لرد الجميل الى صاحبه وذلك بأن يبذل كامل جهده لإزالة كل أثر لذنوبه. وقد برّ بوعده هذا تماماً. فلما وصل الرواندزي الى الجزيرة وقف في صفوف الوحدات التركية مع بعض الكُرد»[٨١٧]...

إن ما يرويه بوجولا يناقض غالبية التقارير الاخرى التي لاتذكر شيئاً عن عودة ميري كوّره الى كردستان. لكن من المحتمل جدا أن تكون السلطات العثمانية قد أعطت بوجولا هذه المعلومات لا لشيء إلاّ لمنع استفزاز اتباع وأنصار ميري كوّره في مثل تلك الظروف الحرجة.

ويتحدث خالفين كذلك عن عودة ميري كوّره ويفسر موقف الحكومة العثمانية هذا بإعتباره إنحيازاً الى الإقطاعيين الكُرد، فيقول:

«قامت الحكومة (العثمانية) بإعدام الطبقات الفقيرة من الكُرد وحتى حرق أفرادها أحياء، بينما كانت لها علاقات من نوع آخر مع الإقطاعيين الكُرد. فقد كانت تكتفي بنفيهم وأسرهم (وغالباً لمدة قصيرة). وبعدها كانت ترد لهم ألقابهم وأموالهم. أي بعبارة أخرى قامت الحكومة العثمانية بتطبيق سياسة السوط مع جماهير البروليتاريا الكُردية، في الوقت الذي كانت تطبق فيه سياسة اللين مع الطبقات العليا وبخاصة الإقطاعيين»[٨١٨]...

ويرى خالفين في هذا (التآخي الطبقي) بين الإقطاعيين الكرد والحكام العثمانيين، دافعاً لقيام العثمانيين بالعفو عن (ميري كوّره) والسماح له بالعودة، فيقول: «وهكذا نال (ميري كوّره) في مايس ١٨٣٧ (أي بعد أقل من نصف سنة من نفي وأسر أمير- رواندز) لقب الپاشا من السلطان وأُعيد مع الخلع المتنوعة التي حاز عليها الى محل سكناه القديم»[٨١٩]...

٨١٦- المصدر الايطالي (١٣٢): ص٤٤٣: للأسف لم أحصل على النسخة الاصلية باللغة الفرنسية.

٨١٧- المصدر الفرنسي(١٣١): ص٣٧٤.

٨١٨- المصدر الروسي (٨٢): ص٥٠.

٨١٩- نفس المصدر، نفس المكان.

وهنا أريد التعليق بملاحظتين:

١- ليس هناك وجود لأي تقرير يذكر شيئاً ما عن عودة (ميري كوّره) المزعومة الى رواندز بعد إلقاء القبض عليه سنة ١٨٣٦[٨٢٠]...

٢- من الصعب التصديق بأن الوعي الطبقي قد لعب دوراً في إحترام العثمانيين لرؤساء الكرد. فقد إحترم سلاطين الترك أمراء الكرد خوفاً من مكانتهم وسلطتهم. لأن السلاطين هم الذين قضوا في النهاية على جميع أمراء الكرد دون مراعاة (للتآخي الطبقي) ضد (البروليتاريا).

ومن جهة أخرى لايبدو واضحاً لماذا عفا السلطان عن (ميري كوّره) ليُقتل في الطريق أثناء العودة.

يقول زكي بهذا الصدد: «.... فأخذه (رشيد پاشا) وأرسله مكرماً الى الاستانة، وفعلاً تمكن من إستصدار العفو عنه والإذن له بالرجوع الى وطنه ولكن القدر أراد له غير ذلك. إذ مات (رشيد پاشا) في هذه الآونة ولم ينفذ شيء من هذا. ولأن (علي رضا پاشا) والي (بغداد) كان منافساً لرشيد پاشا وخصماً لدوداً لمحمد پاشا، فقد أرسل سراً الى الآستانة يقول انه اذا سُمح لمحمد پاشا بالعودة الى (رواندز) تعذر ضبط الأمور ونشر ألوية السلام في تلك الربوع. فاضطرت الآستانة إزاء ذلك ان تصدر فرماناً بتنفيذ حكم الإعدام بـ(محمد پاشا) أُرسل سراً الى والي سيواس عقب مغادرة (محمد پاشا) الآستانة. وقد وصل هذا الفرمان الى يد والي سيواس ومحمد پاشا نازل بها، فنفذ فيه حكم الاعدام فوراً»[٨٢١]...

وقد أدلى موكرياني برأي مشابه لزكي: «.... سلم الأمير نفسه الى الأتراك معتمداً على وعد مصطفى رشيد پاشا. وأُرسل الى استانبول. فحصل رشيد پاشا على العفو له من السلطان محمود ومُنح رتبة (ميري ميران- أمير الأمراء) وفرمان الپاشا له وذلك طبقاً لوعده. وحصل أيضاً على رخصة العودة له الى رواندز. لكن لسوء الحظ توفي مصطفى رشيد پاشا في تلك الأيام.»

كان علي رضا پاشا والي بغداد خصماً لدوداً لمصطفى رشيد پاشا، فأخبر الآستانة على وجه السرعة بمايلي: «إذا أُعيد الأمير الى رواندز يضيع العراق وتتعرض شؤون ادارة الحكم فيه لمصاعب»[٨٢٢]...

يوجد في هذين التقريرين قدر الأرجحية، فقد توفي رشيد پاشا في (كانون الثاني ١٨٣٧)[٨٢٣]... وكان رشيد پاشا وعلي (رضا) پاشا خصمين[٨٢٤]...

٨٢٠- المصدر الانكليزي (١٠٩): ص٨٢. راجع أيضاً الملحق الذي اضافه المؤلف للترجمة العربية لكتابه.

٨٢١- المصدر العربي (٣٥): ص٢٣٣.

٨٢٢- المصدر العربي (١٠): ص٦٩.

٨٢٣- المصدر الفرنسي (١٣١): ص٣٧٥.

٨٢٤- المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٦.

صحيح أن ميري كۆره سلّم نفسه لرشيد پاشا، وحسب تقارير خيلاني[٨٢٥] وموكرياني[٨٢٦] فقد منح ميري كۆره له أموالاً طائلة. طبعاً كان هذا ما أغاظ علي رضا پاشا الذي كما يقول عنه خيلاني:

«كان شرساً متطاولاً بعث برسالة غير محمودة حول ميري كۆره الى السلطان محمود»[٨٢٧]...

وحسب تقرير لونگريگ لم يكن ميري كۆره في وضع يتمكن فيه من التلاعب بالتحاسد القائم بين علي رضا پاشا ورشيد پاشا وعجز عن أن يوقع بينهما لصالحه. يقول لونگريگ:

«تخلى عنه كثير، كما أخفق من الإفادة من الحسد القائم بين رشيد وعلي رضا... الخ»[٨٢٨]...

وإذا كانت التقارير الواردة حول إصدار عفو من قبل السلطان وسماحه لميري كۆره بالعودة الى وطنه صحيحة، يرى المرء جيداً بأن التصالح بين ميري كۆره ورشيد پاشا لم يكن من صالح الأول. ولكن المجهول هنا هو الى أي مدى كان بإمكان ميري كۆره إستغلال علي رضا پاشا لغرضه. ثم الى أي مدى كان لموت رشيد پاشا علاقة بإغتيال ميري كۆره، فهذا ليس واضحاً على الإطلاق أيضاً.

يمحتمل ان مجرى الأحداث كان قد خُطط له سلفاً وأن إستقبال السلطان للأمير ومرسوم العفو لم يزد عن خدعة وتمثيلية. ولكن في الحقيقة ليس في الإمكان هنا ابداء رأي قاطع. فمن المؤكد أن ميري كۆره لم يعد بعد ذلك الى رواندز ولم يسمع احد عنه شيئاً. وعلى كل حال فقد عومل ميري كۆره بصورة غير شرعية اذا ما كان مصطفى رشيد پاشا صادقاً وجاداً في دعوته، كما يتوقع الدملوجي:

«ربما كان محمد رشيد پاشا جاداً في وعوده حينما أرسل (الأمير) الى استانبول، المكان الذي لعبت الخيانة فيه دورها. فعقب وفاة محمد رشيد پاشا صدر الامر بقتله ونُفذ فيه في طرابزون- اثناء ما كان عائداً عن طريق البحر. وجاء في رواية أخرى للحادث: انه (ميري كۆره) أُعدم في صالة والي سيواس. وهكذا ذهب ميري كۆره ضحيةً للغدر والخيانة وتم القضاء على إمارته سنة ١٨٣٦= ١٢٥٢هـ »[٨٢٩]...

ثانياً- إمارة سوران بعد سقوط ميري كۆره:

بعد ذهاب ميري كۆره الى استانبول، كان رسول بگ (فيما بعد پاشا) نائبه[٨٣٠]... وحاول هذا أن يلعب دور أخيه ويعيد السيطرة على الأقاليم التي كان أخوه قد إستولى عليها. لكنه حورب على وجه السرعة من قبل الوالي التركي في بغداد نجيب پاشا (١٨٤٢- ١٨٤٧) وأُجبر على الفرار الى إيران

٨٢٥- المصدر الكردي (٦٣): ص٨٢.

٨٢٦- المصدر العربي (١٠): ص٦٨-٦٩.

٨٢٧- المصدر الكردي (٦٣): ص٨٢-٨٣.

٨٢٨- المصدر الانكليزي (١١٧): ص٢٨٦.

٨٢٩- المصدر العربي (٢٣): ص٤٧-٤٨؛ وكذلك: المصدر الكردي (٥٧): ص٣٠٠؛ بموجبه فقد قتل ميري كوره سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م.

٨٣٠- المصدر العربي (٤٠): ص٨٧-٨٨.

في سنة (١٨٤٧)[٨٣١]... وتمت مصادرة أمواله[٨٣٢]، لكن صدر العفو عنه سنة (١٢٧٧هـ= ١٨٦٠-١٨٦١م) شريطة ان يقيم في القسم العربي من العراق[٨٣٣]... وقد اصبح فيما بعد محافظاً لبغداد[٨٣٤]. ونتيجة لخدماته في الجيش التركي إبان حرب القرم، عين كپاشا في قارص ثم في وان[٨٣٥] الى أن توفي سنة ١٢٩٨هـ= ١٨٨١م[٨٣٦]...

بتنحي رسول بگ وقعت إمارة سوران تحت الإدارة المباشرة للعثمانيين وبعد إنهيار الإمبراطورية العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى، اصبحت رواندز ضمن منطقة الإحتلال الانگليزي، ثم أصبحت المدينة قائمقامية تابعة للواء أربيل بعد تأسيس دولة العراق الحديث التكوين.

٨٣١- نفس المصدر ص٨٨. وكذلك: المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٧؛ حسب موكرياني: احتل الجيش العثماني مدينة رواندز في ١٥ جمادي الثانية ١٢٧٢هـ (٢٢ شباط ١٨٥٦) بدون قتال بعد أن خانت العشائر الكردية رسول بگ (راجع: المصدر العربي (١٠): ص٧٨).

٨٣٢- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٧.

٨٣٣- المصدر العربي (٤٠): ص٨٨.

٨٣٤- المصدر العربي (١٠): ص٧٩.

٨٣٥- المصدر الانگليزي (١١٨): ص١٨٧.

٨٣٦- المصدر العربي (١٠): ص٧٩.

المبحث الخامس

الخاتمة:

بعد أن تمكن القاريء من أخذ نظرة شاملة عن شخصية (ميري كوّره) والجوانب المختلفة لتطلعاته وطموحاته لتأسيس سلالة حاكمة، سوف يستطيع ان يستنبط من ذلك بأن ميري كوّره سعى لتأسيس دولة مستقلة ذات طابع إسلامي سني. وكانت مساعي وجهود ميري كوّره موازية لما قامت بها شخصية كردية أخرى ألا وهو الشاه إسماعيل الأول (المتوفى في ١٥٢٤م) الذي يعود اليه الفضل في انشاء الدولة الشيعية في إيران. إلاّ أن الفرق بين الحركتين يكمن في أن الشاه إسماعيل حابى مذهباً مُعداً ضد السنة، بينما سار ميري كوّره تحت الراية السنية، التي تولى العثمانيون حملها منذ أمد بعيد وزعموا بأنهم حماتها الوحيدون في العالم الإسلامي.

وتبعاً لذلك لم يتوفر في حركة ميري كوّره خط عقيدة جديدة وهو ما يوضح تماماً سبب نجاح الشاه إسماعيل واخفاق ميري كوّره في نفس الوقت. وبالرغم من أن ميري كوّره كان يملك بعض السجايا وساعدته الظروف السياسية الملائمة، إلاّ ان الرادع الكامن في العقيدة والنظام الإقطاعي السائدين في كردستان، اضافة الى الوضع الدولي حينها، أدت كلها مجتمعة الى سقوطه.

المبحث السادس

الملحقات

اولاً- قائمة بأسماء الاشخاص الذين استقى المؤلف منهم بعض معلوماته:

١- البروفيسور الدكتور الأمير كامران عالي بدرخان. پروفيسور (استاذ) في السوربون.

٢- البروفيسور جميل بندي رۆژبياني: استاذ العلوم الإسلامية وعالم ديني كردي معروف (انظر المصدر التالي:

Jemal Nebez Kurdische Schriftsprache, Helmut Buske Verlag, Hamburg, 1969, s. 21-22.

٣- موسى نوح: دبلوم في الإقتصاد السياسي، أحد اصدقائي المسيحيين من قرية القوش.

٤- عدد من تلامذتي من المنحدرين من رواندز وهولير (أربيل).

٥- گيو موكرياني: صحفي ومؤرخ وعالم لغوي.

٦- شاكر مجروم: رجل مسن كان يقيم في رواندز لمدة طويلة.

★★★

ملحوظة للمؤلف اُضيفت الى الترجمة العربية للكتاب:

توفي الأمير البروفيسور الدكتور كامران عالي بدرخان في ١٩٧٨/١٠/٤ بپاريس، وهو من مواليد استانبول في ١٨٩٥/٨/٢١. أما الصحفي واللغوي الكردي المعروف الاستاذ گيو موكرياني فقد توفي يوم ١٩٧٧/٧/٢٤ بمدينة أربيل. وبخصوص المرحوم شاكر مجروم يرجى مراجعة الهامش رقم (٣٢) الذي كتبه المترجم الفاضل الاستاذ فخري سلاحشور. توفي العلامة الشهير المستشرق الالماني الذائع الصيت استاذي الجليل وصديقي الغالي البروفيسور ڤولڤگانگ لينتس Wolfgang Lentz في ١٩٨٦/١٢/٨ وقد بلغ من العمر ٨٧ عاماً. هذا وقد سمعت بأسف شديد نبأ وفاة صديقي وزميلي العزيز الاستاذ موسى نوح مدرس الرياضيات بمدارس بغداد، الاّ إنّني لم اتمكن من الحصول على تاريخ وفاته بالضبط. رضوان الله عليهم اجمعين.

ثانياً- نبذة وجيزة عن حياة المؤلف

جمال الدين نەبەز ولدتُ بتاريخ ١٩٣٣/١٢/١ في مدينة السليمانية الواقعة في كردستان العراق، إبناً للفقيه المسلم والعالم اللغوي توفيق وزوجته فاطمة الحاج ملا فتاح. قبل دخولي المدرسة (سنة ١٩٣٩) تعلمتُ عند والدي (المتوفى في ١٩٥١) بجانب اللغة الكردية وهي لغة الأم، اللغات العربية

والفارسية والتركية. بين السنوات ١٩٣٩ و١٩٤٥ أكملت الدراسة الابتدائية في محل ولادتي، بعدها من ١٩٤٥ والى ١٩٥٠ تابعت الدراسة المتوسطة والثانوية. وفي حزيران ١٩٥٠ تخرجت من الثانوية بدرجة جيد. خلال هذه المدة درست عند والدي وبعض علماء كردستان العلوم الدينية الإسلامية واللغات ذات العلاقة بها كالعربية والفارسية والتركية دراسة مستفيضة ومركزة الى ان أنهيت دراستي في العلوم الدينية.

في تشرين الأول ١٩٥٠ بدأتُ بدراسة الفيزياء والرياضيات وعلم التربية في جامعة بغداد. وفي حزيران ١٩٥٥ وبعد إتمام عشرة فصول دراسية حصلت على الشهادة الجامعية. وكانت الانگليزية لغة التدريس جزئياً. ماعدا ذلك فقد درست اللغتين الانگليزية والفرنسية في معاهد بغداد. منذ خريف عام ١٩٥٥ عملت لبضع سنوات في كردستان والمناطق العربية كمدرس للفيزياء والرياضيات، واللغتين العربية والكردية في المدارس الثانوية.

عندما زرت مدينة رواندز سنة ١٩٥٦، عقدت العزم على كتابة مقال حول ميري كۆره باللغة الكردية. وكان جمع المواد في مرحلة متقدمة عندما اضطررت لظروف غير متوقعة للتوجه الى أمور أخرى. وفي بداية عام ١٩٦٣ قدمت الى ألمانيا لأجل الدراسة في معاهد الدراسات الشرقية. فدرست في جامعات ميونيخ، ڤورتسبرگ وهامبورگ الدراسات الإسلامية والدراسات الإيرانية وعلم التربية وعلم اللغات والسياسة والقانون والفلسفة.

وافق البروفيسور (بيرتولد شپولر Bertold Spuler) على أن يكون موضوع أطروحتي حول ميري كۆره، وزودني في وقت مبكر بالإرشادات والتعليمات الخاصة بمجالات وحدود الموضوع. وبعد سنوات طويلة من البحث والدراسة، أعبر عن جزيل شكري لجميع الذين ساعدوني:

- والدتي واخواتي اللائي جمعن لي في ظروف صعبة جداً العديد من المصادر الشرقية التي يصعب العثور عليها في أوروبا وقمن بإرسالها اليّ.
- الأستاذ الدكتور (هيلموت براون Hellmut Braun) مدير المكتبة العامة ومكتبة الجامعة في هامبورگ، الذي لم يألُ جهداً من أجل الحصول على المصادر والمراجع التي كنت بحاجة اليها، وخاصة التي لم تكن موجودة في مكتبات هامبورگ. وقد أشرف أيضاً على اطروحتي في الوقت الذي كان فيه الاستاذ (شپولر Spuler) موجوداً في الخارج. لقد أشرف الأستاذ (براون Braun) على بحثي بإسداء المشورة والتشجيع وقد تعلمت منه الكثير.
- الدكتور (جورج هينشا Georg Hincha) العالم اللغوي الألماني الذي قام بمراجعة المخطوطة.
- وأنا مدين بصورة خاصة بالشكر لصديقي وإبن وطني گيو موكرياني الذي وضع تحت تصرفي نسخة من مذكرات العالم الديني الكردي خيلاني التي لم تُنشر لحد الآن.
- تابع الصديق المخلص والعلامة الكردي المعروف استاذ العلوم الإسلامية جميل رۆژبياني، البحث

بشعور طيب وارسل لي بجميع التنويهات حول المقالات والمواد التي صدرت حديثاً والتي كانت ذات أهمية بالغة لموضوع رسالتي.

- وأخيراً وليس آخراً: لقد وقعت تحت تأثير الاستاذ الدكتور (ڤولفگانگ لينتس Wolfgang Lentz) ومطالباته الرفيعة في مجال النهج العلمي الصارم، فشجعني ذلك على انجاز هذا العمل في مرحلة عصيبة من حياتي.

هامبورگ

١٩٦٩/١١/٦

جمال نەبەز

ملحوظة:

كتابة نبذة وجيزة عن تاريخ الحياة عملَ الزامي بالنسبة لكل من يقدم أطروحة الدكتوراه في ألمانيا.

ثالثاً- فهرست المصادر المستخدمة في البحث

اولاً- المصادر باللغة العربية

أ- كتب ومخطوطات:

(١) احمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، الجزء الأول والثاني، القاهرة (بدون تاريخ).

(٢) احمد سيد علي برزنجي: احد أمراء سوران في سطور، جريدة (النور) العدد (٦٠) السنة (١) بغداد ١٩٦٨/١٢/١٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ في (١٢) مجلد، القاهرة ١٣٠١هـ.

(٤) الأب أنستاس ماري الكرملي: خلاصة تاريخ العراق، بغداد ١٩١٩.

(٥) الأمير شرف خان البدليسي: الشرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكردية، نقله الى اللغة العربية: الملا جميل الملا احمد الرۆژبياني، بغداد ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

(٦) باسل نيكيتين: الكُرد، دار الروائع - بيروت ١٩٥٧.

(٧) الدكتور بليج شيركوه: القضية الكردية، القاهرة ١٩٣٠.

(٨) جلال طالباني: كردستان والحركة القومية الكردية، بغداد ١٩٦٩-١٩٧٠.

(٩) جمال نەبەز: حول المشكلة الكردية، منشورات الإتحاد القومي للطلبة الكُرد في أوروپا (نوكسه) ١٩٦٩.

(١٠) حسين حزني الموكرياني: موجز تاريخ أمراء سوران: ترجمة محمد الملا عبدالكريم، بغداد ١٩٦٨.

(١١) حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨.

(١٢) العميد الركن حسن مصطفى: البارزانيون وحركات بارزان (١٩٣٢- ١٩٤٧)، بيروت ١٩٦٣.
(١٣) خيرالدين الآلوسي: الإصابة في منع النساء من الكتابة، مخطوطة مكتبة الأوقاف، بغداد، كتبت في سنة ١٨٩٧م.
(١٤) الدكتور رشيد الفيل: الكُرد على ضوء العلم، بغداد ١٩٦٥.
(١٥) سعدالدين خوجة: تاج التواريخ، استانبول ١٢٧٩-١٢٨٠هـ- ١٨٦٢-١٨٦٣م (مصدر باللغة التركية).
(١٦) سليمان ابو داود: سنن ابي داود، ١٨٥٩م.
(١٧) سليمان فيضي: في غمرة النضال، بغداد ١٩٥٢.
(١٨) السيد عبدالرزاق الحسني: تاريخ العراق السياسي الحديث، الطبعة الثانية، الجزء الأول، بيروت- ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
(١٩) الدكتور شاكر خصباك: الكرد والمسألة الكردية، بغداد- ١٩٥٩.
(٢٠) شيخ عثمان البصري: مختصر مطالع السعود في اخبار الوالي داود. أوجزه: أمين إبن حسن الحلواني، بومباي - ١٣٠٤هـ.
(٢١) الشيخ محمد الخُضري بگ: تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة السادسة، القاهرة- ١٩٦٤.
(٢٢) صديق الدملوجي: اليزيدية، موصل ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
(٢٣) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان الكردية، موصل- ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
(٢٤) عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، بغداد- ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
(٢٥) عبدالرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٩١٧)، بغداد ١٩٥٩.
(٢٦) عبدالفتاح ابراهيم: على طريق الهند، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٣٥.
(٢٧) علي سيدو الگوراني: من عمان الى العمادية او جولة في كردستان الجنوبية، مطبعة السعادة- مصر- ١٩٣٩.
(٢٨) علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، بغداد ١٩٢٦.
(٢٩) الدكتور فؤاد احمد الأهواني: التعاليم عند القابسي، القاهرة.
(٣٠) القرآن الكريم.
(٣١) القس سليمان الصائغ الموصلي: تاريخ الموصل، المطبعة السلفية - بمصر، ١٣٤٢-١٩٢٣م.
(٣٢) لونگريگ ستيفان: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ترجمة جعفر خياط، بغداد ١٩٤٠.
(٣٣) محمد ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٨٧٩- ١٨٨١.
(٣٤) الدكتور محمد اسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، بيروت - ١٩٥٦.

(٣٥) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكُرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، الجزء الأول، ترجمة: محمد علي عوني. الطبعة الثانية، بغداد ١٩٦١.

(٣٦) محمد امين زكي: مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي، الجزء الثاني، ترجمة: محمد علي عوني، القاهرة- ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

(٣٧) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، نقله الى اللغة العربية: الملا جميل الملا احمد الرۆژبیانی (بندي)، بغداد- ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

(٣٨) محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي: عربه وراجعه: محمد علي عوني، القاهرة- ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨.

(٣٩) محمد توفيق وردي: خانزاد، جريدة (النور)، العدد (٢١٦)، بغداد ١٩٦٩/٧/٧.

(٤٠) محمود الدّرة: القضية الكردية، الطبعة الثانية، بيروت- ١٩٦٦.

(٤١) ملا محمد القزلجي: التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها، بغداد ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨.

(٤٢) هادي رشيد الچاوشلي: القومية الكردية وتراثها التاريخي، بغداد - ١٩٦٧.

(٤٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الثاني، بيروت- ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

ب- الصحف والجرائد باللغة العربية:

(٤٤) الجمهورية: العدد (٧٥١)، الأثنين ٧ شباط ١٩٦٦، بغداد.

(٤٥) النور: الأعداد (٦٠)، (٢١٦)، (٢١٨)، سنة ١٩٦٩ بغداد.

(٤٦) الوقائع المصرية: العدد (٧٣٠)، ٤ تشرين الثاني ١٨٧٧، القاهرة.

ثانياً: المصادر باللغة الكردية

(٤٧) جەمال نەبەز: لالۆ کەریم، هەولێر- ١٩٥٦.

(٤٨) جەمیل بەندی رۆژبەیانی: دەفتەرەکەیٚ حوسێن ناظم، گۆڤاری ڕۆژی نویٚ ژمارە (٤)، سالیٚ (١)، سولەیمانیٚ، تەممووزیٚ ١٩٦٠، ل٣٧-٤٠.

(٤٩) حاجی قادر کۆیی: دیوان، گیو موکریانیٚ، چاپخانەیٚ کوردستان، هەولێر، ١٩٥٣.

(٥٠) حوسێن نازم: دەفتەرەکەی حوسێن نازم (دەستنووس)، میژووی ئیمارەتی بابان لەسەدەی نوزدەمدا، (مصدر باللغة التركية). (راجع الملاحظة والإعتذار ص١٦٠).

(٥١) داماو حسێن حوزنی موکریانی: مێژوویٚ میرانی سۆران، چاپی دووەم، چاپخانەی کوردستان، هەولێر (أربيل)، ٢٥٧٤ک/ ١٩٦٢م.

(٥٢) رەفیق حلمی: یادداشت، بەرگی دووەم، بەشی دووەم، بەغدا- ١٩٥٦.

(٥٣) ڕەفیق حلمی: شیعرو ئەدەبیاتی کوردی، بەغدا- ١٩٤١.
(٥٤) زەردەشت: کوردایەتی بزووتنەوە وبڕواو ڕژێمە، بەغدا- ١٩٦٠ (سەرنج: "زەردەشت" نێوی خواستەمەنی جەمال نەبەزە).
(٥٥) شێخ ڕەزایٚ تاڵەبانیٚ (طالبانی): دیوان، بەغدا- ١٩٣٣.
(٥٦) شێخ محمدیٚ خاڵ: پەندی پێشینان، بەغدا- ٢٥٦٩ک/ ١٩٥٧م.
(٥٧) سالح قەفتان: مێژووی گەلی کورد، بەغدا- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
(٥٨) عەلائەدین سەجادی: ڕشتەی مرواری، بەرگی چوارەم، بەغدا- ١٩٦٩.
(٥٩) عەلائەدین سەجادی: مێژووی ئەدەبی کوردی، بەغدا- ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
(٦٠) عەلائەدین سەجادی: یادی محەمەد ئەمین زەکی، بەغدا- ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.
(٦١) عمر عبدالرحیم: ئایا ئەزانیت، گۆڤاری (ڕۆژی نویٚ) ژمارە (٣)، حوزەیرانی ١٩٦٠.
(٦٢) کاژیکنامە: فەلسەفەی کاژیک لەچەند دێرێکدا، چاپی ئەوروپا، ٢٥٨٠ک/ ١٩٦٨م.
(٦٣) مەلا ئەسعەد خێلانی: تەئریخی سۆران (دەستنووس)، لەباڵەکانی (گوندی وەرتە) لە ١٩٢٧/٣/٤دا نووسینی تەواو بووە.
(٦٤) مەلا محەمەدی کۆیی: دیوان، دیاریی مەلا محەمەدی کۆیی، بڵاو کەرەوەی گێو موکریانی، چاپی سێیەم، چاپخانەی کوردستان، هەولێر- ١٩٥٨م ٢٥٧٠ک.
(٦٥) مەلا مەحموودی بایەزیدی: عادات ورسوماتنامەی طوائفی کوردییە، کراوە بەروسی لەلایەن: رودنیکۆوە. (راجع ٨٤/ المصادر باللغە الروسیە).
(٦٦) محەممەد تەوفیق وردی: بەیتی ئاورەحمان پاشای بەبە، بەشی دووەم، بەغدا- ١٩٦١.
(٦٧) محەممەد فیدا: پاشا کۆرەی ڕەواندز، گۆڤاری "ڕۆژی نویٚ" ساڵیٚ یەکەم، ژمارە (٩)، سولەیمانی- ١٩٦٠.
(٦٨) مێژووی نویٚ، وەزارەتی ڕۆشنبیری، بەغدا- ١٩٥٩.

ثالثاً: المصادر باللغة الفارسية:

(٦٩) ترکمان، اسکندر منشي: تاريخ عالم آراى عباسي، تهران- ١٢٣٥هـ/ ١٩٥٦م.
(٧٠) کاشاني، ميرزا محمد تقي: ناسخ التواريخ قاجارييه، جلد (٢)، تهران ١٣٤٤هـ.
(٧١) کسروي، أحمد: بخوانند وداوري کنند، تهران- ١٣٢٣هـ.
(٧٢) الواقدي، محمد ابن عمر، فتوح سواد العراق، الترجمة الفارسية، (مخطوطة).
(٧٣) محمود محمود: تاريخ روابط سياسي إيران وانگليز درقرن نوزدهم ميلادي، جلد(١)، تهران-

١٣٢٨هـ/ ١٩٤٩م.

(٧٤) هدايت، رضا قلي خان: تاريخ روضة الصفاي ناصري، جلد(٩)، قم ١٣٣٩هـ.

رابعاً- المصادر باللغة التركية:

(٧٥) اوليا چلبى سياحتنامەسي: للرحالة التركي الشهير اوليا چلبي، في ثلاثة اجزاء طبعة استانبول ١٣١٤هـ.

(٧٦) توفيق فكرت: سالنامەي ولايتي موصل (التقويم السنوي لولاية الموصل استانبول ١٣٠٨هـ).

(٧٧) ضياء كوك آلپ: سالنامەي ولايتي دياربكر (التقويم السنوي لولاية دياربكر) دياربكر ١٣٠١هـ (١٨٨٤م).

(٧٨) تاريخ جودت للوزير أحمد جودت پاشا، إستانبول ١٣٠٩هـ.

(٧٩) تاريخ نعيما لمصطفى نعيما، الجزء الأول، استانبول ١٢٨٠هـ.

(٨٠) قاموس الأعلام لشمس الدين سامي، ٥ اجزاء، استانبول ١٣١٤هـ.

(٨١) سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهيري عثمانية (السجل العثماني او تذكرة المشاهير العثمانيين)، لمحمد ثريا الجزء الرابع، استانبول ١٣٠٨.

خامساً- المصادر باللغة الروسية:

(٨٢) خالفين: الصراع على كردستان، موسكو- ١٩٦٣

H. A. XANONH: BOPboA aa KYPJINCTAH, MOCKBA 1963.

(٨٣) مينورسكي، فلاديمير: الكُرد، ملاحظات وانطباعات بتروگراد ١٩١٥.

B. Q. MNHOPCKNN: KYOUbI. 3 AMETKN N BIIEHATNEHNR. IIbTPOPPANb 1915.

(٨٤) رودينكو مارگريت ناشرة كتاب (عادات ورسوم الطوائف الكردية واصول الاعراف والتقاليد الكردية) للملا محمود بايزيدي النصوص الكردية والترجمة الروسية، موسكو ١٩٦٣.

MEJIA MAXMYA BANA3NIIN; HPABbI N Obbi4BN KYPAOB, MOCKBA 1968.

(٨٥) رودينكو، مارگريت: احمد خاني: مم وزين، موسكو ١٩٦٢.

AXMEA XAHN: MAM N 3NH, PYAEHKO, MOCKA 1962.

سادساً- المصادر باللغة الألمانية:

(٨٦) Brockelmann, Carl: Ceschichte der islamischen Völker und Staaten, m-ncen und BerIin 1939.

(٨٧) Brockelmann,Carl: Syrische Grammatik, Leipzig 1965.

(٨٨) Fochler-Hauke, Prof. Dr.G.: Die Kurden, Volk ohne Staat. Die aktuelle JRO -Landkarte, Ausgabe

B Nr. 224 m-nchen 1966.

(٨٩) Kramers,J.w: Muhammad Ali P-s-, in EI,S. 734-38.

(٩٠) Lentz, Wolfgang: Kommentar -ber das Buch "Les Kurdes" von B.Nikitine, in "Orlentalische Literatur Zetitunq", 1960.

(٩١) Mann, Prof. Dr. Oskar: Kurdisch-Persische Forschungen. Die mundart der mukri-Kurden. Berli 1906-1909.

(٩٢) minorsky vladimir: Die Kurden, in EI,Bd. II,S. 1212-40

(٩٣) moltke,General Feldmarschal Graf Helmuth von: Briefe -ber Zustände und Begebenheiten in der Turkei aus den jahren 1835 bis 1839, Bd. VIII, Berlin 1842; Bd. lI,Berlin 1892.

(٩٤) Nebez,Jemal: lalo Karim (Der Onkel Karim); eine Erzählung aus Kurdistan, m-nchen~1968.)59(

Nebez, Jemal: Kurdisehe Schriftsprache; eine Chrestomathie moderner Text, Helmut auske-Verlag, Hamburg 1969.

(٩٦) Nikitine, Basil: RAWANDIZ RUIYANDIZ, in EI,S.1220~1222.

(٩٧) Ploetz: Auszugaus der Geschichte, Wurzburg 1968.

(٩٨) Ritter, Carl: Die Erdkunde oder allgemeine vergleichende Geographie, 2..Aufl. 3- und 8.Teil,Berlin 1833.

(٩٩) Scheer, Johannes: Deutsche Kultur- und Sittengeschichte, ohne Jahreszahl.

(١٠٠) Spuler, Bertold: Wüstenfeld-Malerische Verglelchungs-Tabellen, Wiesbaden 1961.

(١٠١) Wagner, Moritz Reise nach Persien und dem Lande der kurden, Bd. I & II, Leipzig 1852.

سابعاً - المصادر باللغة الانگليزية

(١٠٢) Arafa, Hassan: The Kurds, an historical and political study, London.

(١٠٣) Bell, Gertrude: Letters, London, 1927, 2 vols.

(١٠٤) Buckingham sir J.S.: Travels in mesopotamia, London, 1827.

(١٠٥) Curzon, G.N.: Persia and the Persian question, Vol.I, London, 1892.

(١٠٦) Eagelton, William Jr.: The Kurdish Republic of 1946, London 1963.

(١٠٧) Edmonds, Cecil John: Kurds, Turks and Arabs, Political travel and research in North-Eastern Iraq (1919 - 1925), London, 1957.

(١٠٨) Fowler, George: Three Years in Persia, London Vol. I and II, 1841.

(١٠٩) Fraser, J.Baillie: Travels in Kurdistan, Mesopotamia .... etc. Vol.I. ,London, 1840.

(١١٠) Fuad, Kamal: The conquest of Fortress Dimdim in the Journal "Kurdistan" Nr. IX&X, July 1965.

(١١١) Ghassemlou, Abdul Rahman: Kurdistan and the Kurds, Publishing Haus of the czechoslovak Academy of Sciences, Prague, 1965.

(١١٢) Hamilton, A.M: Road Through Kurdistan, London, 1937.

(١١٣) Ireland, P.W: Iraq; a study in Political developmet, London, 1937.

(١١٤) Journal Asiatique, 1910. (باللغة الفرنسية)

(١١٥) Kinnane, Derk: The Kurds and Kurdistan, London, 1964.

(١١٦) Layard, Sir Henry: Nineveah and its remains, London, 1849, Vol.I.

(١١٧) Lohgrigg, Stephan H.: Four Centuries of modern Iraq, London, 1925.

(١١٨) Millingen, Major Frederick: The Wild life among the Kurds, London, 1870.

(١١٩) Rich, claudius James: Narrative of a residence in Kurdistan, edited by his Widow, vol.I, London, 1836 - 37.

(١٢٠) Rozbayani, Gamil Bandi: Facts on the Kurds, reply to the story of the kurds in "the Kurdish Journal", vol.v, Nos.l&2, May and June 1969, Washington. and VoI.VI, No.l, March 1969.

(١٢١) Safrastian, Dr. Arshak: Kurds and Kurdistan, London, 1948.

(١٢٢) Saleh, Zaki: Mesopotamia (IRAQ)(1600-1914) a study in British foreign affairs, Baghdad 1957.

(١٢٣) Soane, Major E.B.: To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, London, 1912.

(١٢٤) Wahby, Taufiq: The yazidies are not Devil Worshippers, in the Journal of 'Kurdistan" Nr. 13; Annual Journal of KSSE, London, 1969.

(١٢٥) Wahby, Taufiq & Edmonds, C.: A kurdish - English Dictionary, London, 1966.

(١٢٦) Waheed, Captain sheikh A.: The Kurds and their country; a history of the Kurdish people, from earliest time to the present, Lahore - Pakistan, 1955.

(١٢٧) Waston, R.G.. A history of persia, London 1866.

(١٢٨) Wigram, William Ainger: An introduction to the history of the Assyrien church, London, 1910.

ثامنا: المصادر باللغة الفرنسية:

(١٢٩) Blue , Joyce : Le probleme Kurde, Paris 1963.

جويس بلو: المسألة الكردية، باريس - ١٩٦٣.

(١٣٠) Nikitine, Basil : Les Kurdes, etude sociologique et historique, Paris, 1956.

باسيل نيكيتين: الكُرد، باريس ١٩٥٦.

(١٣١) Poujoulat, M. Baptisin : voyage dans I-Asia mineure en Mesopotamie, a palmyre, en syrie, en palestine et en Egypte, Tomel, paris 1840.

بوجولا، م. بابتستين: رحلة في اسيا الصغرى، بلاد مابين النهرين، بالمير، سوريا، فلسطين، ومصر، الجزء الأول، باريس - , ١٨٤٠

تاسعا: المصادر باللغة الايطالية:

(١٣٢) Jouannin, joseph Marie: Turchia, Traduzione a cura di:A.F.Falconetti, Venezia, 1842.

جوانين/ جوزيف ماري: تركيا، ترجمة: أ.ف. فالكونيتي، فينسيا ١٨٤٢.

ملاحظة واعتذار:

لقد تم ترتيب المصادر المدرجة أعلاه حسب اللغة التي كتب بها المصدر متوخين في ذلك تسهيل أمر الرجوع الى المصادر المذكورة للباحثين. وهنا نود أن نوجه عناية القاريء المحترم الى بعض الاخطاء الطفيفة التي وقعت اثناء ترتيب المصادر على هذا الشكل. لقد ورد المصدر رقم (١٥) وهو كتاب (تاج التواريخ) لمؤلفه سعدالدين خوجة تحت المصادر المؤلفة باللغة العربية، بينما هو مصدر كتب باللغة التركية العثمانية، وكذلك المصدر رقم (٥٠) وهو ما يسمى عند الكتاب الكُرد بـ(دفتر حسين ناظم) والذي ورد تحت قائمة المصادر باللغة الكردية في حين ان المصدر هذا قد أُلِّف باللغة التركية العثمانية. أضف الى ذلك فإنّ المصدر رقم (١١٤) وهو مجلة Asiatique Journal وهي مجلة تصدر باللغة الفرنسية وقعت تحت قائمة المصادر باللغة الانكليزية. إننا نوجه عناية القراء الكرام الى ذلك ونعتذر لهم.

تعليقات وحواشي المترجم

١- لمحة تاريخية عن الكرد واقليم سوران (أديابين) قبل الإسلام:

تمهيد:

بعد مطالعة القاريء لهذا البحث يجد ان الإمارة السورانية كانت قد تأسست في المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير (زێی بادینان) والزاب الصغير (زێیّ کۆیی) على يد إبنٍ لنبيل كردي ينتسب الى سلالة السلطان صلاح الدين الأيوبي الروادي (الرواندي) كان يدعى (گلۆس- کەلۆس- کەولۆس). لقد إختلف المؤرخون حول ضبطهم للتاريخ الذي نشأت فيه الإمارة السورانية، فمنهم مَن يرى أن تاريخ تأسيسها يرجع الى القرن الثاني عشر للميلاد. ولكن وفقاً لشجرة نسب هذه الأسرة يمكننا القول بأن تاريخ تأسيسها يرجع الى نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر للميلاد.

بسط أمراء سوران سيطرتهم على المدن الكبيرة الواقعة في السهول البعيدة عن الجبال مثل مدن أربيل (هەولێر) وكركوك والموصل. ففي عام (٩٢٣ هـ = ١٥١٦م) فتح الأمير السوراني (مير سيدي بن شاه علي بگ) مدن كركوك والموصل وغيرها واعلن إستقلال بلاده، ولكن رغم ذلك فضّل أمراء سوران بقاء عاصمة حكمهم في المدن الواقعة بين الجبال مثل شقلاوه، حرير، خليفان، رواندز، دوين. ولما كانت الأحداث التاريخية لهذه المنطقة مرتبطة ببعضها، فسأحاول التعرض وبشكل موجز جداً لتاريخ هذا الإقليم وبقدر ما يتعلق الأمر بموضوعنا هذا. فعندما يبحث المرء في تاريخ شعب عريق كالشعب الكُردي، يجد نفسه ملزماً بأن يوجه اهتمامه نحو التاريخ القديم لقبائل ذلك الشعب وهذا ما دفعني الى محاولة إعطاء القاريء فكرة عن بعض العشائر الكردية القديمة في هذا الإقليم الذي كان يُعرف سابقا بإقليم (أديابين) ولاحقاً بإسم (سوران) وذلك على الرغم من شحة المصادر التاريخية، حيث لم يكن في الإمكان قديماً قيام أي سائح أو رحالة أجنبي بالطواف والتجوال في هذا الإقليم حتى يتسنى له تسجيل أحوال البلاد ودراسة شؤونها.

منطقة سوران:

لو دققنا في خارطة كردستان لوجدنا أنّ لمنطقة رواندز موقعاً ستراتيجياً خاصاً من النواحي التاريخية والإقليمية والدولية. فهي تقع في قلب كردستان (منطقة زاگروس المركزية) بين إثنين من أهم روافد نهر دجلة، هما الزاب الكبير والزاب الصغير. وقد عرفت هذه المنطقة قديما بإسم (أديابين Adiabene) حيث ورد ذكرها في السجلات الآشورية والرومانية. ويمر عبر هذا الاقليم الطريق المعروف بـ(هيرودوت Herodot strasse) نسبة الى المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودوت ٤٨٤ - ٤٢٥ق.م).

تكمن أهمية هذه المنطقة (رواندز) في كونها تربط كردستان الشمالية بالجنوبية، وتصل سهول لاجان في أذربيجان بسهول أديابين وميزوپوتاميا أي بسهول سوران، حرير، أربيل، كويي وكركوك. وبأنها كانت قديماً بمثابة رأس جسر بين إثنتين من الامبراطوريات العريقة (نينوى) عاصمة الآشورين و(أكباتان - همدان الحالية) عاصمة الميديين وذلك عبر مضيق (كيله شين)[*١١٥]، الذي كان من المعابر المهمة ذات الاهمية التاريخية بإعتباره منفذاً هاماً للطرق العسكرية والتجارية قديماً.

أما في الوقت الحاضر فيمر في هذه المنطقة خط الحدود الذي يفصل بين ثلاث دول من الدول التي تقاسمت كُردستان وهي العراق وإيران وتركيا. كما يمر فيها طريق مبلط يربط العراق بإيران (عبر حاج عمران) ويُعرف بطريق هاملتون نسبة الى المهندس الآيرلندي المعروف.

لقد شجعت الشروط المناخية والجغرافية المناسبة لهذه المنطقة ولكردستان الإنسان منذ القدم على ان يتخذ من كهوفها مساكن عندما كان يعيش على جمع القوت بالصيد والالتقاط، وعلى ان يجعل من سهولها مزارع حينما تحول الإنسان الى الزراعة وتدجين الحيوانات. وليس من الغريب ان ينبئنا التاريخ بأن هذه المنطقة كانت، كسائر مناطق كردستان[*١١٦] آهلة بالسكان منذ الأزمنة القديمة. فقد عثر فيها على أدوات حجرية يعود تاريخها الى الفترة الواقعة بين (١٠٠٠٠٠–٦٠٠٠٠) سنة قبل الميلاد. كما عُثر في كهوف (شانەدەر - شانيدەر) القريبة من رواندز على بقايا هيكل عظمي لإنسان النياندرتال، الذي يرجع الى عهود تتراوح بين (٦٠) و(٣٥) ألف سنة قبل الميلاد. ويرى البعض من المؤلفين المسلمين، أن كردستان هي مهد البشرية الثاني وذلك استناداً الى الآية القرآنية الكريمة (وإستوت على الجودي ...) إذ أن سفينة نوح عليه السلام كانت قد إستقرت على جبل (الجودي - گودي - گويي - كوردي) في كردستان[*١١٧]...

(*١١٥) يقع مضيق (كيله شين) في شمالي رايات بين رواندز وشنو، فيه لوحة حجرية مثبتة على الارض يعود تأريخها الى سنة (٨١٤ق.م) تتضمن فتوحات وتعليمات ملك اورارتو (كالدي - خلدي) مكتوبة باللغتين الخلدية - الكلدية والآشورية. لقد جلبت الاثار هذه انظار المؤرخين اليها منذ القدم وفسروا مضمون الكتابة المنقوشة على تلك الاحجار من عندهم دون ان يتمكنوا من قراءتها (وهي الخط المسماري)، فعلى سبيل المثال جاء في كتاب مسالك الابصار لمؤلفه الشيخ ابي العباس احمد القلقشندي (٨١٤هـ) مايلي: (... وجبل جنجرين المشرف على اشنه من ذات اليمين... باعلاه ثلاثة احجار طول كل حجر منها عشرة اشبار في عرض دون الثلاثة، متخذة من الحجر الاخضر المانع، وعلى كل منها كتابة اضمحلت لطول السنين، يقال انها نصبت لمعنى الانذار والاخبار عمن اهلكه الثلج والبرد هناك في الصيف، هم يأخذون الخفارة تحته)، للتفصيل انظر: محمد امين زكي: خلاصة تأرخ الكرد وكردستان، ص٣٦٥،٩٨، وكذلك المجلة الكردية: سروه، ژماره (١٨) لاپەڕە (٢٧) ساڵی سێیەم، بەفرانبار - ١٣٦٦، وأيضا: سروه، ژماره (٢) ل٣٥، رەشەمە - ١٣٦٦.

(*١١٦) في حدود الالف الثامن والسابع قبل الميلاد (العصر الحجري الحديث) ظهرت المشتركات الفلاحية في سطوح جبال كردستان. فلقد عثر في قلعة (جرمو) القريبة من چمچمال على اولى المستوطنات الزراعية التي عرفها ذلك العصر. وقد قدرت بيوت هذه القرية ما بين (٣٥) الى (٣٠) بيتا وعدد سكانها نحو (١٥٠) شخصا، للتفصيل انظر: طه باقر: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣، ص١٦١،١٩٢،١٩٣،٢٠٤.

(*١١٧) كان الكرد معروفين عند العرب بأسم (كردي، كاردوي، باكاردا، كارتاويه، جوردي، جودي)، حيث ان العرب استبدلوا حرف الـ(گ g) بالـ(ج) العربي، فصار الـ(گودي) (جودي). انظر: محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد =

مما لاشك فيه أنه لو بذلت الجهود في مجال الحفريات وأُجريت التنقيبات الأثرية بحياد بعيداً عن الأغراض والنوايا السيئة(*١١٨)، لكان بالإمكان العثور على آثار تاريخية قيمة لقبائل الأمة الكردية العريقة التي سكنت ومازال على هذه الرقعة من الارض التي تعرف بكردستان، بل ولثبت بشكل قاطع بأن الاقوام الأولين الذين إستوطنوا القسم الجنوبي من ميزوپوتاميا (دلتا الرافدين)- أي السومريون ومن سبقهم مثل گوتي - كورتي، سوبار- ليسوا سوى أقوام منحدرة من سلالة الشعب الكردي، ولتبين بشكل لايدع مجالاً للشك بأنهم هم الذين كانوا أول الأقوام المتمدنة الهامة التي دخلت المنطقة التي تعرف ببلاد (سومر) حاملين معهم الطرق الفنية الزراعية الاساسية والمهارات الصناعية من كُردستان الى جنوب العراق القديم(*١١٩)...

من الواضح ان للتنقيبات الأثرية أهمية كبرى لأنها يمكن ان تزيح الستار عن جملة من النظريات والتوقعات التي كان قد توصل اليها بعض الباحثين أثناء دراستهم الحضارات القديمة لشعوب المنطقة. والدليل على ذلك هو ما توصلت اليه في عام ١٩٨٥ بعثة أثرية مشتركة من ألمانيا، أميركا، وتركيا في منطقة هكاري بكردستان الشمالية. إذ تم العثور على قرية معمورة يعود تاريخها الى الألف التاسع ق.م. ودلّت الحفريات على أن سكان هذه القرية الحجرية كانوا يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي ويستعملون أدوات مصنوعة من النحاس. هذا في الوقت الذي كان الرأي السائد قبل إكتشافها هو ان العصر الحجري الحديث كان قد انتهى في ميزوپوتاميا وشمال إيران والأناضول (كُردستان الشمالية) في حدود (٥٦٠٠) أو (٥٠٠٠) سنة قبل الميلاد، وأن طلائع الحضارة والعصر التاريخي كانت قد ابتدأت في حدود (٣٥٠٠) سنة ق.م.

= وكردستان، ص٧٦-٨٨. وكذلك: تأريخ السليمانية، لنفس المؤلف، ص٢٠، هامش (١) لروژبياني. وبالمناسبة اود ان اذكر بأنني عندما قمت في عام ١٩٧٢ بجولة داخل مدينة جزيرة بوتان في كردستان الملحقة بتركيا، زرت مسجدا يدعى (مسجد نوح) كان فيه ضريح يزوره الناس بخشوع معتقدين انه ضريح نوح (عليه السلام).

(*١١٨) لايخفي على احد المحاولات المبذولة من قبل الدول التي تتقاسم كردستان، بهدف القضاء على المقومات القومية للشعب الكردي، وطمس معالمه التأريخية تمهيدا لتمرير مخططاتهم الشوفينية الرامية الى اذابة الشعب الكردي في بودقة القوميات الحاكمة في كردستان. وقد اشار بهذا الصدد (فرانتز فانون) الى دور الاستعمار بقوله: (ان الاستعمار لايكتفي بتكبيل الشعب، ولايكتفي بأن يفرغ عقل المستعمر من كل شكل وكل مضمون، بل هو يتجه أيضاً الى ماضي الشعب المضطهد فيحاول بنوع من فجور المنطق ان يهدمه وان يشوهه وان يبيده. ان هذه المحاولة التي يحاولها الاستعمار، اذ يجرد تاريخ البلاد المستعمرة السابق على الاستعمار من كل قيمه، انما اليوم تتخذ دلالتها). انظر: الدكتور عبدالرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، بغداد -١٩٨١، ص٥١.

(*١١٩) لقد كان الاعتقاد السائد ما بين المؤرخين لغاية عام ١٩٤٧ ان منطقة الاستيطان في القسم الجنوبي من دلتا الرافدين والتي عرفت فيما بعد ببلاد سومر كان قد تم استيطانها لاول مرة في الالف الرابع قبل الميلاد. ولكن الحفريات التي اجريت في المنطقة اثبتت بأن الانسان قد استوطن هناك في فترة اقدم بكثير مما كانت يفترض بشكل عام. وان مستوطني هذه المنطقة الذين سبقوا السومريين (ليس السومريون من الساميين) هم عشائر جبال زاگروس (كردستان) الذي عرفوا بأسم (السوباريين) للتفصيل انظر: الدكتور عبدالرضا الطعان: الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١، ص:٩١. وكذلك: محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص١٠٠.

وإستنادا الى اللوحات الأثرية السومرية والأكدية كانت قبائل الشعب الگوتي - كورتي (الإسم القديم للشعب الكردي) قبل عام (٢٦٤٩ق.م) بزمن طويل قد إستقرت في كُردستان (أديابين وبلاد سوران). ففي عام (٢٦٤٩ ق.م) إستولى الشعب الگوتي (الكُردي) على بلاد (سومر) و(أكد) وأقام في (أكد) حكماً دام أكثر من مائة وخمسة وعشرين عاماً. وفي (٢٥٢٤ ق.م) أي في عهد آخر ملوك الكُرد في اكد (تيريگان - تيرجان)، تمكن ملك (أور) من القضاء على حكومة الشعب الگوتي، الذي عاد وإنسحب الى موطنه الأصلي (كُردستان) وإختار مدينة (أرابخا - كركوك حالياً) مركزاً له. وفي (٢٥٠٠ ق.م) إستوطن الآشوريون القسم الجنوبي من بلاد (السوباريين)، أي في آشور وشرقاط (شرگات)، وهم شعب ساميّ اللغة. وفي الفترة من (٢٣٠٠ - ٢١٥٠ ق.م) قام الأكديون بحملات عسكرية عدّة على بعض أقسام كردستان الواقعة في شرق (دجلة) مثل منطقة (سيمورو - پردێ - آلتون كوپري) و(للبو) و(ساسرو) و(أوروپيللوم - هَوْلير - أربيل). وفي القرن السادس عشر ق.م حكمت الأسرة الميتانية فترة من الزمن قسماً كبيراً من كردستان حتى وصل مدينة (آرابخا - كركوك)(*١٢٠). فقد إمتد سلطانها الى بلاد آشور وسهول أربيل - هَوْلير، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من إخضاع القبائل الكردية، لاسيما قبائل إقليم أديابين، فأدت الإضطرابات الداخلية وفساد إدارة الحكم الى شطر المملكة الى قسمين: بلاد السهول (الميتانية الأصلية) ومنطقة الجبال (خوري - هوري). وفي خلال هذه المدة ظهرت أسرة مالكة اخرى كانت تدعى أسرة (خاني گالبات) أسست حكومة مستقلة وحكمت بلاد آشور ردحاً من الزمن وكانت عاصمتها مدينة (نسيپيس - نصيبين).

في القرن الثالث عشر ق.م قويت شوكة الآشوريين فبدأوا بالإغارة على البلدان الكُردية المجاورة. ففي عام (١٠٩٨ - ١٠٦٨ ق.م) حارب الملك الآشوري (تيغلات پلسر) الشعب الكورتي - الكُردي في جبال (أزو - هازو) فهُزم شرّ هزيمة. فقد قاوم الشعب الكُردي ببسالة وإستطاع صد جميع المحاولات الأجنبية التي كانت تستهدف إخضاعه وإحتلال بلاده(*١٢١).

لقد قامت في المناطق الشمالية الشرقية من إقليم أديابين إمارات كُردية كانت مقاليدها بيد أمراء العشائر. وظل الاقليم ملجأ للقبائل الكردية الساعية الى الحرية هرباً من الظلم والبطش مدة طويلة. وهكذا إستمر النزاع الطويل المرير بين الكرد والآشوريين لحين بروز الدور الحاسم الذي لعبته القبائل الميدية الكُردية على مسرح الاحداث(*١٢٢). فقد زحف الميديون بعد عقد حلف مع ملك بابل (نبوپولسر)

(*١٢٠) وقد دعاها بطليموس (گورگورا)، انظر: مدارس العراق قبل الإسلام، سبق ذكره ص١١٠.

(*١٢١) يقول الملك الاشوري (شلمناصر الأول/ ١٢٨٠ - ١٢٦١ ق.م) ما يلي: (ان الشعب الگوتي الذي كان في سماء هذا العصر يتألق كنجم الزهرة، لم يكن متصفا بالقوة والسلطان فقط، بل انه كان معروفا بالحزم والعزم، والشدة المتناهية والارهاب والتدمير، فقد قاوم هذا الشعب بكل شدة وبأس، ارادتي واصر على عدائي دائما). انظر: محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكرد والكردستان، ص٩١-٩٢.

(*١٢٢) يقول (سايس): "كان الشعب الميدي عشائر كردية تقطن شرقي بلاد اشور حيث كانت حدود موطنها تمتد الى جنوبي بحر قزوين، فكان معظم هذا الشعب فصيلة من امم (هندو - اوروپية) من جهة اللغة واللسان، ومن الجنس =

على بلاد آشور (مروراً ببلاد نامري مازاموا، ارارافا- كركوك) فحرروا كُردستان من سيطرة الآشوريين واستولوا على عاصمتهم نينوى في عام (٦١٢ ق.م). ولم يطق (سن- شار- إيشكوم) الملك الآشوري فقدان قلب مملكته فإنتحر بالنار محرقاً نفسه ومَن معه من خدم وحاشية. وهكذا خضع اقليم سوران - أديابين كباقي الاقاليم الكُردية لسيطرة الإمبراطورية الميدية التي دام حكمها لغاية عام (٥٥٠ق.م)، واضحت (هولير - أربيل) عاصمة لمقاطعة (أديابين).

كانت الامبراطورية الميدية مقسمة الى قسمين: ميديا الكبرى- أو العراق العجمي (وكان يضم المقاطعات التالية: كروس، همذان، كرمنشاه، قزوين، عراق، أصفهان، نهاوند، الري حتى دربند بحر قزوين الذي كان حداً فاصلا بين الميديين والپارث)، وميديا الصغرى أي اذربيجان. وكان إقليم أديابين - سوران يقع ضمن هذا القسم. وفي عام ٥٥٠ ق.م قضى كوروش الثاني (كوروش الكبير- كيخسرو، ٥٥٩ - ٥٣٠ ق.م) أمير الأسرة الإخمينية (هيخامنش) الحاكمة في فارس وقتذاك وحفيد (إستياكس) آخر ملوك ميديا على الامبراطورية الميدية وخلع جده (من طرف الأم) عن العرش، لتقوم بقيادته إمبراطورية جديدة عرفت بالإمبراطورية الإخمينية (الكيانية). لقد لعبت الخيانة دورها هنا وتمثّلت في زعيم لأحد الأسر الميدية الكبيرة (هارپاگوس)، الذي انضم بجنوده الى كوروش.

كان لسياسة كوروش (كيخسرو) الحكيمة وحسن معاملته لـ(هارپاگوس) وسائر أفراد الأسر الميدية البارزة دور كبير في كسبه المعركة وتوطيد أركان حكمه. فقد كانت ست أسر ميدية كبيرة تقيم في عاصمة الإخمينيين وتتمتع بمكانة خاصة في الدولة بعد ست أسر فارسية نبيلة!

بعد سقوط الميديين إنكمشت القبائل في سهول أديابين وتراجعت الى منطقة الجبال بهدف الحفاظ على استقلالها، فإتخذت الجبال مواقع دفاعية للوقوف بوجه الأعداء. وأقامت في منطقة (الزاب الكبير) دولة عرفت بإسم (الگورديين). وفي هذا العهد لعبت الديانة الزردشتية والإنتماء المشترك لأرومة واحدة (الآرية)(*١٢٣) دورها في ايجاد نوع من التعاون بين الكُرد والفرس في بعض المناطق.

= (الآري) من جهة العنصر والدم". ويرى المستشرق (ماديسون غرانت) ان الشعب الميدي كان موجوداً في بلاد (ميديا - كردستان) منذ سنة (٦٠٠٠ق.م) ان رؤساء القبائل الميدية كانوا متساوين في الحقوق والواجبات لا سلطان لواحد منهم على الاخر، وكانت اسماؤهم لغوياً تشبه الاسماء الإيرانية وأما لغتهم من حيث الاداء والاسلوب فكانت كلغة العشائر الكاسية (الكاساي - كوشو - الكاسيون: هم قبائل كردية قديمة، يعتبرون من السكان الاصليين لجبال زاگروس مثلهم مثل الخالدي- كالدي- كاردو، لقد استولى الكاسيّون على بابل عام ١٧٦٠ ق.م، ثم وحّدوا سومر واكاد واسسوا مملكة تحمل اسم (كاردونياش) وبعد ان حكموا قروناً من الزمن عادوا الى وطنهم القديم كردستان). للتفاصيل انظر: زكي خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص ٦٩-٧٠، ٣١٢. وكذلك: تأريخ الدول والإمارات الكردية، لنفس المؤلف، ص ١٦،٦ وأيضاً: Geschecht Assure und Babels : Marcus von Niebuhr, Magnus - Verlag, Stuttgart, S 409-419.

(*١٢٣) كان يطلق على الميديين قديما اسم (ارياني - اري - ايراني) ثم اشتهروا بالميديين، فلقد ذكر (داريوس الأول) في اثاره بنقش روستم ما يلي: (اني هيخامنشي أي من اسرة (هيخامنش) و(پارسي ابن پارسي أي من قبيلة (پارس) وارياني من العنصر الاري أي الميديين). هذا وقد كانت جبال ارارت (اورارتو - هورارادا- اهورا اترا- أي نار الله) =

فلقد تطوع الكُرد في جيوش فارس وناصروا دولتهم واخذوا على عاتقهم حماية ديانة (زورواستر - زرادشت) التي كانوا يدينون بها. والقبيلة التي أُنيطت بها هذه المهمة كانت قبيلة الرواندي - الروادي (في منطقة رواندز وأذربيجان)، وهي القبيلة التي ظهر منها في العهد الإسلامي السلطان صلاح الدين الايوبي- الذي اخذ على عاتقه حماية الديانة الإسلامية التي اصبح شعبه يدين بها[*١٢٤]...

وفي عام ٥٢٢ ق.م توفي الإمبراطور الإخميني (كامبيس) وجلس داريوش الأول (دارا ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) على العرش. فوجيء بقيام ثورة كبيرة في بلاد ميديا ضد الفرس بقيادة (گاوماتا) وثمانية آخرين من الزعماء. وكان من بين هؤلاء رئيس عشيرة اساغاريتان (چتران تاخما)، وكانت هذه القبيلة الكُردية قاطنة في سهل أديابين حوالي مدينة أربيل (هولير) في عهد الآشوريين. واخيراً تمكن داريوش من إخماد الثورة بعد سنة من اندلاعها، ولاتزال صور هؤلاء الزعماء منقوشة على حائط حجري في بيستون.

واهتم ملوك الإخمينيون بعد ذلك بكردستان، فنرى الملك (دارا الثالث) وهو الملك الثاني عشر من ملوك إيران الاخمينيين كان قبل توليه العرش والياً عاماً على عرش مقاطعة كوردئين وبقى في منصبه لغاية توليه العرش سنة (٣٣٨ق.م). ولكن الإخمينيين كانوا يواجهون تمردات للقبائل الكردية بين حين وآخر. فقد ذكر زينفون (سنة ٤٠١ - ٤٠٠ق.م) في كتابه انابازيس بأن الشعب (الكاردوخي- الكُردي) لم يطع الفرس ولم يخضع لهم ابداً، حتى أنّ أحد ملوك إيران زحف عليهم مرة بجيش جرار يبلغ مائة وعشرين ألف جندي، أبادهم الكارخوي - الكرد عن بكرة ابيهم. في عام ٣٣١ق.م سقطت الإمبراطورية الإخمينية (الكيانية) في عهد آخر ملوكهم (داريوش الثالث) على يد الاسكندر المقدوني في معركة (گەوگەميلا) الحاسمة قرب مدينة أربيل - هولير عاصمة اقليم أديابين. فأصبحت كردستان (ميديا، كوردوئين) جزءً من الإمبراطورية اليونانية المترامية الأطراف (من اليونان الى جنوب شرق إيران). إلاّ أن نار الثورات الوطنية لم تخمد في كردستان طيلة القرن الذي حكم فيه اليونانيون البلاد. وفي عام ٢٤٧ق.م تمكن الإيرانيون بقيادة أردوان (١٩٦- ٢١٤ق.م) من طرد اليونانين وتحرير بلادهم من سيطرة الاجنبي وانشاء الإمبراطورية البرثية (الأشكانية) التي حكمت إيران مدة تقارب الخمسة قرون (الى سنة ٢٢٦م). إلاّ أن حكم اليونانيين دام في بعض مناطق كُردستان الشمالية (كوردوئين) لغاية إستيلاء الأرمن عليها بمعاضدة الملك مهرداد الأول الأشكاني (١٧١- ١٣٨ ق.م)[*١٢٥] .هذا فيما دخل القسم الجنوبي من كُردستان شيئاً فشيئاً وحتى اوائل القرن الأول ق.م

= موطناً اصلياً للاريين الذين عرفوا بتقديسهم للنار. وان كثرة تعرض المنطقة في عصرنا هذا للزلازل ليس الا دليلا على ان البراكين كانت سائدة في جبال ارارات قديما. انظر: زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان. ص٢٩٩. وكذلك: ماركوس فون نيبور: سبق ذكره، ص٤١٦.

(*١٢٤) راجع: علي سيدو الگوراني، من عمان الى العماديه، مصر ١٩٣٩، ص٢٤٠.

(*١٢٥) في هذا العهد اشتدت المنافسة الاستعمارية بين البرثيين (الاشكان) واليونانيين، حيث برزت الاهمية السياسية =

تحت حكم الأرمن، وكان مركز هذا القسم مدينة (آمد- دياربكر).

إمتاز عهد الأشكان إبتداءً من القرن الأول قبل الميلاد ولحين سقوط دولتهم سنة ٦٢٢م بإشتداد حدة المنافسة وكثرة حروبهم الطاحنة مع الرومان. وكانت كردستان (كوردوئين، أديابين، اذربيجان) مسرحاً لتلك المنافسة وخاصة في عهد الملك الأشكاني (فرهاد الثالث)، فتارة كانت ترجح فيه كفة الرومان في كردستان وأخرى الأشكان.

وفي عام ٨٣ق.م قام الملك الأرمني (تيغران الأول) بغزو إقليم أديابين وعاصمته أربيل- هولير، لكن الكُرد قاوموا هذا الغزو الاجنبي مقاومة شديدة وطردوا المحتل من بلادهم.

وفي عام ٣٣ ق.م إستولى الملك الأشكاني (فرهاد الرابع) على أذربيجان (ميديا الصغرى)، لكنه فشل في قمع حرية الشعب الكردي وفي القضاء على معنوياته العالية. فقد حافظ الكُرد على استقلالهم الداخلي في ظل حكومات صغيرة كانت تقوم بإدارة شؤونهم ورعاية مصالحهم.

وفي عام ٦٢م غزا الملك الأرمني (تيغران الخامس) بمساعدة الإمبراطور الروماني (نيرون) بلاد أديابين وضايق سكانها الكُرد لدرجة لا تطاق. فإتصل هؤلاء بملك (ولكاسوس) طالبين منه العون، فلبى طلبهم فوراً وأعلن الحرب على ارمينيا والرومان، وعيّن (مانوباز) ملك أديابين قائداً. فتمكن هذا من طرد الارمن وغزو بلادهم. ثم ظلت أديابين بعدها موضع نزاع حتى ظهور الفرس، حيث تمكن الكرد من القضاء على نفوذ البرثيين والرومان فيها.

وفي سنة ٢٢٤م ظهر على مسرح التاريخ والسياسة (أردشير بابكان)، الذي سقطت على يديه الامبراطورية الأشكانية وتاسست على انقاضها الإمبراطورية الساسانية. وفي عام ٢٢٨م دخل اردشير الحرب مع قيصر الروم (ألكسندر) واتخذ العقيدة الزردشتية ديناً رسمياً لجميع إيران. وفي هذا العهد ثار الكُرد على الساسانيين وحاربوا الجيش الروماني أيضاً.

وفي حدود عام ٣٤٢م كانت الديانة المسيحية قد إنتشرت في بلاد الأرمن بمساعدة وتأييد حكومة روما. إعتنق الأرمن وملكهم (تيرداد) هذا الدين لغرض سياسي، فبدأ بعد هذا التاريخ الجدل بين الزردشتية والمسيحية في كردستان. إذ حافظ الكُرد على دينهم القديم (الزردشتية) ولم ينتشر الدين الجديد (المسيحية) إلاّ بين عدد ضئيل من الكُرد في بعض المدن والقرى (وفي مقدمتهم التجار).

وفي عام ٥٨٩م إضطرب الأمن في كُردستان ووقعت حوادث جسيمة بعد تمرد القائد الإيراني

= والتجارية والعسكرية لمنطقة كردستان الى الوجود، وخاصة بعد ان اراد الملك الاشكاني مهردادا الثاني (١٨٨- ١٢٣ق.م) تأمين حدود امبراطوريته وتأمين سلامة طرق مواصلات التجارة (القوافل التجارية) بين الشرق الاقصى (الصين) والبحر المتوسط عبر كردستان (دورا- اوروثوس- اكباتان - راگس- رويتي - تاشكوجان) واتفق الطرفان حول نصب ملك صديق لپارث في ارمينيا. انظر: ALT-IRAN : von EDITH PORADA, Holle Verlag Baden Baden 1979, S. 181-183

(بهرام چوبين) على الحكومة الإيرانية وإضطر الملك الساساني (خسرو پرويز) الى الفرار واللجوء الى الحكومة البيزنطية. ثم زحف (خسرو) بجيش قوي لإمبراطور البيزانس على أكباتان بقيادة القائد الرومي (نوسس). فإجتاز الجيش دجلة الى أربيل وسلك طريق رواندز- أشنه (شنو) بإتجاه الشرق. وتمخض الامر في نهاية المطاف عن هزيمة (بهرام) وإلتجائه الى خاقان الترك في سنة ٥٩١م.

إبتداء من سنة (١هـ - ٦٢٢م) أخذ قيصر الروم (هرقل-هراقيلوس) يلتزم خطة التعرض والهجوم. فسار على رأس جيش كبير الى كُردستان وبعد تغلبه على الجيش الإيراني توجه نحو أذربيجان وعمد الى تخريب البلاد ونهبها، لاسيما المعابد الزردشتية، ثم واصل تقدمه عن طريق (أشنو – رواندز) الى نينوى. وفي هذه الفترة تعرضت كُردستان لنكبات عظيمة وأعمال تدمير كبيرة جراء تلك المعارك الطاحنة، وبقيت الأقاليم الكُردية في يد الروم لغاية سنة (١٨هـ - ٦٣٩م). ولأن هرقل كان يتعقب الإيرانيين عن طريق مسالك ومعابر هذه المنطقة، فلم يترك فيها قرية ولا مدينة إلاّ وطالتها يده بالتدمير والنهب والحرق، ثم توجه الى مقاطعة اردلان. ولايزال السكان يذكرون الى يومنا هذا اسم هرقل بإعتباره مثالاً للبطش والقوة والجبروت. وقد تصادفت هذه الوقائع وظهور الإسلام.

خلاصة القول، إن القبائل الكردية في إقليم أديابين- سوران إحتفظت بإستقلالها على مر العصور القديمة. إذ كانت مستقلة في عهد الميديين والإخمينيين، ولم يكن شعبها بسبب حبه الغريزي للحرية مستعداً للتنازل عن حريته للحكومات المكدونية والاشكانية والساسانية. وكانت القبائل الكُردية بمثابة حكومات محلية وطنية تقوم بتصريف وتمشية امور العشيرة داخلياً وخارجياً. ولايسعني هنا إلاّ الإشارة الى رأي دائرة المعارف البريطانية القائل بأن الكُرد يمثّلون اقدم أرستقراطية في العالم.

٢- لمحة تاريخية عن مدينة رواندز وبعض عشائرها في العهد الإسلامي:

تقع رواندز على سفح جبل مستطيل طرفاه سحيقان (خەلەندی بیرو- خەلەندی خالەڕەش)، وبين جبال (هندرێن، کوڕەک، زۆزک) و(بێخال، جنديان، مێگر، گەلی عەلی بگ) الشاهقة التي تكثر فيها الشلالات والينابيع والغابات والحدائق. وأما موقعها الجغرافي فتقع في الشمال الشرقي من العراق وتبعد عن مدينة أربيل (هەولێر) بمسافة (٧٥) ميلاً، والى الجنوب الغربي من بحيرة (أورميه - ورمێ) ومدينة (شنۆ - أشنويه)، والى الغرب من مدينة (مهاباد - سابلاغ) الواقعة في كُردستان إيران.

لقد ضبط المؤرخون القدماء إسم مدينة رواندز كتابة على النحو التالي: روئين دز، روين دز، روان دز– روان، رَوَندوز روندوز، روين دز ورواندز، وتلفظ الآن (رواندز) و(راوندوز). وأما تاريخها، فإنّ اسمها المركب من كلمتين كرديتين قديمتين (روند، روان، روين - دز) خير دليل على أصالة تاريخها ونقاوة كُرديتها[*١٢٦]...

(*١٢٦) انظر: عبدالرزاق اصفهاني: احوال اشنويه، مخطوطة - سبق ذكرها، ص١٤.

كانت قلعة (روان) و(رواندز) طوال عهد الإمارة السورانية ملجأها الحصين، إلاّ أن مركز الإمارة كان غالباً في شاكاباد (شاه قلي آوا - شقلاوه) ودوين وحرير (هەرير). أما قلعة رواندز فقد إتخذت عاصمة ومركزاً للإمارة في عهد الأمير السوراني (أوغز بگ) وقبلها كانت في كاليفان- خليفان (خەليفان).

ويُعتقد أن إسم (سوران) أقدم بكثير من التاريخ الذي ذكره شرفخان البدليسي في مؤلفه (شرفنامه). فقد ورد ذكر القبيلة السورانية في كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) تأليف عمادالدين أبي عبدالله إبن محمد الكاتب الأصفهاني سنة ٦٠١ هـ، الذي كان مرافقاً لصلاح الدين الايوبي في حروبه وفتوحاته(*١٢٧). وكذلك في مخطوط (مسالك الابصار) لإبن فضل الله العمري المتوفي سنة (٧٤٩هـ /١٣٢٩م)(*١٢٨). أما المؤرخ الكردي والصحفي المعروف حسين حزني موكرياني، فيعيد إسم (سوران) الى ما قبل الميلاد، بدعوى ان (سوور) كانت عاصمة لحكومة (نيريي) الكُردية. ويشير الى (تاريخ الكامل) لإبن الاثير الذي جاء فيه، أن عشائر من (بلاد سوران) كانت قد نشرت الثورة والفتن الى بلاد الجزيرة وزاخو(*١٢٩)... وإذا أخذنا رأي موكرياني بنظر الإعتبار، فمن الأجدر بنا أن نذكر ما جاء في اللوحات الأثرية السومرية التي يرجع تاريخها الى ألفي سنة قبل الميلاد ومفاده انه كان هناك إقليم يدعى (كارداكا - كُردكا) بجوار أهالي (سو) الذين كانوا يسكنون جنوب بحيرة وان(*١٣٠). هذا وكان (سورينا Surena– سوريان) قائداً مظفراً وزعيماً لأكبر عائلة (قبيلة) إيرانية عريقة في عهد البرثيين وكذلك إسماً لتلك العائلة. وقد أعدمه الملك البرثي خوفاً من إستيلائه (أي سورينا) على العرش. والظن أن إعدامه كان من الأسباب التي ساهمت في إنهيار الامبراطورية البرثية(*١٣١)...

ويقول المستشرق (راولنسون)، الذي تعرض لذكر العشائر الكُردية في منطقة (رواندز - أشنو)

(*١٢٧) محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص١٤٥.

(*١٢٨) وجاء فيه: "وبلاد السهرية (السوران) المشهورة باللصوصية وهي من بلاد (شقلاوه) و(حفتيان ابي علي) وتعرف بـ(حفتيان الصغير) وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير. وهو مقام طائفة تعرف بالسهرية (السورانيه)... وجبالهم عاصية ودربندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب الكبير وعليه ثلاث قناطر، اثنتان منهما بالحجر والجير والوسطى مضفورة من الخشب كالحصير. علوها من وجه الماء مائة ذراع في الهواء، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعاً في عرض ذراعين، تمر عليها الدواب باحمالها والخيل برجالها. وهي ترتفع وتنخفض، يخاطر المجتاز عليها بنفسه. وهم يأخذون الخفارة عندها... ولهم أمير يخصهم". وجاء في مكان اخر: "ثم يلي هؤلاء من اربل (المازنجانية) وهم طائفة ينتسبون الى الحميدية مخصوصون من دون الكُرد بحسن الفروسية، مساكنهم (مازنجان) و(بيروه) و(نجمة) والبلاد السهرانيه" نفس المصدر، ص٣٦٣-٣٦٥.

(*١٢٩) حسين حزني موكرياني: مێژووی میرانی سوران، ص٤.

(*١٣٠) محمدامين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص٣٨.

(*١٣١) ALT-IRAN: von EDITH PORADA, Holla Verlag - Baden Baden 1979, S. 183.

أثناء دراسته لعاصمة (ميديا) القديمة في رحلته سنة (١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦م)، بأن عشيرة (سوران) ذات المكانة التاريخية قد إستولت منذ بضعة قرون على هذه المنطقة (رواندز) بقيادة رؤسائها الماهرين. ويقدر (راولنسون) عدد أسرها في الأصل بـ(٨٠٠) أسرة. ثم يقول إن هذه العشيرة (سوران) كانت موضع إحترام وتبجيل العشائر الأخرى لكونها الأسرة الحاكمة ولمحافظتها على هذه الجهات ضد الإيرانيين والترك منذ عصور طويلة. ويمضي قائلاً بأن أكثر سكان منطقة (رواندز) تكاد تكون غالبيتها منتمية لعشيرة (رواندي) أو (رواندوز) ويبلغ عدد أسر عشيرة (رواندز) الكبيرة هذه (١٢٠٠٠) أسرة جميعها خاضعة لأمراء السوران[*١٣٢]...

وقد ورد في كتاب (عشائر العراق الكُردية) بقلم المحامي عباس العزاوي، إن عشيرة (سورچي) هي من قبائل سوران لكنها إستقلت بتسميتها (سورچي). وقال في (عنوان المجد) إن عشيرة السورچية كبيرة جداً نشأ من بينها علماء أعلام. وسورچي سوران في لواء أربيل، وسورچي بادينان في عقره (آكري - لواء الموصل) ويجاورهم عشيرة هَركي[*١٣٣]...

وفي رأي الباحثين والمؤرخين أن عشيرة (رواندي) هي عشيرة (الروادي) الشهيرة في التاريخ، كانت في الاصل مقيمة في أذربيجان وكُردستان (ميديا الصغرى – مملكة الجبال - العراق العجمي)، حيث أقامت الحكومة الروادية (الرواندية) وانجبت القائد صلاح الدين هدية للإسلام.

يعود ذكر بعض العشائر الكُردية الكبيرة في منطقة رواندز وأربيل - هولير (اقليم أديابين - سوران) كالهذانية والرواندية وغيرها الى القرن السادس قبل الميلاد، بل والى زمن أقدم من ذلك بكثير، ونجد بأنهم كانوا يقطنون حيث هم اليوم. فنحن نجد اليوم في هذه المنطقة عشيرة تحمل إسم (كاسان)، من المحتمل ان تكون من بقايا (الكاسي) التي ورد ذكرها في السجلات الآشورية والبابلية في الفترة من (١٩٧٧ - ١٢٨١ ق.م). ونجد عشيرة أخرى تحمل إسم (ورمزيار - هرمزيار) حيث كان (هرمز) إسماً لإله النور عند الزردشتية.

يقول (راولنسون) في دراسته لعاصمة (ميديا)، انه يؤخذ من تاريخ (پلايني pliny) عشائر (الوني، أزون، سيليسي، أورونت) كانت تقيم بجبال (رواندز) بين ميدية وآشورية. فالعشيرة الرابعة (أورونت) على ما يؤخذ من جغرافية (سن مارتن) ومؤلفات علماء الكرج، هي عشيرة (أورانتون) او (أوريتي) أو (رواندي)، التي كانت موجودة وتحمل الإسم نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر في منطقة (رواندز)[*١٣٤]. وكان السريان في القرون الوسطى يطلقون على الجبال التي بحدود مقاطعة

(*١٣٢) محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص٣٧٠.

(*١٣٣) المحامي عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، بغداد - ١٩٤٧، ص١٣٧.

(*١٣٤) ذكر عبدالرزاق اصفهاني في مخطوطته (احوال اشنويه) والتي يعود تأريخها الى حوالي عام ١٨٢٠م، ان العشائر التالية تستقر شتاء في منطقة (روئين دز - رواندز): زرزا، ماماش، هركي، (رَوَند)، ماوند، منگُر، جوخور، ماماسام، لياس، خيلان، بالك، روبگري، شكاك.

(أديابين) اسم (سالاك salak *١٣٥)... هذا ويعتقد بأن اهالي القرى التي بوادي ألونا (آلانه - آرانة) و(دولي هەروتێ) أي الوادي الطويل الواسع المار من قرية (باليسان) والمنتهي بقرية (كاليفان - خليفان) ومضيق (رواندز - گلي علي بگ) من بقايا (ألوني) المذكورة.

وأما عشيرة (أزون) التي ذكرها (راولنسون) فهي القبيلة الشهيرة بإسم (الهذبانية - الهذانية) في اغلب المصادر الإسلامية والعربية وبـ(أزون- هزون- هزان- هذان- هذانية) فقد ذكر المؤرخون المسلمون عن الكُرد في بعض المناسبات التاريخية والجغرافية. فمثلاً ذكر المسعودي سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) في كتابه (مروج الذهب) بعضاً من العشائر الكُردية من بينها عشيرة (هذباني - هذاني) في أذربيجان، وكان قسم كبير من هذه القبيلة الشهيرة (الهذانية) تسكن في منطقة (أربيل - هولير) وفي مدينة (دوين) التي كانت عاصمة لحكومة سوران ردحاً من الزمن في العهد الأتابكي.(*١٣٦)

وكانت العشيرتان (الهذبانية - الهذانية) و(الروادية - الرواندية) من أقوى العشائر الكردية في إقليمي أذربيجان وأديابين قبل الإسلام وبعده. ويمكن إعتبار الكثير من العشائر الكُردية القاطنة في هذه المناطق أفخاذا وبطوناً لهاتين العشيرتين، اللتين لعبتا دوراً مشهوداً على الساحتين الكردستانية والإسلامية منذ القدم. فهم كقبائل جبلية قوية شديدة البأس يشكلون جزءً فعالاً من الشعب الكردي. ويرى العلامة الآلوسي مثل سائر المفسرين الآخرين أن المراد من القوم الذين ورد ذكرهم في سورة الفتح في الآية الكريمة (ستُدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) هم الكُرد دون غيرهم(*١٣٧). فلقد كانت مهمة حماية الديانة (الزردشتية) مناطة بعشيرة (الرواندي - الروادي) قبل الإسلام. وفي العهد الإسلامي اشتركت هذه العشائر بقيادة رؤسائها في جميع الثورات والإنتفاضات التي نشبت في كُردستان والبلدان الإسلامية، ودافعت عن الإسلام بدمائها وأموالها. وقد إنتصر ابو مسلم الخراساني (عبدالرحمن بن مسلم الكُردي) في هذه المنطقة (على نهر الزاب) على مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية سنة ٧٥٠م وقضى على الدولة الأموية. لكنه كوفيء بالقتل جزاءً لخدماته واضحى ضحية لتعصب العباسيين العرب تجاه الشعوب الإسلامية غير العربية (الأعجمية). وبعد أن قتل أبو مسلم الخراساني هجاه (أبو دلامة) في أبيات له قائلاً:

أبـا مجـرم مـاغيّـر الله نعمةً   على عبده حتى يغيّرها العبدُ
أفي دولة المنصور حاولت غدره   ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُرد

وقد نصب الخليفة المهدي، سنة (١٦٣هـ /٧٧٩م) إبنه (هارون الرشيد) والياً على كردستان وأذربيجان. وكان لهارون الرشيد قصر في كردستان قال فيه الشاعر:

(*١٣٥) محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص٣٥٥.

(*١٣٦) انظر: محمد امين زكي: تأريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، ص١٦٧، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤ نقلا عن: Administration report on the rowanduz district for the year 1919.

(*١٣٧) السيد عبدالرزاق الحسني: تأريخ العراق السياسي الحديث، صيدا - لبنان، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ص٢٧٩.

بقردى وبازبدى مصيف ومربَع　　وعذبٌ يحاكي السلسبيل برودُ

وبغداد ما بغداد أما ترابها　　فجمرٌ وأما حرها فشديدُ

ولكن الكُرد إتخذوا الدولة العباسية التي قامت على أكتافهم وأرض بلادهم ذريعة لتنظيم بلادهم تنظيماً سياسياً. فقد تشكلت في كردستان دول إسلامية كردية عديدة، كانت مستقلة في أمورها الداخلية وتدين بالولاء الإسمي للخليفة العباسي، منها دول أسستها العشائر الكردية التي نحن بصددها– أي (الرواندية، والهذانية). والدول هي:

الدولة الرواندية (٢٣٠ - ٦١٨هـ) في أذربيجان، التي أسسها رئيس العشيرة الروادية محمد الروادي (الرواندي - ماملان). كانت عاصمتها مدينة (تبريز - توريز) وتعتبر من أقدم الحكومات الكُردية في العصر الإسلامي. والحكومة السالارية بأذربيجان (٣٠٠–٤٢٠هـ). والحكومة الشدادية بآران (٣٤٠–٤٦٥هـ) ومؤسسها هو چامير چلمير (أبو الأسوار الروادي). والدولة الأيوبية بمصر والشام (٥٦٧ - ٦٨٥ - ٩٥٠هـ)، التي أسسها صلاح الدين الايوبي الرواندي. والحكومة الأردلانية (٦١٧ - ١٢٨٤م) التي أسسها بابا أردلان وهو من عشيرة رواندي فرقة (ماموبي)[*١٣٨]...

في عام (٢٩٣ هـ / ٩٠٦م) قامت عشيرة الهذانية بقيادة زعيمها (محمد بن هلال) بإنتفاضة عارمة وصلت فيها القوات الهذانية (آزون) أطراف الموصل[*١٣٩] وأشتبكت مع قوات أبو الهيجاء التغلبي على نهر (الخازر) في قتال إنهزم على إثره الحمدانيون ورجعوا الى الموصل يائسين. وبعد سنة جاءتهم النجدة من الخليفة العباسي (المكتفي بالله)، فزحفوا بجيش كبير على منازل ومواطن العشيرة الهذانية (الهذبانية) الكردية إضطرت على إثره زهاء خمسة آلاف أسرة منها الى الإعتصام بقمم الجبال والوديان ليتوجهوا بعدها الى اذربيجان. فيما بقي محمد (رئيس العشيرة الهذانية) في جبل (قنديل) فحاصرته الجيوش المعادية حصاراً شديداً، لكنه تمكن من الإنسحاب الى أذربيجان بسلام.

(*١٣٨) تنقسم عشيرة الرواندي بمنطقة (رواندز) الى اثنتي عشرة قسما: مام گرد، مام سالي، مام سيل، مام خال، مام بال، مام ليس، (ماموبي)، ممكه كال، مامسكي، پيربال، كەلو، مامەسام، واختلطت بهذه الاقسام فرق من عشائر غير رواندية وهي كما يأتي: شيخاب، ماليباس، نورك، هنارەيي، خيلاني، كاسان، شيخ محمودي، بامامي، دريچكي، سي كويي، هيربويي، شيكولي، منديك، پيراجي، بيمار. للتفصيل انظر: محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ٣٧٢. وكذلك: تأريخ الدول والأمارت الكردية في العهد الإسلامي، لنفس المؤلف ص٢٧٧، وأيضاً: علي سيدو الگوراني: من عمان الى العماديه، مصر ١٩٣٩، ص٢٤٥.

(*١٣٩) كانت الموصل قبل الفتح الإسلامي مدينة كردية يسكنها الماديون وكانت تسمى انذاك بـ(مسپلا - مصپلا– موصل) ولما اقبل خالد بن الوليد الى الموصل بالجيوش العربية وفتحها سنة (٢٠هـ/ ٦٤٠م) اسكن فيها من القبائل العربية التي كانت تصحبه ومنها (الخزرجيون). وقد جاء في تأريخ (جهان نما) التركي لمؤلفه حاجي خليفة الشهير بكاتب چلبي صاحب كشف الظنون. ان اهالي نفس مدينة الموصل أيضاً اكراد يتكلمون بالكردية وانهم علاوة على ذلك يعرفون اللغات العربية والتركية والفارسية. وفي اوائل هذا القرن كان الكُرد يشكلون اغلبية سكان الموصل. انظر: القس سليمان صائغ الموصلي: تاريخ الموصل، مصر ١٩٢٣، ص٤٠، ٥١. وخلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ص٢٥، وكذلك: The cardi mankind life in eastern Kurdistan by W.A.Wigram D.D. London 1936.

وفي سنة (٤٢٩هـ /١٠٣٧م) وصلت جموع الغزّ (الغز: عشيرة تركمانية من عشائر أطراف بخارى) الى أطراف (مراغه) فنهبوا المدينة وأسرفوا في القتل، ثم أغاروا على العشيرة الهذانية - الهذبانية الكردية وقتلوا منهم خلقاً عظيماً. بعد ذلك إتحدت جميع العشائر الكُردية في تلك الجهات مع حاكم (أذربيجان) وصدوا غارة الغز. وكان فريق من الغزّ قد وصل ارمينية فاحدث فيها مذابح عظيمة وتخريباً شاملاً ثم قفل راجعاً. ومرّ هؤلاء لدى رجوعهم بأطراف (أورميه) فإعترضتهم العشائر الكردية الخاضعة لزعيمها (ابي الهيجاء) الهذباني وتمكنوا من الحاق الهزيمة بهم.

وفي عام (٤٩٩ هـ / ١١٥٠ م) زحف جيش (محمد بن ملكشاه) السلجوقي بقيادة (جاولي سقاوو) على الموصل، فقابله ابو الهيجاء إبن موسك الكُردي الهذاني حاكم أربيل وأشيب (العمادية) وغيرها بتلك النواحي، الى جانب (جكرمش) حاكم الموصل في الطريق وقاتلاه أشد قتال.

وفي عام ٥٠٥هـ حينما اشتعلت نيران الحرب بين جيوش السلطان (محمد بن ملكشاه) وإمبراطور الروم إشترك فيها الأمير (أحمديل) رئيس العشيرة الرواندية ورئيس الحكومة الروادية بجيشه مع حاكم أربيل في المعارك التي دارت رحاها على ارض سورية وابلى فيها بلاءً حسناً، إذ تصدى لقائد جيوش ملك القدس الشهير (جوسلين Jaselin). هذا وكانت اسرة (احمديلي) آخر الأسر التي حكمت الدولة الروادية (الرواندية). ففي عام ٦١٨هـ إستولت قوات المغول على مدينة (مراغه) وأشعلت فيها النيران بعد أن نهبت ما فيها وقتلت أهلها. إلاّ أن ملكتها (منهوادادا) نجت من هذه الكارثة، لأنها كانت وقتذاك قابعة بين جدران قلعة (روين دز -رواندز)، وهي آخر ملوك الأسرة الروادية.

وهكذا إنقرضت الحكومة الروادية الكردية بعد ان دامت أربعمائة سنة. ولكن الدور السياسي لرجالات هذه العشيرة ظل مستمراً على مسرح الأحداث في كردستان وخارجها متمثلاً في الدولتين الأردلانية والأيوبية. فبعد ان إستولى صلاح الدين الايوبي على زمام السلطة عام ١١٧١م، نظّم الشؤون المالية وأعاد تنظيم القوات المسلحة، معظم جيش السلطان (يوسف صلاح الدين) كان مؤلفاً من العشائر الكُردية ومعظم قادته من الأمراء الكُرد الذين إشتركوا في جميع حروبه، امثال الكُرد السورانية والزرزارية والهَكارية والحميدية والميرانيه والرواندية والهذانية. ومنذ ذلك الوقت صار المقاتلون من الكُرد، الذين حلوا محل السودانيين والبربر والأرمن، عماد جيش صلاح الدين الذي حارب الصليبيين وردهم عن سورية وأنقذ بيت المقدس من أيديهم، ومآثره اشهر من ان تذكر[*١٤٠]. وقد اسس الملك الاشرف الايوبي فرعاً من الدولة الأيوبية في كردستان جعل مركزه مدينة (خلاط - الواقعة على الضفة الشمالية لبحيرة وان). وفي عهد الدولة الايوبية تولى الكُرد الإمارات والولايات في الاقطار التالية: مصر، سورية، كُردستان، خراسان، الجزيرة، أرمينيا، اليمن، طرابلس الغرب وبرقة.

ولكن اكثر هذه الدول انقرض مع زحف التتر (هولاكو، تيمورخان).

(*١٤٠) ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، دار التقدم موسكو ١٩٨٦، ص١٨٩.

واخيرا قام أحد ابناء (كلوس) الذي ينحدر من سلالة صلاح الدين الايوبي، بتاسيس الإمارة السورانية التي دام حكمها لقرون طويلة من الزمن ثم إنهارت لجملة أسباب وردت في هذه الدراسة للأستاذ الدكتور جمال نەبەز.

فبعد ان استُشهد مير محمد (ميري - كۆرە) في اوائل عام ١٨٣٧م، ظلت مدينة رواندز بيد أمراء من الأسرة السورانية الحاكمة (احمد بگ، سليمان بگ، رسول بگ) رغم ما بذله الاتراك من الجهد للقضاء عليها قضاءً مبرماً. فخضوع رواندز لحكم الأتراك كان إسمياً فقط، فجعلوها محافظة ثم قائمقامية. وكانت الحكومة العثمانية في أوائل الحرب العظمى تعتقد بأن الفرصة سانحة لغزو إيران وتوران ثم الوصول فيما بعد الى الهند لتحقيق فكرة الجامعة التورانيه. فأعلنت الحرب على الروس، وقد تعرضت منطقة رواندز لأضرار كبيرة اثناء الحرب العالمية الأولى على يد الروس والاتراك، حيث قام الروس بحرق المدينة بالكامل وارتكبوا بحق السكان جرائم شنيعة. وقاومهم الأهالي واخرجوهم من المنطقة. هذا وانزلت القوات التركية هي الأخرى بهذه المنطقة خسائر فادحة. إذ إرتكب كل من (عمر ناجي) و(ابراهيم البتليسي) كثيراً من أعمال القسوة والوحشية التي يعجز القلم عن وصفها.

وعندما سقط العراق بيد الانگليز، وقعت (رواندز) مع غيرها من مدن كردستان الوسطى تحت الإنتداب البريطاني، حيث تولى ادارة شؤون المنطقة معاون الحاكم السياسي الإنگليزي (ميجر نويل، كابتن كرك وغيرهما) الذي قام بدوره بتشكيل مجلس ادارة (حكومة محلية) من رؤساء ووجهاء المدينة ونواحيها. وفي عام ١٩١٩ نصّب الانگليز إسماعيل سعيد بگ[*١٤١] حاكماً على رواندز. إلاّ أن عملاء الانگليز والأتراك (من الكُرد) نجحوا في تدبير الدسائس وإشعال الفتن بين اثنتين من أكبر أسر المدينة. فنجم عن ذلك نزاع دموي وعداوة مريرة طال أمدها لعقود ومازالت آثارها باقية الى اليوم. وقد أدى النزاع في النهاية الى فقدان روح التآلف والتآزر بين وجهاء المدينة وإنقسامهم على ثلاث مجموعات متنافسة إحداها موالية للانگليز وأخرى للأتراك وثالثة محايدة. فجلبت السلطات البريطانية جراء هذا الشقاق والتحاسد العائلي أحد معتمديها عام ١٩٢٣ من كُردستان الشمالية وهو السيد طه

(*١٤١) وهو من احفاد أمراء السوران سقط ضحية للعداوة المريرة التي نشأت بين هذه الاسرة واسرة باويل اغا في رواندز. حيث قتل في خليفان اثر كمين كانوا قد نصبوه له وهو في طريق العودة من أربيل الى رواندز: كان شابا وطنيا مخلصا لقومه ومثقفا بثقافة عالية. وواحداً من ستة من النواب الكُرد (في المجلس النيابي) الذين قدموا طلبا الى رئيس الوزراء في شباط عام ١٩٢٩) وطالبوا الحكومة العراقية بما يلي: زيادة نفقات المعارف في كردستان – تأليف وحدة ادارية تضم ألوية السليمانية، وأربيل وكركوك ولواء آخر يكون جديدا من الاقضية الكردية في لواء الموصل (دهوك)، وان يتولى امر هذه الوحدة الادارية مفتش كردي عام، يكون الصلة الوحيدة بين هذه المنطقة (كردستان)، وبين حكومة بغداد – زيادة نفقات المصالح العامة في منطقة كردستان. وعلى اثر هذا الطلب شرعت الحكومة العراقية قانونا بجعل اللغة الكردية لغة رسمية في المناطق التي يكون الكرد فيها الاكثرية الساحقة. واوعزت بالقيام ببعض الامور الطارئة في كردستان وازالة اسباب الشكوى. انظر: السيد عبدالرزاق الحسني: تأريخ العراق السياسي الحديث، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ص٢٩٠.

أفندي الشمزيني ونصبته قائمقاماً على رواندز، لكنه استقال عام ١٩٢٨ بعد سفره الى إيران.

إن الانكليز يعرفون جيداً ماهي نقطة ضعف الكرد، إذ يقول الميجر سون:

«ان الكُردي دائماً مقدام شجاع لايُقهر وبعيد عن التسليم وطاعة الغير، فلم يخضع لأحد قط ولا إنكسر إلاّ في حروبه الداخلية، وهو ما زاد نفوذ الغاصبين والمحتلين لبلاده ومكّنهم منه».

وهكذا نجد أن الشقاق الذي كان مستحكماً بين رؤساء هذه المدينة (رواندز) قد أفضى في النهاية الى شقاق أكبر بين قبائل المنطقة وإندحارها جميعاً، وبالتالي الى عدم تمكن الكُرد من إستغلال الفرصة الذهبية التي خلقتها الحرب العالمية الأولى لخدمة الحركة التحررية الكُردية وتأسيس دولة قومية للشعب الكردي، تلك الدولة التي من أجلها ناضل (ميري كۆره) ودفع حياته في النهاية ثمناً لها، مثله كمثل الكثيرين من جنود وضباط جيشه وابناء الشعب الكردي، الذين لم يبخلوا في التضحية من اجل كرامة الكُرد وإستقلال بلادهم كُردستان.

وبصورة عامة بإمكاننا القول أن احفاد أمراء سوران، الذين جاءوا بعد الأمير محمد (ميري كۆره)، كانوا إما مفتقرين الى المزايا الشخصية العالية، أو أن الحظ تنكر لهم. ولايسعني هنا إلاّ أن اشير الى القول السومري الآتي:

«إذا حصل الفقير على الخبز عَدِمَ الملح
واذا كان لديه الملح عَدِمَ الخبز
واذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل
واذا كان لديه الحمل فيكون قد فقد اللحم»

أصبحت (رواندز) بعد تأسيس الدولة العراقية مركزاً لقائمقامية قضاء تابع لمحافظة أربيل- هولير. واذا ما قورنت بما كانت عليه من تقدم عام ١٨٣٦، فإنها الآن لاتعدو أن تكون إلاّ شبحاً لمدينة صامدة بين الجبال قليلة العمران مهجورة السكان. فالسلطة الحاكمة في العراق (حزب البعث) قامت أخيراً بإلغاء مركز قضاء (رواندز) بهدف القضاء على أمجاد الشعب الكُردي ومحو الآثار التاريخية لهذه المدينة الكُردية الباسلة، التي تنتظر النجاة من الظلم والطغيان، كبقية مدن كردستان[*١٤٢]...

ڤيينا-النمسا
فخري سلاحشور

(*١٤٢) ان معظم المعلومات الواردة في هذه اللمحة التأريخية مأخوذة من: محمد امين زكي: خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، وتأريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي.

ملحق اضافي

اضواء اخرى جديدة على عوامل سقوط دولة سوران

بقلم المؤلف

منذ ان طبعت دراستي هذه بالالمانية قبل عشرين عاماً والى يومنا هذا نُشرت من قبل بعض الكتاب والمثقفين الكُرد مقالات وتعليقات مقتضبة حول الموضوع وهي تتركز في مجموعها على العوامل التي أدت الى إنهيار دولة سوران، وبصفة خاصة الدور الذي لعبه الملا الخطي (ختي) في ذلك الحدث. وقد إستندت هذه المقالات والتعليقات على المصادر السابقة المعروفة في الشرق، ومن جملة تلك النتاجات:

١- زبير بلال إسماعيل: محمد الخطي ونهاية الإمارة السورانية، في: مجلة (الحكم الذاتي) العدد الرابع/ السنة السابعة، أربيل ١٩٨٣، ص١٣-٢٦.

٢- الدكتور كاوس قفطان، دراسات في تاريخ بابان وسوران وبوتان (باللغة الكردية) بغداد ١٩٨٥.

٣- عبدالفتاح علي يحيى: الهجوم العثماني على كُردستان وسقوط إمارة سوران. في العددين ٥٢ (كانون الثاني) و٥٣ (شباط / مارت ١٩٨٧) من مجلة (كاروان) الصادرة باللغتين الكردية والعربية في أربيل.

٤- مسعود محمد: تثنية الحج الى أعتاب العلامة الخطي، في العددين ٧١ (كانون الثاني) و٧٢ (شباط ١٩٨٩) من مجلة (كاروان)، الصفحات ١٤٥-١٥١ و١٣٩-١٥١ على التوالي.

إن ما قام به الكُتّاب الثلاثة الأوائل زبير بلال إسماعيل والدكتور كاوس قفطان وعبدالفتاح علي يحيى ماهو الا إعادة سرد على ضوء محتويات بعض المصادر المعروفة والمستعملة، وفي مقدمتها ما ورد في كتاب (تاريخ إمارة سوران) للمؤرخ الراحل حسين حزني موكرياني. أما الكاتب الرابع مسعود محمد فقد نقل خبراً جديداً مفاده أن الملا الخطي أصدر فتواه (بموافقة ميري كوّره وأسرته). (راجع مقال مسعود محمد في «كاروان» العدد ٧١ كانون الثاني ١٩٨٩، ص١٤٦). هذا وقد سعى الكاتب جاهداً لتبرئة ذمة الخطي من الذنوب والتهم التي تُنسب اليه من عامة الكُرد ومثقفيهم وفي مقدمتهم حسين حزني موكرياني.

هذا وقد وجدت من الأفضل ان ارفق بكتابي هذا نصوص المقالات المذكورة ليقف القاريء على ما جادت به أقلام المثقفين الكرد في هذا المجال، وذلك خلال العقدين الماضيين. علماً بأن كتابي هذا قد أصبح مصدراً للباحثين في التاريخ الكُردي في أوروپا وليس في الشرق. ذلك لأن اللغة الألمانية التي كتب بها الكتاب ليست متداولة بين المثقفين والعلماء الشرقيين إلاّ القليل منهم. هذا ومن جهة اخرى، فقد عُثر في الآونة الأخيرة على مصدر جديد هام لم يُستخدم لحد الآن من قبل أي باحث في

الموضوع واليكم شرحاً لذلك: في صيف ١٣٦٦ بالتاريخ الهجري الشمسي أي ما يقابل عام ١٩٨٧ بالتاريخ الميلادي نشر المؤلف والباحث الكُردي محمد رؤوف توكلي كتاباً في طهران تحت عنوان (تاريخ وجغرافياي كُردستان موسوم بـ(سِيَر الكُرد). هذا الكتاب من تأليف رجل كُردي إسمه عبدالقادر إبن رستم الباباني، لايُعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته. ويظهر من كنيته أنه ينتمي الى الطائفة البابانية الكردية المعروفة. ويستنتج من محتوى كتابه انه كان على ارتباط بأمراء الكرد البابانيين والأردلانيين والموكريين والسورانيين. فهو يروي أخبارهم ويذكر انه استند في تأليف كتابه على المصادر الموثوقة. وكتابه الذي ألّفه باللغة الفارسية وبأسلوب يدل على قلة صنعته في هذه اللغة التي هي ليست لغته الأم. لقد فرغ من تأليفه يوم ٢٤ ذي القعدة ١٢٨٦ أي في ٢٥-٢-١٨٧٠م، ويستفاد من متن الكتاب بأن والد المؤلف كان معاصراً لأحداث سقوط إمارة سوران وبابان، وأن المؤلف نفسه كان على علم بما حدث في الإمارتين والإمارات الكردية الأخرى في هذه الفترة من الزمن. ما يهمنا في هذا المجال هو أن المؤلف قد خصص فصلاً من كتابه (وهو الفصل الثامن بالتحديد) لذكر الطائفة الكُردية السورانية في رواندز. وفيه يتطرق الى عهد حكومة محمد بگ الرواندزي أي (ميري كوّره) او (ميره كويّر) كما يسميه هو بلهجته الكُردية المحلية مستطرداً في كيفية سقوط دولته.

يصف المؤلف أولاً كُرد رواندز، فيقول في (ص١٧٧): «هذه الطائفة هي مجموعة من الناس تمتاز بالجهل ولاتبدو فيهم الاعراف والتقاليد التي تبرز بجلاء عند كُرد أردلان وبابان وموكريان، لكنهم يمتازون بالثبات في أمور دينهم وشجاعتهم الفائقة وبعدهم التام عن الخسة والدنائة، وقد كانت تحكمهم عائلة واحدة منذ ٢٠٠ سنة.»

وعن ميري كوّره يقول الكاتب المذكور في (ص١٧٨): «تمكن محمد بگ مير رواندز من بناء حكمه على القانون والعدل، وإبتعد عن الجور والإستبداد، ونصره الله جل وعلا، فتمكن من تثبيت مكانته في فترة قصيرة»

ويصف المؤلف شخصية ميري كوّره قائلاً: «كان محمد بگ مير رواندز أعور أعرج، لايقرأ ولايكتب إلاّ انه كان يتحلى بأخلاق فاضلة وسيرة حسنة شجاعاً لايهاب أحداً.»

ثم يقول: «جيشه يكان مؤلفاً في البداية من -٥٠٠٠- محارب مسلح من المشاة. وأخذت إمارته ترتقي وتزدهر يوماً بعد يوم. ومنذ البدء تمكن من القضاء على جماعة من المتمردين قضاءً مبرماً ووصل في سياسة ملكه ونظام حكمه حداً لم يترك فيه رجلاً أو امرأة مذنبين دون عقاب.»

ثم يستطرد في (ص١٧٩) فيقول: «قتل (ميري كوّره) إبن اخيه بسبب نصف أوقية من العنب»

إلاّ أن المؤلف لايتحدث عن تفاصيل وملابسات الواقعة.

إن ما أورده الباباني لحد الآن مطابق تماماً للتقارير الأخرى حول شخصية الأمير واسلوب حكمه،

عدا زعمه بأن الأمير كان أمياً (لايقرأ ولايكتب)، لأن الدكتور روس الذي إلتقى بالأمير شخصياً لم يتحدث عن ذلك إطلاقا. علاوة على ورود ما يناقض ذلك في تقرير الباباني نفسه كما سيأتي بيانه.

ويأتي المؤلف بعد ذلك الى معاملة ميري كوّره لليزيديين، فيقول في (ص١٧٩):

«بعد ان نظم (ميري كوّره) شؤون ولايته توجه على رأس ستة آلاف مقاتل الى جبل زنگارية[١] وقرى الداسنيين من عبدة الشيطان. وجبل زنگارية هذا شاهق جداً وتوجد هنالك ٣٠٠ قرية كلها لعبدة الشيطان. إشتبك محمد بگ مير رواندز مع تلك الطائفة في حرب ضروس وتغلب عليهم. ووقع من رؤسائهم علي بگ وبدر بگ في الأسر. وساق محمد بگ (الرواندزي) (١٠٠٠٠) شخص من ذكور واناث الإيزيديين أسرى الى مسقط رأسه (رواندز). وهناك خاطب باديء ذي بدء علي بگ، الذي كان حاكماً موقراً لدار الحكومة في سنجار وشاباً بهيّ الطلعة دمث الخلق، فقال له:

يا ولدي ماذا دهاك حتى اصبحت تستغيث بمن طرده الله من داره[٢]. وتعرض عن طاعته؟ أمامك الآن أمران لا ثالث لهما: اولهما هو أن تلعن الشيطان الرجيم وتعترف بوحدانية الإله الواحد الرحيم ونبوة الهادي محمد دون قيد أو شرط. فإن فعلت ذلك رفعتُ مقامك وجعلتك حاكماً على جبل زنگارية (سنجار) بأسره. أما الثاني، أن تنال السيف الذي سيقطّع اوصالك. إني أقول لك ذلك لشفقتي على شبابك وصغر سنك، وإلاّ فإنّني لاأعامل المقصّرين، والملحدين منهم خاصة إلاّ بضرب الأعناق.»

ثم يستطرد المؤلف في (ص١٧٩) قائلاً:

«إلاّ أن علي بگ لم يقبل بما قال (الأمير) وردّ عليه قائلاً:

– انا أعبد الله الواحد الأحد، ولا أترك طاعة الملك الأفخم والطاووس الأعظم، لأنه معلم الملائكة أجمعين في السموات السبع.

وإستشاط الأمير غضباً لسماعه هذا الرد. فأمر بقتله ثم بقتل الآخرين، إلاّ أن بدر بگ الذي قبِل دين الإسلام نجا من الموت. كما إتخذ الباقون الإسلام لهم ديناً، فنجوا من الموت بإستثناء ١٠٠ شخص منهم تمسكوا بدينهم، فذهبوا الى دار القرار.»

يطابق تقرير الباباني هذا معظم التقارير الأخرى المتعلقة بملاحقة ميري كوّره للإيزيديين، وخاصة تقرير حسين حزني موكرياني بهذا الصدد. ولكن يظهر بجلاء من هذا التقرير اكثر من غيره ان ميري كوّره كان يعتقد خطأ بأن الإيزيدية تعني (عبادة الشيطان) وكان يعمل في سبيل إرغام الإيزيديين

١– المقصود من (زنگارية) (سنجار) من المعلوم أن الكُرد يسمون (سنجار) (ژەنگار) (بالزاء الفارسي) او (شنگار).

٢– يقصد من ذلك إبليس الذي كان من الملائكة المقربين، الا انه استكبر وابى ان يسجد لادم فطرده الله من الجنة. وهذا يدل على ان ميري كوره كان يعتقد كعامة الناس بأن الإيزيديين هم عبدة إبليس. وهذا بطبيعة الحال ليس صحيحا، لان الإيزيديين ليسوا بعبدة الشيطان، بل يعبدون الله ولايشركون به شيئا، أما طاووس ملك فهو من اولياء الله المقربين.

على الدخول في دين الإسلام بإعتباره دين الحق. واللافت للنظر هنا هو عدم ذِكر الباباني لشيء عن تحريض علماء المسلمين- ومنهم مزوري وختي وجزيري- لإثارة حفيظة ميري كۆره ضد الإيزيديين.

ثم يتحدث الباباني عن الثروة الطائلة التي حصل عليها الأمير من الذهب والفضة والنقود جراء استيلائه على كنوز واموال الإيزيديين، فقويت لذلك شوكته وصولته بعد تمكنه من إستنفار (٤٠٠٠) جندي مسلم آخرين أضافهم لجيشه.

ثم يضيف الباباني قائلاً: «لقد تمكن (أي الأمير) من بسط نفوذه على ولايات أربيل وپردێ[٣] (آلتون كوپري) وئاكرێ (عقره)[٤] والعمادية وجبل زنگاريه (سنجار) الى أطراف دياربكر، وكانت ولايات كوي وحرير من جملة ممتلكاته التي إحتلها (في وقت سابق). وقد تمكن كذلك من توسيع رقعة نفوذه في نواحي أذربيجان وأطراف مرگور وبرادوست. واستطاع في غضون أربع أو خمس سنوات ان يبلغ درجةً من القدرة واستقلالية ما لم يكن يتصوره عقل.»

ويطابق هذا أيضاً ماورد في التقارير المعروفة لحد الآن بل ويؤيدها.

ثم يستطرد المؤلف في (ص١٨٠) قائلاً: «تلقى علي رضا پاشا وزير[٥] بغداد هذا التطور بقلق بالغ. فخوّل محمد پاشا متصرف الموصل، الذي كان رجلاً في منتهى الشجاعة والبأس، مراراً وتكراراً أن يستأصل شأفة ميري كۆره. فوقعت بينه وبين پاشا الرواندز حروب عديدة عاد منها (محمد پاشا متصرف الموصل) خالي الوفاض. لقد كانت قوة كۆره وهيبته تزدادان مع الأيام. لقد كان تحت تصرفه (٦٠٠٠٠) مسلح من المشاة يرأس كل ألف منهم منها أحد العقداء. وكان قد نصّب على الولايات المحتلة حكاماً من سكان رواندز.»

ويطابق هذا أيضاً ما جاء في التقارير السابقة، علما بأن الباباني يستعمل كلمة (الوزير) للوالي العثماني، ومحمد پاشا متصرف الموصل هو محمد پاشا اينجه بيرقدار. كما وان تقديره لعدد أفراد جيش ميري كۆره تقدير معقول يطابق التقدير الذي ورد في تقرير موكرياني ومعظم التقارير الأخرى.

ثم يتكلم المؤلف عن تصادم محمد رشيد پاشا العثماني مع محمد پاشا أمير رواندز، وإلقاء القبض على الأخير في (ص١٨١) قائلاً:

«لقد إضطربت أوضاع العراق العربي بشدة نتيجة تسلّط محمد پاشا أمير رواندز على الأمور. وأخذ (والي العراق) يشكو حيرته وإضطرابه الى أولياء الدولة العثمانية، وصادفت

٣- يذكر المؤلف كلمة پل الفارسية أي الجسر العربية او (پرد) بالكردية ويقصد بها منطقة پردێ الكردية التابعة لكركوك التي كان العثمانيون يسمونها (التون كوپري) أي الجسر الذهبي ولازالت تلك التسمية تستعمل بصورة رسمية في العراق.

٤- يستعمل المؤلف كلمة اكره الكردية مقابل عقره المستعربة، فكلمة عقره هي مستعربة عن اكره الكردية ومعناها موقد النار او النار فقط.

٥- يسمي المؤلف الوالي بـ(الوزير).

هذه الواقعة أيام حكم (السلطان) محمود خان[٦]. واضطُر محمد رشيد باشا الصدر الاعظم، الذي كان رئيساً لتلك الأمصار ومفوضاً من قبل دولة الروم[٧]، لأن يتوجه على رأس (٨٠٠٠٠) جندي (من المشاة) و(٣٠٠٠٠) من الخيالة لإحتلال رواندز والقضاء على محمد باشا. وتحرك في الوقت نفسه من جانب حكومة إيران الشاهزاده الشجاع ميرزا[٨] حاكم اذربيجان ومحمد خان أمير نظام الى حدود لايجان[٩]. وقد رافق الشاهزاده والأمير (نظام) من قوات أذربيجان وأردلان وموكريان ما يقرب من (٢٠٠٠٠) نفر.»

ولايذكر المؤلف هنا بالضبط ما إذا كانت القوات الإيرانية قد إستعدت لمساندة القوات العثمانية أم لمساعدة ميري كوّره، علماً ان هنالك تقارير أخرى تفيد بان انگلتره وروسيا كانتا تسعيان لإقناع القاجاريين والعثمانيين بالتعاون فيما بينهما ضد الكُرد. إلاّ أن المؤلف باباني يستطرد في تقريره ويضيف ما يستفاد منه ان القاجاريين قد حاولوا التدخل في الأمر لصالح ميري كوّره، رغم انهم لم يستمروا على ذلك العمل، فيقول:

«قام والد مؤلف هذه السطور في تلك الأيام بتقديم خدمات الى إيران بما قيمته مائة ألف تومان على حساب پاشا رواندز.»

ثم يضيف قائلا: «ارجو من قرّاء هذه الرسالة بأن لايشكّوا أبداً في أن لهذا العبد الحقير[١٠] أي غرض او شأن في هذا الموضوع. يشهد اللهُ على أني منذ بداية تحرير هذا الكتاب وحتى هذه اللحظة تجنبت الإطناب ولم انحرف نحو الأغراض النفسانية والهواجس الشيطانية قيد شعرة. فمعاصرو هذه القضية كثيرون ولازال كثير منهم احياء يرزقون، وقد قمت بتحقيق كل جزء من هذه القصة عند أحدهم وجعلتهم يتفحصون تقريري هذا بدقة تامة.»

الجدير بالذكر هنا ان المؤلف لايشير الى منصب ومهام أبيه ومدى علاقته بميري كوّره، إلا أنه يلوح في محل آخر من تقريره الى علاقة والده بأمراء القاجاريين ومحمود پاشا الباباني، حيث يقول بان والده كان متكفلاً ببعض الخدمات في إمارة بابان عندما كانت الإمارة ضمن النفوذ الإيراني بعد إعلان محمود پاشا أمير بابان ولاءه لإيران (ص١٩٩). وبهذا يتضح من التقرير بأن والد المؤلف –إن لم يكن المؤلف نفسه أيضاً- قد رأى أحداث سقوط إمارة سوران بأم عينه، وكان على اتصال بساسة

٦- يقصد المؤلف بمحمود خان السلطان محمود الثاني الذي يعطي المؤلف تأريخ ميلاده بـ٢٢-١-١٨٠٩ وتاريخ وفاته بـ ٤-٥-١٨٣٩، وهذا صحيح.

٧- يسمى المؤلف كسائر الكُرد الاتراك العثمانيين بالروم لان العثمانيين قد استولوا على ممتلكات الروم وحكموا عوضا عنهم.

٨- الظاهر يقصد المؤلف عباس ميرزا القاجاري الذي كان حاكما لاذربيجان انذاك.

٩- لايجان مدينة كردية تقع في القسم الشرقي من كردستان (الجزء الايراني) ويسميه الفرس (لاهيجان) والكُرد يسمونه (لاجان).

١٠- يقصد المؤلف (باباني) نفسه وهو يقلد في ذلك الكتاب الفرس الذين يستخدمون هذا الاصطلاح تواضعا.

ذلك الزمان من الكُرد والقاجاريين على أقل تقدير.

ثم يستطرد قائلاً: «وبالمناسبة فقد خرج رشيد پاشا الصدر الأعظم من القسطنطينية على رأس جنوده وعساكره قاصداً إحتلال رواندز. ولما علم محمد پاشا (الرواندزي) بذلك قام بمراسلة أمر نظام (القاجاري) مجدداً طالباً منه العون. ومن جانب إيران أمر السرتيب (اللواء الركن) سليمان خان المسيحي بالتوجه على رأس ثلاثة أفواج من الجنود و(٥٠٠) من الخيالة لمساندته (محمد پاشا الرواندزي).

ولكن رشيد پاشا كان قد حشّد جنوده وقواته حول رواندز في الوقت الذي بدأ فيه جيش إيران بالتحرك. ودافع محمد پاشا (رواندزي) عن نفسه، إلاّ أن محمد پاس- الذي كان قد عُيّن قائداً عاماً لقواته (قوات ميري كۆره - نەبەز) أعلن عن ولائه في الخفاء لرشيد پاشا الصدر الأعظم. ولهذا فشلت جميع محاولات محمد پاشا لحثّ الجيش على القتال. فاضطر للإستسلام للقضاء والقدر وقدم طاعته الى الصدر الاعظم مُكرهاً. فسقط من مأمنه وإستولى محمد پاشا الصدر الاعظم على خزينة ودفينة محمد پاشا، وبعثر جيشه واستولى على اسلحته، وأمر جنوده بمزاولة اعمالهم الزراعية والتجارية القديمة. وأخذ (الصدر الاعظم) محمد پاشا مع أمواله الطائلة الى إستنبول وأعاد الولايات التي كانت تحت حكمه (حكم مير كۆره - نەبەز) الى الوالي (العثماني)، ونصّب على رواندز حاكماً من العثمانيين. أما أخوه رسول پاشا، فقد إعتزل المناصب وسكن مع عياله وامواله في بغداد.»

يظهر من هذا البيان ان ميري كۆره لابد وأنه كان على إتصال سابق بالسلطات القاجارية لكي يراسلهم مجدداً. ويظهر أيضاً أن القاجاريين قد أعدوا العدة مقدماً لحماية ميري كۆره، إما بسبب عامل الرشوة أو تحت تأثير بعض المصالح والمآرب الأخرى. إلاّ أنهم لم يدخلوا أي حرب ضد العثمانيين، وهذا الخبر يطابق ما ورد في سائر التقارير الأخرى. أما إعتذار المؤلف باباني للجيش الإيراني بأنه لم يدخل الحرب لأن رشيد پاشا (بادر بحشد جنوده وقواته حول مدينة رواندز) فهو عذر واه، وإدعاء باباني بأن الإصطدامات لم تحدث بين جيش ميري كۆره وجيش العثمانيين بسبب خيانة قائد الجيش السوراني الذي يسميه المؤلف (محمد پاس) رغم أن ميري كۆره نفسه يحث جيشه على القتال، فهو نبأ مماثل لما ورد في بعض التقارير الأخرى، وبصفة خاصة التقارير الأوروپية كتقرير ميلنگن وفريزر ومينورسكي وسون، من الذين يتكلمون عن الخيانة دون ان يدخلوا في تفاصيلها. ومن الجدير بالملاحظة هو ان الباباني يذكر إسم (محمد پاس) كقائد لجيش سوران، علما بأن هذا الإسم لم يرد في أي تقرير آخر، لأن رسول پاشا أخو ميري كۆره كان قائد جيش سوران. ومن الملفت للنظر كذلك أيضاً أن لايذكر الباباني إسم الملا الخطي أو أي عالم ديني آخر ولايشير الى دورهم، أو بالأحرى فتواهم في قضية سقوط إمارة سوران.

ثم يستطرد المؤلف في روايته ويتكلم عن مقابلة السلطان العثماني لمير محمد الرواندزي، فيقول في

(ص١٨٢-١٨٣): «أوصل الصدر الاعظم مير رواندز الى دار السلطنة، ففُرضت عليه الإقامة الجبرية وكان يُصرف له راتب يعتاش به. قضى (ميري كۆره) سنتين تقريباً على هذه الحال. وصادف أن يقع مسكنه بجوار دار أحد موظفي الدولة الكبار، الذي تعرف على المير واشفق على حاله، فكان يدعوه دوماً الى دائرته ومضيفته ولايألوا جهداً في مساعدته، وكان يذكره بخير عندما كانت تسنح الفرصة في حضور السلطان محاولاً تبرئة ساحته مما لصق بها من تهم المخالفة والعصيان. وقد عرض ذلك الشخص على السلطان في بحر سنة واحدة قدراً من هذه الشفاعات ما جعل (السلطان) يميل الى لقائه. فقال السلطان لهذا الشخص:

- أحضرِ لنا محمد پاشا في إحدى الليالي عندما يخلو البلاط.

لقد كان من عادات سلاطين الروم[١١] في ذلك الوقت قيامهم بالعفو عن جميع تهم المقصّرين بحق الحكومة عندما كان يدخل المخالف أو المقصّر منهم على السلطان في حالة إنفراده. وكان القيصر يقبل طوعاً كل إقتراح يجول في خاطر الشخص المذنب.

خلاصة القول، اوصل ذلك الشخص ذات ليلة مير رواندز الى حضرة السلطان، فمسح المشار اليه (مير رواندز - نەبەز) بجبين التعبد وفي منتهى الذل والمسكنة التراب الذي كان يقع تحت قدمي السلطان طالباً العفو والمغفرة. فأشفق (السلطان) عليه، وقال له:

- لقد عفوت عنك وسوف نعيد لك ولايتك الموروثة والمستحصلة، ولكن سُتعاقب اذا ما تقاعست من الآن عن اداء واجبك في خدمة الدولة.

وسجد محمد پاشا لهذه المكرمة شاكرًا وإتخذ من الله شاهداً على قوله، فأفاد:

- سوف اطيع أوامر سلطاني بروحي وجسدي وليقبّحني الله إذا ما خالفت رسم العبودية والتبعية.

وفي نفس اللحظة قدّم له السلطان جبّة مزيّنة بأشرطة كهدية وأعاده الى مسكنه. وفي صباح اليوم التالي أخبر السلطان الصدر الأعظم بأن تسجل الاراضي المذكورة في السجل العمومي بإسم محمد پاشا. فدُهش زعماء الدولة كلهم من هذا الإجراء دون أن يجرؤ أي منهم على رد ذلك او منعه، وتم تنفيذ اوامر السلطان فوراً.»

ثم يتكلم المؤلف عن إعادة ميري كۆره كحاكم على رواندز وعن معارضة علي رضا پاشا والي بغداد لذلك، فيقول:

«بموجب أوامر القيصر[١٢] أصبح مُلك الولاية من نصيب المير كعطاء له. فتحرك المير نحو بلاده معززاً مكرماً. فبعث وكيل علي رضا پاشا والي بغداد بهذا الخبر الى علي رضا پاشا بواسطة الساعي الحكومي. ولما سمع علي رضا النبأ ذهل وإندهش كثيراً. فكتب الى الصدر الاعظم ورجال الدولة فوراً ما مفاده أنه وبعد ان يدخل محمد پاشا ولايته يُرجى ان تُعفوني

١١- راجع الملاحظة رقم (٧) في هذا الفهرست.

١٢- يسمي المؤلف (باباني) السلطان العثماني مرة بالقيصر ومرة اخرى بالشاه.

من العمل في العراق، لأني أرى وقد اصبح في المرة السابقة ضرورياً ان يخول الصدر الاعظم برفع أخطار مير رواندز، فمن المحتمل في هذه المرة ان يكون حضور السلطان بنفسه ضرورياً لإخماد نار شره. وأرسل في اليوم نفسه عريضته تلك الى استنبول، قدمها وكيل وزير بغداد بدوره الى الوزراء العثمانيين، الذين قدموا العريضة بدورهم الى السلطان، وقالوا له: ان علي پاشا لايوافق على إعادة محمد پاشا ولهذا قدم استقالته عن حاكمية بغداد.

وتفضل السطان بالقول:

– إن هنالك عداءً قديماً بينه (ميري كۆره ... نەبەز) وبين علي رضا پاشا، ولهذا لايؤخذ كلامه (كلام علي رضا پاشا -نەبەز) هنا بنظر الإعتبار. أما الصدر الأعظم فقد قال له:

– بما أن علي رضا پاشا رجل جليل الشأن فإنّ لم يحترمه محمد پاشا ولم يحسب نفسه تابعاً له فإنّ حبل الامن سيضطرب بلاشك في ولاية العراق. فعلى محمد پاشا إذن ولمجرد تشرفه بمقابلة السلطان أن يعود الى مقر حكومته، ولكن قبل ان يذهب الى داره عليه ان يتوجه الى والي بغداد وان يتصالح الإثنان مع بعضهما ثم يذهب بعد ذلك الى دياره.

ووافق السلطان على ما إقترحه الصدر الأعظم وأمر بإعلام محمد پاشا أمراً يتضمن وبمجرد وصول هذا التوقيع اليه التوجه الى بغداد والإلتقاء بالوزير وأن يطلب من وزير بغداد إكمال قضية حكمه.

وصلت الرسالة الى مير رواندوز وهو على بعد ستة فراسخ خارج استنبول، ولما إطلع على مضمونها إستخف بها وقال:

– عندما كنت لم أتشرف بعد بمقابلة السلطان لم أكن أرضى أبداً بتبعية وزير بغداد، ولكن وبعد أن تشرفت بلثم أنامل قيصر المقدسة فكيف ارضى أن البس ثوب العار والشنار؟

ولابد أنه كتب رده على الفرمان السلطاني بهذا الشكل أيضاً. ثم اعاده بيد الساعي وواصل طريقه الى ولايته.

وقدم أمناء دولة الروم كتابه المبعوث عن سماجة عقل وسخافة منطق الى حضرة السلطان، فتفضل القيصر بالقول:

– أكتبوا رسالة ثانية وقولوا له بأن ولي نعمتك يرجو منك أن تقابل علي رضا پاشا قبل أن تدخل ولايتك، ثم تذهب بعدها الى مقصدك، ذلك لأن شعلة عواطفنا السامية قد شملت إنارة ساحة اوضا ع ذلك الخادم المخلص للدولة. لذا نود أن نصلح اموره على كل حال. فإنّ علي رضا پاشا هو والٍ على العراق والحجاز وهو متميز عن سائر حكام البلاد. وثواب ذلك هو ان تقابله وبعد ذلك تفعل ما تشاء.

وبعد كتابة هذه الرسالة تم تحرير رسالة سرية الى حكام الولايات التي تقع على طريق عودة ميري كۆره الى بلده، تتضمن أمراً لحكامها، فيما اذا وصلت رسالة السلطان الى محمد پاشا في أي ولاية كان قد وصلها ووجدوه مصراً على رأيه السابق، فعليهم أن يوقفوه في

ذلك البلد حتى إشعار آخر.»

ثم يتكلم الباباني عن إلقاء القبض على ميري كوّره وقتله بأمر السلطان العثماني:

«أخذ ساعي البريد طريقه مختصرة وإلتقى بمير رواندز في مدينة سيواس وأعطاه الفرمان السلطاني. إلاّ أن المشار اليه قال له:

– انني باق على ما قلته سابقاً ولن أذهب للقاء علي پاشا ولن أُدخله في الحسبان.

وقد حرر الجواب على هذا المنوال.

ولما وقف الساعي على تكبّر وغرور المير، ذهب على الفور الى حاكم المدينة وقدم له توقيع القيصر. فخول الوالي جماعة لوضع محمد پاشا تحت المراقبة الى أن يتسلم الإشعار الآخر.

وفي اليوم الثاني ذهب الساعي الى إستنبول وقدم كتاب المير الى رجال الدولة الكبار. فإندهش الكل من خفة عقل المير وتأسفوا على السعادة التي خسرها. ثم أخذ الصدر الاعظم الرسالة واعطاها للسلطان وقال له كنت على علم بحماقة هذا الرجل، إلاّ أن شموله بإلتفاتاتكم السلطانية حال دون أن يتمكن خادمكم من رد الفرمان الذي اصدرتموه.

فإستشاط السلطان من معطيات الصدر الاعظم غضباً وأمر بإحضار ذلك الشخص الذي توسط بينه وبين ميري كوّره. ولما حضر ذلك الرجل قال له السلطان:

– لقد اوقعتني في خطأ جسيم، لقد أتيت بشخص غير مجرب الى حضورنا وأسقطت بذلك هيبة السلطنة.

وحاول ذلك الشخص تقديم الإعتذار للسلطان، إلاّ أن إعتذاره لم ينل قبولاً وضُرب عنقه في الحال. ثم أمر السلطان الصدر الأعظم بالكتابة الى حاكم سيواس بوضع محمد پاشا فوراً في جولق وأن يُقذف به في البحر.

وتحرك الساعي بأمر من السلطان في نفس اليوم فوصل الى سيواس في غضون ثلاثة أيام وأعطى الحاكم رسالة الشاه (السلطان - نەبەز) فبعث الحاكم بدوره شلة تحت جنح الظلام الى المير فشدوا وثاقه ثم وضعوه داخل جولق كما كان مقرراً وألقوه في اليم. وبذلك أخمدت مياه البحر نيران الفتنة التي أضرمها المشار اليه سالكاً ذلك البائس طريقه الى دنيا الندم.

ومن ذلك التاريخ والى يومنا هذا تعين الدولة العثمانية بنفسها حكاماً على ولاية رواندز. وقد اصبحت الرسوم والقواعد القديمة مهجورة بكاملها بين سكانها، وتنظيمات الدولة (العثمانية) قائمة ومتداولة فيها كسائر البلدان الأخرى.»

وهنا ينتهي التقرير المتعلق بكردستان رواندز قدمناه لكم بصورة موجزة (ص ١٨٦). وهنا تنتهي أيضاً ترجمة النص الكامل لذلك التقرير الذي كتبه الباباني وقد نقلناه من الفارسية الى العربية بأمانة تامة لأهميته في مجال هذه الدراسة.

يمتاز هذا التقرير بكونه يشرح تفاصيل الحادث اكثر من غيره، ومن يتفحص التقرير بدقة سيجد

أنه يطابق معظم التقارير الأخرى من حيث ان الأمير قد صدر عنه العفو بواسطة الباب العالي وصدر الأمر بإعادته فعلاً الى سابق ولايته، إلاّ انه قُتل في الطريق وأُلقي به في اليم. أما الفرق الجوهري بين هذا التقرير والتقارير الأخرى فهو أن الأخيرة تعتبر رشيد پاشا (أو محمد رشيد پاشا) وسيطاً بين ميري كۆره والسلطان العثماني. أما الباباني فيعتبر ذلك الوسيط شخصاً آخر تعرف عليه ميري كۆره بطريق الصدفة لكونه جاره. ومهما يكن فإنّ النتيجة واحدة وهي العفو عن الأمير اولاً ثم القضاء عليه ثانياً. أما السؤال الذي يطرح نفسه هنا فهو: هل كان رسول پاشا على علم بجانب من مأساة قتل أخيه بإلقائه في البحر عندما قال لميلنگن:

> «منذ (٣٥) عاماً ترك الپاشا المثير للشفقة القرن الذهبي ودخل البحر الأسود، إلاّ انه لم يصل مطلقاً الى مكانه المقصود. فمنذ ذلك الحين لم يره أحد ولم يسمع عنه. ومعجزة رفعه الى السماء أو سقوطه في أعماق البحر (خط التشديد مني - نەبەز) هما وحدهما يمكن ان يوضحا إختفاء محمد پاشا... الخ» لاحظ ما سبق من هذا الكتاب.

في الحقيقة هذا إحتمال وارد لأن رسول پاشا أصبح فيما بعد موظفاً كبيرا في الدولة العثمانية واصبح من المقربين من شخصيات الدولة الكبار. ولهذا فمن الممكن ان يكون قد إكتشف بحكم وظيفته بعض ملابسات القضية، ألاّ انه خشي أن يبوح بها حرصاً على مركزه ومصالحه. فليس معقولا أن يكون شخص كالباباني قد سمع بهذه القصة رغم إقامته ضمن حدود دولة القاجاريين، في حين لم يسمع رسول پاشا بذلك وهو موظف عثماني كبير.

وعلى كل حال يكتسب هذا التقرير اهميته الكبرى لكونه مكتوباً من قبل شخص مطلع على احداث إمارة سوران والإمارات الكُردية الأخرى. ثم ان والده كان ولابد على صلة بميري كۆره حتى يستطيع ان يقدم على حسابه خدمات الى حكومة إيران بما يعادل مائة ألف تومان. أضف الى ذلك أن الباباني صاحب التقرير كان ولاشك على اتصال بالسلطات القاجارية، لأن والده كان في خدمة الشاهزاده القاجاريين ضمن إمارة بابان حسبما ورد في كتابه. كما ولايغالي الرجل في الموضوع ولايأخذ جانب ميري كۆره او جانب السلطان، بل يروي قصة ليس من المستبعد أنه كان قد سمعها بهذا الشكل تماماً. إلاّ أن هنالك شيئا جديراً بالملاحظة في هذا التقرير وهو ان صاحب التقرير عندما يصف شخصية ميري كۆره يعتبره امياً يجهل القراءة والكتابة. ثم يذكر في موضع آخر من تقريره مرتين بأن الأمير قد كتب وهو في طريق عودته الى ولايته جواباً على رسالة السلطان، في حين انه لم يذكر اسم أي شخص آخر كتب له هذا الجواب مثلاً.

أما السؤال الآخر الذي يطرح نفسه هنا فهو: هل كان ميري كۆره في الحقيقة ساذجاً مغفلاً الى ذلك الحد الذي يصرّ على رأيه بعدم مقابلة علي رضا پاشا معتبراً ذلك إذلالاً له، في حين أنه مثل بين

يدي السلطان العثماني ساجداً متضرعاً محتسباً ذلك إجلالاً له؟

لايمكنني الاجابة على هذا السؤال اجابة قاطعة دون معرفة شخصية بميري كۆره نفسه، وهذا ضرب من المستحيل. إلاّ أن بساطة وطيبة القلب هي من خصائص الكُرد عامة وزعمائهم أيضاً بطبيعة الحال، وقد تأكدت من ذلك لا من خلال دراساتي العلمية وانما من تجاربي الشخصية أيضاً.

بيد انه ومن ناحية اخرى ليس من المستبعد ان يكون التظاهر بشمول ميري كۆره بالعطف والرحمة السلطانية واعفائه ثم اعادته الى ولايته مؤامرة خبيثة دبرت للقضاء عليه بأسلوب ماكر دون إثارة حفيظة اعوانه واتباعه. ذلك لأن ميري كۆره لم يكن الأمير الكُردي الوحيد الذي اُلقي القبض عليه واختفى اثره بعد ذلك. فقد كان الأمير بدرخان پاشا هو الآخر ضحية مؤامرة كهذه، فقد عثر أحد المثقفين الألمان واسمه نيڤوينر عام ١٩٨٥ على رسالة تحمل توقيع المارشال الألماني المعروف هلموت فون مولتكه، الذي ورد اسمه في هذا الكتاب أيضاً، كُتبت بتاريخ ١٦-٢-١٨٨٦ موجهة الى إبن الأمير بدرخان پاشا أمير بوتان، رداً على رسالة بعثها إبن الأمير بدرخان پاشا الى مولتكه، عندما كان إبن الأمير رئيساً لمحكمة إستئناف مدينة سيواس. ويظهر من جواب مولتكه أن إبن بدرخان كان يسأل عن مصير ابيه، ويظهر انه ذكر لمولتكه بأن والده قد إشترك في معركة نصيبين التي وقعت بين المصريين والعثمانيين في ٢٤-٦-١٨٣٩ وان والده أحرز لقب الپاشا من العثمانيين إلاّ أن ابنه لايعرف مصيره. فيجيب مولتكه على رسالته:

«يؤسفني أن ليس في وسعي تزويدكم بالمعلومات التي تريدونها. انني اتذكر ان بدرخان بگ قد تم اسره بعد ان دُمر مقره، ولكن ماذا حدث له بعد ذلك ليس لي به علم مطلقاً. أما إشتراكه في معركة نصيبين وإحرازه لقب الپاشا وكونكم انتم إبن ذلك الأمير الكردي الشجاع فقد اطلعت عليه ولأول مرة من خلال رسالتكم اللطيفة.

مع تقديري العظيم واحتراماتي الفائقة لكم

التوقيع

المارشال ك. مولتكه

يظهر من هذا ان مصير بدرخان لم يكن يختلف عن مصير ميري كۆره أبداً، حتى أن ابنه لم يكن يعرف ما حلّ بأبيه بعد وقوعه في الاسر- شأنه في ذلك شأن اسرة ميري كۆره. ويظهر أن السلطات العثمانية إختلقت قصة إشتراك بدرخان في معركة نصيبين وإحرازه لقب الپاشا بينما كان هو تحت التراب. فما اشبه الليلة بالبارحة. ان اسلوب حُكام كُردستان الأجانب في تعاملهم مع الكُرد بقي سُنّة متبعة لم تتغير الى يومنا هذا. وما إغتيال الزعيم الكردي المأسوف عليه الدكتور عبدالرحمن قاسملو في عشية ١٣ تموز ١٩٨٩ في إحدى شقق مدينة ڤينا حينما كان يقوم بالتفاوض مع ممثلي النظام الإيراني إلاّ نموذجاً حياً لإستمرارية الغدر والخسة والعدوان بحق شعب كردستان، ومثالاً صادقاً على بساطة الكُرد وإنسياقهم وراء العواطف والأحلام. لقد بذلت كل ما في وسعي لوضع خلاصة

تجاربي النظرية والعملية في خدمة المظلومين والمسحوقين في هذه الدنيا وجماهير الكُرد من جملتهم. ويحز في نفسي ان ارى المستضعفين والمضطهدين ليسوا في مستوى الاحداث، يحارب بعضهم بعضاً ويتقاتلون فيما بينهم، مفسحين المجال للمستبدين والطغاة كي يستمروا في غيّهم وعتوهم. وصدقت الآية الكريمة: (إنك لن تهدي مَن أحببت ولكن الله يهدي مَن يشاء وهو اَعلم ُبالمهتدين).

جمال نەبەز
برلين ٢٤-٨-١٩٨٩

ملحق يتضمن نتاجات لبعض الكتاب الكُرد

بخصوص عوامل سقوط إمارة سوران

⋆ محمد الخطي ونهاية الإمارة السورانية*

زبير بلال إسماعيل

ربما لم ينل عالم ديني في منطقة كردستان ما ناله محمد الخطي (مەلای خەتێ) من شهرة بين الناس. وفي الوقت الذي عاصره كثير من أمثاله من العلماء والاساتذة الذين تفوق بعضهم عليه في النواحي العلمية، ولكن ذكره واسمه خلدا من دونهم على مر الزمن. ولعل سبب ذلك يعود الى إرتباط إسمه بالإمارة السورانية ونهايتها المأساوية المعروفة، إذ حَمّلهُ البعض مسؤولية سقوط تلك الإمارة، مع ان هذا الإتهام فيه نظر وقابل للنقاش لتحديد المسؤولية التاريخية وبيان الظروف والأسباب التي أدت الى زوالها. ولابد لنا قبل كل شيء ان نعرف عن كثب الملا محمد الخطي ومن ثم نبين دوره، إن كان له دور، في طي الصفحة الأخيرة من تاريخ تلك الإمارة الكردية التي عمّرت مئات السنين. ولكي نقترب أكثر من دنيا الخطي والإطارين العلمي والسياسي اللذين تحرك خلالهما، لابد لنا من بحث جملة أمور تعيننا لمعرفة هذه الشخصية المثيرة.

موطنه ونشأته:

على بعد مسافة يسيرة من مدينة شقلاوه، وقبل الوصول الى قرية سيساوه الكبيرة يتفرع الطريق المعبد القديم الى اليمين فيمر بقرية (شيخ ممودیان) ليعبر مضيق (زينه تير) الذي يقع في منتهى جبل حرير بنقطة إلتقائه بجبل (تير) حيث نصل الى قرية (خەتێ)، القرية التي ينتسب اليها المترجم. ويمر الطريق بعد ذلك بقرى عامرة منها باليسان و(هەرتەل) و(بێتواتە) و(سەروچاوە) حتى نصل الى رانيه. و(خەتێ) من القرى المزدهرة بزراعة الفواكه كغيرها من قرى المنطقة. ويلقب محمد الخطي بـ(الشيخ سليمان). والشيخ سليمان هذا هو الجد الأكبر لمشايخ خوشناو، وقبيلته من الكُرد هي قبيلة خوشناو المعروفة. تحدث ابراهيم فصيح عن قبيلة خوشناو فقال: «ونشأ منهم علماء فحول منهم النحرير محمد الخطي»[1] وينتسب الى خوشناو عدد كبير من العلماء[2]...

(*) عن مجلة (الحكم الذاتي) العدد ٤ السنة السابعة.

١– ابراهيم فصيح: عنوان المجد. منشورات دار البصري ببغداد، ص, ١٦٣

٢– لمعرفة المزيد عن قبيلة خوشناو وعلمائها انظر: مجلة الحكم الذاتي العدد(١)، السنة ١٩٨٣، ص٤٤و٤٥، مقال: ابوبكر المير رستمي لكاتب هذا المقال. ويقول البعض بان اسم القرية هو (خطأ) وتحرف الاسم الى (خەتێ) في الكردية ولايعرف اصل الاسم.

يعتقد بأن الخطي ولد في قرية (خەتێ) المذكورة، ولايعرف بالضبط تاريخ ولادته ولكن القرائن التاريخية وتراجم معاصريه من اساتذته وتلامذته تدل على انه ولد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. نشأ نشأةً علمية وجدَّ في طلب العلم وانكبّ على الدرس والتحصيل منذ صغره. ولما بلغ مبلغ الشباب جلس الى حلقة الدرس.

وكان المترجم من الطلبة الذين تنقلوا بين أكثر من مكان لطلب العلم. فدرس على جملة اساتذة مشهورين، قال في العنوان وهو يتحدث عن الخطي: «وأخذ العلم عن عدة أعلام منهم علاّمة الدنيا على الإطلاق مولانا محمد بن آدم. ومنهم العلاّمة ابوبكر الأمير رستمي وغيرهم. وأكمل العلوم على شيخنا عبدالرحمن الروزبهاني[٣]. وذكر أبوبكر أفندي الاربلي (ملا أفندي) بأن الخطي مع جده أبي بكر افندي الملقب بـ(كچك الأربلي) «قرءا على المولى الفاضل الكامل والعالم العامل عبدالرحيم أفندي الزياري، وعلى المولى العلامة نتيجة المتبحرين وخاتمة المتأخرين أستاذ الكل (عبدالرحمن أفندي الروزبهاني)»[٤]... وهو من الشيوخ المعروفين في المنطقة وخارجها، وانصرف الى الدراسة العميقة. وقصد أكثر من شيخ واستاذ للأخذ منه على عادة طلبة العلوم الدينية في كردستان حتى نال الاجازة العلمية وهنا تبدأ مرحلة جديدة خصبة من حياته العلمية إذ انقطع للتدريس والبحث والتتبع والتأليف.

اساتذته:

كان في أربيل والمدن والقرى الواقعة في منطقتها مئات من المساجد والجوامع. وكان في اكثر هذه المساجد (حتى في القرى) مدرسة دينية وطلاب علم. وفي كل مدرسة عالم دين كبير معروف يقصده الطلبة من كل حدب وصوب. وكان من عادتهم ان يقصدوا الأساتذة للدراسة عليهم اينما كانوا. وبذلك كانوا احراراً في إختيار اساتذتهم وشيوخهم. ولا يمكننا حصر المدارس الدينية التي كانت منتشرة في منطقة أربيل وغيرها من المنطقة الكردية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين، ولا حصر جميع الأساتذة والمدرسين والعلماء المشهورين. ولكن ما وصل إلينا من أسماء للمدارس والمدرسين الى بداية القرن العشرين يدل على وجود حركة علمية نشطة في مدن وقرى المنطقة التي إمتدت شهرتها الى جهات بعيدة. ويُثبت ذلك قدوم الطلاب من أنحاء عديدة حتى من خارج العراق للدراسة على اولئك الاساتذة المعروفين، الذين كان تُشد اليهم الرحال.

وقد شهدت اروقة المساجد والمدارس في المنطقة مولد علماء وأدباء وشعراء ومفكرين خلفوا لنا ذكراً حسناً وآثاراً خالدة. إن الرسائل والمقالات والتعليقات والحواشي والقطع الأدبية الدافقة بالحياة والقوة والجمال كثيرة غير قليلة مبعثرة في زوايا مكتبات المساجد والجوامع والمكتبات الخاصة، التي إذا ما جُمعت كوَّنت مكتبة عامرة. وتلك ثروة علمية زاخرة تكاد تكون ضائعة، جنى الإهمال على

٣- عنوان المجد، ص١٤٣-, ١٤٤

٤- نقلا عن صيغة الاجازة التي يجيز بها طلبته.

مؤلفيها ومؤلفاتهم. إن القطع والنصوص منثورة في مختلف الكتب: في السيرة والتاريخ وفي البحوث العلمية والدينية وفي كتب الوعظ والتصوف وفي الكتب التي سجّل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم وملاحظاتهم وانطباعاتهم ورووا فيه قصص حيواتهم.

من النصين السابقين عرفنا للمُترجَم أربعة اساتذة هم: ١- محمد بن ادم البالكي. ٢- ابوبكر المير رستمي. ٣- عبدالرحمن الروزبهاني. ٤- عبدالرحيم الزياري.

١- محمد بن ادم البالكي:

هو محمد بن آدم بن عبدالله البالكي (١١٦٤-بعد ١٢٥٢هـ)، ينتسب الى عشيرة بالك. ولد في قرية (روستِ) المعروفة في شمال (گەلاڵە)، والواقعة في سفح جبل حصاروست. كان إبن آدم عين أعيان العلماء في عصره وتفرد في ميدان العلم والفضل، قال في العنوان: «ومِن اعظم مَن ادركت عصره وانا صغير وهو نزيل عند جدي أسعد الحيدري علامة الدنيا على الاطلاق الفائق على جميع مشايخ العراق صاحب التأليف العديدة، مولانا محمد بن آدم البالكي. قرأ عليه مولانا خالد واخذ عنه كافة فحول العراق، له اكثر من مائة تأليف في العلوم النقلية والعقلية»[٥] درس على والده وعلى العلامة محمد بن عبدالله البايزيدي تلميذ صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر الحيدري. كان إبن آدم محباً للسفر، فسافر الى مهاباد في ١١٩٢هـ لتعلم الفارسية، ثم رجع وسكن رواندوز في عهد الأمير محمد باشا ووجد تقديراً منه. فاشتغل بالتدريس والتأليف فقرأ عليه جمٌّ غفير من العلماء والفضلاء.[٦]

كان المُترجَم ذا ثقافة موسوعية، فقد اشار فصيح الى غزارة علمه وقال: «ولو عدمت كتب العلوم لإستطاع ان يؤلف مثلها من حفظه. وهذا ليس على سبيل المبالغة بل بيان للواقع الذي إعترف به جميع علماء العراق». ويقول الأستاذ مسعود محمد: «إن إبن آدم عالم تفخر كل أمة بنبوغ أمثاله بين ابنائها... وإنه لواضح ان لا إشكال في عبقرية وجرأة وتبحر إبن آدم، ولايبقى بعد ذلك إشكال في أنه كان إنساناً نادر المثال الندرة كلها»[٧]...

٢- ابوبكر المير رستمي:

هو ابوبكر بن محمد المير رستمي: ينتسب الى عشيرة خوشناو ومن قرية (مير رستمه) بين شقلاوه وحرير. ولايعرف بالضبط تاريخ ولادته، ولكن الأدلة التاريخية تشير الى ولادته في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. درس على علماء متبحرين من امثال عبدالرحمن الجلي بن الملا عبدالله، رأس اسرة جلي زاده في كويسنجق، وكان واحداً من أبرز علماء الكرد في عصره، توفي عبدالرحمن الجلي في سنة ١٢١٧هـ. ودرس المير رستمي أيضاً على محمد بن خضر بن احمد بن حيدر الحيدري

٥-عنوان المجد ص, ١٤٤

٦-محمد الخال: الشيخ معروف النودهي. بغداد ص١٠٣ الحاشية.

٧- مسعود محمد: حاجي قادر كويى. من مطبوعات المجمع العلمي الكردي (٢/١٠١-١٠٣) ولمزيد من المعلومات عن ابن ادم انظر لصاحب هذا المقال: ابن ادم البالكي. مجلة المجمع العلمي الكردي المجلد الخامس١٩٧٧ ص٤٥٠-٤٧٨.

الماوراني. وكان من تلاميذ المير رستمي فضلاً عن محمد الخطي: أحمد بن علي الگلالي وإبراهيم بن حسين الرمكي وعبدالله المير رستمي، الذي لازم أستاذه وشرح كتابه المعروف في البلاغة (بيان البيان) وهو رسالة في علم البيان[8]...وللمير رستمي حواشي على اكثر كتب المعقول ولاسيما حاشية العلامة عبدالحكيم الهندي على شرح الشمسية في المنطق[9]... وكانت له اليد الطولى في علم البلاغة. وله رسالة في علم الوضع (وهو العلم الذي يحقق المدلول في الألفاظ العام والخاص) وإسمه (خلاصة الوضع). وله أيضاً (نهاية الوسع في شرح خلاصة الوضع). وكان المير رستمي من مشايخ العلماء المتبحرين، طويل الباع في الفنون الادبية وفي العلوم النقلية والعقلية. وكان مدرساً ماهراً ويروي عنه بعض اللطائف. عاش في ايام المماليك (١٧٤٩- ١٨٣١م) وشاهد عهد داود پاشا (١٨١٧- ١٨٣١م). ويبدو انه توفي في حدود النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

٣- عبدالرحمن الروزبياني:

عبدالرحمن بن حسين بگ الروزبياني الفرقاني. و(فرقان) قرية في ناحية قره حسن من نواحي كركوك. أخذ الطريقة عن مولانا خالد وإستخلفه في بغداد في التكية الخالدية المنسوبة الى مولانا خالد بعد سفره الى دمشق. وكان بيته متصلاً بالتكية، وكان يشغل منصب التدريس في بغداد ويلقب بـ(شيخ علماء العراق ومدرس دار السلام). توفي سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. ومن أولاده: الشيخ أحمد الروزبهاني وكان مدرساً بجامع الآصفية ببغداد[10].

٤- عبدالرحيم الزياري:

ويعرف بـ(ملا زاده الشافعي) ينتسب الى قرية (زيارت) من قرى الخوشناو، وتقع في مركز حوض سفين المحصور بين سلسلتي پيرمام وسفين وقربها قرى: (بيرۆكان) و(ناودارۆكان). وهي تتبع ناحية خوشناو في قضاء شقلاوه. وكان عالماً متبحراً في العلوم والنثور سطعت انواره في الكُرد. لم يدع فناً من الفنون إلاّ ارتقاه، وكان إماماً زاهداً وله مؤلفات وبدائع وبيان. مدحه عثمان أفندي سند قائلاً:

قصائد لم يطربن إلاّ لأنها
لها من علا عبدالرحيم مساند
أمام كان عرقاً فاضحى محله
له سمرت فوق السماك مصاعد

توفي عام ١٢١٢هـ[11].

٨- عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق (١١٣/٢).
٩- الشمسية: مختصر في علم المنطق الفه نجم الدين بن عمر بن علي تلميذ نصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. وشرح الشمسية قطب الدين محمود بن محمد الرازي المتوفي سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م ولعبدالحكيم بن شمس الدين الهندي المذكور حاشية على الشرح.
١٠- عباس العزاوي: خلفاء مولانا خالد. مجلة المجمع الكردي (٢-٢) ١٩٧٤ ص٢٠٣-٢٠٤.
١١- عبدالرزاق البگار: حلية البشر (٨٤٤/٢-٨٤٥)

وقال في الحدائق الوردية عن مولانا: «ثم ذهب الى انحاء كوى وحرير فقرأ الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على الإمام اللوذعي والنحرير الألمعي الملا عبدالرحيم الزياري المعروف بملا زاده»[١٢]...

ذكر فصيح في العنوان بعض تلاميذ الخطي وقال: «أخذ عنه علماء اعلام فهم شيخنا العلامة احمد الكلالي وشيخنا العلامة ابراهيم الرمكي وغيرهم مما لا يحصى عددهم...»

١- احمد الگلالي:

هو احمد بن علي الگلالي البالكي: ينتسب الى عشيرة بالك التي تنتشر في المنطقة الممتدة من رواندوز الى رايات. ذكره ابراهيم فصيح المتوفى سنة ١٨٨٣م فقال: «ومن أجلّ مَن ادركته وإنتفعت به شيخي وقدوتي العلامة الفهامة النحرير الحبر، الولي الزاهد، العابد الساجد الصائم مولانا احمد بن علي الگلالي البالكي. وكان صائم الدهر. اخذ العلم عن عدة علماء منهم العلاّمة الفهّامة المدقق محمد الخطي، والعلامة الفهامة ابوبكر المير رستمي، والعلامة الذكي علي الروستمي وغيرهم. وكمّل العلوم على شيخنا مولانا الشيخ عبدالرحمن الرۆژبەیانی.

وقد لازمت شيخي الگلالي المذكور عدة سنين وقرأت عليه... ولم أرَ مثله علماً وعملاً، وقرأ شيخنا تحفة إبن حجر وغيرها على شيخنا الشيخ يحيى المزوري، والروزبياني من المفرطين في حبه واحترامه وكذا سائر العلماء... وكان بحراً زاخراً في كل العلوم النقلية والعقلية لا يعرض عليه شيء من المشكلات إلاّ حلّه بأدنى إلتفات ونظر...»[١٣]

ويبدو أن وفاته كانت في حدود منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

٢- ابراهيم بن حسين الرمكي:

ينتسب الى عشيرة (رمك) من فروع قبيلة بلباس المعروفة في محافظتي أربيل والسليمانية قال صاحب العنوان في ترجمته: «ومن أجلِّ من أدركته واخذت عنه العلم شيخي وسندي العلامة المحقق والفهّامة المدقق العالم العامل الورع مولانا ابراهيم بن حسين الرمكي، وكان منزوياً عن الناس مشغولاً بالعلم والعبادة. أخذ العلم عن عدة اعلام منهم العلامة النحرير محمد الخطي والعلامة علي الرستي (نسبة الى قرية روست) وغيرهما. واكمل العلوم على العلامة الفهاّمة شيخنا عبدالرحمن الروزبياني. وقد لازمته عدة سنين واستفدت منه. وكان شيخنا هذا أيضاً كشيخنا العلامة أحمد الگلالي في غاية الشفقة والسعي معه كأنهما اخوان وفي الدرس والتحصيل رفيقان فاذا غاب أحدهما عني لازمت الآخر... وقد سافر الى بيت الله الحرام، ثم الى مصر ثم الى حلب وتوفي فيها...»[١٤]...

١٢- عبدالمجيد محمد الخاني: الحدائق الدردية في حقائق اجلاء النقشبندية ١٣٠٣هـ ص٢٢٤.

١٣- عنوان المجد، ص١٣٧-١٣٩-١٤٠- المصدر السابق ص١٣٩-١٤٠.

١٤- محمد الخال: الشيخ معروف النودهي ص٨٤، الحاشية و٩٢.

٣- الملا عمر الخيلاني:

ينتسب الى قبيلة خيلاني المعروفة من محافظة أربيل، وكان عالماً فاضلاً. ذكره أبوبكر أفندي المشتهر بملا أفندي (١٨٦٧- ١٩٤٢م) وهو يعدد شيوخه فقال: «... كما أجازني استاذي ووالدي عمي

أفندي الاربلي... وهو قرأ على جماعة من الشيوخ، سيما قرأ تكملة المنقول والمعقول والفروع والاصول على العالم النحرير زبدة العارفين وقدوة العالمين عمر أفندي الخيلاني، وهو قد قرأ على الفاضل التقي نخبة المتقدمين وفخر المتأخرين جدي أبي بكر أفندي الأربلي، وعلى إمام الآفاق أستاذ الكل في الكل غطريف وأكمل المتبحرين العالم محمد أفندي الخطي الشيخ سليماني...»

وفي رواندز مسجد يسمى (المسجد الكبير) أو مسجد الملا عمر الخيلاني، عُمِّرَ اكثر من مرة وكانت فيه مدرسة دينية انشأها المُترجَم وتولى التدريس فيها، ثم تولى التدريس فيها من بعده أولاده وأحفاده. وكانت له مكتبة عامرة في رواندز آلت الى حفيده الملا عبدالكريم بن الملا أسعد. وقيل إن المكتبة المذكورة كانت تضم أيضاً كتب ومؤلفات العلامة الخطي، وقد تعرضت الى حادثة حريق أتت النيران فيها على معظم موجوداتها وذلك في سنة ١٩٥٧. والمترجم من كبار علماء القرن التاسع عشر الميلادي.

٤- احمد النودشي:

هو أحمد بن الملا عبدالرحمن، وكان هو ووالده بالتعاقب مفتيين بالسليمانية. ومن تلاميذه العلامة السيد أحمد فائز البرزنجي (١٨٤٢- ١٩١٨م) الذي شرح منظومة الشيخ معروف النودهي (١٧٥٢-١٨٣٨م) المسماة (الفرائد في نظم العقائد) في سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م.

٥- الشيخ ابوبكر النقشبندي:

هو إبن ملا محمد بن عبدالله الملقب غياث الدين. ولد في قرية (هرشم) التي تقع في سفوح جبل پيرمام، ونشأ بها ودرس على والده الذي كان عالماً فاضلاً، وعلى العلامة محمد الخطي. وحين عمي والده اضطر الى أن يقصد رواندوز ليدرس الرياضيات على الملا عمر الخيلاني، ثم عاد وأجازه والده. قصد المُترجَم طويلة وإتصل بالشيخ عثمان الطويلي (سراج الدين) (١١٨٩هـ- ١٢٨٤هـ) خليفة مولانا خالد، ولازمه مدة حتى اجازه الشيخ عثمان وأذن له بالارشاد. عاد الى هرشم ثم تركها الى قرية (گردەڕەش) الواقعة على الزاب الاعلى قبل ان ينتقل الى أربيل ويتخذها مسكناً له. وقام المترجم برحلات زار فيها بلاد الشام ومصر والحجاز، ومكث في مكة المكرمة سنة وحج فيها مرتين، وكان قد حج تسع مرات في حياته. قصد المترجم إستانبول قبل الحرب العالمية الأولى وفيها سلك على يده الكثير ودخلوا الطريقة النقشبندية، وكان من بينهم الوزراء وكبار الموظفين وجماعة من أهل المدينة. وكان له مريدون في دمشق وبغداد والبصرة. جمع المترجَم بين الزهد والعبادة والتصوف وبين

العلوم، فعُرفت له حواشي وتعليقات على بعض الكتب، ولكنه على وجه العموم انشغل بالارشاد. توفي سنة ١٣٢٩هـ بأربيل ودفن في مسجده. وقد عمر هذا المسجد اكثر من مرة وهو اليوم مسجد جامع ومن اكبر مساجد أربيل. وقد أرّخ وفاته الحاج أحمد حمدي النقشبندي الذي يسكن مدينة كركوك بالبيت الآتي:

نستمد منك يا غياث الدين
أفينا مات قطب المرشدين
١٤٢ ٤٤١ ٦٣٥ ١١١ = ١٣٢٩هـ.

وأرّخ وفاته أيضاً بالبيت الآتي:

أيها المؤمنون أرخت رقاد مَن لقب بغياث الدين
قائلاً (كمل أبوبكر الراجي وهو قطب المرشدين)

عاصر المترجَم علماء كباراً مثل العلامة عمر أفندي بن أبي بكر المعروف بكچك ملا الأربلي، والشيخ عبدالرحمن الأربلي والملا رسول افندي الگراوي وغيرهم. وقد خلف المترجَم عدة أولاد منهم الشيخ العلامة مصطفى النقشبندي، الذي تولى الإرشاد في حياة والده ثم إنفرد به في سنة ١٣٣٣ رومية (أي في حدود ١٩١٧-١٩١٨م). وكان قد نال الإجازة العلمية من والده الذي أذن له بالإرشاد في حياته، وكان يقوم أيضاً بالتدريس قبل سنة ١٩٠٨ أي قبل وفاة والده (ت في ١٩١٠).

معاصروه:

ذكرنا فيما تقدم عدداً من معاصريه من شيوخه وتلامذته، نذكر هنا أيضاً علماء آخرين معروفين عاصروا المترجم، وكان المترجم -على الأغلب- على إتصال علمي بهم ومنهم.

١- ابوبكر افندي الأربلي الملقب بكچك ملا:

هو إبن الملا عثمان بن الملا ابي بكر (١١٩٢- ١٢٧٢هـ). كان عالماً عاملاً ومن أكابر العلماء المعروفين، ذا جاه واحترام. أخذ العلم عن عدة أعلام منهم أبوه الفاضل عثمان عن العلامة صالح الحيدري، ومنهم العلامة عبدالرحيم الزياري والعلامة داود پاشا (والي بغداد في عهد المماليك). وكمل العلوم على الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني. وتنقل في طلب العلم في مختلف الأمصار، وبقي في مدينة السليمانية سنتين مصاحباً مولانا خالد في مرحلة التلمذة، ثم سلك على يديه. وقد اجاز عدداً من العلماء المعروفين منهم عمر أفندي الخيلاني، وإبراهيم فصيح الحيدري، ومحمود الديملاني الكُردي. له حواشٍ على تحفة إبن حجر وعلى (شرح المطالع) وعلى (جمع الجوامع) في أصول الفقه. وله مصنفات أخرى في المنطق والتصوف والفلك، ولكنه على العموم إنشغل بالتدريس في جامع القلعة بأربيل. وقد أعيد بناء الجامع المذكور في حياته وذلك في سنة ١٢٦١هـ. وتوفي بعد ذلك في سنة ١٢٧٢هـ دفن بأربيل، وقد رثاه الشاعر وأحد وجهاء أربيل يومئذ يعقوب آغا بن قاسم آغا بشعر رقيق فيه جزالة في اللفظ وعمق في المعنى وذلك باللغة التركية.

٢- علي الـ(روستي):

ينتسب الى قرية روستِ الواقعة في سفح جبل حصاروست في قضاء چومان بمحافظة أربيل وهي من قرى بالك. ذكره في عنوان المجد فقال: «ومن أجَلّ من أدركته شيخي إبراهيم بن حسين الرمكي. أخذ العلم من عدة أعلام منهم العلامة النحرير محمد الخطي والعلامة علي الرستي»[١٥]...

٣- احمد بن رسول الگراوي:

الشهير بالواعظ في أربيل. منتسب الى قرية (گراو) الواقعة في سفح جبل پيرمام وهي من قرى خوشناو التابعة لناحية صلاح الدين في محافظة أربيل. قال فصيح في العنوان:

«ومن أجلِّ من ادركته وأخذت عنه شيخي الولي العلامة الجامع للمنقول والمعقول الزاهد الذي لاتأخذه في الله لومة لائم مولانا احمد بن رسول الگراوي المشهور بالواعظ في أربيل. وكان عالماً عاملاً واعظاً متعظاً مهاباً عند الخواص والعوام لشدة تقواه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. ومناقبه لاتُحصى لازمته وقرأت عليه... أخذ العلم عن عدة علماء منهم والده الفاضل ومنهم: عبدالله الكُردي وصبغة الله بن إبراهيم بن عاصم الحيدري وغير ذلك»[١٦]...

وقال العزاوي في تاريخ الأدب: «المولى احمد الكراوي من علماء الكُرد المعروفين وهو من عشيرة خوشناو المعروفة وله رسالة في علم البيان وهي مختصرة جداً. وكان من العلماء أيام داود باشا (١٨١٧- ١٨٣١م). وقد شرح الرسالة المذكورة الأستاذ ضياءالدين حيدر (وهو من علماء الكُرد المعروفين تولى الإفتاء في بغداد في ١٢٧٠هـ وتوفي في ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م) وذلك لغموض فيها وقدمها للأستاذ محمد فيضي الزهاوي مفتي بغداد مدة إفتائه واثنى عليه[١٧]...

٤- يحيى المزوري:

هو الشيخ يحيى بن خالد المزوري، وهو من أكابر علماء الكُرد في العمادية المشهورين، وهو من اساتذة المرحوم السيد محمود شهاب الدين الآلوسي، وعبدالله بن محمد أمين التركماني، والملا أحمد ابن الحاج إبراهيم العمر گنبدي. توفي ببغداد سنة ١٢٥٢هـ/ ١٩٣٦م ودفن في جامع العدلية الكبير ورثاه الشاعر عبدالباقي العمري. وقال في العنوان: «ومن أجلّ من أدركت عصره العالم الفاضل العلامة الشيخ يحيى المزوري وهو من أكابر علماء الكُرد وكان من مشايخ العلماء المتبحرين»[١٨]...

وهو من خلفاء مولانا خالد وله شهرة واسعة وكان من أبرز علماء القرن التاسع عشر الميلادي.

١٥- عنوان المجد ص١٣٩.

١٦- المصدر السابق ص١٤٠-١٤١.

١٧- عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق (٢/١٦١-١٦٢).

١٨- المصدر السابق، ص٢٠٠ وعنوان المجد ص١٤٤-١٤٥.

مكانته العلمية ومؤلفاته:

جمع الملا محمد الخطي بين مختلف العلوم المعروفة على عهده ولكنه برز في العلوم العقلية بوجه خاص. وأشار الى مكانته العلمية إبراهيم فصيح الحيدري حين قال: «ومن اجلِّ مَن ادركت عصره العلامة المحقق الفهامة المدقق صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد وشيخ العلماء الورع الصالح اللوذعي محمد الخطي الكُردي. وكان من أعظم علماء العراق، وقد إنتفع به خلق كثير وصار شيخ عصره في كل فن. وكانت له اليد الطولي في التحقيق والتدقيق، اخذ عنه علماء اعلام.»

ووصفه ملا افندي الأربلي بـ: «إمام الآفاق بالاتفاق أستاذ الكل في الكل على الإطلاق، غطريف المتأخرين وأكمل المتبحرين، ناقد السابقين وقائد اللاحقين العالم الرباني محمد افندي الخطي الشيخ سليماني...»

وعن مؤلفاته قال في العنوان: «له آثار دقيقة عن بعض كتب المعقول، وله رسالة عجيبة في علم الكلام، وكان متبحراً في كل علم منقول ومعقول تُشد اليه الرحال من كل جانب...»[١٩]...

ونفهم مما تقدم أن من مؤلفاته:

١- رسالة في علم الكلام.

٢- حواشي على بعض كتب المعقول.

٣- وقد عرفنا من بين هذه الحواشي حاشية على تعليقات عبدالحكيم الهندي على (المطول)، والمطول كتاب في علم البلاغة لسعدالدين التفتازاني المتوفي سنة ٧٩٢هـ، ولعبدالحكيم الهندي المذكور حواشي على شرح المطول تقع في ٤٨٦ صفحة، وعليها حواشي علماء الكُرد مثل الشيخ عبدالله الخرپاني ومحمد بن آدم[٢٠]... وقد ترك الخطي مكتبة عامرة كانت قائمة في مسجد الملا عمر الخيلاني في مدينة رواندوز. وقد أشرنا الى حادث الحريق الذي تعرضت له المكتبة. وكانت المكتبة المذكورة بعهده الملا عبدالكريم بن ملا أسعد بن الملا عمر الخيلاني.

ذريته ووفاته:

عُرف للملا الخطي أحفاد وهم خورشيد بگ، وكان حاكماً تنقل بين الموصل وأربيل وكركوك، وكذلك أخوه ملا طاهر، الذي كان يسكن رواندوز وابنه حكيم بن طاهر وكان ضابطاً وتوفي الأخير في نهاية السبعينات. ومن أحفاد اخيه الملا عبدالفتاح الخطي، الذي نال الإجازة العلمية من أبي بكر أفندي الأربلي (ملا أفندي). وأسرة الخطي في رواندوز وقرية خەتێ لازالت معروفة. ولايعرف بالضبط سنة وفاة الملا الخطي، ولكن الشواهد التاريخية تشير الى أن وفاته كانت في حدود منتصف القرن التاسع

١٩- عنوان المجد ص١٤٣-١٤٤.

٢٠- محمد الخال: مخطوطات مكتبة الخال في السليمانية. مجلة المجمع العلمي الكردي (٢-٢) ص٦١.

عشر الميلادي وذلك بعد زوال الإمارة السورانية (زالت في سنة ١٨٣٦) بفترة قصيرة. توفي في رواندوز ودُفن بها. ومقبرته لازالت معروفة ولكن شاهد قبره لا يحمل أية كتابة.

محمد الخطي والإمارة السورانية:

يبدو إن الملا الخطي إنتقل من قريته الى بغداد في تاريخ غير معروف، ونزل فيها في عهد واليها داود باشا. وفي بغداد إتصل الخطي بالعلماء وبالوالي، الذي قدّره حق قدره وأدرك مكانته العلمية وأراد ان يستفيد منه ويستغله لتحقيق بعض الاغراض السياسية بعد أن علم بمكانته في المنطقة الكُردية وبمعرفته الجيدة باوضاع الإمارة السورانية بحكم قرب قريته من مركز الإمارة المذكورة. فأشار إليه بالذهاب الى رواندوز ليختص بخدمة الأمير السوراني محمد باشا بن مصطفى بگ الشهير بـ(مير كور) أو كور پاشا، الذي سنأتي على ذكره فيما بعد. وقد إتخذه محمد باشا شيخا للإسلام او مفتياً لبلاد سوران.

وبعد إنتقال الخطي الى رواندوز اصبح له شأن آخر فعاش في جو مشحون بالأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة في عهد الأمير محمد. وقد أُتُهم الملا خطي من قبل بعض المؤرخين بتثبيط همة الأمير وذلك بإقناعه بعدم جدوى مقاومة الجيش العثماني القادم لعزله والقضاء على إمارته، وذلك في سنة ١٨٣٦م، وبأنه أصدر فتوى فحواها (بأن من يحارب جيش الخليفة غير مؤمن وزوجته طالق)[٢١]... وهذا الإتهام يجرنا الى الحديث عن الأسباب الحقيقية والرئيسية في سقوط الإمارة السورانية في عهدها الأخير، في عهد آخر واعظم أمرائها وهو محمد باشا الذائع الصيت، وعن علاقة الخطي بالإمارة السورانية وبيان ردود الفعل التي احدثتها طموحات محمد باشا السياسية، وعلاقتها بنهاية الإمارة.

محمد پاشا والإمارة السورانية:

كانت الإمارة السورانية قد إنتقلت في حدود ١٨١٠ (١٢٢٥هـ) من يد أوغوز بگ الى مصطفى بگ، الذي إنصرف الى توحيد إمارته، فوحدها بحكمة، ثم تسلم الحكم في الإمارة محمد پاشا من يدي والده قبل وفاته. ومات مصطفى بگ في سنة ١٨٢٦م وتبعه محمد بگ المذكور المعروف بـ(كور پاشا- أي الاعور، لإصابته بعلة في إحدى عينيه). وبدأت ايام حكمه بسلسلة من الفتوحات فقد أخضع القبائل المجاورة وطرد الحاكم البابانی من حرير وأخذ أربيل وآلتون كوبري وإقتطع رانيه وكوي من البابانيين واصبح الزاب الاسفل هو الحد. وفي اوائل ١٨٣٣م سار الى عقره وأخذها بعد ان حاصرها ثم طرد حاكمها إسماعيل پاشا. وبعد أن خلع سعيد پاشا من العمادية نصّب اخاه رسول

٢١- حزني الموكرياني: أمراء سوران، الترجمة العربية، ص٦٨ وعلي سيدو الگوراني: من عمان الى العماديه. القاهرة ١٩٣١م، ص١٣٣-١٣٤.

في الأصقاع البهدينانية. واصبحت مناطق دهوك وزاخو من توابع إمبراطوريته فاقام فيها الضبط غير الخاطيء بقسوته العادلة. ثم غزا جبل سنجار وإحتل جزيرة إبن عمرو وأفزع البدرخانيين في (حصن كيفا)، وكذلك هدد نصيبين وماردين، غير ان هذا كان حده الذي وقف عنده[٢٢]...

وفي بداية تشرين ١٨٣٥م أغارت الكتائب الكُردية بقيادة محمد پاشا واحتلت اقليم (قوطور–قوتور) وسحقت قوة إيرانية أُرسلت ضدهم من (خوي) وتحصنت في المناطق المحتلة. وفي نفس الوقت قاد أمير رواندوز قوة كبيرة وغزا ممتلكات إيرانية في انحاء (سلدوز) ونهب عشرات القرى[٢٣]...

كان هذا ملخصاً للوضع الذي أوجده نهوض الإمارة السورانية بقيادة محمد پاشا، والذي جلب له عداء جهات عديدة في مقدمتها الدولة العثمانية والبابانيون في الجنوب والبدرخانيون في الشمال ضد سياسته.

داود پاشا والإمارة السورانية:

لقد ضعفت الإمارة البابانية في عهد داود پاشا والى بغداد. وكان من بين اسباب ذلك تضييق الوالي المذكور على الإمارة. وكان من الطبيعي أن تقوى على حسابها جارة ناشئة. وهذا ماحدث عندما تولى حكم رواندوز محمد پاشا. ولعل داود مال اليه لأنه كان ضد إيران وضد البابانيين. ولم يعد داود ينتظر كبير فائدة من الإمارة البابانية المحتضرة، فقوّى اواصر العلاقة بينه وبين پاشا راوندز الذي كان اشبه بالپاشا الشبه المستقل الذي لم يخضع للشاه ولا للسلطان[٢٤]... ووجد داود والي بغداد في مير كور قوة جديدة يمكن إستخدامها في ضرب الإمارة البابانية وكسر شوكتها وفي مقاومة التدخل الفارسي المستمر في تلك الجهات. ودارت المعارك الطاحنة بين ميركور من ناحية والإمارة البابانية من ناحية اخرى وكانت كفة مير كور هي الراجحة.[٢٥]ولم تكن هذه الإنتصارات نتيجة لمهارة ميركور العسكرية بل كذلك لتكوينه قوة من المدفعية لها شكيمتها.

محمد الخطي في رواندوز:

لعل حزني الموكرياني هو أول من تحدث عن إنتقال الخطي الى رواندوز وذلك بعد توسع نفوذ محمد پاشا في المنطقة بالصورة التي اشرنا اليها، ومحاولة والي بغداد (داود) الإستفادة منه لتحقيق بعض اهدافه السياسية. ويبدو ان الوالي الذي كان يساوره القلق من تعاظم نفوذ ميركور من جهة

٢٢– لونگريگ: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة جعفر خياط ببغداد ١٩٦٨، ص٣٤٢–٣٤٣.

٢٣– خالفين: الصراع على كردستان ترجمة د.احمد عثمان بغداد ١٩٦٩م، ص٥١ نقلا عن ارشيف السياسة الخارجية الروسية. رسالة القنصل العام في تبريز (كودينج) الى السفير (سيمونيج) في طهران في ١ تشرين ثاني ١٨٣٥م.

٢٤– عبدالعزيز سليمان: داود پاشا. القاهرة ١٩٦٨، ص١٣٠.

٢٥– صديق الدملوجي: إمارة بهدينان ص٤٠–٤٥.

أراد أن يجعل منه اداة لإضعاف نفوذ البابانيين.

وقد بيّن حزني في كتابه (أمراء سوران) الدور الذي لعبه الملا الخطي منذ وصوله الى رواندوز حتى استسلام محمد باشا للعثمانيين، فقال:

«ارسل داود باشا العالم الكُردي المعروف الملا محمد الخطي –وكان من اهالي (خەتێ) ولاتزال أسرته موجودة في رواندوز وهم من العلماء– الى الأمير مصحوباً بالهدايا ليعقد معه اتفاقاً يفيده في أيام الشدة. وكان داود باشا هذا لايحب محمود باشا البابانى، فلما إحتل أمير رواندوز قسماً من ممتلكاته هنأه عليها. ولما وصل الملا محمد الخطي الى رواندوز آثر البقاء لدى الأمير لأنه كان من أهالي المنطقة. وتولى منصب شيخ الإسلام وصار مفتياً لبلاد سوران، كما اتخذه الأمير معتمداً ومشاوراً له... وفي عام ١٢٤٤= ١٨٢٨م قتل الأمير الكردي علي بگ الداسني على آغا الألقوشي فإلتجأ العالم الكردي المعروف الملا يحيى المزوري الذي كان إبن اخ على آغا القتيل الى الأمير محمد ملتمساً منه الثأر والإنتقام، وذلك في منتصف ذلك العام. فإستضافه الملا محمد الخطي بأمر من الأمير ووعده بكل مساعدة...[٢٦]»

وكانت سياسة داود إزاء الإمارات الكردية المتنافرة شبيهة الى حد كبير بسياسة الباب العالي إزاء باشوياته بضرب باشوية بأخرى، ولذلك نجد داود يحض محمد باشا على مقاتلة محمود باشا بابان. بيد أن محمود استطاع بمساعدة الجيش الإيراني ارجاع جيش رواندوز القهقري، وكان ذلك سبباً في توتر العلاقات بين إيران والدولة العثمانية. فارسلت الاخيرة أسعد افندي للتحقيق في هذه المشكلة. وتأكد للدولة العثمانية إن داود غير قادر على فرض سلطة الدولة العثمانية على المنطقة وتطهيرها من القوات الاجنبية[٢٧]...

علي رضا باشا وأمير رواندوز:

كان سقوط حكم داود في سنة ١٨٣١ (وفق سياسة إعادة الحكم المباشر الى الولايات) على يد علي رضا باشا مقدمة للقضاء على الإمارات المحلية، ومنها إمارة رواندوز. ولكن ظروف التوسع المصري في بلاد الشام والأزمة الناشئة عن عودة يحيى الجليلي الى الموصل، وضعف القوة العسكرية التي كانت تحت يد علي رضا من العوامل الرئيسية التي جعلت الأخير يتبع سياسة لينة مع مير كور. فقد إستمر مير كور في عملياته التوسعية وإستولى على أربيل واخطر علي رضا والي بغداد بذلك وطلب منه الموافقة على ضمها الى حكمه، فوافق علي رضا خاصة إن مير كور ابدى خضوعاً للدولة وبعث بالهدايا والأموال لوالي بغداد[٢٨]...

٢٦– حزني الموكرياني: أمراء سوران ص٥١–٥٢.

٢٧–امين زكي: تاريخ السليمانية. الترجمة العربية– بغداد١٩٥١، ص١٥٠–١٥٠ وداود باشا ص١٢٩–١٣٠.

٢٨–عبدالعزيز سليمان. تاريخ العراق الحديث ص١٠٢ نقلا عن وثيقة.

وتابع أمير رواندوز توسعه فإستولى على المدن والجهات التي أشرنا إليها في أول البحث. وكان سليمان بابان ينظر بخوف الى نمو الإمارة السورانية، فلجأ الى الفرس وتعاون معهم على إرسال حملة مشتركة ضد ميركور، إذ كانت الحكومة الفارسية هي الأخرى تخشى هذه الإمارة. وكانت حوادث الحدود بين الإمارة والدولة الفارسية تزيد من حدة التوتر بينهما. وتطورت المنازعات الى اشتباكات مسلحة وشدد الفرس الضغط على الإمارة السورانية الى الدرجة التي اضطرت مير كور لطلب النجدات من باشا بغداد(٢٩)...

وكان علي رضا باشا هو الآخر يخشى من توسع مير كور ومن إمتداد نفوذه الى درجة قد تهدد الموصل بل والجيش العثماني، الذي كان يحاول الوقوف على قدميه دون جدوى أمام الجيش المصري في الشام. ولكن ظروف القتال بين مير كور والفرس كانت تقتضي من وال بغداد الحفاظ على كل شبر من الاراضي بعيداً عن متناول ايدي الفرس، ثم كانت هناك الضرورة الملحة في ان يقف علي رضا الى جانب تابعه مير كور فبعث اليه بقوة تشد ازره. وكانت السلطات البريطانية هي الأخرى ضد اية تحركات فارسية معادية للعثمانيين خلال محنتهم أمام القوات المصرية. فتكاتفت هذه العوامل على وقف القتال بين الأطراف المتصارعة. وكان وقف القتال في مصلحة الأمير السوراني بسبب تفوق اعدائه عليه(٣٠)...

أمير رواندوز ووالي مصر:

أشار حزني في (أمراء سوران) الى وجود رسائل متبادلة بين أمير رواندوز ومحمد علي باشا والي مصر وقال: «وقد ارسل لي بعض المثقفين الكُرد قبل سنتين او ثلاث (سنة تأليف الكتاب هي ١٩٣٥-

يقصد ١٩٣٢م) رسائل كانت قد تبودلت بين محمد علي باشا والي مصر وبين الأمير محمد، وتبيّن من اجوبتها أنه بعد أن اتم الأمير فتح زاخو والعمادية وسنجار عقد إتفاقاً مع والي مصر يقدم كل منهما بموجبه مساعداته للآخر، على ان يأتي محمد علي بجنوده الى سورية ويتوجه نحو (أطنه) ويتوجه الأمير نحو ماردين ودياربكر. وقد جرت هذه المراسلات في تشرين ١٨٣١. وقد إحتل الأمير في مايس ١٨٣٢ تلك المناطق، وكان كل طرف مطلعاً على وضع الآخر. ولما وصل ابراهيم باشا نجل محمد علي الى حمص في تموز ١٨٣٢م أرسل رسالة الى الأمير وصلته وهو خارج الموصل...»(٣١)...

وقال في موضع آخر: «انه بعد احتلال الأمير لنصيبين وماردين وعودته الى العمادية وصلته رسائل

جديدة من محمد علي باشا والي مصر، كما وصلته رسائل من حكام ورجالات العراق...»(٣٢)

٢٩- عبدالعزيز سليمان. المصدر السابق ص١٠٣ نقلاً عن رسالة للوكيل السياسي البريطاني في بغداد. تايلور في ٢٩ تموز ١٨٣٣. مكتبة وزارة شؤون الهند مجموعة ٤٩ ص٤٤٠-٤٤١.

٣٠- المصدر السابق، ص١٠٣ نقلا عن وثيقة مؤرخة في ٧ تشرين الأول ١٨٣٣ مجموعة٤٩ ص٢٤٠.

٣١- حزني: أمراء سوران، ص٥٤.

٣٢- المصدر السابق ص٥٧.

وقد دوّن علي سيدو الگوراني ذلك في كتابه، ومنهما نقل الآخرون أيضاً عن وجود علاقة بين محمد باشا وبين محمد علي والي مصر أو ابنه إبراهيم. ولكن البحوث الحديثة أظهرت ان مير كور كان يشكل خطراً شديدا على مؤخرة الجيش العثماني المقاتل في الشام او المعسكر في دياربكر، وكانت أنباء حركاته تُنقل بإستمرار للقيادة المصرية في الشام وفي القاهرة. وكانت حركاته التوسعية تلقى ترحيباً لدى القيادة المصرية، التي من مصلحتها في الشام حيث ان تبقى القوات العثمانية في الشام والموصل ودياربكر. ولكن أغلب الظن انه لم تكن هناك إتصالات بين أمير رواندوز والقيادة المصرية على تلك الصورة التي صورها الموكرياني... ونجد بين وثائق عابدين في مصر والمؤرخة في ١٨٣٢م ومابعدها ان الإنتصارات المصرية كانت خير دعاية لمصر في العراق، فجعلت البعض يتطلعون الى مصر. كذلك يبدو أن سلطات القاهرة بعثت بمن يبث الدعاية لها في العراق أو ان هناك مَن تطوع من تلقاء نفسه لتأييد القضية المصرية. وقد بعث ابراهيم باشا برسائل الى كبريات المدن العراقية وليس من بينها رواندوز. الواقع ان محمد باشا كان في موقع حصين في الجبال لا تطاله يد القوات العثمانية تقريباً، لذلك فقد حكم رواندوز حكماً مطلقاً.

وبتعزيز مركزه في قسم من كُردستان المركزية إستطاع في الحقيقة تجاهل حكومة السلطان وإستعد لشن الحملات العسكرية على المناطق المجاورة، وكان الظرف مواتياً للمضي في تحقيق أهدافه بسبب الازمة السياسية التي تنخر في كيان الامبراطورية العثمانية. فقد كان جلّ اهتمام استانبول منصباً على مصر التي نجح حاكمها محمد علي -لا في ضمان إستقلال المناطق التي تحت سيادته فحسب بل في تهديد كامل كيان الامبراطورية العثمانية. فإن زحف القوات المصرية على الاراضي التركية قد اوشك- كما هو معروف- أن يقضي على دولة السلطان قضاءً تاماً - عسكرياً وسياسياً[٣٣]...

ونجد من بين وثائق عابدين التي تعود الى سنة ١٨٣٢م وما بعدها اخباراً تتعلق بتوسعات أمير رواندوز وما جرى في الإمارة في عهد أخيه رسول باشا[٣٤]... ولكن لايوجد ما يشير الى وجود مراسلات بين والي مصر أو ابراهيم وبين أمير رواندوز.

نهاية الإمارة السورانية:

بدأت الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩م) بإعادة الحكم المباشر الى الولايات وتوسيع نطاق هذا الحكم. ولم يلبث محمد باشا رواندزي أن تعرض لخطر كبير من جانب العثمانيين. فقد تفرغ العثمانيون بعد صلح (كوتاهية) لتصفية الإمارات الكردية تأميناً لظهر الجيش العثماني عندما تبدأ الجولة الثانية بينه وبين الجيش المصري في الشام. فقد نصبت الدولة

٣٣- خالفين: المصدر السابق ص٥٠.

٣٤- عبدالعزيز سليمان. المصدر السابق ص١٩٥-١٩٦ وحاشيتها.

العثمانية لأول مرة منذ القرن السابع عشر والياً عثمانياً لحكم شهرزور (١٨٣٣م). وقدر مير كور هذه الخطوة وبدأ بالتحرش بالوالي الجديد لشهرزور (كركوك). وكان هذا الوالي الجديد هو محمود إينجه بيرقدار (حامل العَلَم النحيف- وهو لقبه). ويبدو ان السلطات العثمانية ادركت ان الظروف غير ملائمة لتعيين والي عثماني في كركوك حيث ان بيرقدار لم يكن يمتلك من القوات العسكرية أو المحلية مايمكّنه من تثبيت اقدامه في هذه المنطقة. وسرعان ما نقل الباب العالي (بيرقدار) من ولاية شهرزور الى ولاية الموصل بعد ان طُرد من الاخيرة يحيى پاشا الجليلي. ولم يكد بيرقدار يستقر في ولايته الجديدة ويسيطر على الموقف فيها حتى بدأت السلطات العثمانية تحثه وتحث القوى العثمانية المجاورة للإمارة السورانية على التجمع لتوجيه ضربة قاضية لها. وكانت أولى الخطوات العثمانية ضد الإمارة هي السيطرة على الطرق المؤدية الى قلب الإمارة وضرب اطرافها. فأخضعت القوات العثمانية، التي كانت تحت قيادة رشيد پاشا الصدر الاعظم ووالي سيواس الاسبق، العشائر اليزيدية التي كانت تحت حكم الميركور. ثم إستولى العثمانيون على نصيبين وماردين. وأدت هذه الحركات الى ان يصبح العثمانيون قادرين على تنفيذ خطة واسعة النطاق لغزو الإمارة السورانية[٣٥]... ولابد من الإشارة هنا الى ان بيرقدار ومنذ ان نُقل الى الموصل في سنة ١٨٣٥م كان همه الوحيد تحطيم الدويلات الكردية الصغيرة وخلع البيگات الكُرد عن عروشهم التي كانوا فيها مدة طويلة وهم بين تابع أو مستقل. ومن ثم كان ظهور رشيد پاشا في دياربكر وهو يقود جيشاً في سنة ١٨٣٥م منذراً بسقوط كثير من العروش الكردية[٣٦]...

وفيما يتعلق بقدوم رشيد پاشا والدور المزعوم الذي قام به الخطي إنفرد حسين حزني الموكرياني برواية مفادها؛ أن السلطان وجّه منشوراً بإسم الخلافة الإسلامية الى كل من ملا يحيى المزوري والملا محمد الخطي وعالم آخر من الجزيرة. وبما أن أمير رواندوز كان كما ذُكر لايعمل شيئاً دون أن يفتي له العلماء بذلك، قال: وعندما وصل رشيد پاشا الى الموصل بعث بأمر همايوني زائف الى الملا محمد الخطي مع رسالة اخرى الى الأمير بقصد خدعه. فسارع الخطي الى نشر الرسالة وأفتى بان الحرب ضد سلاطين آل عثمان (تخلّ بالدين والإيمان والعصمة الزوجية) وهكذا صرف قلوب الكُرد البسطاء عن المقاومة. وعندما توجه رشيد پاشا من عقره الى رواندوز أرسل فرماناً همايونياً زائفاً مكتوباً باللغة العربية الى الأمير واعطاه عهداً وأماناً بانه بعد إستسلامه يعاد تنصيبه أميراً لأمراء سوران. وبعد نشر مضمون ذلك الفرمان في رواندوز عمل الخطي على ثني الناس عن المقاومة وإقتنع الأمير بالذهاب للقاء رشيد پاشا. فذهب وبصحبته الخطي الى المعسكر العثماني واظهر القائد التركي عميق إمتنانه له وقال بانه سيعيد الأمير معززاً مكرماً حاكماً على مملكته[٣٧]... هذا ملخص ما أورده حزني بشأن نهاية الإمارة السورانية وسنبين فيما يأتي الأسباب الحقيقية لسقوط تلك الإمارة.

٣٥- تاريخ العراق الحديث ص١٠٤-١٠٥ نقلا عن وثيقة مدونة في ١٨٣٥م بمجموعة ٥٣ ص٧٧٩ مكتبة وزارة شؤون الهند. والوثيقةالمذكورة ضمن مذكرات تايلور.

٣٦- لونگريگ: المصدر السابق ص٣٣٩و٣٤٢-٣٤٣.

٣٧- حسين حزني: أمراء سوران ص٦٤-٦٦و ٦٦-٦٩.

مسير رشيد باشا والأصداء الدولية:

وضع العثمانيون خطتهم على اساس ان يزحف كل من علي رضا وبيرقدار ورشيد كل على رأس قواته في هجوم من ثلاث شعب على الإمارة السورانية. وبدأت القوات العثمانية بالتحرك صوب هذه الإمارة. وأراد الفرس في ذلك الوقت ان يقحموا انفسهم في المعركة المقبلة ضد مير كور، حيث عرض أمير النظام (قائد الجيش الفارسي) على كل من رشيد باشا قائد عام الجيش العثماني وعلي رضا باشا والي بغداد وحاكم أرضروم ان يتعاون معهم في حملة مشتركة ضد مير كور. وإتصلت السلطات الفارسية بالمسؤولين الانكليز بهذا الصدد، فرحبوا بهذا العرض بل وزكوه لدى العثمانيين وأرسلوا قنصل بريطانيا في حلب (ريتشارد وود) الى السلطات الفارسية والعثمانية لتنسيق التعاون بين هذه الأطراف. وإتصل (وود) بالقواد العثمانيين مباشرة ليحثهم على التعاون مع الفرس وسلم الى رشيد باشا خطاب أمير النظام في هذا الشأن[٣٨]... **وذكر خالفين أن حاكم جنوبي أذربيجان الإيرانية محمد علي تقي خان المشهور بإسم (امير نظام) بدأ بإعداد حملة ضد الكُرد لكي يصار في ربيع ١٨٣٦م الى طردهم من الأماكن المحتلة، وبالنظر لنقص السلاح فقد التجأ الى القنصل العام الروسي في تبريز (گودينج) ملتمساً عونه وإمداده بذخائر المدافع من مخازن ماوراء القفقاس**[٣٩]...

وفي صيف ١٨٣٦ تجمعت جيوش قوامها عشرة آلاف من ضمنها خمسة ألوية مشاة في جنوب أذربيجان للإغارة على رواندوز. وقد عجّلت الحكومة الإيرانية بالأمر لأنها أرادت إستغلال الوقت المناسب. فقد اخذ الضغط يزداد من الغرب على محمد باشا من قبل الجيوش العثمانية بقيادة رشيد باشا الذي عينته القيادة العليا في آسيا الصغرى[٤٠]... وحصرَ محمد باشا نفسه في رواندوز على أمل ان يصمد في هذا الموقع الحصين بوجه غارات القوات التركية والإيرانية.

وتحت ضغط الدبلوماسيين الانكليز الذين وجدوا المصلحة في التقارب التركي- الإيراني تحت إشراف الإمبراطورية البريطانية، إتفقت القيادة الإيرانية مع استانبول على الإتصال بمحمد رشيد باشا والحاكم العثماني في بغداد، الذين كانت جيوشهما قد بدأت الهجوم الفعلي على رواندوز. ولهذا القصد توجه السكرتير الأول في البعثة الانكليزية الكابتن (شيل) من تبريز الى المعسكر التركي في بداية تموز ١٨٣٦م. وأخبر گودينج سيمونيجا (السفير الروسي في طهران) بأن المبعوث الانكليزي في طهران (أليس) قد خّول (شيل) إقناع رشيد باشا بالعمل ضد أمير رواندوز بالإتفاق مع الفرس[٤١]... إلاّ أن محاولة الانكليز تنظيم هجوم تركي – إيراني موحد على الكُرد تأخرت.

٣٨- عبدالعزيز سليمان. المصدر السابق ص١٠٥.

٣٩- خالفين. المصدر السابق ص٥٢ نقلا عن ارشيف الدولة المركزي التاريخي لجورجيا. رسالة گودينج الى روزين.

٤٠- المصدر السابق ص٥٢ نقلا عن ارشيف السياسة الخارجية الروسية، رسالة گودينج الى سيمونيج.

٤١- المصدر السابق ص٥٣ نقلا عن ارشيف السياسة الخارجية. رسالة گودينج المؤرخة في ١٦ تموز ١٨٣٦م.

رأى رشيد باشا في هذه الوساطة البريطانية تدخلاً في أمور الدولة، كما رأى في العرض الفارسي مناورة خطيرة، يهدف الفرس من ورائها الحصول على حق التدخل في أمور كردستان. ولذلك صدرت تحذيرات من العثمانيين الى السلطات الفارسية بعدم التورط بتطورات القتال ضد مير كور بقصد الإشتراك فيه، حيث أن ذلك من صميم أعمال الحكومة العثمانية ولا شأن للفرس فيه. وحذّر حاكم أرضروم العثماني أمير النظام من دخول القوات الفارسية أرضاً عثمانية تحت ستار التعاون ضد مير كور[٤٢]... وبرغم هذه التحذيرات لم يتورع الفرس عن العمل من وراء الستار. فقد شرعوا في حث مير كور على إعلان الولاء للشاه لينقذ نفسه من الجيوش التي أحاطت به[٤٣]. وكان هدف الفرس من وراء ذلك إيجاد السند القانوني لتدخلهم.

وكان هذا الأسلوب سياسة أتقنها الفرس في جميع مناطق الحدود بين الدولتين، وقد استخدموه في هذه الحالة. ولكن مير كور لم يكن -وعلى عكس الأمراء البابانيين- يلجأ الى الفرس، ولذلك لم تُجدِ مناورات الفرس ولم يصغ اليهم مير كور إطلاقًا. ويُستبعد ماذكره خالفين من ان (**محمد باشا ارسل احد ثقاته الى قائد الجيش الإيراني لكي يقنعه بتوحيد قواتهما معاً لمواجهة جيوش رشيد باشا، متعهداً لقاء ذلك بقبول الجنسية الإيرانية ودفع الضرائب لطهران)**[٤٤]... ثم قال: ولكن عرض محمد باشا رُفض تحت ضغط الدبلوماسيين الانكليز، الذين وجدوا مصلحة في تقارب تركي- إيراني كما اشرنا الى ذلك. ومن ناحية أخرى كانت السلطات البريطانية التي ابدت من قبل فكرة التعاون بين الفرس والعثمانيين لاتسمح للفرس بمتابعة مثل تلك المناورات في بلاط الأمير السوراني حتى لاتحدث ارتباكات عنيفة على الحدود تؤدي الى تعقيدات دولية تحطم السياسة البريطانية الخاصة بالمحافظة على الإستقرار على طول الحدود الفارسية العثمانية. ولما كان الانكليز قد فشلوا في ايجاد ذلك التعاون بين الفرس والعثمانيين ضد مير كور، فقد عزموا على التدخل في المشكلة برغم معارضة القيادة العثمانية لذلك. فقد كانت السلطات البريطانية تخشى أن يعمد مير كور في فترة من فترات اليأس الى وضع إمارته تحت الحكم المصري نكاية بالعثمانيين إذا ما أطبقوا على إمارته.

وكان الانكليز يخشون التدخل من جانب قوة مناهضة (مثل مصر) للمصالح البريطانية في العراق. فإتصلوا هذه المرة بالأمير السوراني مباشرة وبعثوا اليه بريتشارد وود R.Wood، وكانت مهمته تقضي بأن يبذل قصارى الجهد لإقناع الأمير بعدم الاستماع الى التحريضات الفارسية التي تدعوه لإعلان الخضوع للشاه كي لايعطي القوات العثمانية عذراً على أمل أن تسعى السفارة البريطانية في الأستانة لدى الباب العالي لإستصدار العفو عنه وإعادته معززاً مكرماً الى إمارته لحكمها مرة أخرى بفرمان من السلطان[٤٥]...

٤٢- العراق الحديث. ص١٠٦ نقلا عن وثيقة مؤرخة في ١٣ تشرين الأول ١٨٣٦ مجموعة ٥٤ مكتبة وزارة شؤون الهند. واخرى مؤرخة في ١٣ تموز ١٨٣٦.

٤٣- المصدر السابق ص١٠٦ نقلا عن رسالة وود في ٣ ايلول ١٨٣٦. مجموعة ٥٤ ص٦٧٩-٦٩٥.

٤٤- خالفين. المصدر السابق ص٥٢ نقلا عن ارشيف الدولة المركزية التاريخي لجورجيا. رسالة گودينج الى سيمونيچ.

٤٥- عبدالعزيز سليمان. ص١٠٧ نقلا عن وثيقة مؤرخة في ١٦ اب ١٨٣٦ مجموعة ٥٤ ص٦٧٥-٦٩٥ واخرى مؤرخة =

موقف محمد باشا العسكري:

في الواقع كان موقف مير كور من الوجهة العسكرية يتدهور بسرعة، فقد سقطت آلتون كوپري في يد جيش علي رضا وأعقبه سقوط أربيل الحصينة بعد حصار دام ثلاثة أشهر. وعندما دخلت القوات العثمانية المدينة اعملت السيف فيها وفي حاميتها. ثم بدأت القوات العثمانية تتقدم نحو قلب الإمارة السورانية نفسها حتى اصبحت على بعد ساعتين ونصف ساعة من العاصمة رواندوز. واخذ أعوان مير كور يتخلون عنه حيث وكان لفرمان السلطان بعزله مفعول السحر في تفكيك قواته. وأدرك مير كور أن الامور تتطور لغير صالحه، حيث سقطت حرير وكويسنجق في يد القوات العثمانية[٤٦]...

ويقول لونگريگ: «إن ظهور رشيد باشا الذي أُختير لكبح جماحه او القضاء عليه اوقف تهديداته في الحال وأرخى العرى التي كانت تربط بين اجزاء الامبراطوريته الآيلة للزوال، وسر أعداؤه وخصومه. فتراجع الكُردي الأعور الى عاصمته، وقد كان مُهاباً دائماً اكثر من كونه محبوباً. ثم خانه كثير من أتباعه حتى لم يستطع الاستفادة من التنافس المبني على الحسد الذي نشأ بين رشيد وعلي رضا. فإستسلم في النهاية بعد ان مُنح اوثق العهود بأن يعامل بالحسنى. وأُرسل الى استانبول وتوقع الكثيرون انه سيعود تابعاً تركياً، إلاّ انه اختفى بدلاً من ذلك بصورة سرية وذهب ضحية للحذر التركي»[٤٧]...

ويذكر البعض ان مير كور وجد أن الاستسلام خير له من المقاومة، لعله يحصل على عفو من السلطان ويعود الى مقر اقامته معززاً مكرماً حسب ما وعده به ريتشارد وود. فإستسلم الى رشيد باشا فعلاً[٤٨]... ويذكر خالفين أنه في آب ١٨٣٦م: «حاصر الجيش التركي رواندوز وبسبب نقص التموين وحرمانه –يقصد مير كور– من مصادر المياه قبل محمد باشا عروض محمد رشيد باشا بالإستسلام المشرّف الذي قدمه له وسلم نفسه. وأُرسل هو وعائلته وزعماء القبائل الموالية له الى إستانبول. وقد اضطرت القيادة العليا التركية على تعويض الحكومة الإيرانية عن الأضرار التي نجمت عن الغارة الكردية على جنوبي أذربيجان»[٤٩]...

وعندما سمع علي رضا بإستسلام مير كور لرشيد باشا إستاء من هذا الإجراء وإعتبره تحدياً له

= في ١٢ تشرين الأول ١٨٣٦ نفس المجموعة ص٦٧٥–٦٧٨. رسالة بونسنبي Ponsonby السفير البريطاني في استانبول الى وزير الخارجية البريطاني بالمرستون.

٤٦– المصدر السابق. ص١٠٨–١٠٩ نقلا عن رسالة الكولونيل تايلر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد المؤرخة في ١٦ اب ١٨٣٦ مجموعة ٥٤ ص٩–١٠.

٤٧– لونگريگ. المصدر السابق ص٣٤٣–٣٤٤.

٤٨– عبدالعزيز سليمان. المصدر السابق نقلا عن رسالة من وود الى بونسنبي (السفير البريطاني في الاستانة) مؤرخة في ١٣ ايلول ١٨٣٦ مجموعة ٥٤ ص٦٧٩–٦٩٥ ومن رسالة من السفير الى بالمرستون في ١٢تشرين الأول ١٨٣٦م ص٦٧٥–٦٧٨.

٤٩– خالفين: المصدر السابق ص٥٣.

وإعتداءً على حقه في تصريف أمور رواندوز التابعة لباشوية بغداد، مع ان القيادة العامة كانت معقودة لرشيد باشا. وعلى أي حال لم يأخذ رشيد باشا بإحتجاج علي رضا في هذا الصدد، وبعث بمير كور مكرماً الى الاستانة. وحدث بعد ذلك ان توفي رشيد باشا، فزالت بذلك القوة التي كانت تؤمن حياة مير كور. فأقنع علي رضا سلطات الاستانة بضرورة إعدامه. فنُفذ فيه الحكم فعلاً خوفا من عودته الى إمارته في تلك الظروف العصيبة التي كانت تجتازها الدولة العثمانية. ويقول احد المتابعين لسير الامور **ان أمير رواندز بينما كان قادماً في طريقه من الأستانة خرج عليه من قتله**[(٥٠)]...

ويقول خالفين حول مقتل الأمير: «في مايس ١٨٣٨م- أي قبل اكثر من نصف سنة على إستسلامه ونفيه – أحرز الأمير محمد باشا لقب الباشوية من السلطان وأُعيد مع انواع الهدايا الى مقره السابق»[(٥١)]...

لكن المعروف انه قُتل غدراً حال وصوله الى طرابزون. وحول مغزى إنتفاضة رواندوز يقول خالفين: «دلّت على نمو الميول التحررية بين القبائل الكردية. وفي الوقت نفسه أظهرت بان الدول العظمى وفي مقدمتها الامبراطورية البريطانية حاولت ان تلعب دوراً فعالاً في كردستان مستخدمة القبائل الكردية لأغراضها الحربية والسياسية، وان القضية بدأت تكتسب اصداءً دولية اكثر شمولاً»[(٥٢)]...

رواندوز بعد وفاة محمد باشا:

ذكر حزني انه بعد استسلام الأمير محمد تولى الحكم في رواندوز أخوه احمد بگ بن مصطفى بگ، ثم اعقبه أخوه سليمان بگ، ثم اصبح الحكم جماعياً. وفي هذا العهد لم يبق نفوذ للملا الخطي فاضطر للهجرة عائداً الى قرية (خەتێ) الواقعة في منطقة (هەروتێ). واعقب ذلك الحكم الجماعي تولي رسول باشا بن مصطفى بگ حكم رواندوز[(٥٣)]...

تتحدث بعض الوثائق عن ثورة وقعت في الإمارة عندما علم الاهالي بمصرع الأمير وأن أحد إخوة مير كور أعلن الثورة على العثمانيين[(٥٤)]... عين علي رضا باشا على رواندوز كتخداه (نائب الوالي) لعله يستطيع فرض الحكم المباشر فيها، ثم عدل عن ذلك لاعتقاده بصعوبة فرض هذا النوع من الحكم في تلك الفترة. لذلك أسند حكم رواندوز الى رسول بگ أخو مير كور. وحاول هذا ان يستعيد ماكان لأخيه من إستقلال ذاتي ولكن والي بغداد نجيب باشا (١٨٤٢- ١٨٤٧م) تصدى له بقوة. فاضطر

٥٠- تاريخ العراق الحديث ص١٠٩ نقلا عن محفظة ٢٥٦ عابدين (مصر) وثيقة ٢٦-٢ في ٣ محرم ١٢٥٤هـ/ ٣١ اذار ١٨٣٨م.

٥١- خالفين: المصدر السابق ص٥٥.

٥٢- المصدر السابق ص٥٦.

٥٣- حزني: أمراء سوران ص٧٤.

٥٤- محفظة ٢٥٦ عابدين وثيقة ٣٣-٢٦-٢ في ١٨ نيسان ٢١/١٨٣٨ محرم ١٢٥٤هـ.

رسول الى الفرار الى إيران[٥٥]... في عام ١٨٤٦م. ومن هناك أخذ يثير المتاعب لحاكم رواندوز نجيب باشا، ولكن دون ان يصل الى نتيجة. وعندما دب اليأس في نفس رسول عمد الى التفاهم مع نجيب على اساس أن يعيش في بغداد وعفا الله عما سلف. وكان ذلك التفاهم بوساطة القنصل البريطاني[٥٦]. ولعل هذه الوساطة أغرت رسول بگ بإستعادة حكم مدينته عن طريق الانكليز أيضاً. ولكن نجيب باشا أدرك خطورة اعادته الى الحكم من حيث ان ذلك يهدد سياسة إعادة الحكم المباشر التي يتبعها في المنطقة، كما ان عودته بوساطة انكليزية ستقوي النفوذ البريطاني هناك. ففرض نجيب باشا عليه ان يقيم في مكان يقع غربي دجلة وان يستمر ثلاث سنوات في هدوء حتى يمكن النظر في أمر اسناد حكم المدينة إليه[٥٧]. ويبدو من الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع بأن نجيب كان ينوي في حال اعادته الى احد المناصب ان يكون المنصب في مدينة غير رواندوز. ورسول هذا كان آخر حكام رواندوز من الأمراء السورانيين وخلصت المدينة من بعده للعثمانيين تماماً. لقد مهّد سقوط الإمارة السورانية لسقوط إمارات صغيرة أخرى مثل الإمارة البهدينانية في العماديه والبوتانية في جزيرة ابن عمر وإمارة نورالله في حكاري. بعض هذه الإمارات خضع لمير كور حينما كان في أوج قوته.

وفي الختام نود ان نذكّر بأن الأمير محمد باشا لُقب بـ(كور باشا) او مير كور أي الأمير الاعور. قال البعض لقب بذلك لإصابته بعلة في إحدى عينيه. ولكن شاهد عيان هو الدكتور روس طبيب المقيمية البريطانية في بغداد، الذي كان قد قصد رواندز لمعالجة عين والده مصطفى بگ شاهد محمد باشا في أربيل وذكر بان إحدى عينيه قد أُصيبت فأصبحت منخفضة معتمة، وكان وسيم المنظر، ابيض البشرة تبدو فيه آثار الجدري، وذا لحية بنية طويلة، مرتب الهندام. يتكلم بصوت خافت[٥٨]...

٥٥- استقر رسول باشا اولا في شنو بالقرب من الحدود، فكان قادرا على اثارة المتاعب في وجه العثمانيين فتدخل المسؤولون الانكليز لدى ايران لنقل رسول الى طهران بعيدا عن الحدود.

٥٦- تاريخ العراق الحديث ص١٠٩ نقلا عن رسالة من شيل الى بالمرستون مؤرخة في ٢٦ ايلول ١٨٤٦ مجموعة ٨٥ ص١٠٣-١٠٥ واخرى من راولنسون الى شيل مؤرخة في ٢١ ايلول ١٨٤٧ مجموعة ٨٦ ص٦١٧-٦٢٢ وثالثة من شيل الى بالمرستون مؤرخة في ٢٢ مايس ١٨٤٧ مجموعة ٨٦ ص٦١٣-٦١٤.

٥٧- تاريخ العراق. ص١١٠ نقلا عن رسالة موجهة من راولنسون الى شيل في ٢١ نيسان ١٨٤٧ مجموعة ٨٦ ص٦١٧-٦٢٢.

٥٨- فريزر. رحلة فريزر ترجمة جعفر خياط ص٢٣.

الهجوم العثماني على كردستان وسقوط إمارة سوران*

القسم الأول

عبدالفتاح علي يحيى

مدخل

لايُعرف بالتحديد تاريخ تأسيس الإمارة السورانية[1] لكن العديد من المؤرخين يذهبون الى انها تأسست في القرن الثاني عشر الميلادي، وأن مؤسسها كان راعياً كردياً فقيراً. لقد دام عمر هذه الإمارة سبعة قرون تقريباً حكم خلالها حوالي أربعة وعشرين أميراً وأميرة واحدة تُدعى خانزاد. وبسبب الظروف السياسية والعسكرية إتخذت الإمارة عدة عواصم لها: هاوديان، دوين، أربيل، شقلاوه، حرير، خليفان، وأخيراً رواندوز حيث نالت اعظم شهرة لها في عهد الأمير محمد پاشا الكبير المشهور بـ(ميري كوّره) أي (الأمير الاعور) حتى أنّ طائفة من المؤرخين أخذوا يطلقون عليها خطأ إسم إمارة رواندز.

دأب أمراء سوران دوماً على ابراز كل ما يضفي على إمارتهم صفات الإستقلال. فحكموا بحرية ولم يكن لحكمهم أي مظهر من مظاهر العظمة والكبرياء، ولم يفخروا بالإنتساب لغير الكُرد، وعندما بدأ الصرا ع العثماني الصفوي حاول أمراء سوران أن لايتدخلوا قدر الإمكان. لذا فقد نالوا عداء الاثنين فعاملهم العثمانيون بقسوة وذلك بقتل من وقع في يدهم من طرفها، فكان أولهم الأمير يزدين شير (عزالدين شير) وآخرهم الأمير محمد پاشا الكبير. أما الفرس فلم يستطيعوا ان ينالوا منهم ابداً. فإستحقت الإمارة مدح الموكرياني من ان: **في كل صفحة من صفحات تاريخها آلاف من مفاخر الكرد وأمجادهم وتستحق كل إطراء وتقدير**...

لقد بدأ عهد جديد من التنظيم والإستقرار والتقدم في الإمارة السورانية بتولي الأمير محمد الحكم عام ١٨١٣م، الذي اخذ بتثبيت سلطته في رواندوز أولاً ثم سيطر على جميع عشائر المنطقة بإكتساح قلاع رئاستها الهزيلة. ثم أخضع أمراء بادينان وإقتطع أجزاء من إمارتي بابان وبوتان، ونجح في توسيع سلطته لتشمل منطقة شاسعة تمتد من سنجار الى القرى الكردية في أذر بيجان الإيرانية، ومن حصن (كيف) الى نهاية الأراضي التابعة لمدن مخمور والگوير وآلتون كوبري. وهكذا أصبح

(*) عن مجلة (كاروان) العدد (٥٢) في كانون الثاني ١٩٨٧.

١- ان لفظة سوران في الحقيقة تشمل محافظة أربيل برمتها، لكنها باتت اليوم تدل على منطقة واسعة من كردستان العراق، ويختلف المؤرخون في اصل تسميتها بهذا الاسم.

الأمير على حد قول مارك سايكس:_**سيد البلدان الواقعة بين الحدود الشرقية للدولة العثمانية والموصل في بداية القرن التاسع عشر**[٢] ...

هذا واشتهر الأمير الكبير بتنظيم الإدارة في إمارته وإستتباب الامن فيها، فحقق بين الناس العدالة في دائرة الشريعة الإسلامية. ويقول لونگريگ إنه؛ **اقام في إمارته الضبط الغير الخاطيء بقسوته العادلة. ولم يكن مثل هذا الضبط معروفاً في مثل هذه الأصقاع، وقد كان الكل يقيس هذه الحالة بالفوضى والإرتباك اللذين كانا سائدين في العراق**[٣] . وبشهادة العديد من المؤرخين والكتاب، غدت رواندوز في عهده مركزاً للحركة التحررية الكردية في ثلاثينات القرن الماضي بفضل إهتمامه بدعم الزعماء الكُرد الذين يريدون التخلص من السلطان العثماني والشاه الإيراني، وإقامته العلاقات الدبلوماسية مع محمد علي پاشا والي مصر. فالأمير كان يسعى للسيطرة على كُردستان وخلق كُردستان المستقلة، ونضاله كان موجهاً ضد الدولة العثمانية التي كانت سوران تقع ضمن حدودها، وضد سلطة الشاه القائمة في الأراضي الكردية المجاورة لها.[٤]

الهجوم العثماني على كردستان ١٨٣١-١٨٣٦

تنامت النزعة المركزية للدولة العثمانية خاصة في فترة حكم السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) الذي إفتتح أعماله بالقضاء على الإنكشارية وإنشاء الجيش النظامي الجديد. وأراد فرض المركزية على الولايات العثمانية وممتلكاتها بإعادة الحكم المباشر اليها، وكان باشوات عظام قد إستقلوا في جهات نائية عن تلك الدولة وصاروا يحكمون ولاياتهم مستقلين هازئين بسيادة السلطان، وكانت الرعية تفضلهم على الولاة الأتراك الغرباء مما ادى الى تقلص النفوذ العثماني وتكوين الشعور بالهوية المحلية، الذي تزايد في القرن التاسع عشر واتخذ الصفة القومية. ففي العراق كان ولاة الموصل الجليليون شبه مستقلين، وأصبح إستقلال بغداد في عهد داود پاشا، لا يطاق ولا يأتلف مع الإحترام الذاتي للإمبراطورية العثمانية. وكان بنو كعب في المحمرة خارجين عن إرادة السلطان، والشيخ صفوك الفارس شيخ عشائر شمر الجربا يسعى للإستقلال بـ(الجزيرة العراقية). وفي كردستان كان أمير سوران قد أعلن استقلاله منذ عام ١٨٢٨م. وكان أمراء بوتان وهكاري وبدليس شبه مستقلين. ولما كانت مقدرات الدولة العثمانية في هذه المناطق معلقة بمصير هذه القوى، التي

٢- د. احمد عثمان ابوبكر: اكراد الملي وابراهيم پاشا، بغداد ١٩٧٣، ص٣٢.

٣- ستيفن همسلي لونگريگ: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد- ط٥ ص٣٤٣.

٤- الميجر سون: رحلة متنكرة الى بلاد ما بين النهرين وكردستان ترجمة فؤاد جميل. ج٢ بغداد١٩٧١، ص١٤٨ كذلك انظر ن.أ.خالفين: الصراع على كردستان "المسألة الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن لتاسع عشر" ترجمة د.احمد عثمان ابوبكر، بغداد ١٩٦٩ ص٤٩-٥٠، د.عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨، ص١٩٥، د.جليلي جليل: اكراد الامبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر "باللغة الروسية" موسكو ١٩٧٢، وقد ترجم الدكتور عبدالجبار قادر غفور مشكورا ما يتعلق بالموضوع الى اللغة العربية.

كانت تحول دون تقوية قبضة الحكومة على اجزاء هامة من الامبراطورية، وخوفاً من تنامي هذه القوى وإستقلالها تدارست القيادة العثمانية الموقف، فوجدت ان الامر يتطلب حملة عسكرية تتوفر لها كافة مستلزمات النجاح، واختارت لهذه العملية على رضا اللاز. ولم يقع الإختيار عليه إلاّ بعد أن رفض غيره الإضطلاع بالمهمة العسيرة.

كان علي رضا أكثر الولاة معرفةً باحوال العراق، فقد كانت له صداقات وصلات بالعراقيين وعلى رأسهم والي الموصل قاسم العمري وبعض زعماء المماليك وشيوخ العشائر العربية والكُردية من الناقمين على حكم داود پاشا. ونظراً لصعوبة مهمته، فقد نال كل إلتفات ومُنح لقب قائد الجيش (سَر عسكر) تقوية لنفوذه، فصدر الخط الهمايوني وجاء في فقرة منه؛ **تذاكر المجلس بخصوص إعطاء عنوان سر عسكر الى الوالي تقوية لنفوذه واعظاماً للمسألة وبياناً لمكانته وأهمية القضية التي يعالجها**[٥]. ووافق الباب العالي على جميع طلباته فزوده بستة آلاف كيس من النقود[٦]. ونصَّ فرمان علي رضا على حكم بغداد وحلب ودياربكر والموصل، وهي مجموعة من الولايات لم يسبق وأن أُنعم بحكمها على حاكم واحد وفي وقت واحد[٧]. وجعلوا بصحبته كلاً من يحيى پاشا والي دياربكر، وعلي شفيق والي أرضروم، وموظفين كثيرين ومتسلمين وأكابر رجال الكُرد والأنحاء المجاورة.

تحرك علي رضا من حلب في اوائل شباط ١٨٣١م على رأس قوات نظامية بلغ تعدادها عشرة آلاف مع تسعة مدافع ميدان إضافة الى كتيبتين من خيالة الإقطاعيين وعدد كبير من غير النظاميين، الذين كثروا وبدأوا يتوافدون عليه لأنه كان كلما بلغ محلاً أغدق على اهله الهبات والعطايا، كما اغدق الاموال والهدايا على رؤساء وشيوخ العشائر وهو في طريقه، فانضم الى جيشه صالح چلبي الزهيري واحد كبراء عشيرة شمر الجربا من اتباع الشيخ صفوك الفارس، وسليمان الغنّام أحد شيوخ عشيرة العقيل، وكانت هاتان العشيرتان من عشائر العراق الصعبة المراس ذات الشهرة الواسعة في ميادين القتال. فبلغ عدد أفراد جيش علي رضا عشرين ألفا. كذلك وضع قاسم العمري، والي الموصل وعدو داود پاشا اللدود، كل إمكاناته تحت تصرف علي رضا[٨]...

هذا وصدرت الإرادة السلطانية الى الصدر الأعظم السابق سليم محمد پاشا بأن يذهب الى فيلق حلب ليكون قوة إسناد. فصار قائداً للفيلق الثاني وسار بسرعة الى أنحاء حلب[٩]... أخذ علي رضا

٥- ريچارد كوك: بغداد مدينة السلام، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل، بغداد ١٩٦٧-ج٢ ص١٤٥، كذلك انظر عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٦، ص٣١٠.

٦- الكيس عملة عثمانية وكانت في تلك الايام على نوعين كيس الفضة وهو يحتوي خمسمائة قرش، وكيس الذهب ويساوي ما قيمته عشرة الاف قرش أي انه يعادل عشرين كيساً فضة.

٧- ستيفن همسلي لونگريگ: المصدر السابق، ص٣٣١، كذلك دكتور عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص٣٣.

٨- عباس العزاوي المصدر السابق ص٣٠٨-٣٠٩ كذلك انظر د.علاء موسى نورس: حكم المماليك في العراق، بغداد ١٩٧٥ ص٢٥٥، وخليل مردم بگ: اعيان القرن الثالث عشر، بيروت ١٩٧٧، ط٢ ص١٨١.

٩- عباس العزاوي المصدر السابق، ص٣١٠ وانظر كذلك سليمان الصايغ تاريخ الموصل ج١، القاهرة ١٩٢٣ ص٣١٠.

خلال مسيرته يرسل الكتب بصورة مستمرة الى الفئات المتبرمة في العراق وكُردستان ويبذل الأموال. وإستطاع بكرمه وقدرته على إعطاء الوعود المطلقة أيضاً[١٠] ان يجتذب قلوب الكثيرين. كما إنتشر دعاته بين الناس يثبطون العزائم عن المقاومة ويدعونهم الى طاعة السلطان. وبعث رسله يحملون الأوامر التي تتضمن الرأي والأمان للمماليك وسائر الأهلين.

لقد كانت مهمة علي رضا شاقة، إذ لم تقتصر على القضاء على داود پاشا فقط- كما ترأى للكثيرين الكتاب والمؤرخين- إذ كان عليه القضاء على الزعامات الوطنية التي سبق ذكرها وإخماد حركات عشيرة العقيل وإعادة الحكم المباشر الى العتبات المقدسة أيضاً. وهذا كله علاوة على ضخامة الأعباء التي يتطلبها مشروع إعادة الحكم المباشر وإرغام تلك القوى على قبول النظام الجديد.

توجه علي رضا پاشا الى بغداد للقضاء على أخطر المستقلين كبداية لتصفية البقية، ولم يكن الإستيلاء عليها امراً هينا لما كان عليه داود پاشا من القوة والمنعة. وقد شاءت المقادير ان يكتب لعلي رضا الفوز... ففي الوقت الذي كانت بغداد تستعد للوقوف في وجه القوات الزاحفة داهمها الطاعون الوبيل وطغت عليها مياه نهر دجلة. فكان طبيعياً أن تقف- نتيجة لتلك الكوارث- مكتوفة اليدين وأن تفتح ابوابها لجيش السلطان.

وزاد نجاح علي رضا في القضاء على حكم داود پاشا من شهرته مما دفعه الى البدء بالقضاء على أمير سوران. فاختار لهذه المهمة أحد اشرس وأقسى ضباط القوة الغير النظامية والمدعو محمد اينجه بيرقدار (حامل العلم النحيف)[١١] وعيّنه والياً على شهروز عام ١٨٣٣م[١٢]. فكان أول وال عثماني للمنطقة منذ القرن السابع عشر. وقد أُختير لهذا المنصب لقسوته وكرهه الشديد للكُرد؛ **حيث كان همه الوحيد عند تعيينه تحطيم الدويلات الكردية.**[١٣]...

قدر أمير سوران محمد پاشا الكبير خطورة مايجري حوله... فبدأ يتحرش بالوالي الجديد قبل ان يعزز مركزه. فأدرك علي رضا پاشا هنا ان الظروف غير ملائمة لتعيين والٍ عثماني على شهرزور خوفاً من ان يمتد نفوذ السوران الى كركوك، خاصة وان اميرها كان محبوباً فيها ويمارس نفوذاً ادبيا على المدينة وعشائر المنطقة. كما لم يكن تحت يد البيرقدار من القوات العسكرية او المحلية مايمكنه من تثبيت اقدامه في هذا المحيط الكُردي، لذا نُقل البيرقدار الى الموصل عام ١٨٣٤م.

ولجعل الموصل قاعدة من قواعد الهجوم على القوات المصرية في الشام بالتعاون مع الجيش

١٠- ريچارد كوك: المصدر السابق ص١٥٠-١٥١ كذلك انظر لونگريگ: المصدر السابق ص٣٢٩-٣٣١.

١١- د .عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص٥٩-٦٠ والصايغ: المصدر السابق ص٣١٠-٣١٤.

١٢- شهرزور: الاسم الرسمي الذي كان يطلق على البلاد البابانية ومنطقة كركوك قبل اعتبار الموصل "لواء- سنجق " وبعد التنظيمات الادارية اطلق اسم شهرزور على منطقة كركوك فقط.

١٣- ستيفن همسلي لونگريگ: المصدر السابق ص٣٤٠ كذلك د. عبدالعزيز نوار: المصدر السابق ص١٠٤.

العثماني المحتشد في دياربكر، كان على الدولة العثمانية ان تسيطر على كردستان وتخضع أمير سوران، الذي كان بتعاونه مع محمد علي پاشا يهدد هذه القوات من الخلف. فلم يكد البيرقدار يستقر في الموصل حتى بدأت السلطات العثمانية تحثه وتحث القوى العثمانية المجاورة للإمارة السورانية على التجمع لتوجيه ضربة قاضية لها[١٤]. فعنى ببناء ثكنة ومقر للحكومة وانشأ مصنعاً للمدافع والذخيرة[١٥]. واخذ يطبق قوانين التجنيد العسكرية قبل ان تطبق في أي جزء من العراق. فجّند الاهالي من غير مراعاة للسن والحال (**فكان يبث عسكراً في شوارع المدينة ليأتوه بمن يصادفونه أياً كان**)[١٦]. وواجه البيرقدار مقاومةً عنيفة من جانب الأهالي ضد محاولاته لجمع الرجال للجندية، ولم يكن هناك مفر من أن يطبق قوانينه بحد السيف وفعلاً هدد بضرب المدينة بالمدفعية إن لم تذعن للقوانين العسكرية[١٧]...

بعد هذا التهيؤ شرع علي رضا والبيرقدار وبأوامر من الباب العالي في إتخاذ الخطوات للقضاء على إمارة سوران. فكان (سلاح الدين) أول اسلحتهم وأمضاها. وإتصل علي رضا برؤساء العشائر ليكسبهم الى جانبه، وليهيء تأييداً دينياً للعثمانيين ضد أمير سوران. وإتصل بعدد كبير من علماء الدين وشيوخ الطرق الدينية ليستخدمهم في تحقيق مآربه السياسية. ولما كان علي رضا مشهوراً بسخائه في منح الأراضي والقرى والأموال، فقد منح الذين أيدوه الكثير منها. ومن الجدير بالذكر هنا، ان من جملة الذين اتصل بهم لكسب تأييده الديني ضد أمير سوران، الشخ نورالدين البريفكاني (١٧٩٠-١٨٥١م) الذي وقف موقفاً مجيداً ومشهوداً برفضه مقابلة علي رضا قائلاً لرسوله الذي جاءه يلتمس ذلك (**انا لا اواجه ظالماً بسبب عرضي عن الدنيا**) كما وامتنع الشيخ الجليل عن ذم أمير سوران، مضحياً بخمس عشرة قرية كان علي رضا قد وعده بها إن فعل[١٨]...

وإستعد البيرقدار لمهاجمة الإمارة السورانية وأرسل له علي رضا پاشا جيش بغداد، ويذكر ان البيرقدار رأى ان خير طريقة للتخلص من الإنكشارية هو ان يسير بهم لمحاربة حاكم العمادية[١٩]... وبدأ بضرب اطراف الإمارة وحاول السيطرة على الطرق الرئيسية المؤدية الى عاصمتها رواندوز فاوقع السيف والنار في كل قرية مر بها، وساعدته الظروف في إحتلال العمادية. ثم حاول الزحف

١٤- د. عبدالعزيز نوار: المصدر السابق ص ٨٥، ١٠٤-١٠٥.

١٥- يذكر ياسين خيرالله العمري في كتابه: منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق ونشر سعيد الديوجي، الموصل ١٩٥٥ ص٢٩٤-٢٩٥، ان البيرقدار اتى بالخبراء من رواندز لصنع المدافع، وانهم عملوا له مايقارب ثمانين مدفعاً.

١٦- سليمان الصايغ: المصدر السابق ص٣١٤، كذلك انظر د.عبدالعزيز نوار: المصدر السابق ص٨٥-٨٦ وصديق الدملوجي: إمارة بهدينان- الموصل ١٩٥٢ ص٥١-٥٢.

١٧- سليمان الصايغ: المصدر السابق ص٣١٣-٣١٤، كذلك د.عبدالعزيز نوار: المصدر السابق ص٨٥-,٨٦

١٨- محمد احمد مصطفى الكزني: الشيخ نورالدين البريفكاني، القاهرة ١٩٨٢ ص٦، ٦٠ عن تحفة السالكين ورقة٦.

١٩- ياسين خير الله العمري: المصدر السابق ص٢٩٤-٢٩٥.

على رواندوز فأجبر السكان بالقوة للإنخراط في جيشه. وعندما توجه نحوها أصدر أمير سوران اوامره الى حاكم دهوك إسماعيل باشا وحاكم العمادية رسول باشا لرد البيرقدار. وأرسل من رواندوز جيشاً بقيادة رشيد بگ، فكانت المعركة الفاصلة قرب الزاب الكبير (زێی بادینان) حيث هُزم فيها جيش البيرقدار ولاذ هو بالفرار ووقعت غنائم كثيرة في ايدي القوات السورانية، التي إستعادت العمادية. وكرر البيرقدار محاولته فباءت بالفشل ثانية. وعندما لم يستطع الوصول الى نتائج حاسمة في ميدان الحرب، شرع ينتقم من العزل وبعض رجال الدين وعلماء العشائر، من اللذين لم يساعدوه او وقفوا على الحياد. فدعاهم الى مقابلته في قرية (گرد عرب = تل العرب)[٢٠]. على نهر الگومل بعد ان إستأمنهم على ارواحهم. لكنه اجرى لهم مجزرة مروعة، حيث أحاط بهم جنده وأبادوهم وقطعوا رؤوس بعضهم وألقوها في النهر، وسُبيت نساؤهم واطفالهم وبيعت في أسواق الموصل[٢١]. ونجا من هذه المذبحة الشيخ نورالدين البريفكاني حيث رفض أيضاً مقابلة البيرقدار.

لقد حاول الكرد ان ينتقموا من البيرقدار وذلك بإغتياله في معسكره، لكنه نجا باعجوبة وراح آخر ضحية له[٢٢]. وتذكر المراجع ان بعض رجال الدين وزعماء العشائر تعاونوا مع البيرقدار ولم يحرضوا الكُرد على قتاله ورد ظلمه. ولكن خلاف هذا يظهر من **رسالة حاكم دهوك الى سكان العمادية والملا يحى المزوري يطلب فيها منهم ان لايساعدوا الأعداء وان لاينسوا نساء واطفال الكُرد الذين سباهم البيرقدار وباعهم في أسواق الموصل**[٢٣]...

بعد مرور سنة على عقد صلح (كوتاهية) في نيسان ١٨٣٣م بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا، تفرغت الدولة العثمانية لتصفية الإمارات الكردية (سوران، بوتان، هكاري، بدليس، بابان...) تأميناً لظهر الجيش العثماني عند بدء الجولة الثانية من المعارك مع الجيش المصري، حيث ان صلح كوتاهية لم يكن حقيقياً بل مجرد هدنة إستعد خلالها الطرفان للحرب. فانتدبت الدولة السردار الأكرم محمد رشيد باشا[٢٤] الصدر الاعظم السابق ووالي سيواس للقضاء على إمارة سوران، وجهّزته بجيوش كبيرة من العساكر النظامية الجديدة، وزودته بصلاحيات واسعة. وكانت هذه فرصته لإعادة

٢٠- كرد عرب: قرية كانت تقع على نهر الكومل في قضاء الشيخان لم تعد قائمة الان، وهناك قرى اخرى في قضاء سنجار بهذا الاسم والجدير بالذكر ان الكُرد خلدوا ذكرى هذه المذبحة في اغانيهم التاريخية التي ما زال تغني بشكل حزين الى اليوم.

٢١- سليمان الصايغ: المصدر السابق ص٣١٠-٣١١ كذلك انظر حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٢-٦٤. وصديق الدملوجي: المصدر السابق ص.

٢٢- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٣.

٢٣- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٣.

٢٤- محمد رشيد باشا الكرجي الاصل سرعسكر الشرق وقائد الجيش العثماني في معركة قونيه التي حدثت بينه وبين الجيش المصري سنة ١٨٣٢ واسر هو فيها ثم اطلق ابراهيم باشا سراحه، كان محمد رشيد باشا من اكابر رجال الدولة سبق وان نال الصدارة سنة ١٨٢٩ وفصل عنها سنة ١٨٣٣ وولى سيواس سنة ١٨٣٤

ثقة السلطان به، فقد سبق ان هزم ووقع اسيراً بيد الجيش المصري في معركة قونية عام ١٨٣٢م وإن اخفاقه هذه المرة يعني تعرضه للتنكيل الوحشي الذي كان يتعرض له القادة العثمانيون لدى إخفاقهم اكثر من مرة. لذا عمل بهمة ونشاط في تصفية حساباته مع الكُرد، الذين كانوا قد أضعفوا مقاومة العثمانيين لجيش مصر في سوريا... فتحرك في صيف عام ١٨٣٤م بجيشه البالغ أربعين ألفاً نحو كُردستان، وتهافت الوجهاء وأعداء الأمير وتنافسوا في التودد اليه، امثال محمد مسرفي ومحمود خوشناو وبايزيد بگ بايشتي- الذي كان قد هرب من سوران الى إستنبول وإلتجأ الى السلطان محمود الثاني خوفاً من بطش الأمير باشا الكبير. **أصبح البابشتي دليلاً وحلقة وصل بين رشيد باشا وعشائر الكرد.**[٢٥]

كانت مهمة رشيد باشا السيطرة على سيواس وملاطية ثم الاتجاه شرقاً لتصفية حساباته مع جميع الرؤساء الكُرد قبل الوصول الى عدوه الاكبر أمير سوران. فسمح لجنوده بالإتيان بجميع الاعمال. فكان جيشه يخلف وراءه الخراب والدمار حيث قتل آلافاً من النساء والأطفال وأحرق مئات القرى. ونكّل رشيد باشا وحافظ باشا بأهالي سعرد وماردين ونصيبين والجزيرة وأتاك وموش وسنجار. وقاوم الكُرد جيوش رشيد باشا، فقد غدت منطقة أتاك في نهاية عام ١٨٣٤م قاعدةً للنضال ضد الجيش العثماني. وارسل إليها رشيد باشا عشرة آلاف فارس وستين مدفعاً من قواته. وبعد معارك دامية استخدمت فيها القوات العثمانية بشكل فعال، استطاع رشيد باشا القضاء على مقاومة الكُرد وأسر ألف كردي بضمنهم قائد الإنتفاضة (رجب بگ) الذي أرسل مع بعض أعيان الكُرد الى استنبول. وبسبب المقاومة العنيفة التي لقيها الجيش العثماني في جزيرة بوتان بقيادة الأمير بدرخان، امر رشيد باشا بتدمير مدينة الجزيرة، مركز إمارة بوتان، بالمدافع ثم دخلها الجنود العثمانيون ونهبوها[٢٦]. وأخضعت الجيوش الزاحفة العشائر اليزيدية في سنجار، التي كانت تحت حكم أمير سوران، بعد ان قتلت ثلاثة ارباع سكان جبل سنجار وساقت الأولاد الى المدن حيث عرضوا للبيع لتزيد اثمانهم من ثروة الذين غمسوا يدهم في يد هؤلاء المساكين على حد قول الصايغ[٢٧]... وبعد أن احتلت تلك الجيوش تلعفر عبرت دجلة من منطقة أسكي موصل[٢٨] متوجهة الى رواندوز. وآزر هذه

٢٥- علي سيدو الگوراني: من عمان الى العماديه او جولة في كردستان الجنوبية، القاهرة ١٩٣٩، ص١٢٣-١٣٣ كذلك انظر حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٤٣-٦٧.

٢٦- د. جليلي جليل: هجوم القوات العثمانية على كردستان ترجمة د. كاوس قفطان، مجلة كاروان العدد "٢٧" السنة الثالثة ١٩٨٤.

٢٧- سليمان الصايغ: المصدر السابق ص ٣١٧ وانظر كذلك د.سامي سعيد الاحمد: اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم، ج١، بغداد ١٩٧١ ص, ٨١

٢٨- اسكي موصل: ومعناها بالتركية الموصل القديمة وتقع شمال الموصل بحوالي ٥٠ كم وعلى الضفة الغربية من دجلة وعرفت قديما باسم "بلد.بلط" وكان يوجد فيها معبر من الارماث انظر عبدالله امين اغا: بلدة "اسكي موصل"تاريخها واثارها، الموصل ١٩٧٤.

الحملة البيرقدار وكان علي رضا قد أرسل من بغداد أرتالاً من الجيش الى الموصل، ولم يحضر نفسه لإنشغاله في قمع انتفاضة عشيرة العقيل، التي قامت نهاية عام ١٨٣٤م. ويذكر فريزر أن علي رضا في هذه الفترة كان لايستطيع الخروج من بغداد[٢٩]...

يقول الدكتور نوار: «أصبح العثمانيون بعد هذه الحركات قادرين على تنفيذ خطة واسعة النطاق لغزو الإمارة السورانية»[٣٠]...

لكن تقدم القوات العثمانية كان بطيئاً وتطلب المسير الى رواندوز عدة أشهر بسبب مقاومة الكرد لها وانتصارهم عليها في بعض المعارك. لقد إنتشر جيش رشيد باشا على غير نظام أو تعبئة في الشعاب والمناطق الوعرة، فكان من الصعب عليه القيام بهجوم جبهوي اذ لم يسمح له الكُرد القيام بذلك لإظهارهم مقاومة عنيدة وتوسلهم بحرب أنصار واسعة النطاق... كما أقبل شتاء كُردستان القاسي الطويل ليضع العراقيل أمام تقدم القوات الغازية التي اخذت تعاني من قلة التموين لإمتناع السكان عن مساعدتها وإخفاء التموينات والإحتياطات[٣١]...

أدرك رشيد باشا إنه لايستطيع محاربة أمير سوران وإن تقدمه الى أعماق كردستان لايخلو من مخاطرة. فإضطُر لإيقاف تقدمه لأجل إعادة تنظيم صفوف قواته لحين مجيء الربيع، ووزع قواته في الشتاء على المدن والقرى لتأمين المواد الغذائية وإستقر هو في ماردين. ويذكر المعاصرون أن أسعار المواد الغذائية، لاسيما الخبز تضاعفت في أرضروم وماردين والمناطق الأخرى التي إستقر فيها الجيش العثماني. ولكي يضمن رشيد باشا إنتصاره إستغل فترة الشتاء لمضاعفة أعداد قواته، فأخذ يعمل على زيادتها بتجنيد الآلاف من السكان في جيشه إجبارياً. وإتبع سياسة التهجير المقوتة وذلك بترحيل بعض العشائر الكُردية الى المناطق البعيدة لتأمين نجاحه بإضعاف نضال ومقاومة الكُرد، واقترنت عمليات الترحيل كالعادة بالقسوة والتدمير. وكان لدى رشيد باشا فرمان من السلطان يطلب من قوة قارص وارضروم الإنضمام اليه. وإنتشرت الاخبار عن إرسال ثلاثين مدفعاً وثلاث فرق من الجيش من إستانبول إليه. أشار حجم هذه التحضيرات الى اهمية الحملة ليس بالنسبة لرشيد باشا بل للسلطان أيضاً، الذي أمر والي الموصل وبغداد رسمياً ان يكونا على أهبة الإستعداد للإنضمام الى قوات رشيد باشا. ورغم حماس العثمانيين هذا ونشاطهم في إعداد الهجوم، فقد تطلب حجم هذه الاعمال والاستعدادات عاما كاملاً، ولم يهاجم رشيد باشا إلاّ في ربيع عام ١٩٣٥م[٣٢]...

أما أمير سوران الذي كان يستعد لمواجهة الجيش العثماني، فقد قرر بعدما تأكد من عدم هجوم

٢٩- جيمس بيللي فريزر: رحلة فريزر الى بغداد ١٨٣٤ ترجمة جعفر الخياط، بغداد ١٩٦٤ ص, ٢٠٠

٣٠- د.عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص ١٠٥.

٣١- د. جليلي جليل: المصدر السابق ص ١٠١-١٠٣، كذلك انظر مجلة كاروان العدد السابق نفسه.

٣٢- جليلي جليل: المصدر السابق ص ١٠٠-١٠٥ ومجلة كاروان العدد٢٧، كذلك صديق الدملوجي: المصدر السابق ص٤٥-٤٧.

العثمانيين عليه في ربيع ١٨٣٥، قرر بالمقابل رغم سوء ظروفه السيطرة على بعض المناطق الكُردية في إيران. فهاجمت قواته تشرين ١٨٣٥م إيران وإحتلت اقليم "قتور" القريب من الحدود، بعد سحقها لقوة إيرانية أُرسلت لصدها من (خوي) وتحصنت في المناطق المحتلة. وقاد الأمير في القوت نفسه قوة كبيرة وغزا ممتلكات إيرانية في انحاء (سلدوز) ونهب عشرات القرى[٣٣]... وعلى الرغم من أن الأمير لم يرغب في المغامرة وتعقيد الأمور مع إيران واقتصر نشاطه على منطقة سلدوز، إلاّ أن عمله هذا لم يكن في صالحه لأنه اثار غضب إيران، التي رفضت مساعدته فيما بعد بل وقفت ضده كما سنرى. ولسنا نعرف يقيناً ما الذي دعاه الى القيام بهذاالعمل وفي تلك الظروف بالذات. هل كان يهدف من وراء عمله إختبار القوة الإيرانية في أذربيجان؟ أم اراد التظاهر بالقوة وعدم المبالاة بالخطر العثماني أمام إيران؟ أو لعله إستغل فترة وفاة (فتح علي شاه القاجاري) عام ١٨٣٤م حيث اعقب وفاته نزاع عائلي على الحكم بين الأبناء تدخلت فيه كل من روسيا وبريطانيا وادى الى انشغال إيران وضعفها. ومهما تكن الأسباب فقد أثار عمله هذا غضب الإيرانيين ولم يكن ضرورياً بالمرة.

عندما تسلم رشيد پاشا قوات جديدة تهيأ في ربيع عام ١٨٣٦م لشن الهجوم النهائي على إمارة سوران. فقرر توجيه ضربته من الغرب بالقضاء على حليف الأمير محمد بدرخان البوتاني. وقام بهذه المهمة حافظ پاشا مشير الأناضول، الذي منع خان محمود من تقديم العون لإمارة بوتان من الشمال. ورغم تدمير مدينة الجزيرة عاصمة الإمارة بالمدافع، فقد فشل حافظ پاشا في القضاء نهائياً على إمارة بوتان للإلتقاء بجيش رشيد پاشا في العمادية، تهيئةً للضربة الكبرى لأمير سوران، حسب الخطة التي وضعها قبل التحرك.

أما رشيد پاشا فقد احتل زاخو بعد ان ضيق الحصار على حاكمها الذي استنجد بروانوز وفضل الإنتحار على الوقوع في الاسر. وإستسلمت العمادية للقوات العثمانية بواسطة إسماعيل پاشا لقاء موافقة السلطات على توليه الحكم فيها. وترك العثمانيون مقاليد الامور في العمادية في يد إسماعيل پاشا ليضمنوا هدوء المنطقة خلال العمليات العسكرية ضد أمير سوران[٣٤]. وبعدها توجه رشيد پاشا الى عقره بعد انضمام جيش الموصل اليه. وصمدت عقره ثلاثة اشهر لكن خيانة بعض رؤساء عشائر المنطقة اجبرت حاكمها (پيربال چاوش) على ترك القلعة ليلاً والإنسحاب الى رواندز[٣٥]...

تابعت القوات العثمانية زحفها فعبرت نهر الزاب الكبير بإتجاه رواندوز. وحسب الخطة العثمانية كان على علي رضا پاشا والي بغداد ان يزحف بقواته الى رواندوز عن طريق كركوك- أربيل ليلتقي بقوات رشيد پاشا والبيرقدار في سهل حرير. فهاجم علي رضا إمارة سوران من جهته فسقطت اولاً

٣٣- ن. أ. خالفين: المصدر السابق ص,٥١

٣٤- د. عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ١١١.

٣٥- حسين حزني الموكرياني المصدر السابق ص٦٥، وانظر كذلك د. جليلي جليل: المصدر السابق ص ١٠٦-١٠٧.

آلتون كوبري (پردێ) وكويسنجق وصمدت أربيل وقلعتها بضعة أشهر. وقد لاقى باشا بغداد صعوبة بالغة في احتلالها بسبب تحصينها الجيد ودفاع حاميتها المستميت. وعندما دخلت القوات العثمانية المدينة وقلعتها اعلمت السيف في حاميتها، حتى ان الشاعر الشيخ صالح التميمي شبّه فتح قلعة أربيل بفتح المعتصم العباسي لحصن عمورية، في قصيدة مدح فيها علي رضا باشا بمناسبة إنتصاره وإخضاعه أربيل، ارى من المفيد ذكرها هنا:

لا ترو عن فتح عمورية خبرا
ففتح أربيل ما أبقى لها اثرا
لو أن معتصماً تعدوه صارخةٌ
بقطر أربيل عن إدراكها قصُرا
دع ماسمعت وحدّث بالذي نظرت
عيناك فالصدق مقرون بمن نظرا
مافوق فتحك إلاّ فتح مَن نزلت
عليه سورة نصرالله فإنتصرا

أما عن قلعة أربيل وحصانتها وقوتها فيقول الشاعر:

صماء سامية الأعلام غاصبها
قد كاد يبلغ حد الكفر أو كفرا
غمامة لايدانيها الغمام عُلا
ولامع البرق مع أرجائها إستترا
ماصافح الريح من اركانها حجرٌ
إلاّ ويقدح من حافاتها شررا
مافي جوانبها ماء لذي ضمأ
وليس في أرضها مايُنبت الشجرا
مذ كانت الارض مافيها جرى نهر
لكن سيفك أجرى بالدما نهرا
كانت لهم وزرا فإنقضى عن قدر
بطش الوزير فما أبقى لهم وِزرا
كانت هي الهُبل الأعلى وكم صنمٍ
سما (عليا) بالكسر فإنكسرا
وإن َمن خالف السلطان ماربحت

يومـاً تجــارته بل إنمـا خَـسـِرا
لو طار سهمك في أربيل عن هدف
فالصدر تالله بالكُردي ما صدرا[٣٦]

نلاحظ في القصيدة ان الشاعر التميمي صور سكان أربيل والمدافعين عن قلعتها غاصبين قد بلغوا حد الكفر او كفروا لتمردهم على السلطان. وقد شبه القلعة بهبل –الصنم المشهور في مكة المكرمة– وشبه علي رضا باشا اللاز بالإمام علي بن ابي طالب (ع) في تحطيم الأصنام وفي القصيدة دلالات ومؤشرات تاريخية وجغرافية أخرى.

ترك علي رضا وراءه الأشلاء والخراب والدمار في أربيل وتوجه الى شقلاوه، وقد ساعده أعداء الأمير في إحتلالها وكان ابرزهم المدعو (محمود بن عثمان بگ الخوشناو)[٣٧]... وإستعدت رواندوز للمقاومة وقام الأمير بتحصين (كلي علي بگ) تحصينا متيناً وحصّن كذلك كل المسالك الى المدينة وأقام التحصينات على جبل (سپيلك) وداخل المدينة والقلاع المحيطة بها، وشحنها بالمقاتلين وحشد قواته في مضيق (علي بگ) فاصبح من المستحيل إقتحامه[٣٨]... ثم خطط للمعركة الحاسمة في سهل حرير. وكانت القوات العثمانية الزاحفة تلقى مقاومة السكان المحليين أينما مرت. وكان الكُرد يهاجمون قوافل تموين هذه القوات، التي كان من الصعب عليها بسبب من حرب العصابات التي شنت عليها، ان تحتل وتمتلك الحصون والقلاع. فاخذت بتخريب القرى والحصون وفرض الحصار الاقتصادي عليها.

صحيح ان جيش إمارة سوران واجه عدواً متفوقا في العدد والعدة، إلاّ أن معاقله المنيعة واحكامه في الدفاع عنها واشرافه منها على تحركات الأعداء وطبيعة الارض ومشاكل التموين التي كان يعاني منها جيش رشيد باشا، كان له اثره في موازنة قوة الجيشين وتساوي الكفة تقريباً. فبشهادة القائد الالماني (فون مولكته)[٣٩]، الذي كان موجوداً آنذاك في تركيا ويشرف على العمليات الحربية، **فإن إحتلال أي حصن كُردي في سفوح الجبال وعلى القمم كان يستغرق من ٣٠–٤٠ يوماً**[٤٠]...

٣٦– ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، بغداد ١٩٧٨ ط٢ ص١٦١–١٦٢.
٣٧– عباس العزاوي: عشائر العراق ج٢ ص١٣٣.
٣٨– صديق الدملوجي: المصدر السابق ص٤٧ وانظر محمد امين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة، ص٢٤٣–٢٤٦.
٣٩– يعتبر مولكته من ابرز القادة العسكريين الالمان وكان يشرف على اجهزة الدولة العثمانية الحساسة بالشعب الكردي فقد استعان به الباب العالي خلال الفترة من ١٨٣٩–١٨٤٣ لتنظيم الجيش العثماني، فاضطر للخوض كمفتش في جيش حافظ باشا في معارك ضد الكُرد، فسجل انطباعاته وقدم من خلالها صورا واقعية عن الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الكردي في ظل حكم السلاطين المتخلفين، وعن نضاله الدؤوب من اجل الانعتاق.
٤٠– ن. أ. خالفين: المصدر السابق ص٥١.

إن التفوق العثماني وإستغلال القيادة العثمانية لظروف العداء بين زعماء العشائر الكردية في هذه الاوضاع افادها كثيراً فقد انضم اليها من باع نفسه بالإمتيازات، وحتّم على جيش الإمارة ان يخوض معارك صعبة بسبب وجود هؤلاء الإقطاعيين الذين كانوا يعرفون جيداً الممرات الجبلية وتحصيناتها[٤١]... ورغم كل هذا لم يجرأ رشيد پاشا على الدخول في معركة حقيقية مع أمير سوران وباءت جميع محاولاته في إقتحام رواندوز بالفشل.

في الوقت الذي كان يزداد الضغط العثماني على رواندوز من الغرب، قرر الإيرانيون الهجوم أيضاً عليها من الشرق. وحاولت بريطانيا تنسيق الهجوم الإيراني- العثماني لكنها فشلت بسبب رفض العثمانيين التعاون مع إيران- سنبحث هذا الموضوع لاحقا- وعندما تأزم الوضع... وخوفا من إستدراج الإيرانيين للأمير محمد وتعقد الامور، حرك رشيد پاشا كل قواته نحو رواندوز، لكنها اضطرت الى الانسحاب أمام ضغط الجيش السوراني الذي كان يقوده الأمير أحمد. وكان لهذا الفوز أثر معنوي كبير في نفوس الجند. فلم يبق أمام رشيد پاشا ثمة وسيلة بعد فشل جهوده المتواصلة في اقتحام عاصمة سوران، سوى اللجوء الى الخدعة والحيلة.

يقول الصايغ: «بعد ان حّشد القادة العثمانيون قواتهم في سهل حرير ادركوا عجزهم عن إلقاء القبض على الأمير العاصي لمناعة حصونه وكثرة جنوده. فلجأ رشيد پاشا الى الحيلة، (ورأى خير ذريعة للقبض عليه استئمانه بالحيلة. فراسله وأمَّنه حتى وثَّقه من نفسه)»[٤٢]...

كان اللجوء الى الحيلة والخدعة وشراء الذمم والضمائر دأب القوات العثمانية عندما تفقد الأمل في إحراز نجاح سريع على خصومها لشق صفوفهم. ويؤكد المؤرخون ان السلطان محمود الثاني بالذات إصطنع القوة والحيلة في تحطيم قوة معظم الباشوات الذين كانوا يطمحون للإستقلال باوطانهم.

ان رشيد پاشا الذي كان مطلعاً على التوجهات الدينية للامير السوراني، استطاع ان يستغلها لصالحه. فقد أرسل اليه رسالة يخاطبه فيها باسلوب ديني رقيق ان يكف عن اراقة دماء المسلمين وان لايتطاول على سلطة الخليفة أقدس ما يعتز به المسلمون. ويذكر الموكرياني إن: «رشيد پاشا ارسل الى الأمير فرماناً همايونياً زائفاً، مكتوباً باللغة العربية حّشاه بالآيات القرانيه الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وجاء فيه: (إني اطمئنك واعطيك عهداً وميثاقا كالعهود والمواثيق الذي أعطاها الخلفاء الراشدون للمسلمين بان لايجري بحقهم ما لاترضون، ولايقع من جانبنا ما لايوافق رغباتكم، والشيء الوحيد الذي نريده منكم ان تدخلوا تحت ظل أمير المؤمنين وظل الله على العالمين، الذات السلطانية المباركة. فتنجوا من كل بلاء ومصيبة وتحيوا في الدارين سعداء آمنين. اعطيكم العهد الذي اعطاه الخلفاء الراشدون للأمراء المسلمين بان تكونوا مطمئنين لاتهابون أحداً. وسارعاكم كما أرعى أولادي تحت جناح رأفتي وشفقتي وعدلي

٤١- جليلي جليل: المصدر السابق ص١٠٧، وانظر علي سيدو الگوراني: المصدر السابق ص١٣٣.

٤٢- سليمان الصايغ: المصدر السابق ص٣١٢-٣١٣.

وأحصل لكم على فرمان همايوني بتنصيبكم أميراً لأمراء سوران مصدقاً بمنحكم الخلع والنياشين. واعطيك كل ماتريد وأقضي لك كل حاجة واساعدك عند كل ضائقة، وانصرك على اعدائك، وسيوفى بهذه الوعود كلها بعد مجيئك الى الباب العالي)»[٤٣]...

كما كتب رشيد پاشا الى علماء الدين المحيطين به- وكانوا على جانب كبير من النفوذ- لينصحوه بتقديم الطاعة[٤٤]... وتمكن من إستمالة بعضهم بخاصة الملا محمد الخطي اقرب العلماء الى الأمير. ويذكر موكرياني إن: السلطان العثماني كان قد ارسل تمهيداً للحملة منشوراً همايونياً بإسم الخلافة

الى كل من الملا محمد الخطي والملا يحيى المزوري والملا عزرائيل الجزيري ليساعدوا رشيد پاشا في مهمتهم[٤٥]...

نشطت القيادة العثمانية في إحاطة رواندوز العاصمة بالدسائس والمؤامرات للإيقاع بالكل وسحق عاصمتهم. وأخذ دعاة رشيد پاشا والملا محمد الخطي واعوانهما يندسون بين الجند والناس ينشرون تلك الرسائل مثيرين فيهم العاطفة الدينية والشعور العثماني لتثبيط عزيمتهم عن المقاومة. وحاول بعض رجال الدين إقناع الأمير بالخروج من الأزمة بدون سفك المزيد من الدماء، وذلك بالإستسلام- وهنا وبإتفاق معظم المؤرخين والكتاب الكُرد-كان الدور الخياني الذي لعبه مفتي سوران ومشاور ومعتمد الأمير الملا محمد الخطي[٤٦] كبيراً... رفض الأمير كل الإقتراحات بالتفاوض وظهر خلاف واسع بينه وبين الملا الخطي. وعلى الرغم من عدم سماح رجال الدين للامير بقتال العثمانيين، فإن قائد الجيش الأمير احمد لم يذعن لهم وأصر على القتال والتخاصم مع الخطي ورفض دعوته وناقشه فيها، وبعد مشادات كلامية عنيفة وصل الامر بالخطي تجاه رفض الأمير وشقيقه وكبار الضباط للمفاوضات والتسليم الى ان يلقي خطبة مطولة في صلاة الجمعة وفي الجامع الكبير، أفتى فيها بعدم شرعية مقاومة جيش خليفة المسلمين والإشتباك معه، وبأن (كلّ من يحارب جيش الخليفة غير مؤمن وتحرّم عليه زوجته). فسرت الفتوى بين السكان والجيش وبث رشيد پاشا عملائه في جميع المناطق وبين قوات الأمير لنشرها. فاشاعت الفتوى وأقاويل العملاء روح الخور والإستسلام في النفوس، ومازهد الكرد في تصديق مثل هذه الامور... فإهتزت معنويات الجند والمقاتلين وتبخرت حماستهم وذهب روح القتال عن الجيش وتخلى الكثير عن القتال وانفضّوا من حول الأمير، الذي بدأت نهايته تلوح في الافق. ونتيجة للخيانة فتحت بعض الممرات والمعابر نحو رواندوز، فإندفع منها الجيش العثماني وحاصر المدينة ووجه فوهات المدافع اليها. وحاول الأمير المقاومة ولكن دون جدوى، فقد كان

٤٣- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٧-٦٨.

٤٤- عباس العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص٤٣-٤٤ وانظر محمد امين زكي: مشاهير الكرد وكردستان ج٢ ٤٧-١٤٨.

٤٥- محمد امين زكي: تأريخ الكرد وكردستان ج٢ ١٤٧-١٤٨.

٤٦- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٤-٦٥.

من الصعب جدا رأب الصدع ولم الشمل وجمع الجيش الذي تمزق شرّ ممزق، بالرغم من توسلات الضباط الصغار. وعندما إستشعر الأمير عجزه عن حشد قواته في سبيل مقاومة جدية، إستسلم في نهاية شهر اب ١٨٣٦م مضطراً. وهكذا سقطت رواندوز وذهبت كل التدابير والمجهودات الحربية هباء دون وقوع معركة فاصلة.

يذكر بعض المؤرخين ان الأمير استسلم مضطراً بسبب شحة المياه والمواد الغذائية التي لم تعد تكفي. ولكن الذي أراه هو أن شحة المياه والمواد الغذائية لم يكونا سبباً رئيساً في إستسلام رواندوز. فالأمير كان قد وفّر هذه المستلزمات منذ أمد، والكرد كانوا دائما يخزنون الأرزاق الإحتياطية. فالحروب كانت محتومة في كردستان لذا كان من الضروري إتخاذ الاهبة لها، كما كان لمدينة رواندوز الحصينة طبيعياً مصادر مياه دائمية، تمكّن السكان من الثبات في وجه الحصار[٤٧]...

ويذكر الموكرياني أن الأمير اعطى رشيد پاشا مئتي حمل بغل من النقود[٤٨]... ورغم المبالغة في كمية المبلغ، اعتقد ان الأمير لم يحاول إستخدام الاسلوب القديم- الذي قد يقصده الموكرياني- أي شراء السلام بالمال والتظاهر بالطاعة للسلطان. صحيح إن الرشوة كانت شائعة في الدولة العثمانية وكانت الاموال من العوامل الرئيسية التي تغير من سياسة الباب العالي، إلاّ أن الدولة لم تعد تقبل بها لأنها كانت قد ادخلت في منهاجها القضاء على الإمارات الكردية. كما يقول المثل الكردي (إن حان لرأس وقت قطافها، لايمكن أن تُفدى بمال)، حيث ان الدولة العثمانية كانت قد انشأت منذ عام ١٨٢٧م مدالية حرب كردستان تمنحها للذين سوف يستبسلون من جنودها في القضاء على الكيانات الكردية. أما اموال الإمارة وموجودات دارها فإن القوات العثمانية التي دخلت رواندوز بقيادة علي رضا والبيرقدار، ومكثت فيها بضعة اشهر بأمر من رشيد پاشا، قد نهبتها جميعها.

استسلم الأمير محمد للقائد العثماني قبل الفجر بصحبة الملا محمد الخطي بعد ان عهد بالإمارة لاخيه الأمير احمد. وأظهر رشيد پاشا عظيم إمتنانه للخطي ووعده بعودة الأمير سالماً الى رواندوز!! وأخذ رشيد پاشا بنظر الإعتبار شهرة الأمير وعامله بإحترام. وبأمر من السلطان أرسله الى إستنبول حيث إستقبله السلطان محمود الثاني بإحترام أيضاً وسمح له بالرجوع الى كردستان، لكنه قرر التخلص منه بطريقة دنيئة بإصدار اوامره الى ولاة الطريق بقتله. فبينما كان الأمير في طريقه الى رواندوز، **فاجأه التتر- حامل البريد السلطاني- يحمل البراءة في قتله الى والي سيواس فأُعدم الحياة[٤٩] عام ١٨٣٨م وبطريقة حز الرقبة بالسيف على الأكثر[٥٠] وبصورة سرية، وأُخفيت جثته عن**

٤٧- جليلي جليل: المصدر السابق ص١١١ وانظر مجلة كاروان العدد ٢٧.

٤٨- أي.أم. هاملتون: طريق في كردستان ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧٣، ص٦٧ كذلك انظر، دبليو.أر.هي: سنتان في كردستان، ترجمة فؤاد جميل، بغداد ١٩٧٣، ج٢ ص١٠-١١.

٤٩- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٨-٦٩.

٥٠- سليمان الصايغ: المصدر السابق ص٣١٣، كذلك انظر الميجرسون: المصدر السابق ص١٤٨-١٤٩، ومحمد امين زكي: مشاهير الكرد وكردستان ص ١٤٧-١٤٨.

الانظار. وشاهد مرافقوه في اليوم التالي فروته الثمينة وبنطلونه وعمامته في أيدي الدلالين في السوق فغادروا مسرعين الى كُردستان(٥١)... وفي مقابلة للميجر فردريك ميللنگن مع رسول پاشا شقيق الأمير، الذي كان والياً على وان في عام ١٨٨٠م، سأله الميجر عن مصير أخيه الأمير محمد فاجاب:

انه أُركب سفينة حربية من اسطنبول على اساس إعادته مكرماً الى كردستان... ولكنه لم يصل الوطن ولم يشاهده احد في أي مكان ولا يعلم إلاّ الله ماجرى له ولرفاقه الخمسة(٥٢)...

ويذكر طائفة من المؤرخين إن السلطان أكرم الأمير ومنحه رتبة أمير الأمراء (ميرى ميران) وفرمان الباشويه وسمح له بالعودة الى راوندوز. ولكن موت رشيد پاشا المفاجيء، والذي كان قد تعهد بسلام عودته، كان سببا في تراجع الدولة ثم قتله بتحريض من علي رضا پاشا- الذي اقنع سلطان اسطنبول بضرورة إعدامه والتخلص منه خوفاً من ان يعود الى إمارته في تلك الظروف العصبية التي كانت تجتازها الدولة العثمانية(٥٣)... ولاتصمد هذه الأقوال في وجه التحليل والنقد التاريخي، فقد إستسلم الأمير في آب ١٨٣٦م وأُخذ اسيراً الى إسطنبول، وبان رشيد پاشا توفي في كانون الثاني ١٨٣٧م فترة خمسة أشهر كانت كافية للتفاهم مع الأمير وتزويده بفرمان الباشوية. ولو كانت الدولة العثمانية صادقة النية معه لما كانت إستدعته الى اسطنبول أصلا بعد إستسلامه.... ولاننسى هنا إن إعدام الأشخاص من غير محاكمة ولا سؤال كان من الامور المألوفة وكان يتم ليس بأمر السلاطين وحدهم بل على بأمر الولاة والباشوات أيضاً(٥٤)...

ومهما يكن فقد أُغتيل الأمير بعيداً عن الوطن ولا أحد يعرف قبره ومازال هذا الامر مجهولاً الى الآن. لقد تركت مأساة قتله هذه آثارا عميقة في نفوس الكُرد، فخلّدت ذكراه في الأغاني الكُردية والتاريخية والقصص والملاحم الشعبية، التي ما تزال تغنى وتروي سيرته وبسالته ومأساة نهايته التي عمقت المصيبة أكثر في النفوس.

لم تكتفِ القوات العثمانية بالسيطرة على راوندوز واستسلام الأمير فقط، بل مضت في إخضاع جميع سكان المنطقة الذين لم ينحنوا لها. فشهدت المنطقة ولثلاثة اشهر أنواع الويلات وراح اكثر من عشرة آلاف كردي ضحية على ايدي القوات العثمانية، هذا إضافة الى تدمير ونهب الكثير من القرى. ولم يقف الكُرد مكتوفي الأيدي بل قاوموا الظلم بإعتراف المعاصرين، فقد قُتل عدة آلاف من الجنود

٥١- طريقة جلد الرقبة بالسيف كانت تنفذ بذوي الخطر من الناس ويقاد الى غرفة مكبلا بالحديد ويجلسونه على كرسي ويلقون حول عنقه حمالة سيف ويمسك بطرفيها جنديان ويأخذان يشدان على عنقه حتى يكسرا فقراته ويزهقا انفاسه خنقا، ثم يأتي الجلاد يفصل الرأس عن الجسد ويفسل ويسلخ ويحشي بالقش او التبن ويوضع في صندوق ويقدم الى الوالي الذي يرسله بدوره الى استنبول بعد ان يراه.

٥٢- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٦٩-٧٠.

٥٣- محمد امين زكي: الكرد وكردستان، جلد١،٢،٣، بغداد ١٩٣١ - هامش صفحة ٤٠٣ "باللغة الكردية".

٥٤- د.عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص١٠٩ والهامش.

العثمانيين، ثم اخذ وباء الكوليرا يحصد جيش رشيد پاشا ولم ينج هو أيضاً فتوفي مصاباً به في دياربكر أوائل عام ١٨٣٧م[٥٥]...

لقد عامل كلّ من رشيد پاشا ومن بعده حافظ پاشا- الذي احتل بعده منصب القائد العام-الوطنيين الكُرد بمنتهى الوحشية دون مراعاة لجنسهم وأعمارهم، فكانا يقدمان الجوائز لقاء قطع رؤوس وأصابع الوطنيين الكُرد[٥٦]... ويذكر باسيل نيكيتين: «انه حدث ان وقع احد بگوات الكُرد اسيراً اثناء

حملة حافظ پاشا عام ١٨٣٧م، فمن كان من الأخير الحقود إلاّ أن رماه في قدر من الزيت الغالي، فلبث الأسير محافظاً على رباطة جأشه حتى مات، لأنه رفض الإدلاء بأي معلومات عن الثوار الكُرد رغم العروض المغرية»[٥٧]...

بعد ان استسلم أمير سوران للقائد العثماني بتحايل من العناصر الموالية للسلطان العثماني، وجّه علي رضا پاشا نشاطه نحو العمادية فحاصرها في حدود عام ١٨٣٧م، وألقى القبض على اميرها إسماعيل پاشا وارسله مكبلاً الى بغداد. وذكر الشاعر الشيخ صالح التميمي حادثة الإستيلاء على العمادية في قصيدة مدح فيها والي بغداد قائلاً:

على لوائك خُط النصر والظفرُ
جرى القضاء بما قد خَطَّ والقدرُ
فأسعِد بفتح قضت فيه السعود لهُ
يوم أغرف من الايام مشتهرُ
قد يقبل العذر لكن ماعلمت بما
والي العمادية المخذول يعتذرُ
كم في المحمر العبري له عبرُ
إن لم تفده ففي (أربيل) يعتبرُ
لكنه (جابر) الثاني طغى وبغا
وغاية البغي كسرُ ليس ينجبرُ[٥٨]

وتفيد هذه الابيات مفيدة لمعرفة تسلسل الأحداث، فأربيل سقطت في أيار عام ١٨٣٦م، ورواندوز في آب ١٨٣٦م، والمحمرة في أوائل عام ١٨٣٧م وجابر هو أميرها المغلوب. فيكون إحتلال العمادية على الأغلب في أواخر أو منتصف عام ١٨٣٧م.

لقد إضطر علي رضا الى ان يعيد إسماعيل پاشا الى حكم العمادية، اذ كانت الظروف العامة

٥٥- ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة ١٩٥٧، ص٧٥.
٥٦- د.جليلي جليل: مجلة كاروان العدد ٢٧.
٥٧- ن.أ.خالفين: المصدر السابق ص٥٤.
٥٨- باسل نيكيتين: الكُرد ترجمة دار الروائع بيروت ص٦٤.

لاتسمح بتطبيق الحكم المباشر، وحتى لايثير متاعب ضخمة في وقت كانت الدولة العثمانية مهيضة الجناح عقب نكبتها في معركة نزيب (قرية شمال حلب في حزيران١٨٣٩م) حيث إنهار الجيش العثماني تماماً أمام الجيش المصري[٥٩]. وبعد انتهاء أزمة الدولة العثمانية مع محمد علي باشا بموجب معاهدة لندن عام ١٨٤٠م، حاول إسماعيل باشا أن يحصل على موافقة الدولة العثمانية بالإستمرار في حكم العمادية. لكن إجابة طلبه هذا كان مستحيلاً، فالدولة كانت قد ادخلت في منهاجها القضاء على الإمارات الكردية وفرض سيطرة مركزية مباشرة على ممتلكاتها... لذا رُفض التماسه وأمرت الدولة والي موصل محمد أينجة بيرقدار بالقضاء عليه. فاضطر إسماعيل باشا أن ينازل البيرقدار وإلتقى الجيشان عند قرية (إيتوت) المزورية وأسفرت المعركة عن إندحار الجيش البادينى، وأحرق البيرقدار عشرات القرى الكردية ونهبها. ثم تحّصن إسماعيل باشا في العمادية وبعد حصار دام عدة أشهر اضطر الى الإستسلام وفق شروط املاها عليه البيرقدار، وتم نقله مع افراد عائلته الى بغداد حيث توفي عقيماً عام ١٨٧٢م. ودخلت القوات العثمانية عاصمة إمارة بادينان عام ١٨٤٢م وإستولت على جميع المناطق التابعة له، وألحقت العمادية وعقره بالموصل[٦٠]...

الأمير السوراني الاخير:

إرتبكت الأمور في سوران وعمتها الفوضى عقب مصرع الأمير محمد. فقد تحركت إمارة بابان وإحتلت مناطق مرگة وقمچوغة ورانيه وكويسنجق وحرير. وبسط الأمير أحمد البابانى سيطرته على منگور وچناران وخوشناو، وعينت الدولة محمد المسرفي حاكماً على أربيل والسهول المحيطة بها جزاءاً على خيانته للأمير الكبير ووقوفه الى جانب القوات العثمانية. وعُين علي رضا اللاز على راوندوز أول الامر حاكماً تركياً لعله يستطيع أن يفرض الحكم المباشر فيها، ولم يكن بإستطاعة هذا الحاكم ان يفرض هذا النوع من الحكم. فعاد الى حكم راوندوز والمناطق المحيطة بها الأمير أحمد وتميزت فترة حكمه بالفوضى، حيث رفض أخوه سليمان بگ -الذي كان يعيش في قلعة كاولۆكان- الاعتراف به، وتدخلت النساء في شؤون حكمه. وقُتل في عهده أبرز وارفع الضباط رتبة في عهد الأمير محمد، والمدعو عبدالله الآكويي.... وأدت تلك الفوضى الى إغتياله أيضاً بعد سنتين من توليه الحكم... فإضطُر والي بغداد لأن يسند حكم راوندوز الى رسول باشا في حدود عام١٨٤١-١٨٤٢م بناءً على طلب السكان. وحصرت الدولة العثمانية إدارته على مناطق راوندوز وحرير وبالك وبرادوست. وصدر الفرمان الهمايوني بذلك على ان يدفع سنوياً ثمانين ألف ريال الى الباب العالي[٦١]...

٥٩- ابراهيم الوائلي: المصدر السابق ص١٦٤-١٦٥.

٦٠- د.عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص١١٠-١١١ وانظر كذلك د.علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٧١، ج٢ ص٤٣-٤٤.

٦١- انور المائي: الكُرد في بهدينان، الموصل ١٩٦٠ ص١٧٦كذلك انظر عباس العزاوي: العراق بين احتلالين ج٧ ص٣٦-٣٧ ومحمد امين زكي: تأريخ الدول والإمارات الكردية ص٣٩٨-٣٩٩.

باشر رسول پاشا حكمه بقتل طائفة من رجال الأمير محمد القدماء وتصالح مع أمراء بابان، الذين تنازلوا له عن ديره وحرير بصورة سلمية. ثم أخذ ينتقم من الذين خانوا شقيقة الأمير الكبير ووقفوا مع القوات العثمانية عام ١٨٣٦م. فهاجمت قواته حاكم أربيل وإشتبكت معه في معركة جرح فيها المسرفي، وعادت قواته الى رواندوز دون ان تتمكن من إحتلال أربيل. ثم طرد بايزيد بگ الباپشتي من منطقته الى أربيل، بعد أن صادر أملاكه واملاك اقربائه ولم يقتله بسبب شيخوخته[٦٢]...

حاول رسول پاشا أن يعيد دور اخيه او يقلده، فأخذ يهتم بشراء الاسلحة وتنظيم الجيش وإمتنع عن دفع الأموال فتراكمت عليه وبلغت (٢٤٠) الف ريال. فهاجمه والي بغداد نجيب پاشا (١٨٤٢-١٨٤٩م) بجيش كان معظمه من العشائر الكردية. ولعبت الخيانة الداخلية دورها أيضاً في فشل المقاومة السورانية، فإضطُر رسول پاشا الى ترك رواندوز واللجوء الى مدينة شنو الكردية في إيران. ودخلت القوات العثمانية رواندوز في حدود عام ١٨٤٧م بعد معارك لاتستحق الذكر في منطقة حرير.

ويعد رسول پاشا، الذي فشل في إعادة مجد الإمارة السورانية، آخر حكام رواندوز من الأمراء السورانيين وخلصت المدينة من بعده للعثمانيين تماماً بتعيين حاكم عثماني عليها.

لقد حاول رسول پاشا من مدينة (شنو) ان يثير المتاعبلحكام رواندوز، فاخذ يعرقل أعمال لجنة الحدود المشتركة العثمانية-الفارسية-الروسية-البريطانية، ولذلك تدخل المسؤولون الانگليز لدى البلاط الفارسي لنقل رسول پاشا الى طهران بعيداً عن الحدود. فعمد رسول پاشا الى التفاهم مع نجيب پاشا-وكان ذلك التفاهم بواسطة الانگليز- ويقول الدكتور نوار بهذا الصدد:

«لعل هذه الوساطة أغرت رسول بگ بأن يستعيد حكم مدينته عن طريق الانگليز...»[٦٣]...

لكن نجيب پاشا أدرك خطورة اعادته الى الحكم من حيث ان ذلك يهدد سياسة إعادة الحكم المباشر التي يتبعها في كردستان. فإشترط ان يقيم رسول پاشا في حالة عودته في مكان يقع غربي دجلة بعيداً عن الكُرد وان يستمر ثلاث سنوات في هدوء حتى يمكن النظر في أمر اسناد حكم مدينته اليه[٦٤]. ويظهر أن رسول پاشا وافق على هذه الشروط، فالمراجع التاريخية تذكر أنه عاش في محلة إمام قاسم في كركوك وعين متصرفاً لبغداد ووالياً لـ(وان) وارضروم. وتوفي عام ١٨٨١م ومازال أحفاده باقين الى اليوم.

اخيراً من المفيد ذكر أن رشيد پاشا وعلي رضا اللاز ومحمد إينجة بيرقدار حصلوا على إنعامات السلطان جراء إسهامهم في القضاء على إمارة سوران، وذكر الشعراء اعمالهم في قصائد كثيرة. ان سقوط إمارة سوران القوية مهد لسقوط إمارات بادينان ١٨٤٢م، وبوتان وهكاري ١٨٤٨م، وبابان

٦٢- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٧٠-٨٠ كذلك انظر، د.عبدالعزيز نوار: المصدر السابق ص١٠٩-١١٠.

٦٣- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق ص٧٦.

٦٤- د.عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص١٠٩.

١٨٥٠م، وبدليس١٨٤٩م. وحلّ الموظفون العثمانيون محل الأمراء الكُرد. وبذلك قُضي بذلك على معظم ماكان يلم شعث الأمة الكُردية[٦٥]، بإحكام الدولة العثمانية لسيطرتها المباشرة على كُردستان.

ترك إنتزاع الدولتين الفارسية والعثمانية السلطة من الأمراء الكُرد في كردستان آثاراً عميقة نفسية واجتماعية واقتصادية على الشعب الكردي لازال بعضها قائماً ويؤثر الى اليوم على سير حركة تاريخه وتقدمه في كافة المجالات. فقد ظهرت قوة الأغوات العشائريين والرؤساء المحليين ورجال الدين المتنفذين بعد زوال حكم الأمراء الكُرد، بدعم من السلطات الإيرانية والعثمانية. فكان هؤلاء بمثابة صلة بالموظفين الأجانب الذين عُينوا في كردستان ولم يتمكنوا من حكمها وادارتها إلاّ بمساعدة من الذين أصبحوا شرائم تساعد الدولتين في إحكام سيطرتهما. وبفضل دعم السلطات لهم اخذوا يتمتعون بسلطات لاحدود لها، فرأي الآغا أو الشيخ او البگ كان قاطعاً في كافة الشؤون الكُردية الداخلية. وتزايد وضع الجماهير الكردية، التي اصبحت اشبه ببضاعة بيد هؤلاء يتاجرون بها، تدهوراً عندما تملكت هذه الطبقة الأرستقراطية الجديدة من تثبيت مركزها وسلطتها المطلقة بفضل قانون الطابو، الذي اصدرته الدولة العثمانية عام ١٨٥٩م. فقد سمح لهم القانون بتسجيل الاراضي الواقعة تحت سيطرتهم أو اراضي عشائرهم بأسمائهم، فجرّد القانون الفلاحين بصورة رئيسية من أراضيهم وخلق طبقة من الملاكين التجار الذين يمتلكون وثائق شرعية تثبت إمتلاكهم للأراضي[٦٦]...

أما الأمراء الكُرد فقد فُرضت على كثير منهم الاقامة الجبرية في المدن الكبرى وخصصت لهم الدولة رواتب ومخصصات مقطوعة. ولضمان ولاء أولادهم للسلطان اُدخل عدد كبير منهم في المدارس الخاصة في اسطنبول، فكانوا بمثابة رهائن أيضاً وإحتل قسم منهم وظائف كبيرة فيما بعد.

ان القضاء على الإمارات الكردية وتشتيت امرائها وفرض الحكم المباشر على المدن الكردية وتفريق كلمة الكُرد اكثر من ذي قبل لم يكن يعني إنتهاء النضال المعادي للدولة العثمانية، فقد استمر نضال الكُرد وكذلك قمع وإرهاب العثمانيين. فالأسر الكُردية الحاكمة، ورغم جهود السلطات العثمانية، لم تنعزل تماماً عن المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية في كردستان. فأولاد الأمراء الذين درسوا وتخرجوا من مدارس السلطان الخاصة وشغلوا مناصب عديدة في كبريات المدن والولايات العثمانية، أخذوا يلعبون دوراً مهماً في الحياة السياسية الكردية. فقد لعب افراد الأسرة البدرخانية مثلاً دوراً كبيراً في نشر الوعي القومي، وكان لأفرادها باع في تطوير الإتجاهات نحو الوطنية[٦٧].

٦٥- د. عبدالعزيز سليمان نوار: نفس المصدر ص١٠٩-١١٠.

٦٦- ستيفن همسلي لونگريگ: المصدر السابق ص٣٤٤.

٦٧- انظر حول هذا الموضوع: الميجرسون: المصدر السابق ج١ ص٣٢٩-٢٤٣ د.عماد احمد الجواهري: ملاحظات عن الإقطاع وحيازة الاراضي في كردستان... مجلة كاروان العدد ٣٤ السنة الثالثة ١٩٨٥، د.شاكر خصباك: الكُرد... بغداد ١٩٧٢، ص٢٥٠-٢٥٣، د. عبدالرحمن قاسملو: كردستان والكُرد، دراسة سياسية اقتصادية بيروت ١٩٧٠ ص١٦١-١٦٨، باسل نيكيتين: المصدر السابق ص١٢٧.

القسم الثاني

اسباب سقوط إمارة سوران*

أولاً: الاسباب الداخلية

لا يُنكر أن قيام الدولتين العثمانية والصفوية سجّل لفترة جديدة في تاريخ الكرد وكردستان، ولم يترك قيامهما سوى مجالاً ضيقاً للكُرد للمحافظة على إستقلالهم، بسبب موقع كردستان بين الدولتين الفارسية والعثمانية. فابتلي شعبها بإصطدام سياسة الدولتين فوق ارضه واطماعهما فيها، الأطماع التي مزقت بالتالي كردستان بينهما. لقد ناضل الكرد ضد هذا الوضع الغريب والصعب بالنسبة لهم، فأصبحت كُردستان ميدان صراع لايهدأ. ودافعت الإمارات الكردية عن كياناتها ضد الدولتين وفي فترات تاريخية مختلفة، وكان آخر المحاولات الناضجة للإستقلال ثورتا أميري سوران وبوتان، ولكن دسائس السلطات الاجنبية وعدم نضوج الظروف التاريخية... جعلت من العسير أن يحظى الكرد بقيادة موحدة. فكانت هذه من الأسباب الرئيسية التي ادت الى اجهاضهما، فطبيعة حركة التحرر الوطني للشعب الكردي ارتبطت منذ ميلادها بظروف المجتمع الكردي الذاتية والموضوعية، كما تأثرت كأي حركة أخرى بعوامل ومؤثرات خارجية أخرى[١]...

إن اسباب اخفاق حركات التحرر الكردية في رأي الكثير من المؤرخين والكتاب تعود بالدرجة الأولى الى ظروف المجتمع الكردي الداخلية. ويلخص المؤرخ محمد امين زكي تلك الاسباب فيقول:

في الواقع اذا أمعنا النظر في اسباب اخفاق الثورات والحركات الكردية نجد ان ذلك يرجع الى عوامل داخلية ناشئة من الكُرد اكثر منها الى اسباب ومؤثرات خارجية. فتلك الثورات التحررية حدثت قبل اوانها، لأن الشعب الكردي لم يكن قد استعد بعد لمثل هذه الغاية الشريفة. فكان السبب الأوحد في اخفاقها هو الجهل المتفشي بين ابناء الشعب وعدم إدراك الأمراء القائمين بالأمر حقيقة الظروف والاحوال المحيطة بهم. فكان معظم افراد الجيش العثماني الذي قام بازالة الإمارات الكردية من الوجود مؤلفاً من الجنود الكُرد انفسهم.»

ويعتقد محمد امين زكي أنّ:

«تأسيس أي ادارة مستقلة متوقف قبل كل شيء على العلم والمال. وكل شعب محروم من هذين الكنزين لايُرجى له نجاح قط في أي نهضة... اللّهم إلاّ اذا كانت السياسة الدولية العامة

(*) عن مجلة (كاروان) العدد (٥٣) في شباط ومارت ١٩٨٧.

١- جبار محمد جباري: تاريخ الصحافة الكردية في العراق، بغداد ١٩٧٥، ص٦.

تساعد ذلك الشعب على الوصول الى غايته»[٢]...

وعن إخفاق حركة محمد پاشا الكبير وسقوط إمارة سوران كتب محمد امين زكي يقول:

«هذا ولحركة محمد پاشا الراوندوزي من هذه الحركات الاستقلالية والثورات مكانة ممتازة وقيمة خاصة. واذا أمعنا النظر فيها نجد أن اسباب فشلها يرجع الى العوامل الآتية:

١- التعصب والإفراط في الاعتماد على علماء الدين الجاهلين بالشؤون السياسية.

٢- عدم الإهتمام بفكرة الإتفاق مع الأمراء المجاورين لتوحيد العمل.

٣- حقد وحسد أمراء بابان وبادينان والجزيرة (بوتان) والغرور، فلولا غرور محمد پاشا، ولو ترك الأمراء المجاورون التنافس والحسد وإتفقوا فيما بينهم، لكان من الصعب على العثمانيين التغلب عليهم، وربما وفقوا جميعاً، لكن الحسد والتنافس كان سبب زوالهم جميعاً»[٣]...

عنما يتحدث المؤرخون والكتّاب الكرد عن إمارة سوران واسباب سقوطها في عهد أقوى أمرائها محمد پاشا، يؤكدون بأن اعتقاده الديني واعتماده المفرط على بعض من رجال الدين - وخاصة على الملا محمد الخطي- لعب دوراً كبيراً في سقوطه. ولعل شهرة الخطي في كردستان، أكثر من غيره من علماء الدين الذين عاصروه، تعود لإرتباط اسمه بالنهاية المأساوية لإمارة سوران وأميرها محمد پاشا. إذ حمّله الكثيرون مسؤولية سقوطها وهو ما تردده معظم المصادر والمراجع التاريخية.

إن الحديث عن الخطي ودوره واثر فتواه لايعني بانه العامل الوحيد لسقوط الإمارة، لأن ما حدث عام ١٨٣٦م كان نتيجة لعدة اسباب. غير ان أثره تجسّد عاملاً قوياً حسم الأمر في سقوطها. فالبحث في عالم هذه الشخصية المثيرة ومناقشة فتواها وأسباب اصدارها، ضروري جداً للوصول الى مؤشر إيجابي لهذا التجسيد والعامل.

الحقيقة اننا نجهل الكثير عن تفاصيل حياة الملا محمد الخطي فالمؤرخون وكتاب التراجم لايذكرون ميلاده، ولكن تراجم معاصريه تدل على انه من مواليد سبعينات القرن الثامن عشر، واذا توخينا الناحية التقريبية إستناداً الى ميلاد زملائه في الدرس والعمل، يمكننا القول بانه ولد في حدود (١٧٧٢-١٧٧٥) في قرية خەتێ إحدى قرى منطقة خوشناو القريبة من باليسان وناحية خوشناو[٤]. وكان يلقب بـ(محمد افندي الشيخ سليماني[٥]). وهو من عائلة دينية مشهورة وكان والده عالماً

٢- محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة ص٢٦١، وطبعة بغداد ١٩٦١ ص٢٤٥-٢٤٨، كذلك انظر الاصل الكردي ص٢٣٥.

٣- محمد امين زكي: المصدر السابق، ص٢٦١، ٢٦٤ والاصل الكردي ص٢٣٥.

٤- على بعد مسافة من مدينة شقلاوة وقبل وصول الى قرية سيساوة الكبير يتفرع الطريق المعبد القديم الى اليمين فيمر بقرية "شيخ محموديان" ثم يعبر مضيق "زينة تير" الذي يقع في منتهى جبل حرير عند التقائه بجبل "تير" حيث تصل الى قرية "خةتى".

٥- زبير بلال إسماعيل: محمد الخطي ونهاية الإمارة السورانيه مجلة الحكم الذاتي، العدد الرابع، السنة السابعة.

معروفاً. ورغم التحقيق لم أتوصل الى معرفة إسمه الثلاثي. ويذكر المؤرخ محمد أمين زكي نقلاً عن رسالة خطية:

«إن جد هذه الأسرة كان يدعى خطي أفندي وكان رجلاً محترماً ومقرباً لدى محمد پاشا، أشار اليه بالتسليم وتقديم الطاعة[٦]...

ولكن المصادر التاريخية لاتؤيد هذا القول، فالحقيقة أن إسمه ولقبه طغيا على كل شيء بسبب شهرته[٧]...

نشأ الخطي طالباً للعلم منذ صغره وتنقل في أرجاء كردستان ودرس على أساتذة كبار أمثال محمد بن آدم وابو بكر المير رستمي. وجمع بين مختلف العلوم المعروفة في عهده وبرز في العلوم العقلية بوجه خاص[٨]... إنتقل الخطي الى بغداد وأقام فيها أوائل القرن التاسع عشر في عهد واليها داود پاشا (١٨١٧-١٨٣١)، الذي استقطب معظم العلماء حوله وبخاصة الكُرد لتحقيق شهرته. لعل الخطي قصده باعماله ونتاجاته الدينية أملاً في مكافأته وصلته، فكثيراً ما ترك المتصوفة والعلماء مسقط رأسهم وطافوا البلاد للإلتقاء بالأمراء والحكام ليُظهروا لهم علمهم وفضلهم لأجل الشهرة وجمع المال. خاصة وان داود پاشا إعتنى كثيراً بالشؤون الدينية وأقام روابط واسعة برجال الدين، ولأجل إدامة استقلاله راعى خواطر الأهلين في عمارات دينية شادها، فحقق رقماً قياسياً في بناء المساجد والجوامع والمدارس الدينية، ودفع بسخاء لرجال الدين والمتصوفة وكل القادرين على توجيه الرأي العام آنذاك، وهذا ما يؤيده معاصره البگار عندما يقول:

«كان داود پاشا كثير العطايا ولمّا تولى السلطة وفد عليه العلماء والفضلاء لأنه يدرك مقامهم وينشر بين الناس أعلامهم ويكرمهم غاية الإكرام ويعاملهم بالإحسان والإنعام.»[٩]

وكان داود پاشا نفسه رجلاً ديّناً مجداً برز بمواهبه الدبلوماسية والأدبية وبمعرفته الممتازة للغات الشرقية. إن اهتمام داود پاشا بعلماء الدين الكُرد ولاسيما خلفاء مولانا خالد النقشبندي (١٧٧٩-١٨٢٧) واتباعه ورعايته لهم كان للإفادة منهم في توطيد حكمه في العراق وكردستان وتحقيق بعض

٦- محمد امين زكي: المصدر السابق، هامش ص٢٤٦-٢٤٧.

٧- وفي لقاء لي مع السيد "محمد عبدالفتاح محمود" من اقرباء الملا محمد الخطي، في تموز ١٩٨٥ كان يجهل هو أيضاً الاسم الثلاثي لشقيق جده، ولكن من خلال ذكر اسماء اجداده استطيع ان اقول ان اسمه الثلاثي ربما كان محمد احمد عبدالرحمن.

٨- ترك الخطي الاثار الاتية: أ- حواشي علي البيضاوي. ب- حاشية على جمع الجوامع. ج- حاشية على تحفة بن حجر. د- رسالة في علم الكلام كتبها برغبة الوالي داود پاشا. وترك مكتبة عامرة في المسجد الكبير برواندز تعرضت الى حادثة حريق عام ١٩٥٧ انظر زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق، وعباس العزاوي: عشائر العراق ج٢ ص١٣٠.

٩- الشيخ عبدالرزاق البگار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ج١ دمشق ١٩٦١ ص١٠٣ ولمعرفة المزيد عن داود پاشا راجع ص٥٩٧-٦٠٧.

أغراضه السياسية في علاقاته مع الأمراء الكُرد، الذين كان لهم تأثير ودور كبير في تسيير الأوضاع السياسية في العراق آنذاك. وكان الولاة العثمانيون يشجعون الزعامات الدينية ويمدونها بالمال والنفوذ في سبيل توطيد حكمهم في كردستان وإضعاف الأمراء الكُرد[١٠]...

ويؤيد ما سبق المؤرخ عباس العزاوي عندما يقول:

«إستغل داود پاشا أتباع مولانا خالد النقشبندي وخلفاءه سياسياً وجلب رضاهم»[١١]

وكذا أبو الثناء الآلوسي بقوله:

«بعض البارعين من رجال الدين والمتصوفة صاروا يستغلون الرأي العام وكثيراً ما ناصروا الحكام أو بثوا لهم الدعاية ومالوا إليهم وعادوا يدبرون الأمر وراء الستار فلا يُرد لهم قول.»[١٢]

ويقول الدكتور نوار:

«ان عدداً كبيراً من العلماء الكرد عاصروا داود پاشا الذي اغدق عليهم مبالغ ضخمة للإنتفاع بهم في ديوانه.»

ويضيف نوار:

«وقد إرتفع شأن بعضهم لديه حتى إشترك قسم منهم في إدارة امور البلاد.»[١٣]

كما يذكر الوردي أن داود پاشا:

«أقنع القادرين على توجيه الرأي العام بالمال والنفوذ.»[١٤]...

الجدير بالذكر أن معظم علماء الدين الكُرد كانوا قد تعرفوا على داود پاشا قبل ان يصبح والياً على بغداد، عندما كان طالباً منقطعاً للدرس في حضرة الشيخ عبدالقادر الگيلاني لعدة سنوات، حرص فيها على تلقي العلوم من كبار علماء عصره. لذا تنقل الروايات الكثير عن صمت الملالي والأساتذة في حضرته[١٥]... ولا ننسى أن داود پاشا في سبيل سيطرته على باشوية بغداد لجأ عدة مرات الى كُردستان وبمساعدة الكُرد نال ما كان يصبو اليه. ومن اشهر علماء الكرد الذين عاصروه

١٠- الشيخ عثمان بن سند البصري: خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق وهو مختصر كتاب مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود (اختصره الشيخ امين بن حسن الحلواني واطلق عليه تجاوزا الاسم اعلاه، القاهرة ١٣٧١هـ ص١٢٤، كذلك انظر عباس العزاوي: مولانا خالد النقشبندي. مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد الأول، العدد الأول، بغداد ١٩٧٣، وانظر فيصل محمد الارحيم: تطور العراق تحت حكم الاتحاديين الموصل ١٩٧٥ ص٨٩).

١١- عباس العزاوي: المصدر السابق نفسه.

١٢- عباس العزاوي: ذكرى ابي الثناء الالوسي، بغداد ١٩٥٨ ص٤١-٤٢. وعشائر العراق ج٢ ص٢٥٥.

١٣- د.عبدالعزيز سليمان نوار: داود پاشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٧ ص٣١٣.

١٤- د.علي الوردي: المصدر السابق، ج١ ص٢٣٠، ,٢٥٦

١٥- ريچارد كوك: المصدر السابق، ج٢ ص١٢٨ كذلك انظر لونگريگ: المصدر السابق، ص٢٨٧-٣٠١.

وكانوا من المقربين لديه، بالاضافة الى الخطي:

مولانا خالد النقشبندي، الشيخ عبدالرحمن بن حسين بگ الروزبياني، الملا يحيى بن خالد المزوري. وقد أفاد داود پاشا -وكان يسعى الى مركزة العراق تحت سلطته- من وساطة مولانا خالد في تحسين علاقاته بأمراء بابان في عهد الأمير محمود پاشا[١٦]... أما المزوري فقد أرسله داود پاشا الى العماديه عاصمة إمارة بادينان في حدود عام ١٨٤٢م ليضمن ولاءها بعد إضطراب اوضاعها بسبب النزاع على الحكم بين ميران بگ وموسى بگ وسعيد بگ وإسماعيل بگ أولاد أخوة زبير پاشا، الذي توفي دون ان يعقب ذرية. وربما كان من مهامه أيضاً إقناع أمراء بادينان بمعاداة حكام الموصل الجليليين والضغط عليهم، لأن ضعف الجليليين عامل لإستمرار نفوذ داود پاشا قوياً في الموصل[١٧]...

لقد إتصل الملا محمد الخطي في بغداد بداود پاشا بواسطة العلماء الكُرد الذين سبقوه اليه، وكان بعضهم من أساتذته. وصار الخطي من المقربين الى داود پاشا في فترة قصيرة، بسبب شخصيته المثيرة وعلمه وحاجة الوالي اليه، فقدّره وقرّبه. ويذكر المؤرخ عباس العزاوي:

«أن الملا الخطي كان ربيب داود پاشا وعندي له رسالة قدمها الى داود پاشا في العلم الإلهي وله مؤلفات أخرى»[١٨]...

ويظهر أن داود پاشا أدرك مكانة الخطي العلمية وتوسم فيه القدرة على أداء المهام السياسية، فاراد ان يستفيد منه ويستغله في تحقيق بعض أغراضه السياسية في كُردستان، خاصة بعد ان ساءت علاقته مع أمراء بابان وإشتداد الصراع والتنافس بينهم وبين إمارة سوران. فبسبب مكانة الخطي في سوران ومعرفته الجيدة بأوضاع الإمارة السورانية بحكم قرب قريته من عاصمتها رواندز، ارسله داود پاشا اليها مصحوباً بالهدايا ليكسب له ولاء وصداقة أميرها الكُفء محمد پاشا الكبير ويعقد معه اتفاقاً يفيده ايام الشدة وليحرضه ضد إمارة بابان. ولما كان أمير سوران ضد السياسة الإيرانية التي كانت تدعم بابان، مال اليه داود پاشا واخذ يشجعه على مقاتلتهم.

بعد إنتقال الخطي الى رواندز اصبح له شأن آخر، فعاش في جو مشحون بالاحداث السياسية التي شهدتها المنطقة في عهد الأمير محمد[١٩]...

ويظهر من الوقائع التاريخية وإستقرائها أن داود پاشا ارسل الملا الخطي محملاً بالهدايا في حدود عام (١٨٢٦-١٨٢٧م) ليهنيء الأمير الكبير بإنتصاره على البابانيين، الذين كان يكرههم لتعاونهم مع إيران ضده. وكان الأمير الكبير يعرف مكانة الخطي عند داود پاشا، ولكي يكسب وده

١٦- عبدالكريم المدرس: تذكار الرجال، بغداد ١٩٧٩ ج١ ص١١٦-١١٨ باللغة الكردية.

١٧- د.علاء موسى نورس: حكم المماليك في العراق. بغداد ١٩٧٥، ص١٧٢-, ١٧٣

١٨- عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص٣٣ وانظر زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق.

١٩- زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق.

في المستقبل عيّن ربيبه مشاوراً ومعتمداً له ومفتياً لإمارته، رغم وجود علماء أعظم منه شأناً في سوران. وربما كان هذا سبباً لمغادرة بعضهم رواندز فيما بعد، كالعالم الديني الكبير محمد بن آدم البالكي مثلاً.

هكذا دخل الخطي في خدمة الولاة والأمراء وبالتالي في السياسة عن علم او دون علم منه. وأعتقد أن سبب اختيار داود پاشا له اضافة الى الاسباب السابقة، هو إحجام البقية من علماء الكُرد عن القيام بمهام ذات صفات سياسية، لأن تدخل علماء الدين في السياسة ومخالطتهم للحكام كان يقلل من قيمتهم أمام الناس آنذاك. ويظهر هذا بوضوح من الرسالة التي كتبها مولانا خالد النقشبندي رداً على رسالة داود پاشا، الذي ألحّ عليه فيها ان يتوسط بينه وبين أمراء بابان. فقد وافق الشيخ على التوسط بعد إلحاح داود پاشا الشديد بدليل قوله:

«....أما بعد فقد تواترت الإشارة منكم الى أفقر الفقراء، وزاد في الإلحاح والإبرام وزير الأمراء، ليوسط الفقير لإصلاح ذات البين وليبذل النصح لدفع الكدورة والشحناء ليتبدل النفاق بالوفاق، وتتحول المنافرة الى الإتفاق، مع أن إقتحام هذا المسكين الفقير وخوضه في مثل هذا الأمر الخطير، كان بالنسبة الى بعض العقول سبباً للسقوط عن العيون والإنحطاط والنزول. على أن الإعتماد على عهود أهل الدنيا حق الإعتماد عزيز علينا، إذ هو أصعب من خرط القَتاد. ولا نأمن من نقضهم الميثاق وإخلافهم الميعاد...»[٢٠]...

إن قيام الخطي بالمهمة دفع المؤرخين الى القول بأنه كان من رجال الدولة العثمانية ولم يكن مجرد رجل دين، فأشاروا اليه بأصابع الإتهام كما سنرى.

يقول الدكتور نوار إن داود پاشا:

«اغدق الكثير على العلماء الكُرد الذين عاصروه، لقاء إنتفاعه بهم في ديوانه».

ويذكر البگار أنّ داود پاشا:

«دفع ثلاثين ألف غازي محمودي كبير لمولانا خالد ليسد ديونه وصرفها دفعة واحدة، وهذا أمر نادر قلّما يوجد له نظير»[٢١]...

ويعلل الدكتور يوسف عزالدين هذا السخاء فيقول:

«إن داود پاش، في سبيل ان يكسب قلوب الناس ليلتفوا حوله، اخذ يتقرب الى الصوفية وأرباب الطرق، فدفع لزعيم الصوفية الشيخ خالد النقشبندي ثلاثين ألف ليرة عندما سمع أنه مدين. وقد كانت الطرق لها اهميتها وكيانها وسطوتها، فأخذ المريدون يلهجون بالدعاء والثناء على داود پاشا[٢٢]...

٢٠- عبدالكريم المدرس: المصدر السابق، ص٣٥٣-٣٥٥.

٢١- الشيخ عبدالرزاق البگار: المصدر السابق، ص٦٠٣.

٢٢- د. يوسف عز الدين: داود پاشا ونهاية المماليك في العراق بغداد ١٩٧٦ ص٤٩-٥٠؛ وانظر كذلك د. عبد العزيز =

بينما كتب الشيخ عبدالكريم المدرس تعليقاً على تدخل مولانا خالد في الأمور السياسية، يقول:

«من المحتمل ان بعض قليلي المعرفة يقولون ما دخلُ النقشبندي في التوسط ومصالحة داود باشا والبابان والدولة العثمانية. وأن ليس من المستبعد أنه كان يتوخى من عمله هذا فائدة دنيوية وهو صاحب الطريقة والديانة...»

ويرد الشيخ على هذا الإحتمال فيقول إنه:

«فعل هذا حرصاً منه على الدين وانطلاقاً من ان -المؤمنين اخوة- ومصلحة المسلمين، بدليل أنه لم يخلّف أي ثروة وراءه سواء في الشام أو بغداد أو كردستان، وأن عمله كان لمنفعة بابان والعثمانيين[٢٣]...

انا لا أتهم هؤلاء العلماء بتسلمهم مبالغ مالية كبيرة لقاء أعمالهم، لكن قيامهم بالمهمات التي اوكلت اليهم لم يكن مجاناً ولوجه الله أيضاً، فكثيراً ما يؤثر بعض الناس القيام بعمل ما بشكل يبعث فيهم السرور فحسب اكثر مما المنفعة المادية، أو أنهم كانوا يعتقدون أنّ قيامهم بهذه المهام هو من صميم واجباتهم الدينية تجاه وليّ الامر ودولة الخلافة الإسلامية، التي أخذ السلطان محمود الثاني يؤكد عليها كثيراً لإنجاح سياسته وفرض المركزية. وهذا ما يؤيده العزاوي عندما يذكر ان التلقيب بالخلافة والإمامة الكبرى او إمارة المؤمنين في آل عثمان حدث في عهد السلطان محمود، حيث صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفنناً في الإجلال ومغالاةً في التعظيم[٢٤]...

ولبيان أثر فتوى الخطي في سقوط إمارة سوران أعود ثانيةً الى الأسباب الداخلية والى العوامل الثلاثة التي حددها المؤرخ محمد امين زكي. وارى بعد التحقيق التاريخي أنّ الأمير السوراني إهتم بالنقطتين الثانية والثالثة، لكنه لم يستطع الإفلات أو التحرر من النقطة الأولى بسبب نشأته الدينية وطبيعة المجتمع الكردي.

لقد إهتم الأمير بفكرة توحيد الإمارات الكردية بالقوة أو بالإتفاق أو بتعاونها على الأقل، لكن خططه البعيدة المدى كانت تخيف الأمراء الكُرد الأنانيين، الذين كانوا يرون في سلطته القوية عقبة أمام محاولاتهم لتقوية نفوذهم على ممتلكاتهم. وأغلب الظن أن تحالفهم وإتفاقهم معه لم يكن مصيرياً وحقيقياً، بل بدافع الخوف وعدم التمكن من الوقوف بوجهه، حتى أنهم لم يكونوا مخلصين في صداقتهم معه. فكان الأمير بالنسبة لهم مخيفاً أكثر من ان يكون محبوباً. ولم يخفّ أي منهم لدعمه ونجدته، ولم تشهد كردستان أي خطة موحدة لرد الغزو العثماني عام (١٨٣٤-١٨٣٦) بين بدرخان البوتاني وامير سوران. فالصداقة والتحالف بينهما لم يتطورا الى تعاون وتنسيق عسكري. وتخلى

= سليمان نوار: المصدر السابق ص٣١٣ والشيخ عثمان بن سند البصري: المصدر السابق ص١٧١-١٧٣ ص١٥٤.

٢٣- عبدالكريم المدرس: المصدر السابق، ص٣٥٣-٣٥٥.

٢٤- عباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية. بغداد ١٩٥٨ ص١٢٦-١٢٧.

أمير بادينان إسماعيل باشا عن الأمير في الجولة الثانية من المعارك مع رشيد باشا ووالي الموصل وبغداد، بعد تمكنه من تولي الحكم في العماديه بموافقتهم... فتوجهت القوات العثمانية كلها مباشرة الى رواندز تاركة ورائها العماديه دون تعرض.

ويعلق المؤرخ محمد امين زكي على وقوف إسماعيل باشا موقف المتفرج من الجيش العثماني، الذي كان يحاول القضاء على إمارة سوران فيقول:

«في الحقيقة يبعث موقف إسماعيل باشا –الذي لم يألُ قط جهداً في عداء محمد باشا– على الأسف واللوم ويستحق ان يكون عبرة ومضرباً للمثل. فعندما إشتبك الجيش العثماني مع محمد باشا كان هذا القائد الكردي يقف موقف المتفرج المسرور بالقضاء عليه... ولم يمض طويل وقت حتى أجهز نفس الجيش على العماديه ليقبض عليه ويرسله مكبلاً الى بغداد»[٢٥]...

أما أمراء بابان، فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر نهاية إمارة سوران، لأن القضاء على أميرها كان يكفل لهم الأمن والطمأنينة لأنه كان يهدد بالقضاء على إمارتهم. ولم يكن وضعهم المزري يساعد على مساهمتهم في إسقاطها بالتعاون مع العثمانيين، إلاّ أنهم هاجموا اراضي الإمارة السورانيه حال سقوط رواندز كما سبق القول.

ولاننسى موقف بعض رجال الدين وزعماء العشائر ممن لم يكن لهم في السياسة نظر لا من قريب ولا من بعيد.... فأيدوا القادة العثمانيين ورافقوهم الى عمق كردستان لخنق إمارة سوران. كما أنّ قسماً كبيراً من جيش رشيد باشا وعلي رضا كان مؤلفاً من العشائر الكردية... وبرغم كل ما ذكرناه اضطرت الجيوش العثمانية الى التراجع.... ثم اللجوء الى الخداع. فاستعانت بالخطي الذي جاءت فتواه الناجحة كما قيل (رب قول أنفذَ من صولة). إن استعانة الدولة العثمانية ببعض رجال الدين وإستغلالهم في القضاء على ثورات الشعوب ضدها، كان امراً اعتيادياً آنذاك، وهذا ما يؤيده ساطع الحصري بقوله:

« صارت الدولة في عصور الإنحطاط تسعى لإغراء رجال الدين وتلجأ الى وساطتهم في كثير من الأمور، وتسعى لإسترضائهم في شتى المناسبات، حتى إنها كانت توجه اليهم في بعض الأحيان فرمانات وأوامر عليَّة تطلب منهم مساعدة الولاة.»

ويضيف الحصري على قوله هذا:

«قلما كان رجال الدين يتأخرون عن إيجاد الأحكام وإصدار الفتاوى التي تخدم مآرب السلطان وتضفي على أوامره وتصرفاته صفة الشرعية. ولهذا كان رجال الدين يتمتعون بسلطة معنوية كبيرة ويقومون بدور فعال في شؤون الدولة.»[٢٦]...

٢٥– محمد امين زكي: خلاصة الكرد وكردستان "الاصل الكردي" ص٢٣٥ وانظر الترجمة العربية طبعة بغداد ١٩٦١ ص٢٤٦؛ كذلك انظر صالح قفطان: تاريخ الشعب الكردي... بغداد ١٩٦٨ ص٣٨٠ "باللغة الكردية"

٢٦– ساطع الحصري: المصدر السابق، ص٢٦–٤٢.

ويذكر العزاوي أنّ:

«شيوخ الإسلام قد بدَوا وكأنهم موكلون بتوجيه الفتاوي طبق رغبات السلاطين مما جعلهم يميلون مع الأهواء تزلفاً للدولة ومماشاتها.»[٢٧]...

ويؤيد ما سبق الدكتور إبراهيم الوائلي عندما يقول:

«اذا ثار أحد أو طالب بالحق قوبل بالسيف والنار وأشباه الأميين ممن سموا أنفسهم رجال الدين كانوا يمالئون السلطان ويسبّون مَن لم يعلن له الطاعة والخضوع»[٢٨]...

أدى هذا الوضع لأن يحرص الحكام والأمراء دائماً على إرضاء رجال الدين وعلى أن لايقوموا بعمل يغضبهم... ولما كان الشعور الديني طاغياً في كردستان والحس القومي الكردي ضعيفاً آنذاك، أصبح لرجال الدين إحترام كبير ونفوذ وحرمة في النفوس وتأثير قوي. فإستغل العثمانيون ذلك، وكانت لعبة الخلافة الإسلامية دوماً الورقة الرابحة في اللعب مع الكرد. فأخذ العثمانيون يشجعون الزعامات الدينية بالمال والنفوذ والجاه لإضعاف الأمراء الكُرد، وصار مألوفاً النزاع على السلطة بين الرؤساء الدينيين وزعماء القبائل والسلطات الحكومية. وإذا دققنا النظر في شتى نواحي حياة الكرد لإصطدمنا اكثر من مرة بالدور الذي لعبه الدين في هذه الحياة. فالكثير من الحوادث التي وقعت في كردستان كانت بتحريض من الزعماء الدينيين[٢٩]، لأن الشعب الكردي كان ينقاد ويرضخ للعلماء ومشايخ الطرق[٣٠]...

ولا بأس هنا من إستطلاع رأي مجموعة من الكتاب والمؤرخين في أسباب سقوط إمارة سوران واثر فتوى الخطي في ذلك، اضافة لما سقته آنفاً من مؤشرات، علماً أنّ تطابق الآراء وإتفاقها في مسألة ما ليس بالضرورة دالٌّ على صحته. يجب ان تُدرس هذه الفترة دراسة جدية، وليس بحثي هذا سوى بداية متواضعة لمثل هذه الدراسة.

يلخص فريزر أسباب سقوط الأمير السوراني فيقول:

«لم يكن مصير هذا الرجل العجيب كما كان مؤملاً ان يكون، فقد هوجم من الجنوب والغرب فدافع عن نفسه ببسالة وإقدام، ولو كانت جيوشه مخلصة له لإستطاع ان يزدري بالقوى التي زحفت عليه كلها، لكن الأمير لم يكن محبوباً في البلاد التي إستولى عليها... وكان البعض من ضباطه ميالين الى الخيانة، والقسم الآخر افزعتهم رؤية أعلام السلطان. اضف الى ذلك ان بقايا التبجيل لخليفة الرسول وزعيم الإسلام الديني منعت الكرد من مقاومة جنود

٢٧- عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٥ ص٢١٩.

٢٨- ابراهيم الوائلي: المصدر السابق، ص٢٥.

٢٩- فيصل محمد الارحيم: المصدر السابق ص٨٩، كذلك انظر تومابوا: مع الكُرد، ترجمة اواز زنكنة، بغداد ١٩٧٥ ١١٠-١١٣: لمحة عن الكُرد: ترجمة محمد شريف عثمان النجف ١٩٧٣ ص٣٠-٣٢.

٣٠- احمد الصوفي: المماليك في العراق، الموصل ١٩٥٢ ص٢١.

السلطان بالسلاح»[٣١]...

وعندما سأل الميجر فردريك ميلنگن رسول پاشا، الذي كان والياً على وان في ١٨٧٠م عن قضية أخيه الأمير محمد أجاب رسول پاشا: انه كان يعمل على انقاذ بلاده من براثن الحكم العثماني وكان بامكانه ان يبسط سلطانه على كردستان، ولكن الباب العالي ارسل جيشاً بقيادة رشيد پاشا، الذي كان صديقاً شخصياً لمحمد پاشا واستغلت الحكومة هذه الصداقة ستاراً لخيانة محمد پاشا الذي خُدع ووقع في المكيدة التي دبرت له بإجابته طلب رشيد پاشا[٣٢]... والمعروف لدى المؤرخين أن الأمير لم يكن يرتبط بصداقة مع رشيد پاشا، ولم يغادر في حياته كردستان الى بغداد او استنبول للتعرف على الصدور العظام ورجالات الحكم، وأنّ رشيد پاشا لم يسبق له قبل عام ١٨٣٤م ان عمل والياً او حاكماً في العراق او كُردستان، فجواب رسول پاشا كان رسمياً ومبرراً لفشل أخيه الذي لم يستطع التغلب على الموقف... وقد تحاشى ذكر السلطان العثماني الذي أمر بقتل أخيه، باعتباره موظفاً في الدولة. كما لم يذكر رسول پاشا أسماء الذين خانوا شقيقه من أتباعه اكراما لمشاعر الاحياء منهم في كردستان، وأراد بالتالي ان يثبت للميجر أن الأمير كان صديقاً مخلصاً لرشيد پاشا.... وان إخلاصه هذا جعله يستسلم لصديقه مطمئناً.

أما المؤرخ الموكرياني فكتب يقول:

«حارب الكُرد ببسالة منقطعة النظير وكانوا يهاجمون العدو كالنمور الهائجة، إلاّ أن العلماء وطلاب العلوم الدينية كانوا قد نخروا أساس الأمور، لذلك فإن الحرب مع الأتراك كانت عملاً بلا جدوى مادام الأمير لايعمل شيئاً بدون ان يفتي له العلماء بذلك»[٣٣]...

ويعلق الموكرياني على فرمان رشيد پاشا المزيف واثره، فيقول:

«هذا العمل كان وسيلة الأتراك لقتل الروح المعنوية لدى الكُرد والقضاء عليهم، ولما كان الملا الخطي ربيب داود پاشا فقد كان يعرف الكثير من تلك المناشير والفرامين، فسارع الى نشرها وألقى خطبة مطولة افتى فيها بان الحرب ضد سلاطين آل عثمان تخل بالدين والايمان والعصمة الزوجية. فكان لتلك الخطبة اثر كبير في النفوس وصارت سبباً لضعف الأمير، حيث صرفت قلوب البسطاء الكُرد عن المقاومة فإضطر الى ان يسلم نفسه»[٣٤]...

ويعزو لونگريگ فشل الأمير الى خيانة الكثير من اتباعه وانه استسلم بعد ان اعطي اوثق العهود بأن يعامل بالحسنى.... إلاّ أنه إختفى بصورة سرية وذهب ضحية للغدر والخيانة التركيين معاً[٣٥]...

٣١- جيمس بيللي فريزر: رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤، ترجمة جعفر الخياط بغداد ١٩٦٤ ص٢٧.

٣٢- محمد امين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية... ص٢١٤.

٣٣- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق، ص٦٦-٦٨.

٣٤- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق، ص٦٦-٦٨.

٣٥- ستيفن همسلي لونگريگ: المصدر السابق، ص٣٤٣.

أما محمد امين زكي فبالاضافة الى الاسباب التي ذكرناها سابقاً يرى انه:

«كان لفتوى الخطي أثرها العظيم في الجند واعوان الأمير، فانفضوا من حوله ولم يجد الأمير طريقة لمعالجة الموقف فسلم نفسه.»

ويضيف زكي على هذا، قوله: وإن هذا الأمير الشجاع لو راعى جانب السياسة في أموره كما راعى التعصب الديني، لكان من الموفقين في تأسيس حكومة وطنية مستقلة قوية، حيث كانت الظروف والأحوال مواتية له... فإحتلال المصريين لسورية وأطنه كان لايزال قائماً[٣٦]...

أما علي سيدو الگوراني فيقول:

«لم يقدم رشيد پاشا على حرب أمير سوران لمعرفته بمدى قوة الكُرد، فاستمال علماءهم ليضمن النصر الكلي، وأقنعهم بإستنكار وقوف الأمير في وجه خليفة المسلمين. فاصدر الخطي فتواه الشهيرة التي كان لها اثر عظيم في جند الأمير فانفضوا من حوله»[٣٧]...

وعن الخطي وأثر فتواه يقول الگوراني أيضاً:

«لا ريب ان الملا محمد الخطي حين اصدر فتواه لم يكن يتصور هذه النتيجة ولم يكن يعلم ان العثمانيين يستعملونه وغيره من علماء المسلمين للوصول الى غايات هم أعجز من ان يصلوا اليها عن طريق السيف. وانه من المؤسف ان يجد المتتبع لتاريخ الكرد ان بعض رجال الدين يسيطرون على رجال السياسة ويكون بعضهم سبباً في نكبتهم لا لأنهم يقصدون ذلك، بل لأنهم ينساقون انسياقاً اعمى. فهذه إمارة (سوران) تتسع هذا الاتساع ثم تتعرض دون ان يظهر عليها الهرم او يحول دون تقدمها قوة من القوى، اللهم إلاّ فتوى شيخ مخدوع»[٣٨]...

ولاأتفق هنا مع الكوراني لأن الخطي كان يعي تماماً خطورة ما أقدم عليه، ويظهر ذلك من خلال علاقاته السابقة مع داود پاشا والأمير محمد إضافة الى قوة الفتوى التي اصدرها. ولأن الگوراني يجعل الخطي (المخدوع) وفتواه السبب الرئيسي لسقوط الإمارة السورانية.

ويتفق انور المائي مع العزاوي من ان:

«رشيد پاشا عند وصوله الى حرير ظهرت له صعوبة إجتياز مضيق گلي علي بگ، فبدأ يدعو الأمير الى الصلح، وان الأمير تأثر نفسياً بفتوى الملا الخطي فبادر الى الذهاب الى المعسكر العثماني لتقديم الطاعة حسبما أوحت اليه عقيدته الدينية»[٣٩]...

ويقول الدملوجي معلقاً على أثر فتوى الخطي في سقوط إمارة سوران:

«لقد إستسلم محمد پاشا للقائد العثماني بفتوى أصدرها عالم جاهل يحرّم عليه قتال جيش

٣٦- محمد امين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج٢ ١٤٧-١٤٨.

٣٧- علي سيدو الگوراني: المصدر السابق، ص١٣٣-١٣٤.

٣٨- علي سيدو الگوراني: المصدر السابق، ص١٣٣-١٣٤.

٣٩- عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص٣٥ وانظر انور المائي: المصدر السابق ص١٧١.

خليفة المسلمين ويعده خارجاً... وكان له من القوة ما يستطيع معها أن يهزم جيش الخليفة ويهزّ عرشه و(الخليفة) غاصب لم تكن طاعته واجبة عليه»[٤٠]

ويتخذ الدملوجي من هزيمة الأمير محمد واستسلامه للقوات العثمانية مثالاً على مدى تمسك الكرد وامرائهم بالشرع الشريف واثره فيهم فيقول:

«وربُّ عالم يلقي من فوق المنبر خطبة يفرّق بها جيشاً متحفزاً للقتال ويجعل اميراً ذا قوة وشكيمة يُغلب بعد إنتصار فيلاقي حتفه ويضيع ملكه»[٤١]...

أما السجادي فأقواله متناقضة ولايستطيع الباحث ان يستنتج منها رأيه الصريح في المسألة. ففي الوقت الذي يقول:

«إن دعاية تحريم محاربة جيش الخليفة إنتشرت بين الجيش السوراني الذي كان كردياً مسلماً، فاثرت تاثيراً كبيراً على وحدته مما اضطر الپاشا الى تسليم نفسه».

لكنه يعود فيكذّب رواية الفتوى- من حوادث للخطي مع الأمير- ويعتبرها فرية لفقها خصوم الخطي فيقول: «ان الخطي كان وزيراً للپاشا بوحي منه وإن الاخير عندما إستشاره في القضية أصدر الخطي فتواه...»[٤٢]...

ويستنتج السجادي من دراسته لحركة أمير سوران، أن محمد پاشا كان مؤمناً ومتمسكاً بوجوب تحرير كردستان من قبضة هذا وذاك ليجعلها بلداً مستقلاً، غير ان القضية الدينية قصمت ظهره وأردته صريعاً، ولا لوم في هذا عليه او على الخطي حتى ولو كان الأخير قد افتى بتلك الفتوى[٤٣]...

ويعتقد گيو موكرياني إن الخطي كان عميلاً وإنه بتحريض من والي الموصل أصدر فتواه بتحريم توجيه البنادق الى الجيش العثماني (جيش خليفة المسلمين) وتكفير كل مَن يخالف ذلك. وانه بهذه الحيلة الكاذبة أطفأ هذه الشعلة وأساء الى سمعة باقي رجال الدين[٤٤]...

وكتب الدكتور نوار يقول:

«اخذ اعوان الأمير يتخلون عنه حيث ان فرمان السلطان بعزله كان له مفعول السحر في تفكيك قواه وادرك الأمير ان الامور تتطور بسرعة ضد مصالحه. فوجد ان الاستسلام خير له من متابعة المقاومة لعله يحصل على عفو من السلطان ويعود الى مقر اقامته معززاً مكرماً حسب ما وُعد به»[٤٥]...

٤٠- صديق الدملوجي: المصدر السابق،ص٤٨-٥٣.

٤١- صديق الدملوجي: المصدر السابق، ص٤٨-٥٣.

٤٢- علاء الدين السجادي: الثورات الكردية والكرد والجمهورية العراقية، بغداد ١٩٥٩ ص٦٧-٦٨ باللغة الكردية.

٤٣- علاءالدين السجادي: المصدر السابق، ص٦٨.

٤٤- گيو موكرياني: گيونامه.... أربيل ١٩٦٠ ط١ ص٢٨-٢٩ باللغة الكردية.

٤٥- د. عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث... ص١٠٧-١٠٨.

لاتذكر المصادر التاريخية أنّ السلطان اصدر فرماناً بعزل أمير سوران، رغم ان الذي كان يتمتع بفرمان السلطان يحسب له الناس الموالون حساباً، ولكن الأمير لم يتول إمارته بفرمان من السلطان العثماني ليُعزل بفرمان، وانه كان خارجاً عن ارادة السلطان علناً وكان الجميع يعرفون ذلك جيداً، فلعل نوار يقصد بالفرمان فتوى الخطي أو رسالة رشيد پاشا الى الأمير ورجال الدين.

ويذكر صالح قفتان- المتأثر برأي محمد امين زكي- إن فشل الثورات الكردية يعود لأسباب داخلية، حيث ان ظروف الكرد السياسية لم تكن ناضجة. ويضع قفتان مسألة التعصب الديني وعدم الخروج عن نصائح رجال الدين، الذين كانوا لا يفهمون في السياسة شيئاً، في مقدمة أسباب انهيار إمارة سوران(٤٦)... وعن التدابير العثمانية في احتلال رواندز واثر فتوى الخطي يقول قفتان:

«ان هذه التدابير والحيل تمكنت من النفاذ الى قلوب الجنود السورانيين الجهلة بسرعة واثرت فيهم أيّما تأثير، ولقد رأى الأمير محمد بعينيه كيف ان جنوده لم يعودوا يفكرون بالحرب قدر تعلقهم بالسلم... وهكذا إضطر الى الرضوخ للعدو»(٤٧)...

ويرى الدكتور عبدالرحمن قاسملو أنّ :

«الأمير سلم نفسه نتيجة لتأثير عالم ديني كبير رأى في محاربة الخليفة إثما كبيراً»(٤٨)...

ويذكر الدكتور جليلي جليل:

«إن التعصب الديني الذي إستغله الأمير والمكانة التي اعطاها لرجال الدين، فجعل منهم المستشارين والمساعدين، انقلبت عليه، فألقى الكثير من جنده السلاح بسبب الفتوى وإمتنعوا عن قتال العثمانيين. لذا يعتبر البعض أن الخطي كان مُرسلاً من قبل العثمانيين.»

ويختتم جليلي بالقول:

«مهما بلغ من تضخيم دور الخطي في هزيمة الأمير، فمن الواضح ان الافكار الدينية للمنتفضين ضد السيطرة العثمانية لم تكن تأتي في المركز الأخير من تسابق الاحداث»(٤٩)...

ويتفق الچاوشلي مع الميجر سون على:

«أن الأمير قُتل وانهيت إمارته بتحايل العناصر الموالية للسلطان والتي استدرجته الى شرك نُصب له»(٥٠)...

ويورد الدكتور كاوس قفتان مجموعة من الأسباب الداخلية التي أدت في رأيه الى سقوط إمارة

٤٦- صالح قفطان: المصدر السابق، ص٣٠٠.

٤٧- صالح قفطان: المصدر السابق، ص٣٠٠.

٤٨- د. عبدالرحمن قاسملو: المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

٤٩- د. جليلي جليل: المصدر السابق، ص١١١

٥٠- الميجر سون: المصدر السابق، ج٢ ص١٤٨-١٤٩، انظر: هادي رشيد الچاوشلي: القومية الكردية وتراثها التاريخي. بغداد ١٩٦٧ ص٩٩.

سوران، فيما يلي موجزها:

يرى قفتان أن طبيعة المجتمع الكردي القبلي العشائري الإقطاعي آنذاك كانت عقبة أمام أمير سوران، ويستشهد بقول صديق الدملوجي من أن (كل إمارة كانت تعد نفسها مستقلة وحقوقها محفوظة). فإذا ما أقدم أمير كردي على إحتلال إمارة اخرى، تُثار العصبية القبلية واذا صاحب هذا الإحتلال قسوة اصبحت المسألة مسألة دم وثأر. فالخطأ الكبير لأمير سوران لم يكن في إحتلاله الإمارات المجاورة فحسب، بل في القسوة البالغة التي كان يتبعها. فقد أباد حربه مع أمراء بادينان عشيرةً كردية باكملها لأنها قاومت جيشه ببسالة. واضطرت هذه المناطق الى الرضوخ والمشاركة في حروبه خلافاً لإرادتها نتيجة ضغوط وقسوة الأمير، فكانوا ينتظرون فرصة الانتقام وحين حلت لدى مهاجمة الدولة العثمانية إمارة سوران سرعان ما إنقلبوا على أمير سوران.

وبلغ طموح أمير سوران حداً لم يكن يطيق معه أن يرى اميراً مشهوراً آخر الى جواره، وقاده هذا الى طريق ملتو واعمال خاطئة. فبدلاً من التعاون مع إمارة بوتان الكبيرة والقوية والتي كانت تتهيأ للانتفاضة ضد العثمانيين، هاجمها وحاول إحتلال أراضيها. فخسر بذلك حليفاً قوياً.

وإذا ألقينا نظرة على أعمال أمير سوران، لنرى ماذا فعل للشعب؟! لرأينا بأن ذلك أيضاً كان سبباً من أسباب انهياره. فصحيح انه ملأ البلاد بالقلاع وشيد الكثير من الجسور على أنهارها – كانت لمواصلات جيوشه– إلاّ أنه لم يفتتح مدرسة أو جامعاً أو حجرة لطلاب علوم الدين والمعارف. أما الحروب التي شنّها فقد جلبت الكثير من الويلات لشعبه واضجرته. فنفقات معارك جيشه الجرار شكّلت عبئاً كبيراً على الشعب الذي كان في الاساس فقيراً، فقد كانت رواتب الجيش تخرج من جيوب أفراد هذا الشعب. وكان الأمير يجمع حول مائدته في مضيفته كل ليلة مائة الى مائتين من رؤساء العشائر. هذا بالإضافة الى انه كان يشتري السلاح والعتاد بأسعار مضاعفة، أما المصاريف البسيطة فكان يدفعها من جيبه.

أما قُصر نظر أمير سوران في السياسة فكان سبباً آخر من اسباب سقوطه السريع. فلايخفى بانه كان شجاعاً وقوياً، لكنه كان قصير النظر في السياسة بحيث إقتنع بعهود ووعود عَدوّتيه بريطانيا والدولة العثمانية. فإستسلم حين شعر بان الظروف ليست في صالحه لا كزعيم ذي مبدأ بل كواحد من رعايا السلطان. وبالرغم من ان الدين كان له دور كبير في سياسته، إلا أن الاسباب السالفة الذكر كانت اقوى تأثيراً منه. فلايعقل ان تنهار إمارة بهذه القوة والنفوذ بفتوى رجل دين. والحقيقة ان أمير سوران اعلن وقف المعارك والإستسلام فور هجوم القوات العثمانية على إمارته. ووقف الى جانبه وجانب الملا الخطي القليلون ممن لم يرغبوا في الحرب، بينما وقف القسم الأكبر من الجيش الى جانب أخيه احمد بگ، الذي قرر المقاومة.

ويختتم كاوس أقواله هذه، بقوله:

«إن معظم الإمارات الكردية قامت بحركات ضد العثمانيين وتعرضت كلها للقمع ولكن ليس بفتوى[٥١]...

الى هنا ينتهي رأي الدكتور كاوس وسوف نسترسل قليلاً في مناقشة بعض ما ذهب إليه لأن الدكتور كاوس مختص في دراسة التاريخ.

صحيح أنّ المجتمع الكردي كان مجتمعاً قبلياً عشائرياً اقطاعياً ومازالت جذوره باقية للآن، ولكن الإمارات الكردية لم تكن قائمة على أساس قبلي وإنما إقليمي، فكانت تضم العشرات من العشائر. ويبدو ان الدكتور كاوس قد فسّر قول الدملوجي خطأً. فالدملوجي يقول خطأً أيضاً:

«بعد أن إحتل الأمير بادينان لعبت نشوة الظفر برأسه وأراد توسيع إمارته، فكانت إمارة البوتان مطمحه. فسار اليها واوقع اميرها بدرخان في قلق واضطراب وهدد قلعتي ماردين ونصيبين ووصلت جيوشه جبل سنجار»...

وأصبحت إمارة بوتان الجسيمة مهددة بخطر الإستيلاء السوراني:

«وهو عمل لا يدل إلاّ على اعتداء غير مشروع، اذ من المعلوم ان الإمارات الكردية قامت على أسس قومية ولم يكن في وسع أي أمير ان يُخضع لحكمه أمة لا تمتُّ اليه بصلة القومية. والأمير السوراني بوسعه التوسع في إمارته شرقاً –حيث الاقوام السورانيه ويستولي على القبائل الكردية الضعيفة– ولكن ليس من حقه التوسع على حساب إمارة بادينان ولا إمارة بوتان. واذا حدث فأخضعهما فذلك امر مؤقت لأنهما لن تلبثا ان تستعيدا قوتهما»[٥٢]...

يظهر من هذا النص ان الدكتور كاوس توصل من خلاله الى اجتهاد مقلوب. وأنّ الدملوجي خلط بين الاقليم والعشيرة، اذ عدّ الإمارة السورانية قائمة على اساس قومي يختلف عن الأساس الذي قامت عليه إمارتا بادينان وبوتان. ولا أعرف كيف فاته –وهو المطّلع – أنّ الإمارات الثلاث كردية وأُقيمت على اساس اقليمي (سوران، بادينان، بوتان) وليس على اساس قوميتين مختلفتين. واذا كان الدملوجي قد اخطأ في إعتبار قيام إمارتي سوران وبادينان على أساس قوميتين مختلفتين، فإن الدكتور كاوس قفتان قد أخطأ بدوره حين أشار وبطريقة غير مباشرة الى قيام الإمارات الكردية على أسس عشائرية بقوله:

«لو قُدِّر لأمير كردي ان يحتل إمارة اخرى فإن العصبية القبلية كانت تُثار نتيجة لذلك، وإذا صاحب الاحتلال العنف والقسوة فإن البغضاء والعداء يتأصلان بين العشيرتين...»

ويبالغ الدكتور كاوس في تصوير قسوة الأمير (والمعروف ان إسمه –اي الأمير– لايحمل الرعب في ثناياه عند الكُرد كاسماء جنگيزخان وهولاكو وتيمورلنگ) فلم يُعرف عنه انه سلخ ونشر الجلود على

٥١– د. كاوس قفطان: دراسات في تاريخ بابان وسوران وبوتان بغداد. ١٩٨٥ ص٥٣–٥٧ باللغة الكردية.

٥٢– صديق الدملوجي: المصدر السابق، ص٤٦–٤٧.

الاسوار أو قلع العيون، كما لم يشتهر بممارسة الإغتيال والإستيلاء على أموال الغير. إن كل الفاتحين في التاريخ إتبعوا سياسة القوة والارهاب، ولم يكن الأمير إستثناءً، وهل كان بامكانه ان يبني إمارة واسعة بطريقة اخرى غير التي اتبعها؟ ثم علينا أن لاننسى أن أمراء بابان وبادينان كانوا موالين للعثمانيين وأعداء للأمير. أما إمارة بوتان فقد وقفت ضده واخذت تساعد أمراء بادينان على استعادة إمارتهم، بعد ان ضمها الى إمارته عام ١٨٣٢م، فكان عملهم هذا تحدياً للأمير ومثار غضبه. ويؤسفني ان اقول ان الدكتور قفتان لم يكن موفقاً في تحليلاته وإستنتاجاته التاريخية، اذ يعد مقاومة احدى العشائر الصغيرة في منطقة بادينان للأمير عملاً شجاعاً لطموح أمير سوران في تأسيس دولة كردية كبيرة. هذا والأمير لم يقم بإبادة تلك العشيرة كما ذكر الدكتور كاوس نقلاً عن فريزر، الذي أورد الخبر كمجرد رواية لم يتحقق منها، بل ان تلك العشيرة كما يذكر فريزر تمادت في معارضته اثناء محاصرته للعماديه وظلت كذلك حتى بعد سقوط المدينة. فساق عليها قواته وبعد ان اخضعها وعانى ما عانى من اجل ذلك، قتل جميع مَن وصلت اليه يده من أفرادها حتى بلغ عدد ضحاياه عدة آلاف من الرجال. وقد فعل ذلك ليعتبر الآخرون[٥٣].

ويقول الدكتور كاوس ان الأقاليم إضطرت الى الرضوخ لأمير سوران نتيجة لعنفه وقسوته، حتى إنها كانت تشارك في حروبه خلافاً لقناعتها وإرادتها. وهنا نسأل الدكتور: على مَن كان أمير سوران يشن حروبه؟ ألم تكن النتيجة تفضي الى التخلص من النفوذ العثماني والإيراني؟! تُرى وهل النضال ضد العثمانيين ومواليهم يعتبر إضطرارياً ومخالفاً لإرادة وقناعة الكُرد؟

ولنمض مع الدكتور «ولكنها –أي هذه الاقاليم– كانت تنتظر سنوح الفرصة للثأر والانتقام» ممن تثأر وتنتقم، أما كان الأحرى بالدكتور ان يكرّس (الحقد المقدس) والتهيؤ للانتقام من العثمانيين والإيرانيين ومواليهما، الذين ساموا الشعب الكردي الأمرّين طوال قرون؟!

لقد أرعبت حركة أمير سوران الدولة العثمانية ومواليها من الأمراء الكُرد، لأنهم لم يألفوا مثل هذه الحركة من قبل من حيث السمعة والاهداف والقوة والنجاح، فأمير سوران كان يسعى الى السيطرة على كردستان[٥٤]... لذا اخذت اجهزة الدولة تشهِّر به وتشوه سمعته وحركته القومية وتحرض عليه. ويبدو ان العلامة العزاوي يتقدم على الدكتور كاوس قفتان في تحليله لأحداث ذلك الزمن وفي تشخيصه الدقيق لأهداف وخطورة حركة أمير سوران على الدولة العثمانية بقوله:

«أظهر أمير سوران بسالة لا يزال الكرد يتغنون بها، بسالة أقامت العثمانيين ولم تقعدهم. ولم يكن ما نُسب اليه من العبث بالامن صحيحاً، وانما خافت الدولة من توسع إمارته ونجاحها في ديار الكُرد وحسبوا لخطرها عليهم، فشهّرت وإهتمت لدفع خطره»[٥٥]...

٥٣– جيمس بيللى فريزر: المصدر السابق، ص٢٦.

٥٤– د.عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق ص١٩٥.

٥٥– عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص٢٥–٣٤ عشائر العراق ج٢ ص١٥٧.

الطريف أنّ الدكتور قفتان يناقض اقواله الآنفة في موضع آخر من كتابه عندما يقول:

«لم يكن الوعي القومي على درجة من القوة لكي يفهمهم بان نكسة أمير سوران وإنتصار العثمانيين يلحقان الضرر بالشعب والوطن في المستقبل.»

وهذا القول للدكتور يعزز آراءنا وتوجهاتنا.

أما موقف الأمير السوراني من الإمارات الكردية بإستثناء إمارة بادينان التي ضمها كلياً لإمارته، فقد تحسن فيما بعد بدليل إقامته علاقات ودية مع الأمير بدرخان البوتاني وتصالحه مع أمراء بابان وبادينان. ويكفي انه لم يقتل أميراً كردياً واحداً رغم تمكنه من بعضهم.

لقد كان الأمير يسعى الى السيطرة على كردستان... وهو ما يستدعي تشكيل قوة عسكرية ضخمة لتوحيد المناطق الكردية والوقوف بوجه أطماع الدولتين العثمانية والإيرانية. وهو ما يؤيده الدكتور قفتان عندما يقول:

«أراد الأمير تأسيس دولة منافسة للدولتين العثمانية والإيرانية، لذا لم تكن القوة العسكرية التي كان يمتلكها تشبه قوة عسكرية لإمارة صغيرة، بل كانت تشبه قوة عسكرية لشبه دولة كانت تخطط للتوسع»[٥٦]...

لهذا إذن سخّر الأمير مجمل جهوده وامكاناته المادية للأغراض العسكرية، فمن الطبيعي ان لاتتقدم جوانب الحياة الأخرى، كالثقافية مثلاً لتسير بموازاة النشاط العسكري وان وجدت ثمة انشطة غير عسكرية فانها غالباً رمزية ذات تأثير محدود. ومع ذلك فقد إنتعشت التجارة وزادت ثروة الإمارة بفضل الجسور والحصون وحماية الطرق التجارية. وإهتم الأمير بالعلم والعلماء وفتح المدارس وبناء المساجد، كما ذكر ذلك فريزر وميلنگن وروس وغيرهم من الرحالة والمؤرخين.

أما قول الدكتور: بأن أعمال الأمير العسكرية أنهكت الشعب واضجرته في حين كان شعبا فقيراً أصلاً. وعن فقر الشعب يستند الدكتور كاوس الى ما ذكره روس لدى زيارته منطقة رواندز ونقلاً عن محمد امين زكي. وبسبب عدم اطلاعه على المصدر الأصلي وقع في خطأ كبير أيضاً، فالدكتور روس الذي زار بعض القرى والقلاع شمال رواندز أو شرقها لم يُسمح له بزيارة رواندز ولا بالتجوال الكثير في المنطقة. ويظهر كما يقول فريزر انه عومل بإحتقار في المنطقة. ولم يتحدث روس عن الفقر والثياب الرثة، بل ذكر انه شاهد أناساً يلبسون البسة خَلقة وإنه راى قرية تضم مائة دار حقيرة تنتشر بين غابة كثيفة من البساتين الحاوية لكل نوع من انواع الأشجار المثمرة!![٥٧] وعندما يعود روس ليصف الألبسة الكردية التي شاهدها لاتبدو من وصفه انها كانت خلقة.

والغريب أن الدكتور كاوس عمم الوضع الاقتصادي (البائس) في المنطقة الصغيرة التي زارها

٥٦- كاوس قفطان: المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

٥٧- جيمس بيللى فريزر: المصدر السابق، ص١٦-٤٧.

روس في رواندز على بقية مناطق الإمارة واغفل ما كتبه الدكتور روس والرحالة فريزر عن الرخاء الإقتصادي في المناطق الأخرى كأربيل وآلتون كوپري مثلاً.

ولو فرضنا جدلاً ان الشعب كله كان فقيراً معدماً، فإن سؤالاً يطرح نفسه: هل يُتوقع من الشعب المتخم الثري ان يقدم التضحية والقرابين في سبيل الحرية وحياة أفضل؟ أم الشعب المعدم الفقير؟! ويتهم الدكتور كاوس الأمير بأنه كان يبخل بأمواله ويبذر أموال الشعب، ويستدل على ذلك بدفع رواتب الجند وانه كان (يستضيف في كل ليلة مائة او مائتي رئيس عشيرة). ومن جديد يرتكب الدكتور كاوس خطأ في نقل النصوص التاريخية لعدم رجوعه الى المصدر الاصلي. فالنص هذا منقول من يوميات روس الذي زار الأمير في ٣ تموز ١٨٣٣م في خيمته بمنطقة عقره ومكث خمسة أيام كاملة في معسكره، وكتب يقول:

«وفي كل مساء يتناول ما بين المائة والمائتي جندي عشاءهم في خيمة الپاشا متبعين في ذلك دورة خاصة تطال العشائر جميعها»[٥٨]...

فأين هذا القول من قول الدكتور كاوس الذي يتضمن الطعن في سيرة الأمير الشخصية؟ كانت تلك الولائم تقام للجند لا لرؤساء العشائر واثناء الحرب فقط، حيث كانت تجري الولائم لجنود ينتمون لمختلف العشائر وبالتناوب وفي خيمة الأمير لا في قصره برواندز. وهذا يدل على فهم الأمير لنفسية العشائر، فكان لايقدم إحداها على الأخرى ليضمن ولاء جميعها ويفرض إحترامه على رؤسائها.

ولو فرضنا أن تلك الولائم كانت تقام في رواندز فهل من المعقول ان تقطن هذه المنطقة المحدودة المئات من العشائر ليستضيف الأمير رؤساءها كل ليلة. كما أنّ مثل هذه الاقوال تعتبر من أفكار العصور الوسطى، فهذا حاكم أربيل السياسي في عام ١٩١٨-١٩٢٠ يقول:

ومن الملحوظ بشكل بارز أن منطقة رواندز تخلو من قبائل كبيرة وزعماء عشائريين ذوي خطر»[٥٩]...

والصحيح ما ذكره الدكتور روس انه:

«في كل مساء كان ستة أو ثمانية من القرويين يتناولون العشاء في بيت الأمير مع عدد من المحاربين القدماء من اصدقاء شبابه.»[٦٠]

وعن تبذير أموال الشعب يستشهد كاوس قفطان بآراء ساذجة كقوله: ان الأمير كان يشتري السلاح بثمن مضاعف، او تحمله المصاريف البسيطة من ميزانيته الخاصة وتهرّبه من دفع رواتب الجند والضباط ومصاريف بناء القلاع والجسور، وإلقاء عبء كل ذلك على كاهل الشعب.

٥٨- جيمس بيللى فريزر: المصدر السابق، ص٢٤.

٥٩- دبليو. ار.هي: المصدر السابق، ص١٠٣.

٦٠- جيمس بيللي فريزر: المصدر السابق، ص١٧.

ترى هل من المعقول ان تدفع رواتب جيش جرار من جيب فرد معين؟ وهل من المعقول القول ان يحصل الكُرد آنذاك، وهم شعب مضطهد من قبل دولتين متعاديتين، على السلاح بثمن رخيص؟ وحتى في هذا العصر هل تحصل الشعوب النامية والمغلوية على أمرها على السلاح بثمن بخس؟ ألا يكلف ذلك في اقل الاحوال إنتقاصا من إستقلالها وسيادتها؟!... ثم لماذا لم يذكر كاوس قول روس من ان:

«الأمير إعتاد شراء غنائم وأسلاب الحرب جميعها –من جنوده– بأسعار تساوي ضعف ما يدفعه لهم الآخرون»[٦١]...

لم يكن الأمير مصاباً بقصر النظر السياسي كما ذكر الدكتور كاوس، بل كان طموحاً يسعى الى توحيد الإمارات الكردية والقبائل المناهضة للدولة العثمانية، وإقامته الإتصالات الدولية مع محمد علي پاشا – كما ذكر كاوس نفسه– وايران وبغداد وكافة رجالات العراق، لا تدل على قصر نظره السياسي، بل تدلّ على النقيض من ذلك على بعد نظره السياسي. وهو ما يؤيده محمد أمين زكي والرحالة فريزر، الذي يقول:

«إن دراستي الخاصة أثبتت لي أنّ الپاشا كان على جانب عظيم من الحرص والحيطة والحذر مع بعد النظر ورهافة الشعور...»[٦٢]...

ويناقض الدكتور كاوس نفسه قوله أعلاه في الصفحة (٥٠) من كتابه عندما يقول ما معناه: إن فكرة الإستقلال كانت تستحوذ على مخيلة الأمير ويجمع معظم الرحالة والمؤرخين بأنه كان يسعى الى نيل الحرية والإستقلال لشعبه، وإنه كان يقف موقف الند للند من الدولتين العثمانية والإيرانية، ويعقد المعاهدات مع الدول المعادية لعدوه الرئيسي الدولة العثمانية. ثم يقول كاوس ما نصه:

«إن تصورات أمير سوران كانت تتميز ببعد النظر.»

وبعد فإن بمقدور الباحث أن يسوق الكثير من الحجج والبراهين المفنِّدة لآراء الدكتور قفتان التي تشبه رمي حجرة في الظلام وآراء لامسؤولة اخرى سيجد القاريء الرد عليها في ثنايا البحث.

٦١– جيمس بيللي فريزر: المصدر السابق، ص٢٥.

٦٢– جيمس بيللي فريزر: المصدر السابق،ص٢٦.

القسم الثالث والاخير*

ويقول الأستاذ مسعود محمد:

«أصدر الخطي فتواه بناءً على موافقة الأمير ورغبته لمنع تدمير البلاد وفتح باب للسلام والإتفاق.»

ويدعم الاستاذ رأيه بدليلين:

أولهما: إن تعين الخطي مفتياً ومرجعاً دينياً لإمارة سوران في البداية كان على أساس عدم تدخله في شؤون الحكم والقضايا الدنيوية، مقابل عدم تدخل الأمير في الشؤون الدينية والشرعية، وأن يتمتع كل منهما بالحرية في حدود عمله. ولهذا إلتزم الخطي الصمت إزاء الكثير من أعمال الأمير التي لاتنسجم مع القرآن الكريم والحديث الشريف، لكنها كانت ذات فائدة لحكمه.

وثانيهما: إن الأمير لايمكن ان يقف مكتوف اليدين إزاء عمل يهدد ملكه، فقد كان مشهوراً بقسوته وقتل كل مَن يشك في ولائه أو يهدد ملكه، فلماذا لم يقتل الخطي؟! ولماذا لم يهرب الملا محمد الخطي وهو المطلع على قسوة الأمير ويصدر فتواه بعيداً عن بطشه؟ ولو كان الخطي مذنباً لما سلم من هجاء الشاعر القومي حاجي قادر الكويي المعاصر لتلك الأحداث[١]...

ورغم دقة الاستاذ مسعود محمد في تحليله لمثل هذه الأحداث الكُردية، لكنه لم يكن موفقاً تماماً في تحليل هذا الحدث المهم. فالمصادر التاريخية المعاصرة لاتذكر الإتفاق الذي نوّه عنه بين الخطي والأمير في تقسيم الامور الدينية والدنيوية بينهما. لكنها تؤكد إن دستور حكم الإمارة كان القرآن الكريم، وإن الأمير كان يتدخل في الشؤون الدينية بتعيينه رجال الدين من المدرسين والقضاة في أنحاء مملكته، وإن الخطي تدخل في شؤون الحكم عندما حث الأمير على إسعاف طلب صديقه الملا يحيى المزوري، الذي نزل ضيفاً عليه. وتذكر بعض المصادر أنّ الخطي هو الذي أصدر الفتوى في إبادة الداسنية (الإيزيدية) عام ١٨٣٢م. كما أنّ علي بگ أمير الداسنية الأسير قُتل أيضاً بإيعاز من علماء الدين، وكان هو على رأسهم. ولا ننسى أنّ مجيء الخطي الى رواندز ومقابلته للأمير في البداية كان لأغراض سياسية. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الأمير يخشاه أو يمنعه من التدخل في الشؤون السياسية وأن يقتصر نشاطه على الشؤون الدينية فقط، كما ذكر الاستاذ مسعود محمد.

هذا وقد بالغ البعض في الحديث عن قسوة الأمير الشخصية، ولكن لو راجعنا ودققنا أخباره لما

(*) عن مجلة (كاروان) العدد (٥٤) نيسان ١٩٨٧:

١- مسعود محمد: الحاج قادر الكويي، بغداد ١٩٧٤، جـ٢ ص١٠٦-١١٠ (باللغة الكردية).

تجاوز الذين قتلهم من خصومه السياسيين أصابع اليدين، بينما تمكن من إلقاء القبض على العشرات منهم. واقتصر قتله على الذين هددوا مركزه وحكمه، او تمادوا في عدائه. أما مذبحة الداسنية المروعة فقد حدثت بإثارة وتحريض بعض رجال الدين لعواطف الجند الدينية.

واخيراً يسوق الأستاذ مسعود محمد رأيه اعلاه، بصدد وجود اتفاق بين الأمير والخطي بتقسيم الامور الدينية والدنيوية بينهما، دون الإستناد الى مصدر تاريخي أو دليل. وقد ثبت بطلان هذا الرأي علمياً. ففي اكثر الدول العالم عصرنة لا وجود للفصل بين السلطات إلا نظرياً او على الورق.

أما لماذا لم يتعرّض الملا محمد الخطي لهجاء الشاعر حاجي قادر الكويي او لبطش الأمير لإصداره فتواه خلافاً لرغبته، ففي رأيي يعود الى نشأة الأمير الدينية وإحترامه البالغ لعلماء الدين وخوفه من تاثيرهم الديني، حتى انه لم يمس العالم الديني الكبير محمد بن آدم البالكي بسوء لخلاف الأخير معه، فربما وقف البالكي ضده ومع هذا سمح له الأمير بمغادرة رواندز على أن يقيم في قرية روستِ[٢]. ولم يتعرض الكويي للخطي بهجاء، لأن أشعاره القومية كانت موجهة للشعب دائماً وكان همّه فيها ان يستحث نضاله من أجل الحرية والإستقلال. وعلى قدر علمي لم يذكر الكويي احداً بسوء بسبب مواقفه القومية او الشخصية.

أما احدث رأي في المسألة التي نناقشها (سقوط إمارة سوران) فهو الرأي الذي جاء في كتاب (الشيخ نورالدين البريفكاني) للاستاذ محمد الگزني وفحواه:

> إن الخطي لم يصدر الفتوى بل نُسبت اليه من قبل جماعة حصلوا بإصدارها على الإمتيازات- ولا يذكر الگزني أسماءهم- وإن الخطي لم يستطع الدفاع عن نفسه وردّ خصومه بسبب وفاته في السنة نفسها (١٨٣٦م) التي اُلقي فيها القبض على الأمير[٣].

ويظهر ان الگزني مقتنع في قرارة نفسه بأن إصدار الخطي للفتوى بات حقيقة تاريخية ثابتة، لكنه لايعرف كيف يدافع عن الرجل بدليل قوله:

> «وحتى لو أصدر الخطي فتوى بحرمة محاربة العثمانيين، فلم تكن فتواه سبباً في إخماد الثورة والإضرار بالشعب الكردي، بل ربما كانت لصالح الكُرد».[٤]

ويستدل الگزني على قوله هذا بسرد قصة كان قد سمعها من بعض السادة وملخصها: إن الخطي كان قد أصدر فتواه لكن بطلب من الأمير محمد، الذي تاكد من أنه لا مجال لمحاربة الجيش العثماني بسبب إتفاق تركيا وإيران وتشجيع روسيا وبريطانيا لهذا الإتفاق. فكانت دولته محاصرة من جميع

٢- عباس العزاوي: تاريخ الفلك في العراق، بغداد ١٩٥٩، ص٢٦٦-٢٦٧ كذلك انظر زبير بلال إسماعيل: محمد بن ادم بالكي، مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد الخامس، بغداد ١٩٧٧.

٣- محمد احمد مصطفى الگزني: الشيخ نورالدين البريفكاني، القاهرة ١٩٨٣ هامش ص٦١.

٤- المصدر نفسه ص٦١.

الجهات ونفذ العتاد وإمتنعت روسيا عن بيعه السلاح. فتيقن أنه بغير الإستسلام سيهلك الشعب جوعا ويُقتل. وفشل في إقناع المحاربين بالإستسلام فلجأ الى المفتي (الخطي) وأمره بإصدار الفتوى الشهيرة. فوافق الخطي على ذلك بالحاح الأمير. وهكذا قدم الأمير نفسه كبش فداء لشعبه «فكان ضحية كبيرة وذِبحاً عظيماً[٥]».

إن رواية الكزني لاتثبت أمام النقد التاريخي ولا يؤيدها التاريخ، ففيها الكثير من الخلط والإضطراب والتناقض. فهي إجتهاد مقلوب أيضاً توصل اليه الأستاذ الكزني-بسبب قلة إطلاعه على المصادر التاريخية المهمة والمعتمدة في هذا الموضوع. وأغلب الظن أنّ هذه الرواية اختُلقت إختلاقاً بعد وقوع الحادث. فقد كان الأمير رجلاً حازماً واسع الحيلة متحمساً، والمتحمس لايستسلم بسهولة، لكنه استسلم كارهاً ومضطراً، لأنه عجز عن معالجة الموقف الذي أحدثه الخطي بفتواه. وما تعيينه لأخيه الأمير أحمد خلفاً إلاّ دليلاً على ذلك. فالأمير احمد- كما رأينا- كان من أشد المعارضين لإتجاه رجال الدين وللخطي بالذات. ومحاولة الأمير محمد الهرب في الطريق الى استنبول وفشله في ذلك ثم تشديد الحراسة عليه، كما ذكر ذلك (محمد علي تقي) المشهور بإسم (أمير نظام) للقنصل الروسي العام في تبريز[٦] دليل آخر على إستسلامه كارهاً. كما أنّ طريقة قتله التي إختلفت فيها الروايات واخفاء جثته في الوقت الذي كان السلطان محمود الثاني يريد ان يثبت للعالم إنه سلطان مصلح وان ضروب القسوة والإعدام السريع لم يعد لها مجال تحت حكمه العادل[٧]، فدليل آخر على مدى الخطر الذي كان يشكله بقاء الأمير حياً على الدولة العثمانية. هذا وتذكر وثائق قصر عابدين أنّ ثورةً وقعت في الإمارة عندما علم الاهالي بمصرع الأمير وأنّ عثمان باشا احد إخوة الأمير أعلن الثورة على العثمانيين[٨]. وبالتأكيد بعث حادث مقتله موجة هياج ترددت اصداؤها في كل ارجاء كردستان آنذاك، وترك اعمق الأثر في مخيلة الشعب الكردي، خاصة في كردستان الجنوبية.

لقد أغفل المؤرخون سبباً مهماً كان له أثره الفعال في التعجيل بسقوط إمارة سوران، وهو إقدام الأمير على أكبر جريمة خدم فيها اعداءه العثمانيين، الذين كانوا يحاولون دائماً الاتفاق مع الكرد لتنظيم مذبحة للداسنيين، وكان فشلهم بسبب رفض الرأي العام الكُردي الذي كان لايقرّ بالإعتداء على غير المسلمين. ولكن الأمير لم يتردد في إراقة دمائهم بتحريض عدد من رجال الدين، بخاصة الملا محمد الخطي والملا يحيى المزوري، الذي نجح في تهييج العداوة القديمة بين السورانيين والداسنيين. فرفض الأمير طلبهم للصلح والأمان وإرتكبت جيوشه، التي وقعت تحت تاثير رجال الدين

٥- المصدر نفسه ص٦٢.
٦- جليلي جليل: هجوم القوات العثمانية على كردستان، ترجمة د. كاوس قفطان، مجلة كاروان، العدد٢٧.
٧- د.عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث، ص٤٠.
٨- المصدر نفسه، ص١٠٩.

أيضاً، من المظالم ما يندى له الجبين خجلاً. ويذكر الدملوجي أنّ جيش الأمير السوراني ما مرّ بقرية الا وأجرى الدم فيها- وإن حصيلة هجومه كانت أكثر من مائة الف قتيل(٩) راحوا ضحية إستغلال عدد من رجال الدين الذين أثاروا مشاعر جنود سوران الدينية. وربما كان في هذا الرقم شيء من المبالغة ،الا أنه يدل على ضخامة العدد وحجم المذبحة المروّعة التي تعرض لها سكان المنطقة(١٠)...

لقد خسرت إمارة سوران وخسر الأمير محمد بعمله هذا قوةً كبيرة كان من الممكن ان تقف الى جانبه اثناء الهجوم العثماني العام لو تسامح معها الأمير، لإستيائها الشديد من السلطات العثمانية. إن عدم تمكن أمير سوران الطَموح من اقامة سلطة قوية في بادينان كان لإنشغاله الدائم في قمع تمردات الداسنية، خاصة بعد قتله أسير حربه علي بگ الداسني في رواندز نهاية عام ١٨٣٤م وبتحريض من رجال الدين أيضاً. وتفصيل الامر أنّ الداسنيين تمكنوا من إسترداد سنجار وقتل معظم افراد حاميتها، ووصل تقدمهم الى مقربة من الموصل حيث إلتقى بهم الجيش السوراني المرسل من رواندز ودحرهم في حدود عام ١٨٣٤م وإستعاد سنجار. لقد اتهم الأمير السوراني أسيره علي بگ بتحريض الداسنية على تلك الاعمال. فدعاه محذراً ومعاتباً لكن الداسني أبى أن يتضرع وثار في وجهه. فامر الأمير بإعدامه وتعليق جثته لمدة ثلاثة أيام على جسر رواندز. وكان هذا في نهاية عام ١٨٣٤. فأدى عمله هذا الى تجدد وإستمرار المعارك بين الداسنيين والسورانيين(١١).

لذا يقول الدملوجي- وقوله لا يخلو من مبالغة أيضاً:

«إن إمارة سوران إبتلعت إمارة بادينان فعلاً لكنها أصيبت بسوء الهضم ولفظت هي الأخرى انفاسها»(١٢)...

كما أساءت تلك المذبحة الوحشية الى سمعة الكُرد وأثارت ضدهم الدول الأوروپية، التي كانت تعد نفسها حامية للأقليات الدينية في الإمبراطورية العثمانية وبواسطتها كانت تتدخل في الشؤون العثمانية الداخلية. لذا نجد الدولة العثمانية في هجومها العام والأخير على الإمارات الكردية (بوتان،

٩- صديق الدملوجي: المصدر السابق، ص٤٥.

١٠- للمزيد من المعلومات عن اسباب هذه المذبحة واثارها انظر بحثنا: الملا يحيى المزوري وسقوط إمارة بادينان (القسم الثالث)، مجلة كاروان العدد ٤٣، السنة الرابعة ١٩٨٦، (باللغة العربية).

١١- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق، ص٦٠، ويذكر الموكرياني استنادا على اقوال شيوخ رواندز ومعمريها: بان علي بگ الداسني كان رجلا شهما مقدأما بهي الطلعة ولم يكن يستحق الشنق إلاّ أن الأمير طلب منه بتحريض من رجال الدين المتشددين ان يشهد اسلامه، فلما لم يذعن لطلب الأمير واعدم بايعاز من اولئك الدينيين، وان اعدامه لم يكن بسبب الاضطرابات والفتن التي حدثت في سنجار. والجدير بالذكر ان الروايات الشعبية والاغاني التاريخية خلدت ذكرى علي بگ الداسني فالراوندزيون صغارا وكبارا يعرفون قصته ويظهر ان قتله ترك الحزن في النفوس الى درجة ان بعض الناس يعتقدون خطأ بأن مضيق (كلي علي بگ) سمي بهذا الاسم نسبة اليه ومنذ ذلك التاريخ، وهناك اغنية كردية تاريخية تروي مأساته، انظر اسعد عدو: ليرەیەک لە گەنجینەی نەتەوەی کورد، بغداد ١٩٨٤، ص٨-١٠.

١٢- صديق الدملوجي: المصدر نفسه ص٥٨.

سوران، بادينان) عام ١٨٣٤-١٨٥٠م تتخذ من تلك المذبحة ومن مهاجمة الأمير بدرخان البوتاني للآثوريين لأسباب لا علاقة لها بالدين مطلقاً، حجة للقضاء على الإمارات الكردية رغم انها كانت تستصدر الفتاوى بإبادتهم دائماً.

ويتساءل الموكرياني معلقاً على عمل الأمير فيقول: تُرى لمصلحة مَن من الأعداء فعل الأمير ذلك؟ فيجيب بنفسه على تساؤله قائلاً: لقد فعل ذلك بتحريض من رجال الدين وكان فسحهُ المجال لهم بالتدخل في شؤون الإمارة من أعظم أخطائه[١٣]...

لاشك أن الأمير كان يخضع لنفوذ حاشيته من عدد من رجال الدين ولم تُحسن هذه الحاشية القيام بواجباتها الدينية والوطنية الصحيحة حسب إعتقادي. ويظهر مما سبق انه لم يكن يتوقع خيانة داخلية، ولكن إعتماده المفرط عليهم وتعصبه الديني إنقلبا عليه، وكان من سوء حظه ان يكون الى جانبه عالم ديني كبير له منزلة في كردستان والعراق وخبير بالفتاوى والفرمانات والمناشير السلطانية. ولعلنا لا نعدو الحقيقة بقولنا إن الأمير لم يظهر براعة عسكرية في مقاومة الجيش العثماني، الذي لم يلقَ مقاومة جدية إلاّ في أربيل وعقره تقريباً. وترك الأمير حكام المدن زاخو وعقره وحرير وكويسنجق وآلتون كوپري، يواجهون الجيش العثماني بإمكانياتهم المحلية المحدودة دون دعم او إمداد من رواندز، بينما تحصن هو في رواندز منتظراً وصول قوات رشيد پاشا الرئيسية لتلقي حصارها عليه. وربما رأى الأمير أن ينسحب الى رواندز ليستدرج الجيوش العثمانية الى أعماق كردستان، حيث الجبال الوعرة المنيعة وقلاعه الحصينة معتقداً أنّ القبائل الكردية والأمراء الكُرد سوف يُهرعون لمساعدته عندما يرون هذا الجيش الاجنبي الجرار يدخل أراضيهم، فيوجه من هناك ضربته القاضية. وبالرغم من كون هذا التكتيك العسكري المتميز ببعد النظر صائباً، لكن كان بلا جدوى. فبدلاً من أن تُهرع القبائل الكُردية ورؤساؤها لنجدته في ذلك الوقت الحرج وتدافع عن أراضيها، فقد رافق الكثير منهم الجيش العثماني وشاركوا في الإلتفاف حول رواندز وإسقاط الإمارة[١٤]، فيما وقف آخرون متفرجين.

أكتفي بهذا القدر من الآراء والتعقيبات التي اوردتها -فحفنة واحدة تنبيء عما في الحِمل- كما يقول المثل الكردي، اعتقاداً بأن لها اهمية خاصة. ويظهر منها ومن التي لم اسجلها، أنّ بعض رجال الدين والمتدينيين الكُرد، سواء الذين قرأت لهم او الذين إستأنست بآرائهم شفاهاً، يُبرئون بوسيلة أو أخرى ساحة الملا محمد الخطي، بدعوى أنه أصدر فتواه بناءً على رغبة الأمير أو انها أُمليت عليه أو ان الآخرين أصدروها ونسبوها إليه، أو أنها شائعات أثارها خصومه لأسباب شخصية.

أما الكتّاب والمؤرخون والمهتمون بالتاريخ من رجال الدين وغيرهم - وفي مقدمتهم گيو الموكرياني

١٣- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق (الاصل الكردي، ص١٠٩).
١٤- صالح قفطان: المصدر السابق ص٢٩٩.

وحسين حزني الموكرياني وهژار الموكرياني وغيرهم- فيعدونه الطرف الرئيس في إسقاط الإمارة السورانية. إن معرفة الماضي معرفة صحيحة والحكم عليه وإتخاذ موقف سليم منه ضروري جداً لدفع المجتمع بالإتجاه الصحيح. وهذا يتطلب ترك العواطف الدينية والعائلية الشخصية والتخلص من الترسبات المتراكمة في النفوس والتحرر منها- فالذين مازالوا حتى يومنا هذا كارهين أن يعترفوا أو يذكروا أخطاء الأجداد، لايمكن أن يخدموا ماضينا القومي ومستقبله. فمواجهة الحقيقة مهما تكن من اول صفات المؤرخ والكاتب المنصف. وفي الوقت الذي يُبريء البعض ساحة الخطي من تهمة الخيانة ويتهمون الآخرين بإصدار الفتوى، نراهم يتكتمون في كتاباتهم على اسماء وبيان هويات المسببين أو حتى الإشارة إليهم ولايجهدون أنفسهم للتوصل الى معرفة الظروف والأسباب والعوامل التي ساعدت على وقوع المأساة وإنهيار الإمارة.

ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الخطي لم يكن من ذوي السير الرائعة والبطولات الحافلة وأنه وإدريس البدليسي، الذي أخضع معظم الإمارات الكردية رسمياً للدولة العثمانية عام ١٥١٦م[١٥]؛ أصبحا مضرباً للامثال في الخيانة بالنسبة للاجيال الكردية هذا ما إستقر في أذهان الناس وإنطبع فيها وتؤيده الروايات الشعبية والأغاني التي تحكم التهمة على الخطي. فمثلاً في رواية شعبية ان القائد العثماني رشيد پاشا ارسل الى الملا محمد الخطي رقية مفرغة اللب محشوة بالليرات الذهبية تمويهاً كعربون لقاء التعاون مع الجيش العثماني. واذا عدنا الى الأغنية الكردية التاريخية- خاصة المعروفة بـ(لاوك) التي تحكي الكثير من الوقائع التاريخية. نرى انها تلقى اضواءً على مسائل مازالت مثار نقاش حتى الآن بين المؤرخين. فالمغنون الأكثر تجوالاً والتصاقاً بالجماهير خلدوا بسالة الأمير محمد وايام حكمه المتميز. وقد إستطعت أن أحصل بعد كثير من الجهد على بعض كلمات أغنية (لاوك) للمغني الأمي الراحل عبدالعزيز محمد (عزيز قوان) أو (عزيز اغا)، وهو من مواليد ثمانينات القرن الماضي، من احد المغنين القدماء، وكان قد سمعها منه اثناء زيارة عزيز آغا لقريته في اربعينات القرن العشرين[١٦]. وقد إستعنت بالعديد من المسنين لتكملة نواقصها وتفسيره، ولكني لم اتوصل الى اسمها، فإنتزاع مثل هذه المعلومات صعب جداً من المسنين الذين ينشدون الهدوء وراحة البال دائماً. والذي يفهم منها له قيمة تاريخية نادرة في بيان مشاعر الناس آنذاك وموقفهم من سقوط الإمارة

١٥- للمزيد من المعلومات راجع بحثنا، ادريس البدليسي دوره واثره في التاريخ الكردي، مجلة كاروان، العدد٢٤.

١٦- كنت قد سمعت هذه الاخبار من المغني الشعبي الراحل نجم عبدالله المشهور بـ(نجو) في تموز ١٩٦٧ وهو يتحدث في مجموعة من الرجال لمناسبة دخول عشيرته معركة مع عشيرة اخرى بسبب الاراضي الزراعية ووقوف ملا احدى قرى العشيرة على الحياد قولا وعملا وذلك بتشجيعه الطرفين على التفاهم والتصالح، واتذكر جيدا كيف كان نجو يشبه موقف ذلك الملا بموقف الملا خطي الذي حدثه عنه صديقه المغني عزيز اغا. ولم اكن اعرف انذاك الملا الخطي او اهتم بمثل هذه الامور وعندما بدأت ابحث عن الاغنية كان نجو قد توفي، فلجأت الى الاحياء من اصدقائه امثال المغنيين قادر حسو وعبدالله وسمانه وغيرهما من المسنين وكلهم من منطقة عقره. وكانت مقابلاتي معهم في تموز واب عام ١٩٨٤ و١٩٨٥.

وفتوى الخطي أو موقفه. وتقول الاغنية (اللاوك):

أواه مائة مرة اواه... إن اليوم الواحد يعادل مائة يوم دەلێ/لێ/لێ/لێ/ وایێ/سەد/جارا/ لمن/وایێ/ روژێ / سەد/جارا/ بەمن/ رۆژی/...

ثم يروي المغني إستعداد المدينة المحصنة للمقاومة وتهيؤ المقاتلين عسكرياً لرد الغزاة، رغم ما أصاب المدن والقرى من الدمار، فيقول:

شەرێ/مە/رەقە/ وەکی/ ئاسنی برا/شەرێ/مە/ بەتال/ نابیت/ لەگەل/ فەسادێ / دەمارێ غەمێ. ئەوێ/ رۆژێ / شارو/ گوندێ/ مە/ بمالاتە/ کەتە/ وێ /حالێ.

وتقول الأغنية إن الخطي عقد مؤتمره في المدينة ولا يتراجع عن أقواله:

مەلایێ/ خەتێ/ مەجلسێ/ خۆ/ لە شارێ/ بەستایێ/ ... لەسە / قەول و/ قرارێ / خۆ / ناهیتە/ دەرێ.

ويُفهم من مقاطع الاغنية الاخيرة انه بعد استسلام الأمير أخذ الناس، ومن بينهم الملا الخطي نفسه يدعون من الله ويتشفعون بالشيخ عبدالقادر الگيلاني ان يعيد الأمير سالماً. إن البت في خيانة الخطي لايختلف فيه اثنان واصبح من الامور البديهية جداً. وقد تناقلت الأجيال في منطقة سوران خاصة خبر خيانته ومازال سكان مدينة رواندز يصفونه بالخائن. والجدير بالذكر أنهم هاجموا قبره في رواندز بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كرمز للخيانة وللتنفيس عن الغضب، كما كانوا يهاجمونه دائماً في احتفالات نوروز وفي الكلمات التي كانت تُلقى في المناسبات الوطنية قبل الثورة. ومهما يكن فلا يمكن أن ندفع عن الخطي التهمة والمسؤولية التاريخية بإعتباره شخصية كردية، وحتى لو نجى من الوصمة الخيانية فلن يفلت من المؤاخذة... والذي يغلب على الظن ان الخطي أُتُهم بالتقصير وربما الخيانة في وقتها وفقد احترام الناس، له بدليل قول الموكرياني من أنه:

«ترك رواندز ولم يبق له نفوذ وإحترام عند الاهالي بعد الذي حدث فاضطُر الى الهجرة»[١٧]

كما أنّ مقبرته مازالت معروفة في رواندز ولكن شاهد قبره لايحمل أية كتابة[١٨]...

رأي في الفتوى

لايُنكر ان الخطي أدى خدمة عظيمة للدولة العثمانية في تلك الفترة الحرجة التي كثرت فيها ثورات وانتفاضات الشعوب التحررية عليها، رغم أن طاعة السلطان من الامور والموضوعات الفقهية التي ثار حولها الجدل بين الفرق الإسلامية منذ صدر الإسلام، وانقسم الفقهاء فريقين: أحدهما يوجبها والآخر

١٧- حسين حزني الموكرياني: المصدر السابق، ص٧٣.

١٨- زبير بلال إسماعيل: محمد الخطي ونهاية الإمارة السورانيه مجلة الحكم الذاتي، السنة السابعة العدد الرابع (باللغة العربية). وعند انشاء الملعب الرياضي في راوندوز، اعاق القبر عمليات الانشاء فأثرت عليه، غير ان احدهم اعاد الى القبر معالمه في السنوات الاخيرة.

لايوجبها. وفي فترات تاريخية أخذ كل فريق من المسلمين ياخذ من الشريعة الادلة التي ينتفع بها في حرب خصومه ويتجاهل سواها. فعلماء الجامع الازهر وقفوا مع محمد علي پاشا عندما اصدرت الدولة العثمانية فتوى بتكفيره وإحلال دمه. ودخل محمد علي بواسطتهم مبارزة بالأحكام الشرعية والفتاوى مع الدولة العثمانية، وإعتبر نفسه أحق من السلطان وسخر منه لأنه سمح لنفسه أن يحاربه بإسم الدين. وعندما سألوه في موضوع الحكم وهل يجوز لعلماء الأزهر الرد على فتوى السلطان، أجابهم محمد علي بأن: «علماء الازهر أحفظ للدين واعرف باحكام القرآن الكريم من جميع علماء

الإسلام» ثم قال: «أنا لم أطلب منهم شيئاً ولكن ما فعلوه انما فعلوه دفاعاً عن حرمة الدين من أن تُنتهك»[١٩]...

فاذا كان الملا الخطي مؤمناً بوجوب طاعة السلطان وكان عمله بدافع الاخلاص للعقيدة، فلماذا لم يصدر فتواه في تحريم قتال جيش الخليفة أول الامر؟! وهل كان السلطان العثماني محمود الثاني وقادته الذين زحفوا على كردستان جديرين حقاً بالطاعة الدينية ؟!

ان والي عكا عندما وقع اسيرا بيد الجيش المصري في ايار ١٨٣٢م قال في محمود الثاني وبابه العالي مخاطباً إبراهيم پاشا: «لاتعاملني ياپاشا معاملة الحريم، فإن دفاعي يبرهن على الضد وكل

خطأي أني اعتمد على الباب العالي، الذي لايزيد شرفه في نظري عن شرف مومس، ولو عرفت ذلك لما كنت ملقياً بين يديك»[٢٠]...

ويجمع المؤرخون على أن موت السلطان محمود الثاني غير المتوقع في عام ١٨٣٩م كان بسبب إدمانه الخمر، الذي كان قد هدّ جسمه قبل ذلك بزمن طويل. أما علي رضا پاشا اللاز المملوك القوقازي، فقد كتب عنه معاصروه والذين شاهدوه وعاشروه، بانه كان سيء الادارة ضعيف الرأي واهن العزيمة فظاً في قابلياته وشهواته وأنانياً جشعاً، وإن المقت لشخصه وحكومته تخلل طبقات الناس كلها بإستثناء المخلوقات التي كانت تحيط به من الذين كانوا يغصبون أموال الناس ويفتخرون بعملهم بعلم علي رضا الضال (وإنه بمجموعه رجل ذو ميول خسيسة وغير لائق بالمرة للمنصب العالي الذي كان يشغله). ووصلت التأثيرات السيئة لسوء ادارته العامة الى درجة أصبحت فيها البلاد قفراً يباباً. كما كان شديد الميل للخمرة مدمناً عليها ويقول مشاهده فريزر إن:

«رذيلة السكر اصبحت شيئاً عاماً تقريباً لأن الپاشا الآن يقود طبقة السكارى بنفسه ويُرى عادة وهو لايكاد يقدر على السير حينما يعود مساءً من حفلاته الداعرة في البساتين.»

علماً بأنه كان قد زار بيت الله الحرام[٢١]... ومحمد إينجه بيرقدار كان مرتزقاً شقياً عُرف بسوء

١٩- د. علي الوردي: المصدر السابق جـ ٢، ص٢٩-٣٠.

٢٠- نفس المصدر، ص٢٧.

٢١- جيمس بيللي فريزر: المصدر السابق، ص ١٠٠، ١٢١، ١٢٨، ١٥١، ٢٠٠، كذلك انظر عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٧، ص٤٩-٥٠، ولونگريگ، ص٣٠ ص٣١٨، ود.علي الوردي: المصدر السابق، ص٨٣-٨٥.

أخلاقه وظلمه وقسوته، التي مازال يضرب بها اهالي الموصل المثل[٢٢]. وقد اشتُهر بعدائه الشديد للكرد، هذا بالاضافة إلاّ أن قصورهم كانت ملأى بالجواري والقِيان وحكمهم تميز بالفوضى وفقدان الأمن ونهب الناس وإنتهاك حرماتهم.

هؤلاء هم بعض الذين حرّم الملا الخطي قتالهم!! فإذا كان الشيخ في غفلة عما يجري، كان عليه ان يجعل العقل مقياساً وحكماً، فأمير سوران كان الأجدر بالطاعة والولاء من الذين هاجموه. فبإتفاق جميع المؤرخين والكتاب كان حكمه عادلاً وقانونه القرآن الكريم إضافة الى انه اشتُهر بالتقوى والصلاح والتدين. إذن ففتوى الخطي ليست من الدين في شيء، بل وفيها اثر من الجهل بالدين الحق والابتعاد عنه. فالدين يجب ان لايوضع في خدمة مستغليه، وكان بإمكان المحيطين بالأمير والذين كان قد منحهم ثقته ان يتخذوا من الدعوة الدينية وسيلة للكفاح ضد الغزاة والتحصن بوجههم. والذي أراه أنّ موقف الخطي من إمارة سوران لايدل إلاّ على السير في ركاب الدولة العثمانية. وانه لم يصدر فتواه من تلقاء نفسه، بل بعد إتصال القادة العثمانيين أو الخليفة به ومكاتبتهم له، وتلبيته لدعوتهم ورغبتهم لاتخرج عن احد أمرين:

أولاً: إمّا أنّه كان فعلاً رسولاً عثمانياً منذ البداية فشعر بأهميته – أثناء الحصار - عندما كلفته الدولة بهذا العمل والشعور بالاهمية او بالجدارة في لحظة ما كثيراً ما يكون سبباً اساسياً للقيام بالعمل ويؤثر تاثيراً قوياً على ما يدلي به الشخص من مقترحات أو أقوال.

ثانياً: أو أنه لم يثبت أمام الإغراء العثماني الذي تغلب على الموقف الحق الذي كان عليه ان يتخذه، فإستغل علمه ومكانته الدينية لتحقيق منافع شخصية، فضرب على أشد الاوتار وقعاً في نفوس الناس لإثبات عثمانيته وليطمئن على معيشته في العهد المقبل.. وليحظى برضى السلطان وولاته في الوقت نفسه. ولا يغيب عن البال ان المصلحة النفعية احياناً تفسر الكثير من المواقف قبل أي قناعة عقائدية، والخطي كإنسان لم يكن مجردا منها.

ثانيا: الاسباب الخارجية:

كانت كردستان مسرحاً للتنافس بين الامبراطوريتين العثمانية والفارسية واتخذ الصراع لأجل السيادة التامة على مختلف المناطق التي يقطنها الكُرد شكلاً حاداً بينهما، خاصة قبل بداية القرن التاسع عشر. وفي هذا القرن دخلت ميدان الصراع على كردستان الدول الأوروپية وعلى رأسها روسيا وبريطانيا اللتان أولتا اعظم الاهتمام بالقبائل الكردية، فنشط العلماء الانكليز في المجال الحربي– التجسسي والتحريضي– الدعائي في كردستان بعد تأسيس فرع شركة الهند الشرقية في بغداد عام ١٨٠٦م. فقام ريچ، الذي تسلم منصب مقيم الشركة، بمهامه بنشاط في توثيق صلاته مع

٢٢– عباس العزاوي: المصدر السابق، ص٦٩ كذلك انظر سليمان الصايغ: المصدر السابق، ص٣١٠–٣١١، والدملوجي، ص٥١–٥٢.

رؤساء القبائل الكردية برحلته الطويلة في كردستان، عام ١٨٢٠م، وأخذ الخبراء العسكريون من الانكليز بتدريب الجيش الإيراني منذ بداية القرن... وحاولوا التسلل الى كردستان، التي اصبحت مسرحاً لرحلات مختلف القادة والسياسيين والعسكريين الإنكليز[٢٣]...

أما أول إتصال حدث لروسيا مع الكُرد فكان اثناء فترة الحرب الروسية الإيرانية والروسية العثمانية. ففي عام ١٨٠٤م اتصل ممثلو الامبراطورية الروسية بالقادة الكُرد لجذبهم الى جانبها في حروبها مع إيران والدولة العثمانية، وتعهدت روسيا بحفظ جميع حقوق وإمتيازات قادة الكُرد في حال انتقالهم الى جانبها واكتسابهم المواطنة الروسية. إلاّ أن محاولاتها باءت بالفشل، فسعت حينها الى ضمان حيادهم على الأقل اثناء حروبها مع العثمانيين. وفعلاً لم تشترك أمارات بوتان وهكاري وسوران وبادينان في الحرب الروسية العثمانية عام (١٨٢٨-١٨٢٩م) ووقفت على الحياد، لا بل انحاز بعض الكُرد الى جانب روسيا بسبب سياسة القمع الوحشية للدولة العثمانية، التي لم يروا منها أي حسنة[٢٤]. وعندما انتصرت روسيا في الحرب ارادت الإحتفاظ ببعض المناطق الكردية التي احتلتها لتضمن لنفسها نفوذاً بين الكُرد وتستفيد من قدراتهم القتالية. فقد كتب القائد الروسي باسكيفيج في حزيران ١٨٢٩م الى بطرسبورگ يقول: «(إن ضمان) (بايزيد) يقوي نفوذنا في

> كردستان الشمالية وانه في حالة وقوع الحرب يمكن الحصول على جيش اضافي غفير من الفرسان المعتبرين أحسن فرسان آسيا، الذين يستطيع خصومنا الأكثر دهاءً جمعهم ضدنا في ظروف أخرى»[٢٥]...

إن تشابك مصالح الدول الكبرى فوق اراضي الدولتين الإيرانية والعثمانية على النحو الذي أوجزناه، انسحب تأثيره على حركات تحرر الشعوب الخاضعة لهما، وذلك بتدخلها في كل حركة معادية للدولتين الشرقيتين. وهذا يفسر لنا الموقف الموحد لروسيا القيصرية وبريطانيا، حيث كان نفوذهما سائداً في ايران والدولة العثمانية، من حركة محمد علي باشا المعادية للسلطان العثماني وحركة أمير سوران المعادية لإيران والدولة العثمانية. فقد وقفت روسيا مع السلطان بصورة سافرة ووقفت فرنسا مع محمد علي باشا علناً. وكان مصير السلطان يهم كل الدول الكبرى لأن تفكك امبراطوريته تحت ضربات محمد علي باشا كان يهدد بالوصول الى تقسيم سيثير بلاشك عداءً فيما بينهم. فإمكانية محمد علي في تجديد الدولة العثمانية المنهارة كانت تهدد مصالح روسيا، التي سترى جاراً قوياً ومنتصراً يأخذ مكان جار ضعيف ومهزوم.

ووقفت بريطانيا الى جانب الدولة العثمانية خشية إنشاء محمد علي دولة إسلامية قوية مركزها

٢٣- ن.أ.خالفين: المصدر السابق، ص٢٧-٢٩.

٢٤- المصدر نفسه، ص٤١-٤٨.

٢٥- المصدر نفسه، ص٤١-٤٨.

مصر، فتخشى ان تمتد من هناك الى الهند الذي هو (روح الانكليز)[٢٦]. هذا اضافة الى ان بريطانيا كانت ترغب في الإبقاء على الدولة العثمانية، التي تمثل حاجزاً ضد التوغل الروسي في البحر المتوسط والشرق الأدنى. ولذلك لم تكن توافق على ان تنهار دولة السلطان او حتى ان تخسر جزءً من اراضيها، ليرتكز النفوذان الروسي في الشمال والفرنسي في الجنوب ويهددا بذلك الطريق الى الهند (تاج مستعمراتها). فدعم الإمبراطورية العثمانية والمحافظة على وحدتها واستقلالها كان شيئاً بديهياً في سياسة بريطانيا الخارجية[٢٧].

لذا كانت بريطانيا تكره محمد علي باشا جداً لأنها رأت فيه الخطر الحقيقي الذي يهدد طريق الهند (خط الحياة الإمبراطوري) وسياستها في المنطقة. فبذلت جهودها في الاحتفاظ بكامل الاراضي العثمانية حيث كان نفوذها سائداً، وبذل الدبلوماسيون الأوروپيون جهوداً كبيرة لعقد الصلح بين السلطان ومحمد علي باشا، وتم لهم ذلك في كوتاهيه عام ١٨٣٣م. ولما كانت ثورة أمير سوران قائمة على ايران والدولة العثمانية لهذا باءت بعدائهما وعداء اصدقائهما من الدول الأوروپية. ولم يكن الأمير السوراني غافلاً عما جلبه على نفسه، لذا نراه يستفسر في تموز١٨٣٣م من الدكتور روس عن علاقة بريطانيا بإيران وروسيا ويرغب في معرفة ذلك[٢٨]. فايران كانت تخشى أمير سوران الطموح الذي وضع حداً لتدخلها وتغلغلها في كردستان، والدولة العثمانية كانت تعتبره متمرداً وخارجاً عن ارادتها. لذا ففي الوقت الذي وضع فيه العثمانيون خطتهم للقضاء عليه، بدأت ايران بواسطة حاكم جنوب اذربيجان الإيرانية محمد علي تقي (أمير نظام) بإعداد حملة معادية لطرده من الأماكن التي كان قد احتلها. وبالنظر لنقص السلاح التجأ أمير نظام الى القنصل الروسي العام في تبريز (كودينج سيمو فيجيا) ملتمساً عون دولته لإمداده بذخائر المدافع من مخازن ماوراء القفقاس. ولرغبة روسيا في الاحتفاظ باقليمي گرجستان وأرمينيا اللذين كانا قد ضمتهما حديثاً لأملاكها –بعد انتصارها على ايران في حرب ١٨٢٦– ١٨٢٨م، إستجابت للطلب الايراني وتسلمت القوات الإيرانية من المخازن الروسية (١٥٠٠) قذيفة مدفع (عيار ٢٤) و(٣٠٠) قذيفة مدفع (عيار١٤)... فتأخرت الحملة الإيرانية بسبب نقص الذخيرة الى صيف عام ١٨٣٦م، حيث تجمعت جيوش قوامها عشرة آلاف جندي بضمنها خمسة ألوية مشاة للإغارة على عاصمة سوران[٢٩]...

وهكذا تزامنت الحملتان الإيرانية والعثمانية على إمارة سوران وتسابق الاثنان في احراز قصب السبق في القضاء عليها قبل تعقد الامور. أما بريطانيا فقد دعمت حملة رشيد باشا وبسرعة للقضاء

٢٦– الشيخ عبدالرزاق البگار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دمشق ١٩٦٣ جـ٣ ص١٢٤٢. كذلك انظر احمد عبدالرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني، القاهرة ١٩٨٢، ص١٩٧–١٩٨.

٢٧– بيير رنوفان: تاريخ العلاقات الدولية (القرن التاسع عشر) ترجمة د. جلال يحيى، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٢٨–١٤١. كذلك انظر جورج لنشوسفكي: الشرق الاوسط في الشؤون العالمية، ترجمة حعفر الخياط، بغداد، ص٥٠–٥١.

٢٨– جيمس بيللي فريزر: المصدر السابق، ص٢٣.

٢٩– جليلي جليل: المصدر السابق (كاروان عدد٢٧) كذلك انظر علي سيدو الگوراني: المصدر السابق، ص٢١٧، ن.أ. خالفين المصدر السابق، ص٥٢.

على حركة الكرد خوفاً من ان يعلن أمير سوران الولاء للحكم المصري القائم في سوريا فتتعقد الامور بإشـراك المصـريين بالمشكلة، كـمـا كـانت ترغب فـي السـلام والصلح والتـقـارب بين ايران والدولة العثمانية، لأن مصالحها في الخليج العربي كثيرة فضلاً عن انها لاتود ان ترى البلاد المجاورة للهند في حالة غير مستقرة قد تساعد على انتشار الثورة وظهور اضطرابات على الحدود[٣٠]. لذا وجد الانكليز مصلحة في تقارب عثماني ايراني تحت اشرافهم، ربما لاستعمالهما سوية ضد روسيا أيضاً. وبناءا على هذه السياسة قاموا بحل بعض خلافاتهما ووافقت ايران بالتنسيق مع العثمانيين. فعندما بدأت القوات العثمانية، تتحرك من قواعدها صوب رواندز، في هذا الوقت اراد الفرس ان يقحموا انفسهم في المعركة المقبلة ضد أمير سوران، فعرض أمير نظام (قائد الجيش الايراني على كل من رشيد باشا– قائد العام الجيش العثماني - وعلي رضا باشا وحاكم ارضروم، ان يتعاون معهم في حملة مشتركة ضد الأمير السوراني. وإتصلت السلطات الفارسية بالمسؤولين الانكليز في هذا الصدد، فرحبوا بهذا العرض وزكوه لدى العثمانيين وبعث السفير البريطاني (بونسنبي) احد رجاله الدبلوماسيين، وهو (ريتشارد وود) قنصل بريطانيا في حلب الى السلطات الفارسية والعثمانية لتنسيق التعاون بين تلك الاطراف. واتصل (وود) بالقوات العثمانية مباشرة ليحثهما على التعاون مع الفرس وسلّم رشيد باشا خطاب (امير نظام) بهذا الشأن[٣١]...

ويذكر المؤرخ خالفين ان القيادة الإيرانية وتحت ضغط الدبلوماسيين الانكليز حاولت اقامة الاتصالات مع رشيد باشا وعلي رضا باشا اللذين كانت جيوشهما قد بدأت بالهجوم الفعلي على إمارة سوران، للتعاون معهما، ولهذا القصد توجه السكرتير الأول في البعثة الانكليزية الكابتن (شيل) من تبريز الى المعسكر العثماني في بداية تموز١٨٣٦م، وبامر من المبعوث الانكليزي في طهران (اليس) الذي خوله بان يقنع رشيد باشا بالعمل ضد أمير رواندز بالاتفاق مع الفرس[٣٢]... مهما يكن فان رشيد باشا لم يكن مستعدا لتقسيم نتائج انتصاراته مع أي شخص آخر، خاصة اذا كان ذلك الشخص ممثلاً لإيران، ورأى في العرض الفارسي مناورة خطيرة يهدف الفرس من ورائها الى الحصول على مبرر للتدخل في امور كردستان. لذلك صدرت التحذيرات من جانب العثمانيين الى السلطات الفارسية، فحذر حاكم ارضروم (امير نظام) من دخول قواته ارضاً عثمانية تحت شعار التعاون ضد أمير سوران[٣٣]... واعتبرت الدولة العثمانية الوساطة الانكليزية محاولة للتدخل في شؤونها الداخلية[٣٤]. وعندما كان الانكليز يحاولون تنظيم هجوم ايراني عثماني على عاصمة سوران،

٣٠– د.عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص١٠٠–١٠٧ كذلك انظر علي سيدو الگوراني: المصدر السابق، ص٢١٧.

٣١– د. عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص١٠٥.

٣٢– ن.أ. خالفين: المصدر السابق، ص٥٢–٥٣.

٣٣– د. عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص١٠٥–١٠٦.

٣٤– محمود الدرة: القضية الكردية، ط ٢ بيروت، ١٩٦٦، ص٨٧، كذلك انظر جليلي جليل: المصدر السابق، ص١١٠–١١١. وخالفين، ص٥٣.

هزم جيش الأمير في عقره وبعض المناطق الاخرى.

في الحقيقة ان الأمير محمد تعرض لانواع شتى من الضغوط دون ان تكون له خبرة جيدة في فنون الدبلوماسية الدولية واساليبها بدليل انه لم يثبت قدرة جيدة في استعابه وتعامله مع القوى السياسية التي كانت تتربص للقضاء عليه، فلم يستطيع الاستفادة من التنافس المبني على الحسد الذي نشأ بين رشيد پاشا وعلي رضا پاشا[٣٥]. وانه عندما اضطر الى اللجوء الى الخديعة واستغلال الخلافات الإيرانية والعثمانية ارسل احد دبلوماسيه محملا بهدايا الى (امير نظام) المعسكر في لهيجان (لاجان) للحصول على الدعم العسكري، او على الاقل تأمين عدم تدخل القوات الإيرانية في المعركة، وتعهد لقاء ذلك بدفع ضريبة سنوية للشاه. رفض (امير نظام) هذا العرض رغم تسلمه الهدايا، فلم يكن هناك مجال لدعم الايراني لأن ايران نفسها كانت تتهيأ للقضاء عليه، بسبب حملاته المتكررة على اراضيها، ولأن روسيا وبريطانيا حيث كان نفوذهما سائدا في ايران وتركيا، كانتا تناوئان أمير راوندوز وتعاديان أي تقارب ايراني معه[٣٦]... لكن ايران ورغم تحذير الدولة العثمانية لها بعدم التدخل وبسبب اطماعها في كردستان، اخذت تبحث عن سند قانوني للتدخل. فحاولت اقناع أمير سوران بقبول الجنسية الإيرانية واعلان الولاء التام للشاه لتتمكن من التدخل والتصرف. وكانت الحكومة الفارسية قد اتقنت هذه السياسة في صراعها الطويل مع الدولة العثمانية على كردستان والعراق، وذلك بدفع الأمراء الكُرد والعرب الذين يتعرضون لضغط العثمانيين الى اعلان الولاء للشاه وقبول الجنسية الفارسية فتدخل الجيوش الإيرانية الاراضي العثمانية[٣٧]... ولكن أمير سوران الذي اشتهر منذ بداية نهوضه بعدائه للدولتين رفض عنده اللعبة الفارسية القديمة، ولم يكن راغباً في ابدال سيد بآخر اكثر شراً... فلم يصغ مطلقاً لعرضهم.

ويقول الدكتور نوار:

«إن الأمير على العكس من الأمراء البابانيين رفض العرض الايراني لإعتقاده أن إعلان الولاء للفرس واللجوء اليهم خيانة لمذهبه الديني ولخليفة المسلمين.»[٣٨]

والحقيقة ان الأمير كان قد اعلن تمرده ثم انفصاله عن الدولة العثمانية منذ سنين وحاربها وتحالف واتفق مع اعدائها، وبلغ عدم احترامه لشخص (خليفة المسلمين) ان امر بذكر اسمه بدلاً منه في

٣٥- ستيفن همسلي لونگريگ: المصدرالسابق، ص٣٣٧.

٣٦- جليلي جليل: المصدر السابق، ١١٠-١١١.

٣٧- د. عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧، كذلك انظر محمود الدرة: المصدر السابق، ص٨٧.

٣٨- د. عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص١٠١ . كذلك انظر د.كاوس قفطان: المصدر السابق، ص٤٣-٥٧، ويعتقد كاوس ان اقحام الأمير المسألة الطائفية كان سببا في سقوطه أيضاً، وان الأمير تضرر من انهيار جيش محمد علي پاشا وانسحابه من سوريا لأنه كان على علاقة وثيقة مع ابراهيم پاشا، ونسيه الدكتور ان الجيش المصري انسحب بعد عام ١٨٤٠ وبموجب معاهدة لندن، وسقطت راوندوز عام ١٨٣٦.

خطب يوم الجمعة. وبلغ حقد الخليفة العثماني عليه ان امر بقتله عندما تمكن منه، بينما امر بالعفو عن داود باشا الذي حاول الانفصال وحارب جيشه أيضاً. كما ان تدخل ايران لصالح أمير سوران او اعلان الاخير ولاءه لها، كان يخالف السياسة البريطانية في المنطقة ولا يتماشى معها ويؤيد هذا الدكتور، نوار نفسه عندما يذكر: «إن السلطات البريطانية كانت لاتسمح للفرس بمتابعة مثل تلك

المناورات في بلاط الأمير السوراني حتى لاتحدث ارتباكات على الحدود تؤدي الى تعقيدات دولية تحطم السياسة البريطانية الخاصة بالمحافظة على الاستقرار على طول الحدود الفارسية العثمانية. ولما كان الانگليز قد فشلوا في ايجاد التعاون بين الفرس والعثمانيين ضد أمير سوران، فقد حذروا ايران من القيام بأي تحركات معادية للعثمانيين»[٣٩]...

وهنا يذكر بعض المؤرخين ان أمير سوران كاد ان يوافق على العرض الايراني، إلاّ أن الانگليز عندما فشلوا في تنسيق التعاون بين ايران والدولة العثمانية، تدخلوا في المشكلة رغم معارضة القيادة العثمانية خوفاً من ان يعمد أمير سوران في فترة من فترات اليأس الى وضع إمارته تحت الحكم المصري نكاية بالعثمانيين اذا ماأطبقوا على إمارته. وكان الانگليز يعملون على إبعاد المصريين او غيرهم عن هذه المشكلة حتى لايتطور الصراع الى ازمة كبرى، خاصة اذا كان هذا التدخل من جانب قوة مناهضة للمصالح البريطانية الاستعمارية في العراق. لذا اتصلوا مباشرة بالأمير السوراني وبعثوا اليه (ريتشارد وود) وكانت مهمته تقضي بان يبذل اقصى الجهد في سبيل اقناع الأمير بعدم الاستماع الى التحريضات الإيرانية، وان يقدم نفسه مستسلماً للقوات العثمانية على امل ان تسعى السفارة البريطانية في استنبول لإستصدار العفو عنه[٤٠]... والذي أراه ان (ريتشارد وود)، الذي اختارته بريطانيا منذ عام١٨٣٥م ليستقر في بيروت ويعمل على تقويض الحكم المصري في سوريا، لم يصل الى رواندز او يلتقي بالأمير، ولو كان هذا اللقاء قد حدث فعلاً لذكرته المصادر الكردية، والدبلوماسيين الاجانب. وما ابريء بقولي هذا بريطانيا من القيام بمثل هذه الاعمال، فالثائر الكردي (يزدين شير) البوتاني المستسلم للعثمانيين بخدعة من الجاسوس البريطاني (نمرود رسام) عام ١٨٥٦م والقي في السجن رغم تعهدات الدبلوماسيين الانگليز بسلامته.

وازاء رفض الأمير للعرض الايراني وموقف بريطانيا من تدخلها إكتفى الجانب الايراني هنا بطرد ممثلي الأمير من المناطق الكردية التي سبق ان احتلها، وسيطرت القوات الإيرانية على قطعان كبيرة من الماشية تعود لرعايا الدولة العثمانية، التي احتجت على ذلك وخوفا من تطور الامور وتعقدها بذل رشيد باشا جهوده وحرك وبسرعة كل قواته نحو رواندز فكان ما كان. ان حركة أمير سوران قد ارتفعت الى مستوى الازمات الدولية وفرضت على الدول الأوروپية بخاصة بريطانيا وروسيا التدخل

٣٩- د. عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧.

٤٠- المصدر نفسه، ص ١٠٧ كذلك انظر محمود الدرة: المصدر السابق، ص٦٩-٨٧.

في كردستان لكسب ود الكرد وحماية مصالحها في ايران والدولة العثمانية. وكان هذا يتطلب المحافظة على السلام بين الدولتين الشرقيتين. وهذه هي الاصداء الدولية التي حاول البعض ان يجعلها سبباً رئيسياً لسقوط إمارة سوران. والذي اراه انه كان لها تاثير محدود، فلو رفض الأمير محمد الاستسلام وعالج فتوى الخطي واثبت قدرة على تفهم القوى السياسية وقاوم الجيش العثماني وانتصر عليه، كما فعل محمد علي پاشا، لإختلفت مواقف الدول الكبرى منه ولكانت للمسألة اصداء دولية أخرى غير التي عرفناها ولسجل التاريخ غير ماسجّل. فالمؤرخون الكرد وغيرهم يكادون يُجمِعون على ان الاسباب الداخلية المتمثلة بالخيانة والتنصل وبيع الذمم وواقع الظروف الاجتماعية السياسية في كردستان في تلك المرحلة التاريخية لعبت دوراً كبيراً في إخفاق تلك الانتفاضة وسقوط إمارة سوران. حتى إن رجلاً محايداً كالميجر سون يعلم هذه الحقيقة ويلوم الكرد من جرائها، فيقول:

«إن جيوش جميع الامم الشرقية باستثناء آشور، وشهدتها زاحفة مبتعدة جنوباً وغرباً نافضة يدها، يائسة من التوغل في البلاد العسيرة لشعب (كوردئي الضاري)، وان الكردي كان دائما مقداماً وشجاعاً لايقهر بعيداً عن الخضوع والطاعة للغير. فلم يخضع لأحد قط ولم ينكسر إلاّ في حروبه الداخلية) ولايشتت شملهم إلاّ ماقد ينجم بينهم من خصام تلظي ناره (الأمر الذي زاد نفوذ الغاصبين والمحتلين لبلاده ومكنهم منه»...[٤١]

الخاتمة

وصلت الدولة العثمانية الى اسوأ حال من التخلف الاجتماعي والإنحلال الإداري والعسكري بخاصة في القرن التاسع عشر، الذي اطلق عليه الكتاب (قرن انحلال الامبراطورية العثمانية الهرمة) وبدء يقظة الشعوب ونهضتها في شتى البلدان التي كانت ترزح تحت وطأة النير التركي. فسياسة توطيد السلطة المركزية وإعادة هيبة الدولة التي عمل لها سلطان محمود الثاني بنشاط في العقود الأولى من القرن التاسع عشر وبقوة السلاح، لاقت المقاومة الضارية من قبل الشعوب الخاضعة للنفوذ العثماني في البلقان والبلاد العربية وكردستان، كانت سبباً في انحدارها السريع نحو الهاوية وتلاشيها نهائياً في فجر القرن العشرين. إن الشعب الكردي كغيره من الشعوب رغبة منه في نيل الاستقلال السياسي قاوم بحزم، المستبدين وتجلى ذلك في النضال المسلح طوال القرن التاسع عشر الذي يمكن وصفه حقاً بانه كان (قرن الحركات الكردية التحررية)، تمثل ذلك بالعديد من الحركات والانتفاضات وبقيادة شخصيات كردية لعبت دوراً بالغ الاهمية في تاريخ الكرد وكردستان، امثال عبدالرحمن البابانى، محمد السوراني، بدرخان البوتاني، الذين حاولوا خلق كيانات كردية مستقلة والتخلص نهائيا من السيطرتين العثمانية الفارسية. وعلى هذا الاساس يعد المؤرخون نضال الشعب

٤١– محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكرستان، بغداد، ١٩٦٠، ص٢٤٨، كذلك انظر الميجر سون: المصدر السابق جـ١، ص٧٧.

الكردي من اجل استعادة حريته واستقلاله يبدأ منذ اوائل القرن التاسع عشر وان القضية الكردية ظهرت في هذا التاريخ. وسواء كانت انتفاضات الكرد المسلحة عصياناً او فتناً اجتماعية او ثورات اقطاعية، فإنّ جميعها تميزت بطابعها الوطني، رغم كل ماقيل عنها من قبل مؤرخي السلطتين العثمانية والإيرانية ومواليهما. وان الحركات القومية الكردية وقياداتها في القرن التاسع عشر لم تتعدى الاسر الكردية العريقة من أمراء الإمارات الكردية وبعض رجال الدين المتنورين. وباتفاق العديد من المؤرخين والكتاب، كانت ثورة أمير سوران اوسع حركة قومية في كردستان، وان مدينة رواندز اصبحت مركزاً للحركة التحررية الكردية في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي وبقيادة الأمير محمد الذي كان يهدف الى خلق كردستان المستقلة، لذا كان نضاله موجها ضد الدولتين الإيرانية والعثمانية.

ويقول خالفين عن هذه الحركة: «إنه من الضروري الملاحظة عند الكلام عن مغزى انتفاضة رواندز بانها دلت على نمو الميول التحررية بين القبائل الكردية في نفس الوقت فهي اظهرت بان الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا، حاولت لعب دور فعال في كردستان، مستخدمة القبائل الكردية لاغراضها الحربية والسياسية و(القضية الكردية) بدأت تفقد باستمرار صفة كونها (قضية تركية داخلية) او قضية ايرانيه داخلية مكتسبة اصداءً دولية أكثر شمولاً»[٤٢]...

لقد كان الأمير السوراني رجلاً واسع الطموح في راسه مشروعات كبيرة، استطاع في فترة قصيرة ان يؤسس دولة واسعة استطاعت ان توازن ولو لفترة قصيرة بين الامبراطوريتين الإيرانية والعثمانية. وعند تقييمنا لنشاطه بصورة عامة يجب ان نذكر بان اجرائاته في سبيل توسيع إمارته وتثبيتها تشهد على محاولة اقامة دولة مستقلة. وكان هذا الامر يتفق مع طموحات الكرد المستائين من الحكم العثماني والايراني، فالتفوا حوله ايماناً منهم بأن الأمير الكردي يتحسس مشاكلهم اكثر... واستغل الأمير بصورة ذكية الاسباب الاقتصادية والقومية لإستياء الكرد، فجذب الى جانبه الفلاحين والتجار بقضائه المبرم على الفوضية والسلب والنهب، واصلاح الارض وتخفيض الضرائب. وقد قيم فريزر وروس ولونگريگ والموكرياني وغيرهم، عالياً محاولاته في توطيد الامن والسلام والنظام والتغيير الاخلاقي الذي احدثه في المنطقة. واشاروا الى الاحترام الكبير الذي كان يكنه له الشعب. هذا وزادت شهرته القصص والرويات التي انتشرت عن عدالته وذكائه.

وعندما ظهرت امكانية تفكيك الامبراطورية العثمانية بعد نجاح ثورة الشعب اليوناني التحررية وحركة محمد علي باشا، اغتنم الأمير فرصة اختلاف المصالح الدولية... وفي سبيل تحقيق اهدافه استغل فترة اندفاع محمد علي باشا في بلاد الشام... لتوسيع إمارته. ولم يهمل الاثنان لبلوغ اهدافهما ما يقدمه الواحد للآخر من فائدة كما لم يأل الأمير جهداً لإقامة علاقات حسن الجوار مع

٤٢- ن.أ. خالفين: - المصدر السابق، ص٥٥-٥٦.

القوى المجاورة وتوحيد القبائل الكردية. إن عهد الأمير الكبير من العهود المهمة في تاريخ الكُرد بدليل ان الكرد مازالوا يتغنون ببسالته، فقد كان بامكانه ان يحقق أمانيه بانشاء دولة كردية قوية لو كانت الظروف الموضوعية في جانبه او تمتع بدعم رؤساء الكرد. فالحمية القومية لم تنفع لحمايته فراح ضحية المفاهيم الاكثر سيادة آنذاك، حيث كان الاعتراف العثماني ضرورياً لديمومة حكم الأمراء الكُرد بموجب اتفاق (سليم -ادريس)[٤٣]. ورفض الأمير هذا الاعتراف، فوقع ضحية (السلاح الديني) والغدر والخداع العثماني، وخيانة بعض الأمراء الإقطاعيين وزعماء العشائر الذين ربطوا مصالحهم بالدولة العثمانية وحال تنافسهم وجهلهم وانانيتهم ودسائس السلطات الاجنبية دون اتحادهم او حتى تعاونهم، فحرموا الكُرد وكُردستان من إستغلال الفرص السانحة والتمتع بالحرية والإستقلال.

ولا ننسى هنا طبيعة الشعب الكردي وروحه الدينية وتصوراته الساذجة عن الخلافة العثمانية ومدى مصداقيتها، ليس على الصعيد السياسي فقط، بل على الصعيد الديني أيضاً... ومكانة وتاثير رجال الدين من الشيوخ والملالي حيث كانوا يتمتعون بالسلطتين الدينية والدنيوية احياناً وبثقة عامة الناس، حيث بلغ احترام الناس والرؤساء لهم درجة الخضوع المطلق، فاطاعتهم كانت تعني العمل بنواميس الشرف والدين.

كما ان الموقف المعادي للدول الأوروپية ودسائس سياساتها المعقدة، ووقوفها الى جانب ايران والدولة العثمانية، جعل من العسير ان يحظى الكرد بقيادة ستراتيجية موحدة في تلك الظروف... كل هذه الامور دفعت الأمير للإذعان للظروف السيئة التي احاطت به، والإستعداد لاستقبال الاحداث المشؤومة... فلم يكن مصير هذا (الرجل العجيب) كما كان من المؤمل ان يكون. لأنه كما يقول المثل الكردي: (ابى ان يعبر من فوق قنطرة الأنذال فجرفه الماء)، فصار صورة ماساوية للانسان المهزوم.

٤٣- للمزيد من المعلومات عن ادريس البدليسي واتفاقه مع السلطان سليم راجع بحثنا: ادريس البدليسي دوره واثره في التاريخ الكردي، مجلة كاروان، العدد٢٤.

تثنية الحج الى اعتاب العلامة الخطي*

مسعود محمد

القسم الأول

من الفروض الثقيلة على طبعي ان يدفعني الاضطرار الى التعليق على ما قد يرد به الكتاب على بعض ما أكتب. فإني اوثر ترك موضوعي المعترض عليه والاعتراض المثار بوجهه الى رأي القراء وحسن تفهمهم كي يختاروا مايوافق قناعتهم او مزاجهم من طرفي المناقشة أو وجهي المسألة، ولا أظن ان الارض تميل عن مدارها اذا لابس الخطأ رأي القراء في اشياء هامشية كالتي تنشغل بها اقلامنا في العادة. ولذلك ندر الندرة كلها ان اوالي ماقد يتبع كتابتي من ردود واعتراضات مجانية للصواب في نظري ورغم علمي بمجريات العادة على اعتبار آخر الناطقين في المحاورات والمناظرات هو المنتصر وان الساكت بعد الاعتراض عليه هو المنهزم، فاني استمرئ السكوت ممزوجاً بشيء من الأسى على وهم القارئين بأن السكوت دليل الهزيمة. وفي هذه الشرعة فضل سلوان يضاف الى الطمأنينة المتاتية من الانقياد لحكم الطبع هو انه لايصح في آخر المطاف إلاّ الصحيح، مهما تراخى به الزمن. فاذا تأصل في النفس تقبل الصحيح على علات الملابسات، فقد استوى ان يكون الصحيح في هذا الجانب او ذاك شريطة ان يتم ذلك بدون آثار سلبية جانبية كالتشنج في النفوس وغلبة الاحساس الزائد بالذات المؤدية الى الإصرار على الرأي بوجه البديهة والبرهان، والا انقلبت محاولات التوصل الى الحق ضد نفسها بحفر اخاديد صعبة العبور لم تكن موجودة بين المتحاورين قبل انبعاث التعدد في الاراء. لقد قال أمير الشعر (احمد شوقي) على لسان احد شخوص مسرحيته "مجنون ليلى": اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

وهو كلام شاعري جميل في ذاته وتام الجمال في موضعه من المسرحية، ولكنه داخل في باب الموعظة الحسنة وملتصق بنية الخير لعموم الناس. فالنفوس مطبوعة على النفرة مما يعارضها وقد تضطغن لأوهى اشارة غير مستحبة لديها، وشتان ما بين (إختلاف الرأي) و(إتفاق الرأي) في اسباب دوام الود... ونحن اهل الشرق نسارع الى التباغض على حين اتفاقنا في الآراء وكان الله في عوننا ونحن مختلفون.

وبافتراض ان نفساً بشرية جاهدت حتى قهرت كل نزغ للأنانية فإستوى عندها حق لها مع حق عليها، فستبقى وينبغي لها ان تبقى مستريحة الى صواب رأيها باكثر من استراحتها الى تصويب

(*) عن مجلة (كاروان) العدد ٧١ كانون الثاني ١٩٨٩ السنة السابعة.

يأتيها من فاعل خير. فهي اذا كانت في تفضيل صوابها على تصويبها انما تفضل الحلو على المر بحكم الطبع والبديهة، فقد بقى لها فوق ذلك رافد اعتباري جليل في تفضيل الصواب وهو ان التصويب في حد ذاته إشهار الإفلاس لمنطق كان خاطئاً وعقيماً في طول الزمان السابق على التصويب، وهو خسران عظيم.

وللقاريء ان يستشف مما سبق بيانه انى خطوت مديات فسيحة في مجاوزة الحوافز الذاتية فيما اكتب مسترسلاً او مستدركاً او معقباً او مصوباً، فإنه على قدر وضوح الرؤية في مآتي الاشياء يقلّ دخل الاحاسيس العاطفية في بناء الموقف تجاهها. فأنا اذ اعود اليوم الى محراب ذكر العلامة الخطي فقد سلكت اليه سبيلا هي غير السبيل المعتادة في الدفاع المشروع عن الرأي المعترض عليه، ولو سلكتها ماإعتورت التهمة ساحتي. وانما جئت اطرق بابه طرق المستأذن في تسليم أمانة حفظتها الايام مستودعة ذمم ناس حفّاظ للوديعة ابرياء النية من ظن السوء. ولولا غاية في نفس يعقوب لكنت خليقاً ان اسبق يومي هذا بسنين في مخالصةٍ امرضني كتمها. وسأكشف للقاريء عما قليل ماذا غلّ يدي وحبس لساني عن بيان ينجو به ضميري من ثقل السكوت عن حقيقة محرجة شبيهة بالذي عناه الشاعر الفارسي (اظنه حافظاً الشيرازي) حين قال ما معناه: اضم في قلبي سراً عجيباً اذا قلته حرق لساني واذا صنته خشيت ان يحرق نخاع عظمي... فليس لي إلاّ أن اتمثل بصدر بيت لشوقي قاله على لسان ليلى في بعض مواضع مسرحيته:

انا بين اثنتين كلتاهما النار...

فلا تلحني ولكن اعنيّ

فإلى ارواح راحلينا الخالدين ممن كتمت عليهم ومن كشفت منهم ماينهض به طاقة النطق من الإعتذار والإستغفار. وربَّ صفحة تسود بالحبر في تسطير الحقيقة الناصعة جاء صدقها كفيلاً برفع الحرج وشفيعاً للمتحرِّج فيما كتم وفيما كشف.

وللقاريء فيما يلي من سطور ان يرى بنفسه اين وجه الحقيقة في حيثيات الفتوى الصادرة من الخطى والنية الكامنة وراءها، فهي اوضح من ان يخطئها النظر او تحتمل تأويلاً وتمحّلاً وإليه البيان:

الأستاذ عزالدين ملا أفندي ينتمي من جهة الأم الى اسرة المير محمد الملقب والمعروف عند الكُرد بالـ(پاشای كوّره- الأمير الاعور) فهو ابن كريمة عبدالله مخلص بگ ابن اسعد بگ ابن رسول پاشا الأخ (الشقيق كما اظن) للمير محمد. فهو إذ يشهد بما عنده في قصة الفتوى يكون في مقام الشخص المذكور في قصته يوسف حين اختلف الرأي حول برائته من تحرشه بامرأة العزيز، فنقل القرآن منه ما يلي: (وشهد شاهدٌ من اهلها إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل...) الى نهاية الآية. فلننظر ماذا تقول شهادة الأستاذ عزالدين: هل تقول ان قميص يوسف (قُدَّ من قُبُل) فتثبت جريمته أم انه (قُدَّ من دُبُر) فتظهر براءته؟

وشهادته شهادة عيان وسماع في مجلسها، اثبتها في رسالة منه خاصة بى وسردها شفاهاً في أكثر من مناسبة. فهو يقول إن المرحوم السيد حسين حزني موكرياني أهدى الى ملا أفندي نسخة من كتابه (ميراني سوران) في واحدة من زياراته المعتادة له بمسجد القلعة الجامع. وبعد ذلك بأيام زار ملا افندي في بيته بضاحية (باداوة) أربيل، وكان ملا افندي قد طالع الكتاب المذكور خلال تلك الفترة فلما التقيا قال للمرحوم حزني الموكرياني في لهجة عتاب: ياسيد انت تعلم إن فتوى الخطي صدرت بموافقة الپاشا فكيف تسكت في كتابك عن هذه الحقيقة، فإني سمعت من عبدالله مخلص بگ ينقل عن ابيه وجده رسول پاشا ان الفتوى صدرت بموافقة الجميع (اي جميع اسرة الپاشا) وما هي بخافية عليك يا سيد.

هذا كلام ملا افندي للموكرياني وقد جاء مطابقاً ومصدقاً لما كان شايعاً قبل صدور كتاب (ميراني سوران) من ان الفتوى الملعونة لم تنبعث هكذا من ذات نفسها مثل كماة الربيع، ولا نزلت كالصاعقة من بروج الخيانة. ولئن كان من الصعب على مَن إنساقوا الى اتهام الخطي ان يرجعوا عن رأي إستأنسوا به وتوافق مع وجهة نظرهم في المنابع المنتظرة للخيانة، فلقد كان اولئك الناس أحرياء ان يجدوا صعوبة اشد في بلوغ رجل معمم من مراتب الجرأة والتحدي ان يجاهر بالخيانة اميراً مشهوراً بالحرص على إمارته وجيشاً متحفزاً للفداء. فالخائن لايكون جريئاً في كشف خيانته فاذا كان مافعله الخطي في فتواه بمواجهة الكل قائداً وجيشاً وشعباً قد جرى على تلك الصورة الصارخة من التحدي والإستخفاف بالعواقب، فان ذلك عمل خليق بالابطال الذين تهون ارواحهم عليهم في اداء رسالة مقدسة، او القيام بالفداء في أي امر يكون أعزّ من الروح واحبَّ من (المال والبنين) زينة الحياة الدنيا. ولم يكن الخطي واحداً من اولئك المغامرين الذين يخوضون الغمرات جرياً وراء المال او اشباعاً لرغبة المخاطرة، فهو لم يملك من اسباب النزال والجدال غير يراعه يجول بها في المتون والهوامش وسواك يستاك به عقب الأكل وقبل النوم والصلوات. ولا كان في عمر فتى بأوائل طموح الشباب وإتساع الأمل قد يشطح به الى ركوب الدين مطية نحو تأسيس ملك دنيوي. فانه بصرف النظر عن إن الفتوى في حد ذاتها كانت هادمة للحلم بالدنيا، فقد كانت سنوات مصاحبته للامير اوصلته مرحلة الشيخوخة من حيث ان صدارته لأمور الذين جاءت في طور نضجه وإكتماله علماً وعمراً.

ايها القاريء!

لئن كانت (الحقيقة) بحد ذاتها أشرف مطلوب يتحّراه الضمير النظيف والعقل النير، فإن أحوالاً كثيرة تلتبس بحيثيات وإعتبارات مرموقة تبرر او تستوجب ترك بعض الحقائق سكوتاً عنها. وقد اباحت شرائع دنيوية للشاهد ان يمتنع عن بيان اشياء تعرضه للتهمة وجاوزت الشريعة الإسلامية في بعض تطبيقاتها ذلك المدى بأن ضمنت ولاء (المؤلفة قلوبهم) بتخصيص نصيب لهم في المغانم، وهو تفريع استثنائي من اصول اساسية مقررة في تحديد الحقوق والواجبات. حتى ان الخليفة الثاني

ابطل العمل به في ايامه بعد ترسخ الإسلام وزوال الاسباب الداعية الى تطييب الخواطر. وانا من ركني المتواضع سامحت نفسي في السكوت اعواماً عن حقيقة خطيرة تتصل ببداية انبعاث التهمة الموجهة الى الخطي، اكراماً مني لذكرى شخص أحترمه احتراماً مشوباً بكثير من اللوعة على معاناته لصنوف المكابدة من اول حياته حتى لحظة مماته، غريباً شريداً ضنك العيش تتبعه أنفاس الحاسدين وتلوكه السنة لاترحم ولاتُنصف ولاتخجل. ذلكم هو المرحوم السيد حُزني الموكرياني في كامل جهاده من اجل الكُرد بما كان فوق طاقته وطاقة احتماله، على درب وعر مضنٍ ما اتاح له لحظة راحة فيما اظنه تبلغ بلقمة هنيئة واحدة او اضطجاعةٍ قصيرة على حشية ناعمة منذ انفصاله من مسقط رأسه عبر حياته كلها، التي اشبهت بتدحرج صخرة من فوق المنحدر ظلت تنقلب وتتقلب حتى ثوت ببطن الضريح في قعر وادى الموت. ولعل ان تكون لحظة مفارقته للدنيا هي ختام رحلة الشقاء وبداية الراحة من العذاب، فكأنه هو المقصود ببيت المتنبي:

كـفى بذلك داءً ان ترى الموت شـافـيـا
وحـسب الـمنـايا أن يكنَّ أمـانـيـا!

فأنا مع هذا الكردي الشقي المخلص المتفاني بعواطفي كلها الى حد التحيز، لذلك تجنبت في تزكيتي للعلامة الخطي الاشارة، ولو من بعد، الى ان تهمة الخيانة انبعثت تلاحقه بعد نشر السيد الموكرياني لمضامين بحثه في أمراء سوران وعرض حيثيات الفتوى على النحو الذي اوقع الخطى في مأزق خطير. فما ترامى الينا قط قبل ذلك ان احدا من القائلين والكاتبين عزا الى الخطي نية مبيتة بالإساءة الى الأمير وتفويض حكمه، سواء كان ذلك من منطلق العقيدة الدينية او بثمن من حطام الدنيا: أما العقيدة الدينية فالكلام فيها ينشعب على قدر اتصالها بمسألة الفتوى العقيدة الى جملة شعب نختصر فيها القول ماأمكن جرياً مع منطق المقالة. فالعلماء الاعلام تميزوا عبر القرون–ابتداءاً من الخلاف في الفتنة الكبرى أواخر خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان حتى ايام كان لهم فيها كلام مطلوب حين طروء ظرف يعصى فيه ثائر أو يشذ شاذ فيقف بوجه السلطة الشرعية (المزعومة في كثير من الاحياء)– تميزوا بآرائهم في إلتزام جانب مصالح العامة، ومنها بل في مقدمتها رعاية جامعة المسلمين. فإذا كان في السلطة خلل فاضح وللثائر عذر واضح صعب عليهم الموقف لصعوبة التنبوء بما كان محتملاً أن يؤول إليه أمر الثائر من صلاح أو فساد، فربما اختلفوا في اجتهاداتهم بترجيح الجانب الذي تتحقق به مصالح المسلمين. ومما يزيد هذا الاعتبار وضوحاً انه اذا كان السلطان الشرعي نفسه يدعو الى أمر فيه مساس بركن من أركان العقيدة إمتنع العلماء من طاعته إلاّ مَن كان منهم على مثل رأيه كما حدث في مسألة (خلق القرآن). فقد هلك فيها علماء كثيرون ثبتوا على مذهبهم في قدم القرآن واوشك ان يهلك الأمام احمد بن حنبل نفسه الذي سُجن وعُذب واُهين سنين عددا، فصبر على البلوى صبر الشهداء حتى انكشفت الغمة.... ولا نظن ان طائفة من الطوائف او طبقة من الطبقات في اية امة دفعت ثمن العقيدة كما دفعها الروحانيون ذو العقيدة الخالصة وتلك

بديهية ينبع برهانها من ايمانهم بالغيب المقدس في ملكوتها وفكرة ثوار والعقاب الأبديين ولا ننقض قوله وهمية الافكار الغيبية كما انه لم يناقض رأى العلماني رجال الدين في الغيب الواقع انه ماضحى الرجل الاعتيادي في عامة الامم تضحية خالصة من الطمع الدنيوي كما ضحى في العقيدة الدينية. ولولا ايمانه المطلق بصواب دينه لما ركب المهالك قبل ألف سنة من اطراف الارض وعبر البحار ليطوف بالبيت او يتمسح في حجارة القدس. على أي حال ليس خطورة العقيدة موضع نقاش، حتى ان الافكار السياسية لاتصبح باعثاً على التضحية قبل ان تنقلب آيديولوجياً.

والعقائد عموماً عرضة لعوامل التغير والضعف والقوة، وفي شرقنا الإسلامي لم يحصل إلاّ فيما ندر ان ينفرد الدين بحكم الدنيا، وظلت عامة علماء الدين بمعزل عن الحكم لاسيما في عقيدة الأشاعرة. وقلّ منهم من عاش موفورا. وتراخى رجوع السلاطين الى استفتاء علماء الدين فيما يطرأ من معتاد الاحداث بتعاقب القرون وتسرب القوانين الوضعية الى صنوف التعامل. وقد وجدوا في تنصيب القضاة الرسميين مايغنيهم عن مراجعة العلماء خارج دائرة القضاء إلاّ في أندر الأحوال. المنتظر ان تكون فتاوى القضاة المحاذية لمصالح الدولة كما تكون شروح المنظرين الرسميين في الدول العلمانية مجندة بالأساس لترويج وجهة النظر الرسمية وهم اطوع من القضاة في مسايرة السلطة الزمنية لانتفاء الموانع (الغيبية الدينية) دون حرية التأويل في القانون الزمني من اجل تبرير مصلحة زمنية. ومن منظور هذه العموميات المألوفة التي إنفرجت فيها إحتمالات دخول الغايات الدنيوية في مواقف التضاد الرسمي، يكون وقوف الخطي الى جانب أمير رواندز هو الأقرب الى الوقوع، لأن القول بخلاف ذلك يجعل من الخطي سلفياً متحنقاً متمسكاً بالنصوص غير المؤولة متجاوزاً مصلحة رواندز وبضمنها مصلحته الشخصية ومقامه كمرجع للفتوى في سبيل المحافظة على مصلحة عامة المسلمين المتمثلة (على الورق) في وحدة دولة الإسلام. ولكن ذلك كله معطل في واقع الأمر، فانه بصرف النظر عن صدور الفتوى وفاقاً لرغبة الأمير نزولاً على حكم واقع قاهر لاخيار فيه، فان الخطى نفسه كان له من الدراية بحكم الشرع وشروط الاذعان لأمر السلطان المسلمين مايجعله أرفع كثيراً من مستوى الإغرار بظواهر التسميات والتمويهات. فما كانت قباحات السلاطين ومخالفاتهم أمر الشرع وروحه خافية عليه. ولقد بلغ توجس العلماء من الاحتكاك بالمعاملات التي تكون الدولة طرفاً فيها حداً مبالغاً فيه فما شاركوا في أي شيء رسمي إلاّ على سبيل الضرورة التي لاتُدفع، ووجدوا التبرير فقط في الدعوة الى الإمتثال لامر السلطان بالمصلحة المتحققة منه وبالمهلكة التي تندفع به، فأذا انتفت المصلحة المهلكة قبعوا في مساجدهم ومدارسهم منصرفين الى التدريس والتحصيل لا شأن لهم بالسلطان وحاكم الزمان. ومن بقايا هذا التحنُّف من علماء الدين وفقدان ثقتهم بنظافة الإجراءات الرسمية ان عامة الناس لاتستحلّ النكاح إلاّ بعقد (شرعي) يتولاه (ملا) في مسجده، ولا يولون اذن النكاح الصادر من القاضي إلاّ مايولونه أي وثيقة أخرى حكومية تعفى

صاحبها من المسؤولية المستقبلية، مثل قوائم الماء والكهرباء. والركون الى ذريعة امتثال امر السلطان فيما هو جلب مصلحة خالصة او دفع شر مؤكد هو الاثر الصالح الوحيد المتبقي من نظافة الامتثال الى امر علي بن ابي طالب وعمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليهما وعلى امثالهما ممن التزموا سكة الشريعة في ازمانهم. ولم يتوسع العلماء بتطبيق هذه القاعدة حتى تشمل حالات تبرير الشر والظلم، ولنا في تأريخنا القريب جدا مثلان اذكِّر القراء بهما فإن الذكرى تنفع المؤمنين. فقد حدث بعد قصف المنطقة الكردية يوم ١٩٦١/٩/١١ أن طلبت حكومة عبدالكريم قاسم من علماء الدين في كويسنجق مباركة هذا الإجراء وشاوروني في ذلك. فوجدت ان ضمائرهم ترفض التكليف الرسمي رفضاً قاطعاً دونما حاجة الى رأي يصدر مني ومن غيري... فسيقوا الى السجون والى الإبعاد وقطع الرزق أشهرا ثقيلة عليهم، ولفقت التهم الظالمة لبعضهم بما كان من شأنها تقريب الرقاب الى حبال المشنقة... والمثل الثاني كان في عهد عبدالسلام اواسط الستينات اذ أقام مناسبة دينية دعا اليها غالبية العلماء الكُرد مشفوعة بانواع مغرية من الوعود أملاً في كسب تأييدهم المعلن لموقفه من القضايا العامة، لاسيما ما كان منها ذا صلة باوضاع المنطقة الكردية، فما سمع كلمة تأييد واحدة في كل ماأُلقي من خطب حتى ان المرحوم الحاج ملا صالح المنسوب الى (كوزه پانكه) رفع بوجهه إصبع التحذير والنذير قائلاً: كل قطرة دم تُراق في هذا الوطن تكون أنت المسؤول منها يوم القيامة.

ولعل من المفيد ان اعيد القول في الفرق بين مواقف اهل الدين واهل الدنيا عند تساوي الاحوال إن اعداد لاتُحصى من مثقفي ١٩٦١ وحملة الشهادات وذوي الإنتماءات الآيديولوجية السياسية الكُرد بادورا الى تأييد عبدالكريم على حين كان علماء كويسنجق يواجهون في السجن مصيراً مجهولاً. ولا اشك لحظة واحدة في ان موقف العلماء كان مبنياً في اساسه على تخريج ديني قاطع في شجب التأييد. فلقد كنت أعرف احاداً منهم لايتشدد عند اصدار الفتوى فيختار لها ماوافق مزاجه من آراء السلف في مثل مسائل الطلاق وانواع المعاملات اليومية...

ففي رأيي، يكون اختيار الخطي للصيغة التي اصدر بها فتواه متأتيا من اتباعه لحكم الضرورة في اعتبار امر السلطان واجب التنفيذ دفعاً لشر عظيم. فلقد كان واضحاً ان الأمير ميّال الى المهادنة والأخذ بالمصالحة، ولا نظن اسباب ذلك خافية على احد حتى تخفى على الأمير. ويبهجني غاية البهجة ان اقول ان المرحوم الموكرياني ذكر في كتابه طرفاً من الظروف والأحداث المرتبطة بالفتوى يلقى ضوءً كافياً على حيثياتها، ليستبين منها الناظر المحايد مقدار مسؤولية الخطي بلا زيادة، رغم ان لهجة الموكرياني وطريقة تناوله للمسألة تنضح بالعداء ونيّة التشهير.

ولنا ان نفهم ابتداءً الظرف المُلجيء الذي أصدر فيه الخطي الفتوى حين نقرأ في كتاب الموكرياني جملة المعارك الضارية الدموية التي سبقت إحتشاد جيوش العثمانيين في جوار رواندز، وفي كل منها كانت جيوش الأمير تقاتل جيوش سلطان المسلمين. فإذا كان الوقوف بوجه جيوش السلطان سبباً

للكفر ووقوع الطلاق- وان الخطي كان مؤمناً بذلك ومتشدداً فيه- فكيف حدث انه سكت اشهراً متطاولة إشتد فيها الكرُّ والفرّ وتكررت هزيمة العثمانيين فلم يصدر فتواه- رغم قيام الدواعي الشرعية لصدورها- وانما تريث متفرجاً حتى إقتربت النار الآكله من عرين الاسد؟ ومما يزيد من وضوح دلالة سكوت الخطي على انه لم يقصد الإضرار بالأمير أن السلطان محمود (أصدر منشوراً همايونياً بإسم الخلافة الإسلامية موجهاً الى كل من الملا يحيى المزوري والملا محمد الخطي والملا عزرائيل الجزيري -صفحة ٦٤-٦٥ من موجز تاريخ أمراء سوران، ترجمة محمد ملا كريم) فكان ذلك سانحة السوانح أثناء إشتداد المعارك بين جيوش السلطان والأمير لكي يخرج الخطي بفتواه اذا كان ناوياً القيام بعمل فردي يقصد منه تثبيط همة الأمير، ولا فرق في ذلك بين ان تكون النية صادرة من الخيانة المحضة أو من العقيدة الخالصة. فالظرف السانح بالمنشور الهمايوني يمهِّد السبيل للنية الخبيثة والطيبة على حد سواء مع فارق واحد بين الحالتين، هو ان الخيانة لاتكون جريئة الى حد المجاهرة إلاّ في حالة تراكم الحقد الدفين والثأر الكظيم الذي يجاوز كل الحدود المتصورة، وذلك خيال في خيال.

ومن حسنات المرحوم الموكرياني في كتابه (أمراء سوران) ذكره بشيء من التفصيل تتابع الاحداث والمعارك على الصورة التي ألجأت جيوش الأمير السوراني الى التراجع نحو رواندز إستكمالاً للأهبة الضرورية في الإصطدام الحاسم، الذي كان منتظرا أن يأتي بعده أحد احتمالين على الجانب الكردي: فأما الهلاك الذي لاقيام بعده لرواندز وأما الانتصار الذي يدفع الشر الماحق الى حين، وفي ذلك فسحة الامل في مستقبل قد يأتي بالفرج والنجاح على نحو من الانحاء.

اقول هذا ليقيني ويقينك أن هزيمة الجيش العثماني في المعركة، التي كانت منتظرة لم تكن تقضي على الدولة العثمانية. فلقد هُزمت في حروب كبرى ولم تهلك، ولكن الهزيمة هي على أي حال ان لم تكن بمقياس دولي واسع فبمقياس متناسب مع الأهبة القصوى المتخذة في الجانبين. ولكي يكون القاريء مطلعا على التفاصيل ينبغي رجوعه الى الصفحة (٦٠) فما بعدها من كتاب المرحوم الموكرياني، ولا أُحيله على المصادر التاريخية الاخرى لأن الفتوى التي كانت سبباً في التشهير بالخطي جاءت في سياق هذا الكتاب. فما علمنا بوجود مصدر تأريخي سابق عليه ذهب الى وجود نية مبيتة مأجورة او غير مأجورة بقصد الاساءة الى الأمير وحكومته.

ونتابع المرحوم الموكرياني فيما كتب حول الاحداث ومنها موضوع الفتوى، فنجده في الصفحة (٦٦) من كتابه يقع في شيء من الاضطراب وعدم التوافق مع الذات اساسه- في رأيي- عدم إنقياد الاحداث لميل الكاتب الى تغليظ مسؤولية الخطي فهو يقول بصدد معركة الزاب:

«وقد حارب الكُرد ببسالة منقطعة النظير حقاً ويهاجمون كالنمور الهائجة، إلاّ أن العلماء وطلاب العلوم الدينية كانوا قد نخروا اساس الامور لذلك فان الحرب مع الاتراك كانت عملاً

بلا جدوى مادام الأمير لايعمل شيئاً بدون ان يفتي له العلماء بذلك. وقد استمرت المدافع... ولم ينقطع دويها في الليل. أما مصطفى پاشا الذي كان قد فكر فيما قبل في التقدم الى الأمام، ولكنه اضطر للانسحاب تحت جنح الظلام فقد عبر النهر كيفما كان وولى هارباً نحو الموصل ووقعت غنائم ومعدات كثيرة في ايدي الكُرد وقفلوا راجعين الى حرير.»

فأي نخر هذا الذي دبَّ الى اساس الامور بسبب علماء الدين، اذا كان الجيش الكُردي يقاتل كالنمور حتى يضطر الخصم الى الفرار في جنح الظلماء، تاركاً وراءه الغنائم والمعدات لقمة سائغة ودعماً رافداً للمقاتل الكُردي؟

إن واقع الامر ينطق من ذاته ان الأمير فعل في هذه المعركة كل شيء ممكن وإنتصر فيها كما لم ينتصر قبلها في معركة مع العثمانيين. ويستطيع مَن يريد ان يتلاعب بالاحداث فيقول إن فتاوى بعض العلماء بضرورة مدافعة العثمانيين كانت من اسباب زيادة التفاني عند المقاتل الكُردي، ولكن ذلك عبث ينقضه ان الفتوى صدرت فيما بعد بعدم جواز محاربة السلطان. فنحن في غنى وفي مناعة من اصطناع التأويلات ونستشف الحقيقة حتى من خلال سطور المرحوم الموكرياني نفسه بشيء من التروي وإعادة الترتيب حسب اقتضاء المنطق. فالموكرياني يقول انه: «بعد رجوع الجيش الكُردي الى

حرير ووصول مصطفى رشيد پاشا في هزيمته الى الموصل بعث بأمر همايوني زائف الى الملا محمد الخطي مع رسالة محشوة بالآيات والأحاديث الى الأمير الكبير بقصد خدعه...»

وقبل الاسترسال فيما سنقرأه من كتاب الموكرياني ينبغي التنبيه الى أمرين خطيرين لايمكن إغفالهما. أولهما، انه لم تكن تدعو حاجة الى تزييف امر همايوني الى الخطي بعد الذي علمناه من أن السلطان محمود اصدر منشوراً همايونياً بإسم الخلافة الإسلامية الى كل من الملا يحيى المزوري والملا محمد الخطي والملا عزرائيل الجزيري. وثانيهما، إن مصطفى رشيد پاشا لم يقصد خداع الأمير فان الموكرياني نفسه يقول فيما بعد: «إن رشيد پاشا حقق كل وعوده قبل ان يموت بشكل فجائي.»

فليس في الامر خدعة انطلت على الأمير فبلعها بسذاجة.

ويمكن تلخيص الأمور التالية بالتتابع مما يقوله الموكرياني بعد ذكره لرجوع الأمير الى رواندز:

أولاً– سارع الملا الى نشر الفرمان المزور بأن الحرب ضد سلاطين آل عثمان تخلُّ بالدين وبالعصمة الزوجية.

ثانياً– إن الأمير أحمد شقيق الأمير الكبير تخاصم مع الملا الخطي وخاطب الملا لينضموا اليه في محاربة العثمانيين أو الى الملا. فوقف الضباط والجنود الى جانب احمد بگ وبقى عدد من طلاب الدين الى جانب الأمير الكبير والملا الخطي.

ثالثاً– عاد الأمير الى رواندز وجمع الجيوش وظل احمد بگ مع ثلاثة آلاف جندي في حرير.

رابعاً– زحف مصطفى رشيد پاشا من الموصل وحافظ علي پاشا والى بغداد كل منهما بقواته... نحو منطقة أربيل ورواندز.

خامسًا– عندما توجه مصطفى رشيد پاشا من عقره الى رواندز ارسل فرماناً همايونياً زائفاً باللغة العربية الى الأمير فيه الوعود والتأمينات.

سادساً– بعد ورود الفرمان جمع الأمير قادة جيشه ودعا الملا الخطي.... وقال القادة والجنود كلهم لن يكون ذهابك الى السلطان إلاّ بعد موتنا جميعاً.... ونهض الملا الخطي وألقى خطبة قال فيها بتكفير مَن يتمرد على السلطان وتحرم عليه زوجته. فكان لها تأثيرها في النفوس فسلّم الأمير نفسه للأتراك.

سابعاً– اقترب مصطفى رشيد پاشا شيئاً فشيئاً حتى نصب خيامه في سهل سوران وارسل رسالة الى الأمير وأخرى الى الخطي بالوعود والتطمينات والاَيمان أن سيعطيه حكم سوران مجدداً ويجعله (مير ميران) مع رتبة الپاشوية.

ثامناً– قرر الملا الخطي ان يذهب الأمير للقاء مصطفى رشيد پاشا بدون علم جيشه فخابره بذلك.

تاسعاً– نصب الأمير أخاه الأمير احمد حاكماً على رواندز نائباً عنه. وذهب بصحبة الخطي وعدد من الفرسان الى معسكر القائد العثماني فاستُقبل بحرارة... وقال الملا الخطي حالفاً بشرفه انه سيعيد الأمير معززاً حاكماً على مملكته.

عاشراً– استصدر الپاشا للامير عفواً من السلطان محمود وحصل له على رتبة (مير ميران) وفرمان الپاشوية واخذ الاذن له بالعودة الى رواندز.

حادي عشر– مات مصطفى رشيد پاشا، لسوء الحظ، في تلك الايام وكان علي رضا پاشا والي بغداد من خصوم مصطفى رشيد پاشا الالدّاء، فسارع الى إخبار الاستانة بأن عودة الأمير الى رواندز تؤدي الى ضياع العراق.

ثاني عشر– كان الأمير غادر الاستانة الى طربزون فاصدر الباب العالي الامر الى ولاة المدن بالقبض عليه فاعدم ليلا في طرابزون.

إن نظرة عابرة بشيء من التدقيق تستبين انه لايمكن ان تكون الاحداث تسلسلت على النحو المذكور اعلاه، ففيها تقديم وتأخير لايخفى على أحد وفيها غموض أيضاً في أمرين لهما خطورتهما: الأول منهما، إن رجوع الأمير الى رواندز بعد انتصاره في معركة الزاب وتراجع مصطفى رضا الى الموصل لاتفسير له فيما ينقله لنا الموكرياني من حيثياته. حتى انه لم يحاول تبريره بما يجعله يتوافق ولو بشكل ظاهري مع قناعته الشخصية عن سبيل التذرع بالفرامين الحقيقية والمزيفة المذكورة في كتابه. فالمنشور الهمايوني الصادر من السلطان محمود بإسم الخلافة الإسلامية كان سابقا على معركة الزاب، فلا يصح اتخاذه سبباً لوهن العزائم الكُردية التي انتصرت كما يقول المرحوم

الموكرياني انتصارا باهراً مصحوباً بالغنائم الكثيرة. والأمر الهمايوني الزائف الذي بعثه مصطفى رشيد پاشا الى الخطي مع رسالة محشوة بالايات الى الأمير كان بعد رجوع الأمير الى رواندز فلا دخل له في تصميم الأمير على الرجوع. فما عسى ان يكون السبب الذي حمله على هذا التصميم غير المنتظر؟ اننا لا نملك من الحقائق المتصلة بهذا الامر الخطير ما نطمئن به الى تفسيره على نحو مقنع ويزيد من صعوبة الاقناع ان الأمير رجع الى رواندز وهو مصمم على القتال بدليل (جمع الجيوش من كل حدب وصوب– صفحة٦٧ من كتاب أمراء سوران). ان تخلية عن (العمق الستراتيجي) المتمثل في المساحات الشاسعة للكر والفر وركونه الى التجمع في بقعة ضيقة يضيق فيها مجال الخيارات حتى تكاد تنحصر في خيارين لا ثالث لهما: فأما الثبات بما فيه من احتمال الفناء وأما الفرار الى مصير لا يمكن التنبوء به، هذا التخلي سؤال قائم بلا جواب عندي وغاية الامكان في الجواب عليه بعد كثير من التسامح مع النفس هي تفضيله لسياسة التمركز على التشعث بامل الوصول الى تفاهم مع السلطان بعد استفراغ الجهد في تقريب مسافة الخلف بين الجانبين، وربما جاز اضافة سبب اخر الى ما تقدم هو علمه بتوجه حافظ علي پاشا، والي بغداد، مصحوبا بجيش كبير الى أربيل اسنادا لجيش مصطفى رضا پاشا. على ان هذا السبب يدخل في مجمل قدرة السلطان العثماني على دعم قائده المختار مصطفى رضا پاشا فهو جزء من سبب اكبر مع ملاحظة مركز أربيل الستراتيجي في التحكم الحاسم باية معركة يخوضها الأمير في كل المساحات الواقعة الى غربها.

خير لنا ان نغادر هذا السؤال حيث هو من غموض الطلب رغم انه لاينسجم مع سياق الاحداث المستعرضة في كتاب الموكرياني ولكنه لا يتنافى مع السياق الذي يتهيأ ذاتيا من إعادة ترتيب الاحداث المذكورة بشكل مضطرب في الكتاب المذكور فكما ان الخلل في قول من يقول قد صمنا رمضان بعد الانتهاء من مراسيم عيد الفطر، هذا الخلل يزول بتأخير مراسيم العيد الى ما بعد شهر رمضان فكذلك يحصل الانسجام التام بين اجزاء رواية الموكرياني اذا رتبت على الصورة التالية:

أولاً– صدر الفرمان الهمايوني الى الملا يحيى والخطي والملا عزرائيل دون ان يكون له أثر محسوس في موقف الجانب الكردي بدليل الحماس الذي شاهدناه منه في معركة الزاب واخذ الأمير اهبة الحرب بعد تلك المعركة. وعلى قدر علمي لم تصدر فتوى من أي واحد من هؤلاء العلماء استجابة لذلك الفرمان وقد خلا كتاب الموكرياني من الاشارة الى شيء من ذلك.

ثانياً– قرر الأمير العودة بعد معركة الزاب الى رواندز لسبب غير واضح ولا مانع هنا من قبول احتمال منطقي بأن يكون مصطفى رضا پاشا قد فاتح الأمير بالوعود والايمان لحمله على ترك المنازلة عبر مراسلات لم تنته الى نتيجة حاسمة قبل معركة الزاب فتكون هذه الوعود دخلت في حسابات الأمير باتجاه الموادعة. ويلاحظ هنا ان معارك الأمير مع الأمراء الكُرد او المتمردين عليه فيما سبق من السنين لم تكن تحمل معنى مباشرا بالمواجهة مع السلطان فالموقف في معركة

الزاب وما اعقبها من احوال التهيؤ والتربص ذو دلالة خاصة ذات ابعاد سياسية عميقة لم تكن موجودة من قبل فليس مستغربا ان يتفادى الأمير مواقف حاسمة في المواجهة فيكون رجوعه الى رواندز داخلا في معنى تجنب الحسم مع جيوش السلطان.

ولايفيد هنا نقد تصرفات الأمراء الكُرد ومنهم أمير رواندز في استهانتهم بوجود سلطان عثماني ذي حول وطول على مدى سنين استهلكوها في مشاجراتهم المهلكة فقد سبق السيف العزل وان الواقع الذي تجاهلوه اثبت وجوده في هذه الايام الحالكة وصار في باب المستحيل على الأمير ان يتملص من حكمه ولقد عز النصير ولم تبدر من شاه ايران بادرة معونة بل ان البقايا من الإمارات الكردية لم تلتفت الى المحنة الاخذة بالمخانق وان الدائرة ستدور على الجميع.

ثالثاً- توجهت الجيوش العثمانية نحو راوندز وبعث مصطفى رضا پاشا بالامر الهمايوني (الزائف)! الى الملا الخطي مع رسالة الى الأمير محشوةً بالايات والاحاديث والوعود والايمان المغلظة... فكان من اثارهما ان الراي في الجانب الكردي تشعب الى اثنين: مال الأمير الى المصالحة على انها في اسوء الاحتمال اخف المكروهين بين الحرب وبين الركون الى وعود وتأمينات مصطفى رضا پاشا، وقد كان من مرجحات جانب المصالحة تنصيب اخيه احمد پاشا وكيلا عنه خلال سفره الى استنبول (كما قد حدث في واقع الامر). والراي الثاني وقد مثله وجسده موقف احمد پاشا في اول الامر برفض ذهاب الأمير الى استنبول، فلما وضع الرايان في الامتحان كان الجيش الى جانب احمد پاشا وبقى الأمير مع الخطي يمثلان جانب المصالحة... ويتفق قول الموكرياني في تعارض موقفي احمد پاشا والخطي في رفض المصالحة من قبولها مع جزء من الاغنية الكردية من نوع (لاووك) الذي استشهد به الاستاذ عبدالفتاح علي يحيى في القسم الثالث من مقاله (الهجوم العثماني على كردستان وسقوط إمارة سوران) المنشور في العدد ٥٤ لمجلة كاروان، نيسان ١٩٨٧، ترجمه الى العربية في الصفحة (١٤٣) من المجلة المذكورة حيث يقول ناقلاً من الاغنية: ان الخطي عقد مؤتمره ولايتراجع عن اقواله... ويضيف ان الاغنية تستمر فتقول انه بعد استسلام الأمير اخذ الناس ومن بينهم الملا الخطي يدعون من الله ويتشفعون بالشيخ عبدالقادر الكيلاني ان يعيد الأمير سالماً.ولكن يلاحظ ان الاغنية في قسمها المنشور بالعدد المذكور لاتتطرق الى توافق راي الأمير الكبير مع الملا الخطي. ويلاحظ فيها أيضاً انها لاتمس الخطي بكلمة نابية.

رابعاً- حصل بعد الخلاف توافق في الراي بين الأمير الكبير واخيه احمد پاشا في قبول عروض مصطفى رضا پاشا رغم ان الموكرياني لا يقول ذلك صراحة ولكنه مفهوم من دواعي الاحوال ودلالات الاحداث فان الأمير الكبير حسب قول الموكرياني نفسه اناب اخاه احمد پاشا منابه اولاً ثم ذهب مع الخطي الى معسكر مصطفى رضا پاشا لأنه لايعقل ان تتم الانابة دون علم الناس وقبول احمد پاشا لها لان ذلك عبث صبياني لاجدوى منه بل انه اقل من العبث ومن جنون المأفون. أما ان يكون احمد پاشا بقى في راوندز او حيثما كان في قيادة جيشه ولم يصاحب

الأمير الكبير في دخول معسكر مصطفى رضا پاشا فقد كان ذلك مفهوما وواجباً من باب الاخذ بالاحوط من احتمالات الخيانة او المفاجاة. وسواء كان موقف احمد پاشا النهائي في قبول المصالحة مبنياً على القناعة او نتيجة الاضطرار، فانه من الواضح رضوخه للامر الواقع وتسليمه بما استقر عليه راى الأمير الكبير في موادعة السلطان وبغيره لم يكن أمامه الا التمرد (في اسوا الاحتمال) او رفض نيابته عن اخيه (في احسن احتمال للاباء). أما التمرد فمن السهل على المؤرخ المنصف ان يعفيه منه لأنه شر محض وافدح ضررا من المصالحة. وأما رفض النيابة فهو شيء مقبول بل مطلوب منه فيما لو بقى على موقفه الأول القاطع بترجيح المحاربة، وكانت له مندوحة من قبول النيابة بوجود اخوة اخرين سواه يمكن انابتهم فلا خلل يحصل باعتزاله حكومة دخلت في الصلح رغم رفضه له وخلافاً لراى رآه في اتجاه معاكس فيكون قبوله للنيابة مرجحاً لاقتناعه اخر الامر بما فعل الأمير ولا اقول انه كان مستبشرا بذلك فالموقف المهادن كله كان وليد الاضطرار.

هذا ما يُفهم بلا قلق من رواية المرحوم الموكرياني المشوبة بشيء من التقديم والتأخير وبحبس اللسان فيما يفيد الخطي واطلاقة فيما يدينه، وهو موافق للرواية التي كانت شائعة حتى ظهور كتابة الموكرياني ومصدق بشهادة عبدالله مخلص بگ حفيد رسول پاشا ومنسجم مع تصرف الأمير الكبير في دلالته الملحوضة على ثقته بوعود مصطفى رضا پاشا التي تحققت بتفاصيلها قبل موته المفاجيء والواقع هو ان الفكر يحتار في ماتى هذا الحرص المبالغ فيه من جانب مصطفى پاشا على تنفيذ كل ماوعد به الأمير الكبير ! وقد يشتط الخيال حتى يذهب الى احتمال ان يكون موت مصطفى پاشا مدبراً من السلطان نفسه تسهيلا لاغتيال الأمير الكبير ولكن ترك راوندز حتى يتعاقب على امرها ثلاثة من اخوة الأمير بلا معارضة من الاستانة يفند هذا الاحتمال فقد بقيت الإمارة في حكم كل من الاخوة احمد پاشا وسليمان پاشا ورسول پاشا متعاقبين حتى سنة ١٢٧٢ أي حوالي عشرين سنة بعد اغتيال الأمير الكبير.

القسم الثاني والأخير*

كانت الإمارة تدوم لرسول پاشا لو أنه دفع الاتاوة المفروضة عليه من قبل الباب العالي ولم يخض الحرب الخاسرة التي جرب فيها حظه وقوته ضد جيوش نامق پاشا والي بغداد سنة ١٢٧٢ اضطر بعدها الى الانزواء في ايران خمس سنين في تفصيل يراه القاريء في الصحفة ٧٦ فما بعدها من الكتاب المرحوم الموكرياني. وقد عاد الى بغداد مستضافاً من نامق پاشا نفسه سنة ١٢٧٧ حتى اذا نقل نامق پاشا الى الاستانة في منصب (مشير المابين) سنة ١٢٨١هـ اخذ معه رسول پاشا فعين والياً على (وان) لعشر سنين نقل بعدها الى ولاية ارضروم حيث توفي سنة ١٢٩٨هـ.

(*) عن مجلة (كاروان) العدد ٧٢ شباط ١٩٨٩.

فالقاريء يجد امراً غريباً في تعامل العثمانيين مع اسرة الأمير الكبير بعد اغتياله فقد سلكوا معها شرعة المصانعة التي دشنها مصطفى رضا پاشا محفوفة بالايمان والمواثيق. وما اظن ان التاريخ يملك امثلة كثيرة مشابهة فالعثمانيون انفسهم لم يكونوا متسامحين مع ولاتهم الذين يفقدون ثقتهم او يخشون تعاظم قوتهم. ولو قلبت صفحات العلائق السياسية واواصر الجوار بين الأمراء الكرد لما عثرت على مايسرك فقد خيبوا انفسهم وامل التأريخ فيهم بالدوام على التفرق والشتات وطول الخلاف. فأذا كان لنا ان نحكم على الاحداث في ضوء المؤثرات القائمة وقت حدوثها لم نملك الا اقرار الأمير الكبير على الطريق الذي اختاره بالدخول في المصالحة فقد جائت مقدماتها وبواكيرها كلها مصدقة لحسن ظنه بمصطفى رضا پاشا ولم يعتورها شائبة الا بعد موت رضا پاشا على ماهو مشروع في كتاب الموكرياني إذ يقول في الصفحة (٦٩) منه:

«واستصدر له الپاشا عفواً من الساطان محمود وحصل له على رتبة مير ميران وفرمان الپاشاوية بناءً على الوعد الذي قطعه واخذ الإذن له بالعودة الى رواندز. الا انه-أي مصطفى رشيد پاشا- مات لسوء الحظ في تلك الايام، وكان علي رضا پاشا والي بغداد من خصوم مصطفى رشيد پاشا الالداء. فسارع الى اخبارالاستانة بانه اذا ماعاد الأمير الى رواندز فسيضيع العراق وتختل امور الدولة وادارة الحكومة».

لقد كان بمقدور الموكرياني ان يلجأ الى التأويل بصدد الموضوع فيدرجه في سياق خطة خيانية تفرغ وعود مصطفى پاشا من محتواها وتجعل الأمير الكبير موكولاً الى الفناء سواء من مصطفى پاشا ام عاش. ولكنه لم يفعل ذلك فيشكر عليه اذ كان ذلك منه استبقاءً قيماً لحقيقة تاريخية في نظره (اصدقها انا) ذات دلالة قوية على الحسابات التي اقامة عليها الأمير الكبير موقفه في المصالحة فمما لايقبل المناقشة انه اذا كان الأمير شاكاً في وعود مصطفى پاشا لما سعى الى الجلاد بقدميه.

ولقد جاء بقاء الإمارة قائمة بعد اغتيال الأمير منسجماً في ذاته مع صدق مصطفى پاشا في عهوده بل ان بقاء الأمير حياً ومكرماً بالفرامين السلطانية والترخيص له بالعودة الى رواندز بعد موت مصطفى پاشا لايترك للمنصف ومجال المكابرة في حقيقة نوايا مصطفى پاشا او افضلية ما فعله الأمير في حكم الاحوال القائمة. أما من حيث ركون الباحث الى رواية المرحوم الموكرياني فالباحث الذي يأخذ بها في جزئها المناويء للخطي لا يملك غير قبولها في صدد وعود رضا پاشا لان المكرياني غير مهتم بالميل الى جانب المصالحة حتى يقال انه منساق مع ذالك الميل الى الاشياء التي تجعلها اقرب الى القبول منها الى الرفض. لقد اغلظ الموكرياني، رحمه الله، في عداوة الخطي فهو مصدق في كل رواية منه تحتمل مسحة من الانصاف مع المصالحة ومع الخطي. ومن مفهوم المخالفة لهذا المقياس يكون من حق الباحث او القاريء الاعتيادي الذي يأخذ بتبرئة الخطي ان يناقش أي قول او رأي للمكرياني بأتجاهه ادانة الخطي لان ذلك حق طبيعي وبديهي للمواقف في الطرق القصى من الموكرياني في مسئلة (الخيانة) والا حصل ما يسمى في الفقة بـ(المصادرة على المطلوب) اذ تصبح

دعوى المدعي نفسها حجة في صحتها بالاضافة الى ان اجتماع (الخيانة) المعزوة الى فتوى الخطي مع صدق وعود رضا پاشا في رواية واحدة كالتي رواها المرحوم الموكرياني يصبح بحد ذاته حجة ضد الرواية لان الحبكة المحبوكة في افراغ قالب الخيانة على فتوى الخطي تجعلنا ننتظر سرعة المبادرة الى اغتيال الأمير الكبير وتفكيك جيوشه من بعده وتنصيب حاكم عثماني شديدالخصومة قوي البطش. ولقد تفطن الاستاذ عبدالفتاح علي يحيى الى خطورة تسليم بصدق نوايا رضا پاشا لما يحمل ذلك من سمة الزئبق الرجراج في عدم تلاؤمه مع ما يتشدد هو والموكرياني في التخليط على الخطي واستفراغ الجهد في التدليل على خيانته المبيتة ذات الغور العميق والجذر الراسخ الضارب في منبته ومنشئه حتى كأنه نشأ خائناً بالفطرة وبايعاً لدينه منذ شبابه وما تراس الفتوى في رواندز الا من اجل الخيانة وقد بلغ التغليط في هذا حداً جعلني اتساءل عن السبب الذي منع هذا الخائن البائع لدينه من ان يخون ولاة بغداد لقاء كل الجاه والوفرة التي استمتع بها في راوندوز؟ لقد حاول الاستاذ عبدالفتاح ان يتدارك هذا المخرم في الجدران الخيانة المطبقة على الخطي فتناول في الصحفة ١٤٢ من القسم الأول من مقاله في العدد ٥٢ من كاروان، تناول هذه الرواية بالتفنيد في خمسة اسطر قائلاً: «إن هذه الاقوال لا تصمد أمام التحليل والنقد التأريخي فقد استسلم الأمير في آب

> ١٨٣٦م وأُخذ اسيراً الى استنبول، وان رشيد پاشا توفي في كانون الثاني ١٨٣٧م، ففترة خمسة اشهر كانت كافية للتفاهم مع الأمير وتزويده بفرمان الباشوية. ولو كانت الدولة العثمانية صادقة النية معه كانت لاتستدعية الى استنبول اصلاً بعد إستسلامه...»

أول ملحوظة على هذا التنفيذ هي انه جاء تعليقاً على كلام معزو الى د.عبد العزيز سليمان نوار اشير اليه بالهامش (٥٤) في نهاية الصحيفة (١٤٢) من العدد (٥٢) لمجلة كاروان وليس الى كتاب الموكرياني مع أن فحوى الكلام المنقول من د. عبدالعزيز مطابقة تماماً لما جاء في كتاب الموكرياني واظنه مقتبساً منه حسب ظاهر الحال من كون الموكرياني سابقاً على د. عبدالعزيز في تأريخه ولكني لا اقطع فيه بالرأي لعدم توفر كتاب د. عبدالعزيز عندي. واظن مرة اخرى ظناً قائماً على دواعيه ان تجنب الاستاذ عبدالفتاح ذكر الموكرياني في هذا الموضوع بالذات صورة منعكسة من شدة تغليظه على الخطي من حيث ان اتهام الخطي بالخيانة جاء اول مرة الموكرياني الذي سبق الجميع في هذا الباب واستفرغ الجهد في تثبيت الخيانة عليه فمال طبع الاستاذ عبدالفتاح عن ان ينسب الى الموكرياني رواية تبدو كالشائبة البيضاء في ليل مدلهم من كل ما ذكر به الخطي وفتواه المشؤومة.

إن فترة الخمسة اشهر الواقعة بين وقوع الصلح وموت رشيد پاشا زمان قياسي في القِصَر بمقاييس النصف الأول من القرن التاسع عشر ليتم فيه صلح بعد حروب ومعارك وتنقضي ايام الولائم والبشائر وحسن الضيافة وتنظم الامور في راوندز بما يكفل النظام والضبط طول غياب الأمير عنها وتأخذ الاهبة بعد ذلك للقيام بسفر على ظهور الخيل في مسافات لم تكن قصيرة وطرق

غير ممهدة.. ثم تنقضى ايام الاستقبال ومراسيم الحضور في الباب العالي واستصدار الفرامين وما لا يحضرني من اسباب التأني والتأخير ولقد تم كل ذلك حسب رواية الموكرياني والمصدر. الذي اشار اليه الاستاذ عبدالفتاح نفسه في هامشه. فأذا كانت هذه المدة زائدة على هذه القائمة الطويلة من دواعي التريث والتأهب فهي اطول من اية مدة يقتضيها إغتيال الأمير فيما لو كان مبيتاً من اول الامر. ويزيد الامر وضوحاً ان الاغتيال نفسه وقع بعد اكثر من سنة من موت رشيد پاشا فقد ورد في الصحيفة (١٤٢) المذكورة من مجلة كاروان ضمن مقال الاستاذ عبدالفتاح ان الأمير أُغتيل عام ١٨٣٨م وهو في طريق عودته الى راوندز.. وقد علمنا ان رشيد پاشا مات في اول ١٨٣٧م. فما الذي دعا الى كل هذا التأخير ان لم يكن ماذكره المرحوم الموكرياني من سعى والي بغداد في هدم مابناه رشيد پاشا عدوه الألّد! على أي حال لسنا في صدد تزكية السلطان العثماني فلولا ان سعايات والي بغداد صادفت هوى في نفسه او ان اموراً اخرى دغدغت وعيه لما بادر الى عمله الوحشي المنافي للشرف والفضيلة، ولكن الذي يستوقفنا من امر هذه السنة الاضافية –بعد موت رشيد پاشا– انها لاتجد أي محل ممهد في قناعة الكاتب والقاريء اذا اخذنا بما اخذ به الاستاذ عبدالفتاح من كفاية الخمسة أشهر (...للتفاهم مع الأمير وتزويده بفرمان الپاشوية). اقول هذا جرياً مع منطق المقال نفسه: فهو يأبى على ان اعتبر سنة كاملة بعد وفاة رضا پاشا زمناً ضرورياً لتتميم اغتيال مبيت منذ سنتين على حين تكون خمسة اشهر قد اتسعت للتراضي وما اعقبه من استفاضة في راوندز وسفر الى الاستانة والالتقاء بالسلطان واستصدار المراسيم والفرامين وما الى ذلك ونحن نعلم ان بقالاً او بزازاً من راوندوز ما كان يستطيع ان يأخذ للاهبة ويسافر الى بغداد في رحلة استبضاع في اقل من شهرين ولو شد رحاله الى استنبول واستبضع فيها ثم وصل في رحلة الرجوع الى سيواس، حيث اغتيل الأمير خلال رجوعه، لطال به الوقت خمسة اشهر على الاقل.. كانت رحلة الحج ذهابا واياباً تستغرق في تلك الايام حوالي سنة بلا صلح او مراسيم او استفاضات...

اننا لسنا بصدد إعادة كتابة التأريخ العثماني في مقدار اتصاله بالإمارات الكردية كي نغوص في اعماق ونسبح في ابعاد وننبش على تفاصيل تفوق حاجة من يتحرى حيثيات فتوى صدرت من ملا في موقف معلوم، ولا التزم أحد منا على نفسه اثبات براءة او خيانة الخطي كالتزام متعهد البناء بانجازه في وقت محدد حتى لاتبور تجارته فالحقيقة ضالة الباحث كما هي ضالة المؤمن او يجب ان تكون وفي موازنة براءة الخطي مع خيانته ليست على اعيننا غشاوة كي تعمى عن رؤية الفرق الهائل بين اثر البراءة والخيانة في واعيتنا القومية فبراءة بشارة لك ولي ولكل الكُرد وتزكية لسلامة قرار الأمير الكبير من فطنة قصر النظر وخور العزم والتغابي على مدى سنين طوال عن عمالة رئيس الفتوى في أماراته لعلوج العثمانين منذ ايام داود پاشا أما خيانته فانها فضلا عن تشويهها لذمة عالم كُردي متبحِّر تخّرج على يديه علماء اجلاّء من الكرد وغير الكرد على مدى عشرات السنين فهي وصمة عار

على جبين كل ثانية من ثواني عمر إمارة الأمير الكبير قضاه الخطي في رأس الفتوى لايسلم منها الأمير نفسه ولا أخوه احمد پاشا ولا أي من المتصلين بالحكم على قرب او بعد، بل انها تسم عامة الناس من الكُرد بما كان من توفيرهم له بعد الفتوى حتى مماته. فقد بقيت مدرسة حيثما كان عامرة بطلاب العلم ودام صيته فوق الشبهات حتى صدر كتاب المرحوم الموكرياني، وكان من تلاميذته الحاج قادر الكوي والحاج ملا عبدالله الجلي في زمالتهما الدراسية بمنطقة (بالك) ودرس عليه قبلهما استاذهما الحاج ملا اسعد الجلي والد الحاج ملا عبدالله الجلي في مدرسة الخطي الصيفية في شقلاوة على مايظهر من بعض حواشيه-التي تذكر انها كتبت بمدرسة الخطي في شقلاوه.

وانا اذ اسوق هذه الاستطرادات في كفتي الإدانة والتزكية اعلم ان واجب الالتزام بالموضوعية وتحري الحقيقة يعم الطرفين وان التحرز من الإنشداد الى إلتقاط الادلة المفيدة لوجهة نظر الباحث يلزم المزكّي والمدين وان الإنزلاق الى ماتشتهيه النفس من ادلة التأييد والتفنيد يصدق في زيد كما يصدق في عمرو، ولكن اقل عرضة للوقوع في هذه الفخاخ لأني اراها بعين مفتوحة وادرك حركة الإشتهاء في العروق وأفضح فعله الوبيل بالراي.

فاذا قلت للقاريء انه ليس من الانصاف المحض ولامن المصلحة القومية ان يكون حماس الباحث الكُردي في ادانة الخطي اكثر من حماسه فيما لو كان المتهم هو المرحوم (علي مردان) بسبب كون الفجيعة في الخطي وفي الأمير الكبير ذات دلالة افدح ضرراً بمراحل، فقد قلت شيئاً يمليه الواجب القومي والالتزام بالحقائق وفيه تبصرة أيضاً بأن ثبوت هذه الخيانة ليس من حلاوة السكر ولا زهو الانتصار ثم انه اذا تساوت في الميزان كفتا الخيانة والأمانة بلا رجحان فالمأخوذ به هو البراءة سواء كان المتهم عالما كُردياً او مطرباً بلغارياً أو أياً كان من افراد البشر.

فاقول بقلب مستريح ان الذي جرى من امر الفتوى هو انها صدرت بموافقة الأمير وتم الصلح في النهاية برضا الجميع وكان مصطفى رضا پاشا صادقاً في كل ماقال وتحقق في حياته كل وعوده، فلم يكن الأمير بالسذاجة أو الغفلة وعجز الارادة على الصورة التي يبدو بها في الإستسلام لخيانة الخطي وكأنه طفل يأخذونه الى الكتاب رغم ارادته. أما ان يكون الأمير معطل الارادة أمام جبروت الخطي فليس شيئا يقبله المنطق مهما بولغ في مكانة علماء الدين. فالواقع هو ان الأمير نصب العلاّمة ابن ادم في اول حكمه على راس الفتوى ثم ازاحه عنها بعد سنتين في ابعد تقدير وفرض عليه الإقامة في (ولزة) لخلاف في الراي بينهما، وهذا ماكتبه ابن ادم نفسه في مخطوطته سلسلة الذهب سنة ١٢٣٤هـ. وابن آدم له من المكانة العلمية والأدبية ومن الشهرة في الوقوف بوجه الإنحراف مايعجز عنه مئة خطي، وهو استاذ الخطي نفسه وغيره من فطاحل العلماء وواحد من افذاذ علماء الإسلام قاطبة بلغت تآليفه حداً لايكاد يصدقه العقل في كل ابواب العلوم الإسلامية والعربية.

والخلاف الذي نشأ بينهما لم يبلغ في خطورته جزءً من الف جزء من خطورة الفتوى التي يقال

انها قوضت عليه حكمه وهو ذلك الأمير الذي بدأ عهده بقتل اثنين من أعمامه درءً لخطرهما على ما كان من ذهنه من تأسيس حكومة ثابتة الاركان. وبلغ بطش الأمير أنه أمر بقتل عمه يحيى بگ وولده عثمان بگ وهما سجينان عنده ثم علقت جثتهما بأمر منه مدة ليل ونهار ثم دفنتا الى جانب قبر عمه الآخر تمرخان الذي تم قتله في السجن أيضاً خنقاً في ظلام الليل (انظر الصفحات ٣٠-٣٣ من كتاب المرحوم الموكرياني المذكور). لقد ناطح الأمير كل راس كبير متجبر في منطقته وعلى جوانبه وإستعمل غاية البطش في تصفية المعارك مع خصومه وتمادي حتى حصل الإصطدام بينه وبين جيوش السلطان نفسه آخر الامر، ونازله في اكثر من معركة وكان الخطي وغير الخطي من علماء الكُرد معاصرين لهذه الاحداث بلا حركة او إعتراض. فما هو السر الشيطاني الذي نصب من الخطي عملاقاً يعنو له الزمان والمكان والسلطان بتعويذة فتواه بين ليلة وضحاها؟

ان ما يُعزى الى الخطي من قبل متهميه من تأثير في العقول والارواح على نحو يعطل ارادة الخلاص وحب الحياة في رجل مثل الأمير قضى عمره باطشاً مكتسحاً متشبثاً بالتفوق والتوحد وليس مجرد الإمارة، لهو شيء ماتسنى لأحد من الانبياء قبل الخطي واخفق فيه حتى (راسبوتين) من اساطين الشعوذة وإستعباد الأرواح! ان التسليم بمثل هذة القوة الخارقة لشخص مجرد من اسباب القهر ضد شخص هو القاهر نفسه شيء يستعصى قبوله مهما أخضع الانسان فهمه للمطاوعة. فإنه بافتراض المستحيل في عجز الأمير عن الوقوف بوجه الخطي مجاهرة، افلم يكن في المستطاع تدبير اغتياله او افتعال حادثة تقتلعه على صورة من الصور؟ اذا كان الأمير على مثل القوة والقدرة على هزيمة جيوش السلطان بحسب الروايات الحريصة على تجريد الخطي من كل عذر وتبرير والاصرار على تصوير موقفه خيانياً محضاً مدفوع الثمن، فهل عميت العين السليمة للامير عن رؤية هذه الخيانة الواضحة وعن تلمس أي وسيلة رحمانية او شيطانية تنقذ إمارته من هذا الاخطبوط الفاقد للأذرع؟

يبدو ان الميل الى تخوين الخطي استوجب من القائلين بالتخوين ان يصوروا رجال الدين (الملالي) على درجة خطيرة من تأثير في ضخام الأمور كي يستقيم لهم الدعوى بشلل ارادة الأمير وجيشه واخوته وعامة الناس في موضوع الفتوى فتم وقوفهم عاجزين كل العجز أمام كارثة كان تجنبها ممكناً في غياب الفتوى! هذا الزعم ليس اكثر من وهم في جملته وفي الاشياء الخطيرة من تفصيله. فالغالبية الساحقة من الملالى كانوا من مساكين خلق الله يحصلون أو لايحصلون على كفاف المعيشة، ويفتقدون القدرة على التأثير في الامور ذات الصلة بالأمراء والكبراء، بل انهم لم يملكوا غير الكلام في دائرة دروسهم بالمساجد وفيما قد يحدث بين الناس من مشاكل يسألون فيها عالم الدين، ثم صاروا يراجعون المحاكم بعد انتشارها في المدن والقصبات وبقى الملا الاعتيادي ينتظر طويلاً حتى يسأله سائل في طلاق أو ميراث او جواز النكاح بين فلان وفلانة رضعا رضعتين من حليب إمراة. وتغيرت احوالهم المعاشية في سنين الاخيرة بزيادة رواتبهم حتى اني لما سمعت ان راتب واحد منهم

اعرفه قرابة مائتي دينار شهرى قلت فيما يشبه النكتة القريبة من الواقع، انه اذا كان راتبه محدداً بمقدار علمه فأنه كثير عليه جداً جداً، واذا كان يكافأ على جهله فإنّ راتبه قليل جداً جداً. وبقوا حيث كانوا من انعدام التأثير في الاحداث.

ولا نطيل الكلام في هذا الباب لعدم جدواه فلا نتطرق الى مقام شيخ الإسلام وشيخ الازهر ومفتي المدينة والقدس وقضاة الشرع (في العهد العثماني وما قبله) فهم افراد موظفون يتصرفون على تفاوت من هذا الى ذاك ولكن الذي يهم في هذا الباب هو شأن واحد من فطاحل العلماء خلا منهم زمان ومكان مكّنتهم مكانتهم العلمية وظواهر احوالهم في الاستقامة من كسب احترام العامة لهم ومراعاة السلطة لشأنهم، وكثيرون منهم كانوا يسكنون القرى بعيداً من رجال الحكم فلا يلتقون إلاّ في أندر الاحوال. أما مَن سكن منهم المدينة فقد كان من المألوف ان يحصل التزاور بينهم وبين القائمقام والمتصرف والوالي (من العثمانين) وغير اولئك من كبار الموظفين ولم تكن في ذلك غرابة ولربما حصل في احوال نادرة ان استعانت الحكومة بهم فاستجابوا في مصلحة للناس من دفع شر ملحوظ. وعلى قدر علمي مالجأ احد من اولئك العلماء الى التذرع بالإذعان للسلطان الا اذا كان الإذعان محققاً لمصلحة مشروعة في الدين، واعرف واحداً منهم بالذات. لاداعي لذكر اسمه، حاولت معه الحكومة جهد طاقتها ان يصدر فتوى بوجوب الجهاد في مايس ١٩٤١م فأبى لسبب ذكره صراحة وهو انه لاوجه للقبول بالجهاد في حكومة تأخذ رسم الخمور وغير الخمور من المحرمات.

واذكِّر القارىء بالرساله التي بعث بها نادر شاه افشار الى الشيخ حسن گلەزەردە وجوابه عليها، ففيهما صورة صادقة لنوع التصرف المتصور من رجل الدين يوم الامتحان. فأذا بلغ احد اولئك بنبوغه ومتانة خلقه مقاماً يلجيء رجل الدنيا الى توقيره وتقبيل يده، فليس من الانصاف حمل ذلك في كل الاحوال على المخاتله. فليس غريباً ان يعظم السلطان عبدالحميد شخصية الكاك احمد حتى قيل انه اصبح من مريديه، فإنّ هذا السلطان نفسه ابى ان يبيع فلسطين لليهود رغم شدة حاجة دولته الى المبالغ الهائلة التي عرضت عليه في المساومة. وتتذكر احدى بناته في مذكراتها أن اسم (مشفقه) التي حملته امها بعد زواجها من السلطان جاء حين إستخار السلطان ففتح القران في موضع كانت آخر كلمة فيه هي كلمة (مشفقون).

وليس يستقيم في المنطق والقياس ان يُعزى مُطلق الكفر بالدين الى اصحاب السلطة من العثمانيين حتى يُرفض قبول الصدق في ايمان مصطفى رضا پاشا وفرمان السلطان محمود ويُعزى مطلق الإستسلام للدين الى الأمير الكبير حتى يرضخ لفتوى يصدرها خطي خائن يمكن سلقه في مرجل يغلي. أما القول عن تأثر عامة الشعب الكُردي بالافكار الدينية كسبب قوي من اسباب فرعنة الخطي ومسكنة الأمير، فهو ابتعاد واسع عن واقع الحال لأن تدين العامة لم يتجاوز اداء فروض الدين وشعائره الى التدخل في سياسة الحكم، وما نظن الأمير الكبير رجع في أي امر قضاه بالحق او

بالباطل الى الرأي العام. وما نظن عامة الناس من الكسبة والكادحين من اهل الحضر والوبر مستبشرين باحتمال وقوع المصادقة بين جيش الأمير وجيش العثمانين لعلمهم بما وراءها من خراب البيوت وبوار العمار وهلاك الأنفس. والوقع هو ان أمراء الكُرد كغيرهم من اصحاب السلطان في الامم الاخرى لم يحسبوا لسواد الناس ورايهم إلاّ بمقدار تصورهم للإنتفاع الحاصل من الحرب ومن السلم، فكان ذلك ينعكس على العامة الذين لم يُستشاروا في شيء بما هو منتظر من عدم تعطشهم لإنبعاث الحروب. أما أن كل الناس في الإمارة الواحدة يدعون بالتوفيق لجيش اميرهم فأقوى اسبابه هو ان هزيمته تعرض حياتهم وما يملكون الى خطر الفناء. فأهل بابان وهم كُرد يفضلون هزيمة سوران واهل سوران وهم كُرد أيضاً يتمنون هزيمة بابان. وليس من شك في ان فتوى الخطي بصرف النظر عن كونها صادرة بموافقة الأمير جائت برداً وسلاماً على قلوب سواد الناس مادامت قد حقنت دماءهم وصانت اعراضهم وممتلكاتهم ولو كنت انت ايها القاريء واحداً من اهل راوندز في ذلك العصر لتمنيت ماتمنوا. وتتمنى في يومك الراهن بعد وصولك عصر ريادة الفضاء مثل ذلك التمني فيما لو وجدت نفسك في مثل ماوجدوا انفسهم فيه. اقول هذا على علم مني بان المصير القومي اجل واقوم واخطر من ان تميل مقاييس سلامته على حسب السلامة الوقتية لجزء من مجموع القوم، لأني اعلم كذلك ان تعريض أي جزء من ذلك المجموع الى خطر مؤكد للفناء هو تفريط جزئي في المجموع. وارى من باب الكفر بالتأريخ ان اسامح الأمراء الكُرد في تفرقهم وتناحرهم وتذابحهم ثم اعاتبهم في ترك تجربة متاحة لحرب خاسرة او عقيمة في اسوء الفروض -ام هو احسن الفروض؟- فكأني اذا سامحتهم في التذابح ثم عاتبتهم في تجنب معركة مهلكة كمعركة راوندز التي منعتها الفتوى باذن الأمير اكون خالفت مبدءاً مقرراً في وجوب خراب البيوت التأريخي المكتوب على الكُردي منذ ايام كورش الكبير!!

وكلامي في مسامحة الأمراء بعدم لومهم في تذابحهم لايعني تحريم مجرد القول في انهم اخطأوا وانما يعني الإمتناع عن وصف تذابحهم بأنه خيانة قومية، مع ان إضطرار الأمير الكبير الى الرضوخ في آخرالأمر هو ثمرة مُرّة من ثمرات ماسبقه من معارك داخلية إستمرت على مدى اكثر من عشرين عاماً وقودها الفرد الكُردي والبيت الكُردي والزرع الكُردي. اقول هذا من منطلق موقف الباحث عن كامل اللوحة التأريخية التي إرتسمت في اواسط القرن التاسع عشر على أديم كُردستان عموما ليُرى فيها الخطي وغير الخطي في رؤية سواء. واقوله من زاوية الفرق بين وئام كُردي عام وتخاصم كردي عام -او مايشبه عام- وتقدير الربح والخسارة في الحالتين على عِلاّت الاحوال. ولكني في أخذي بهذه المعايير المجردة لاأنسى حقيقة خطيرة كانت ستبقى قائمة في حالة الوئام الكُردي، وهي ان القوى الكبرى من عثمانية وشاهنشاهية وما يرتبط بهما من مصالح الدول العظمى ماكانت لتتفرج على نتائج الوئام الكُردي ولايدري أحد كيف كانت النتائج خليقة ان تكون إذا جرت

مشيئة المصالح العظمى في محاذاة القاجاريين والعثمانيين. فقد وجدنا تدخلها ضد محمد علي پاشا حين هدد الوجود العثماني ورأينا معارك في القرم ضد الروس في حالة مماثلة. والكلام هنا يدور في دائرة التخيّل لأمر لم يحصل ولكنه كان محتملاً ان يحصل ومن حقه ان يمر في ذهن القارئ الكُردي: فوحدة الرأي التي هي اساس كل نجاح عام لاتكون في كل الأحوال مبرراً كافياً للدخول في المعارك. على أي حال (تلك امة قد خلت) فعسى ان يعي الجيل القائم ومابعده دروس الاحداث ويحاول فهم السر المستغلق الذي حكم بأن تكون نهاية كل المعارك الكُردية كارثة!!

لقد ألمت في الجزء الأول من كتاب (حاجى قادرى كويى) بما بدى لى انه سبب تعذر نشوء كيان كردي خلال ٢٦٠٠ سنة تقريباً منذ تقوض حكومة ماد نتيجة إنحصار كُرستان ضمن ثلاث قوى كبرى هي امبراطورية ايران ومركز القوة في بابل وماهو مُعتبر بالقوة الهيلينية (الإغريق) والرومانية. فإحاطتها في دائرة مغلقة جعلت كل الإقتصاد الكُردي ينساب الى هذه المراكز كإنسياب مسايل المياه لجبال كُردستان في ارض تلك البلاد. فحصل خلال آلاف السنين ماسميته بالنزيف الإقتصادي الكُردي الذي منع نشوء الرأسمال الكُردي الذي هو قوام الدول. ولك ان تضيف اليه نزيف الفكر والابداع وما رافق ذلك من دوام الاكتساح لبلاد الكُرد من قبل تلك القوى.... وقلت انه اذا كانت إمارة كردية من مثل بابان وسوران تزول بضربة قاجارية او عثمانية- فإنّ الحكم بزوالها قد صدر منذ ايام كورش قاهر ماد... ولك ان تراجع صفحات الجزء الأول من الكتاب المذكور. والكلام هنا لايخلق المآسي التي حدثت ولكنه يستعرضها على حقيقتها ثم انه لايبث اليأس في القلوب وانما يفتح العيون على واقع قائم يتطلب من الشعب الكُردي، ومفكريه على الخصوص، معالجة آثاره والتغلب على احكامه بالتدبير المجدي.

نرجع الى الخطي في محنته فنقول ان ماقرأه القارئ من الإقامة الجبرية المفروضة على العلامة ابن آدم في قرية (ولزه) منذ ما قبل سنة ١٢٣٤هـ يعدل ماذهب اليه الاستاذ عبدالفتاح في موضع من مقالته من إحتمال ان يكون ترك إبن آدم لرواندز راجعاً الى امتعاضه من سلوك الخطي. فقد كان ابن آدم مستقراً خارج رواندز منذ اكثر من عشرين سنة يوم انبعثت فتنة الفتوى. واسمح لنفسي ان اقول ان مثل هذا التعليل الظني اوفق بمسعى التبرئة، فالأصل براءة الذمة ويكون إنشغالها طارئاً يقتضي الاثبات وذلك من اسس الفقه والقضاء وعموم الفكر. ويقول المرحوم (حزني) في الصفحة (٧٤) من كتابه ان الخطي فقد نفوذه في ظل الحكم الجماعي: «فاضطُر الى الهجرة عائداً الى قريته خەتێ في منطقة هەروتێ»

وبشيء من تشغيل المخ ينبعث سؤال خطير: فالذي عرفناه من رواية السيد حزني هو شدة الجفاء بين الخطي وبين المير احمد فما الذي سوّغ للخطي ان يبقى في رواندز طوال المدة من حكم المير احمد واين كان هذا النفوذ الذي فقده تالياً؟ إن تغليط السيد حزني على الخطي في وضوح خيانته

مضافاً اليه ماصوّره من شدة العداء بينه وبين المير احمد يجعلنا ننتظر من المير احمد ان يفتك بالخطي وليس مجرد إسقاط نفوذه بعد وصول الأخبار باغتيال الأمير الكبير. ان كلام الموكرياني من زوال نفوذ الخطي في الحكم الجماعي يدل بذاته على ان الخطي كان له نفوذ في عهد كل من المير احمد وسليمان بگ بعده. وبفرض ان يكون الموكرياني قد اخطأ التعبير بما يوهم ان يكون نفوذ الخطي دام على ايام مير احمد وسليمان بگ، فان بقاء الخطي قرابة ست سنين بعد اغتيال الأمير الكبير في رواندز يدل على ان انتقاله الى قريته كان برغبته وليس بمضايقة من أحد. فقد ظلت مدرسته عامرة بالطلاب ومكانته محفوظة بين الناس كافة حتى وفاته. ويزيد من وضوح هذا الامر ان مثواه الاخير كان رواندز وليس قريته فليس من المعقول ان ينقل جثمانه الى بلد يكرهه اهله. ويستبعد ان يكون قد نقل تدريسه من قريته الى رواندز في اواخر حياته، فانه من الثابت عندنا ان جدي الحاج ملا عبدالله وزميله حاجي قادر سافرا في رحلتهما الدراسية الى (بالك) نهاية سنة ١٢٧٠هـ واستقرا في مدرسة الخطي بقريته خلال تلك الرحلة. فاذا اخذنا بقول الاستاذ عبدالفتاح في ترجيحه لميلاد الخطي سنة ١٧٧٢–١٧٧٥م وهي تقابل ١١٨٦–١١٨٩هـ، فإن عمره يكون قد جاوز الثمانين عاماً عند تلمذة الحاج قادر وجدي عليه. فيكون من الصعب على شيخ في أرذل العمر ان يبدل داراً بدار على غير ضرورة ملحة. وأما من حيث الدلالة فقد يكون انتقاله الى رواندز للتدريس ادلَّ على توقيره من نقل جثمانه بعد موته.

لقد استوقفتني صور كثيرة لتشدد الاستاذ عبدالفتاح في الحرص على سد كل ثغرة يمكن سدها في تبرئة الخطي وبدا لي من حرارة لهجته كما لو كان يؤمن ايماناً عميقاً بان تخوين الخطي بالبراهين والادلة فيه مغنم قومي او انساني فقد لاحظت من وضوح اسلوبه في الاصرار على تكملة هذا الواجب تساهله في قبول أي قول او رأي يذهب الى الادانة ورفض كل قول او رأي يذهب الى التبرئة او حتى الى الحياد. وجاوز به حرصه على التخوين مدى التساهل المجرد الى الانسياق مع الظن والقول بالاحتمال اشرنا الى بعضه فيما مر من كلام. ومن امثلة تساهله ترديده لمقولة المرحوم عباس العزاوي المؤشر اليها بالهامش (١٨) في الصفحة (١٥١) من القسم الثاني لمقاله اذ قال:

«إن الملا الخطي كان ربيب داود پاشا وعندي رسالة قدمها الى داود پاشا في العلم الالهي...»

والمتبادر الى الذهن من كلمة (ربيب) نشأة الشخص في كنف شخص آخر. وبملاحظة بسيطة من مقال الاستاذ عبدالفتاح نفسه في صفحته ١٥٠–القسم الثاني يبدو ان اول لقاء بين الخطي وداود پاشا تم وعمر الخطي لايقل عن خمسين سنة، وذلك مايبدو من كونه مولوداً سنة ١٧٧٢–١٧٧٥ وكون ولاية داود پاشا محصورة بين ١٨١٧–١٨٣١. فلا وجه من وجوه الانصاف والمنطق في وصف هذا الكهل الذي تضلّع في العلوم بأنه (ربيب). والواقع ان العزاوي توسع في نشر اتهام العلماء الدين حتى لم يفلت احدهم ممن صاحب داود پاشا من مثل العلامة عبدالرحمن الرۆژبەیانی والعلامة ابي

الثناء الآلوسي ومولانا خالد والعلامة يحيي المزوري. ويتابعه الاستاذ عبدالفتاح فيما يسمى سياق التصديق عند الاستشهاد بروايته وبالصراحة في احيان كثيرة عند تقويمه لدور رجال الدين في مصير الإمارات الكُردية. والقول في كل ذلك يطول الى غير نهاية فلا محيص من الإكتفاء بتحليل مثلين او ثلاثة مما ورد في جملة الاتهامات الموجهة الى اولئك الرجال. ففيما يخص مولانا خالد يكفي الاستشهاد بنص رسالته الموجهة الى داود پاشا جواباً على تكليفه اياه بمسعى الخير بينه وبين أمراء بابان وبعضها منشور في الصفحة (١٥١) من القسم الثاني لمقال الاستاذ ومنها هذه الجمل الاخيرة المقتبسة من الرسالة المذكورة: «... مع ان اقتحام هذا المسكين الفقير وخوضه في مثل هذا الامر

الخطير كان بالنسبة الى بعض العقول سبباً للسقوط عن العيون والإنحطاط والنزول، على ان الاعتماد على عهود اهل الدنيا حق الاعتماد عزيز علينا اذ هو اصعب من خرط القتاد ولا نأمن من نقضهم الميثاق واخلافهم الميعاد..."

فلا يأتي الأستاذ عبدالفتاح فيتخذ من لهجة مولانا القاطعة في تخوين اهل الدنيا مدخلاً الى التألب على الخطي فيقول في جمل يمهد بها لرسالة مولانا خالد مايلي: «وأعتقد أن سبب إختيار داود پاشا

له– أي للخطي– اضافة الى الاسباب السابقة. هو احجام بقية العلماء الكُرد عن القيام بمهمام ذات صفة سياسية...»

يقول هذا وكان قبل هذا في اوائل الصفحة (١٥١) نفسها قد قال: «ومن اشهر علماء الكُرد الذين

عاصروه وكانوا من المقربين اليه بالاضافة الى الخطي: مولانا خالد النقشبندي والشيخ عبدالرحمن بن حسين بگ الرۆژبەيانی والملا يحيي بن خالد المزوري..."

ثم يقول مباشرة بعد ذلك: «"وقد افاد داود پاشا– وكان يسعى الى مركزة العراق تحت سلطته– من

وساطة مولانا خالد في تحسين علاقاته مع أمراء بابان في عهد الأمير محمود پاشا.»

فمولانا خالد يبدو في كتابة الاستاذ عبدالفتاح محجما عن القيام بمهام ذات صفة سياسية مادام ذلك يمهد لتخوين الخطي في مصاحبته او عمالته لداود پاشا. ومولانا خالد نفسه متعاون مع داود پاشا في مهمة سياسية خالصة فهو من جهة برهان على خيانة الخطي ومن الجهة الاخرى مشبوه مثل الخطي في ترويجه مصالح داود پاشا. أما المزوري فانه بعد تكرار ادانته في كتابات الاستاذ عبدالفتاح في غير مقال واحد يبدو في هذا الموضوع من القسم الثاني من مقاله المذكور واحداً ضمن جماعة من علماء الكُرد موظفين للسعي فيما لاينبغي. فقد قال فيه بعد مرور ذكر مولانا خالد: "أما

المزوري فقد ارسله داود پاشا الى العماديه عاصمة إمارة بادينان في حدود عام ١٨٢٤ ليضمن ولاءها بعد اضطراب اوضاعها بسبب النزاع على الحكم بين ميران بگ وموسى بگ وسعيد بگ وإسماعيل بگ اولاد اخوة زبير پاشا، الذي توفي دون ان يعقب ذريه. وربما كان من مهامه أيضاً اقناع أمراء بادينان في معاداة حكام الموصل الجليليين والضغط عليهم لأن ضعف الجليليين كان يؤدي الى إستمرار نفوذ داود پاشا على الموصل..."

إنا وان كنا لانستبعد وجود نية مصلحة خاصة لدى داود باشا في توسيط الملا يحيي المزوري، ولكن لانملك ولايملك احد اعتبار الوساطة طوق عمالة في عنق المزوري بل انها في ارجح دلالاتها مسعى رجل دين لإطفاء حريق شب بين اولاد العم في عقر داره هو وكان خليقاً ان يتطوع بذات نفسه في تجشم عناء السفر وبذل النصح واستعمال وسائل الاقناع. فيكون اهتمام داود باشا بالمسألة في ضوء هذا التصور تسهيلاً لمهمة لاتخلو من صعوبات جمه. وليس الظن بوجود نية خاصة عند داود باشا في استغلال شخصية المزوري لإحلال الصلح بين المقتتلين في العماديه أولا وفي إستغلالها لتآليب اولئك المتصالحين على الجليليين ثانياً إلا ابتعاداً واسعاً عن مظنة الترجيح فالمألوف. فمن معتاد الحياة ان يهب الناس الى إحلال الصلح بين المختلفين وفي مثل موقف المزوري وشخصيته المرموقة لاينبعث شك مهما كان يسيراً فيما بذله من مسعى الصلح. ولنا بعد هذا وجه آخر نستطلع منه رأيا نقتنع به في المسألة. والوجه هو انه اذا كانت محاولة المصالحة محملة بكل هذه التهم فهل يجوز من باب مفهوم المخالفة ان نعتبر محاولة التفرقة من عمل الصلحاء؟ ام ان سبق الحكم على داود باشا والمزوري بنية الخيانة والاجرام يصرف الذهن مطلقاً عن ظن الخير بهما! على أن لنا في احدى حيثيات تخوين الخطي الواردة في مقال الأستاذ عبدالفتاح مبعث غرابة لا اقضي منها العجب فهو يقول في اوائل النصف الثاني من الصفحة (١٥١) من القسم الثاني لمقاله ان داود باشا ارسل الخطي محملاً بالهدايا ليهنيء الأمير الكبير بإنتصاره على البابانيين ويقدر لذلك سنة ١٨٢٦-,١٨٢٧ وكان قد ذكر في الصفحة (١٣٦) من العدد (٥٢) من كاروان ان السلطان محمود الثاني هيأ علي رضا اللاز سنة ١٨٣١م وزوده بكل التفاصيل المذكورة في اغلب مساحة تلك الصفحة للقضاء على داود باشا في بغداد وقد قضى عليه في السنة نفسها.

فاذا كان الخطي ربيب داود باشا- الذي يقول الاستاذ عبدالفتاح في مقاله انه كان يمهد لنفسه ظرفاً يستطيع فيه الاستقلال عن الاستانة ومن جملة تدابيره في سبيل ذلك تقوية روابطه بحكام الناطق- فإن الخطي يكون ساعياً في امر يؤدي الى توهين سلطان الخليفة بتمتين الصلات بين داود وبين أمير رواندز. فكيف حدث ان هذا الخطي الربيب المشترى الساعي بمزاج رائق في حلبات العمالة قد اصبح فارس حلبات الولاء للدين الحنيف الممثَّل بالسلطان محمود بعدما يكون السلطان قد قضى على ولي نعمة الخطي الأول ومالك ذمته (داود باشا) ويريد القضاء على ولي نعمته الثاني أمير رواندز. فما هو هذا الخطي حتى يخون الأمير مرة لحساب داود باشا ويخون الأمير وذكرى سيده الأول لحساب السلطان ونحن نعلم ان ولاءه بحسب ماهو معروض في كتابات باغضيه كالغربال لا يحوي ماءً زلالاً وانما اصدافاً وخرزاً من حطام الدنيا. فهل يمكن تصور انسان على وجه الارض خربت ذمته الى هذه الدرجة يستطيع تحدي الزمان والمكان والانسان وكل القيم والشيم ليجاهر الأمير وجيشه وعامة الناس في رواندز وكردستان بفتواه المأجورة- وهو صاحب هذا الماضي الملوث

والمفضوح ثم يسلم من اذى ويدوم إحترامه وتدوم حرمته وتعمر مدارسه في رواندز نفسها وبعدها في قريته حتى وفاته في عمر جاوز الثمانين سنة وقارب التسعين؟

إذا كان العزاوي وغير العزاوي قد عرفوا بعد عصر الخطي خيانته وبيعه لذمته من اول يوم اتصل فيه بداود پاشا، فكيف خفي ذلك على الأمير وغير الأمير؟ لو كانت هناك خيانة وعمالة فهي بكل بساطة كانت اظهر في وقتها منها بعد عشرات السنين لأنها لم تكن خيانة اللحظة الواحدة والموقف العابر وانما خيانة على مدى عشر سنين في اقل تقدير!

وفي كل هذا الكلام الذي نناقش به اراد جماعة التخوين أن نتساهل في امر بالغ الخطورة وهو ان داود پاشا في مسعاه للوقوف بوجه الاستانة وتحقيق الاستقلال منها لايبعث بالخطي وغير الخطي خائناً متستراً الى الأمير الكبير كي ينخر في اساس إمارته، لأن من ذلك تقوية لسلطان الاستانة واضعافاً لبغداد بما هو واضح في هدم رواندز وهي ركن قوي معادٍ للأستانة ومتـآزر مع بغداد- فالقول بكون الخطي (ربيب داود پاشا) كان حرياً ان يدفع بالمؤرخين الى إتخاذه ذريعة لوقوف الخطي الى جانب الأمير ضد الأستانة تمشياً مع منطق عمالته لداود پاشا لا أن يعتبروه في فتواه الخيانية امتداداً لخيانته المبيتة وهو يحمل هدايا داود پاشا الى الأمير. وبغير هذا يكون المؤرخون قد طلبوا منا تصديق شيء اسطوري مضحك يصور الخطي بعد عمر النضج والتضلع في العلوم وإستشهاره بسعة المعرفة قد انقلب الى نبات يشتله داود پاشا في الخيانة للأستانة وللأمير معاً حتى اذا انتهى داود پاشا اشتد الخطي في خيانته للامير باخلاصه المفاجيء للأستانة وللسلطان محمود وولاته الجزارين في بسالة وإصرار وتحدٍ مابلغه غير قلة نادرة من ابطال التاريخ. كل ذلك اوهام صارت كلاماً على الورق ينقض بعضه بعضاً لتعارضه مع المنطق النظري ومع منطق الأحداث.

فالخطي لم يكن ربيب داود پاشا، وحاشاه ان يكون، فقد إلتقى بداود بعد تمكنه وترسخه وتجاوزه فجاجة الشباب ورخاوة العزم في بدايات النضج بفرض انه كان واحداً من اوساط الناس الذين لاحصانة لهم أمام الإغراء وانه لم يكن سليل بيت عريق للعلم، والمشهور من شأنه انه كان ذا مكانة كبيرة عند الأمير قبل ذهابه الى بغداد بل قد ترامى انه اصبح صدر الفتوى بعد إبعاد العلامة ابن آدم بامر الأمير الى (ولزه) حوالي سنة ١٢٣١هـ وهو على أي حال ارفع مقداراً من ان تناله الاقلام بلا تريث وان ثقل علمه لاينهض به إلاّ ميزان يزن فطاحل علماء الإسلام....

ولزيادة تنوير انقل كلاماً لوالد جدي الحاج ملا اسعد الجلي كتبه بخطه في بعض الحواشي ونشر في اكثر من مناسبة يقول فيه انه بعد وفاة والده الواثق بالله الحاج ملا عبدالله الجلي بن الملا عبدالرحمن الجلي سنة ١٢٤٦ الموافق لسنة ١٨٣٠م الميلادي نصبه أمير رواندز محمد پاشا في مقام والده واكرمه غاية الإكرام، ولما كان ميلاد الحاج ملا أسعد هو سنة ١٢٢٦هـ فيكون هذا التنصيب والإكرام جرى له وهو ابن العشرين عاماً وفي طور التحصيل. فإذا اخذنا بما سبق نقله من كلام

الاستاذ عبدالفتاح فان الخطي يكون في عام ١٨٢٦م الموافق ١٢٤٢هـ وهو راجع بالهدايا من بغداد الى الأمير في رواندز بحدود اربع وخمسين سنة من عمره وهو ضعفا عمر الحاج ملا اسعد يوم تكريمه وزيادة. وبملاحظة قرب موطنه من الأمير وتحدره من اسرة علم في مستوى اسرة جلي زادة، ان لم تكن اعلى منها مقاماً يكون مقامه عند الأمير اجلّ من مقام شاب مفجوع في والده يكرمه الأمير بمجاملة. وفي ضوء الزعم الخيالي يكون الخطي فيما بعد الخمسين من عمره ربيباً لداود پاشا، يكون اقرب الى المنطق ان ذهاب الخطي الى بغداد كان بعلم من الأمير في شبه سفارة الى رجل وهو والٍ وعالم في الوقت نفسه ومكرم للعلماء... ولا يستبعد من فطنة الأمير ان يستغل حب داود پاشا للإستقلال عن الاستانة فيما يفيد إستقلال رواندز عنها أو قلة اكتراثها بها في اقل تقدير. ولا ينقض هذا الاحتمال انه لم يثمر فقد تساوى هذا مع عدم جدوى الهدايا المرسلة الى الأمير صحبة الخطي موفداً من داود پاشا. على ان هذه الهدايا تكون اقرب الى التوقع في ضوء الإحتمال المتقدم ويكون مجمل الامر اشكل بمقام الخطي الذي يعلو كثيراً على ماإستساغه الميالون الى ادانته، ويكون أيضاً أضمن للقناعة أن يقول القائل معكوس مايردده بعض المؤرخين بأن يجعل داود پاشا منقاداً الى الخطي في حدود ماهو منتظر من العلاقة بين خطي جاوز الخمسين وترسخ في كل العلوم وألّف في كثيرها وله جذره العميق في كُردستان كلها حيث عشه ومجده وحياته، وبين پاشا معتن بالعلوم الإسلامية الى حد التتلمذ لأساطينها في عصره ومحتاج الى رضاهم عنه فيما يروم من كف يد الأستانة عن ولايته، وطريقه الى ذلك اسهل بملائمة سلوكه لما يدعو الى الرضا عنه لابشراء الذمة من خلاصة العلم والفضل والتبحر في زمانه. فذلك امر لايتم حتى في الخيال لارتباطه بإستحالة إجماع اهل الدين والعلم على بيع الذمة وعرض الذات في سوق الرقيق.

هناك فرق هائل بين استعانة اهل الدنيا باهل الدين في امور تقع، وبين اتخاذهم مطايا وعبيداً شروهم في سوق العمالة. ولو كانت ذمم اولئك الرجال فضفاضة على المقاس المفصل لها باقلام طائفة من الباحثين الميالين الى تحييد (الغيب) في ماجريات التطور والتقدم الانسانيين، لكان من المستحيل تفرغ الذمم الخربه الى تأليف تلال واجبل من الكتب في كل العلوم والفنون وكان اغلبهم الاغلب لايملك ثمن الورق الذي يكتب فيه، حتى اني قرأت من خط العلامة ابن ادم انه حلّ عويصه ابن كمال في اعراب اية (لاتخشون) وكتبها على ضوء هلال ليلة الثامن من احد الشهور القمرية فدمعت عيني لعين علامة الجأتها الضرورة الى الاستغناء عن ضوء القنديل بضوء الهلال توفيراً لقطرات من الزيت. ولئن كانت نزاهة ابن آدم لاتنتشر كالهواء حتى تتسرب الى ضمير عامة اهل الدين، كذلك لا يسهل تسرب الخيانة اليهم على النحو المصور في كتابات تميل الى النيل منهم وتتحدى السبل الى اتهامهم. فالعلماء الروحانيون في معتاد القياس لايمكن ان ينزلوا عن درجة عامة الناس في مراتب الاستقامة بل انهم بشيء من الدقة تظهر حصانتهم من الإلتواء بقياسهم الى اهل السوق والحقل، ذلك ان

اشتغالهم خلال ربع قرن من الزمان بمعارف تنبع من القران وتنتهي الى عقبى الخير او الشر بعد الممات تخلق فيهم بالضرورة تهيباً من الفسوق والمروق بصورة عامة، فانهم اكثر تمسكا بمعتقدات وراءها شبح الجنة والنار نمت معهم منذ الطفولة من كادرلحزبي ملتزم بآراء دنيوية في بضع سنين من التثقيف. فاذا تمثلنا بقالاً يخاف من شارات شرطي بخيط واحد ويكاد ينعدم امله في الوصول الى غرفة المتصرف (على ايام العثمانيين) إلاّ في اندر المناسبات فهو في القياس اطوع تنفيذ الاوامر الفوقية من محمد خطي يوقره أمير رواندز ويستقبله والي بغداد وتكون بعض رغباته اقرب الى الأمر منها الى الإلتماس وتلك حالة مشهودة ومألوفة رأينا مثلها على ايامنا مع ملاحظة ان الاعتناء بالدين كان في ماضي الزمان اقوى واظهر، حتى ان حاجا للبيت بمكة كان يركب المهالك في الذهاب والاياب خلال مايقرب من سنة كاملة من الشقاء والويل والغربة والمصرف الذي لا أمل فيه من عوض دنيوي فهو بالبداهة يكون في المعتاد اتقى من غيره واحفظ لدينه ولا نقول انه كان ينقلب ملاكاً، ولو بقى بلا حج تساوى مع غيره في الالتزام بالخلق ووفر على نفسه مشقة كبير (وفي بعض الاحيان مهلكة) وتفريطا في المال بلا مقابل من متاع الدنيا.

للاستاذ عبدالفتاح كلام خطير في اواخر الصفحة (١٤٤) واوائل الصفحة (١٤٥) من العدد ٥٢ من كاروان توسع فيه من زاوية النظر الى مكان الشر بعد زوال الإمارات الكُردية على يد القاجاريين والعثمانيين فيقول: «ظهرت قوة الأغوات العشائريين والرؤساء المحليين ورجال الدين المتنفذين بعد

زوال حكم الأمراء الكُرد بدعم من السلطات الإيرانية والعثمانية كصلة بالموظفين الاجانب» ويضيف: ادى قانون الطابو الذي اصدرته الدولة العثمانية سنة ١٨٥٩م الى تسجيل الاراضي الواقعة تحت سيطرتهم او اراضي عشائرهم باسمائهم فبقي الفلاح لايملك ارضه...»

اقول ابتداء ان الحاج قادر الكويى يقول في واحدة من قطعه الشعرية المستهلة بالبيت التالي:

حاكم وميرەكانی کوردستان هەر لە بۆتانەوە هەتا بابان

(حكام كردستان وامراؤها بدءً ببوتان وحتى بابان)

إن السادة (اولاد على والزهراء) وشيوخ الطريقة كانوا يذكرون الرحمان في الزوايا خوفاً من اولئك الأمراء بسبب انهم كانوا حفاظاً للشريعة- ولا يذكر (الملالي) أو رؤساء العشائر في هذا الصدد. ونحن لانقول ان حاجى قادر حجة في هذا الباب سواء من حيث اتهام الطائفتين المذكورتين او إفلات الآخرين من الاتهام ولكنه على أي حال ذو بصر بالامور وسباق الى تنبيه الناس وكفاه ان يكون دون بقية الادباء والشعراء استعمل ذهنه في تعليل مارآه في عصره من انفلات بعض الناس من تلك الطائفتين من قيود الشريعة. ولم يشر في ديوانه، او مابلغنا من شعره، الى ديوان الطابو كوسيلة لتثبيت الغصب، ولكنه نظم قصيدة مطولة في خطر منح الارمن حكم ذاتياً على بلاد الكُرد واشار بل صرح مؤكداً على دور المدارس الرسمية في توصيل افراد من قعر المجتمع الى مستويات

الحكم والسيطرة. فهو ديدبان حديد البصر في مظان الخير والشر. على ان الاستاذ عبدالفتاح نفسه في استرساله بعد العبارات المقتبسة آنفاً من مقاله خص كلامه في هذا الباب بالآغا والشيخ والبگ فانسجم في جزء منه مع كلام الحاج قادر.

اننا في غنى عن التأكيد على ان زوال الإمارات الكُردية كانت طامة كبرى في حد ذاتها سواء كان ذلك سبباً في انحراف ذوي النفوذ الكُرد أم لم يكن ولا ننقص من ضخامة فجيعة الكُرد فيهم حتى بفرض انهم كانوا ظالميين، لأن زوالهم احل ظالماً اجنبياً اشد ظلماً في محلهم. ولا أُدخِل في هذا الحساب تناحرهم المهلك وماجرّه على المساكين من ويلات الموت والتشرد وكان ختامه زوال حكمهم، فذلك موضوع خاص يطول فيه الكلام: فالذي اريد قوله هو ان الكلام في آثار زوال الإمارات الكردية وتأسيس دوائر الطابو ليس ذا وجه واحد ينتهي منه الباحث بحكم قاطع في بضعة سطور. وابدأ بالطابو في إختصار شديد فاقول انه في حد ذاته إجراء ضروري لتثبيت الملكية يقتضيه تنامى التعقيد في المعيشة بما يخرج بحق التملك ان يكون عرضة للنفي والاثبات بشهادة الشهود. لقد كانت البساطة وحرمة الأعراف وأحكام الدين في الماضي تكفل سلامة الاحكام من قبل قضاة الشرع او المحكمين في نزاعات الارض والعقار عموماً ويكون الحكم الصادر المكتسب لحجية الشيء المحكوم فيه رافعاً للجدل مستقبلاً من أي ارض صدر بها الحكم وتكتب به (قبالة). فلما حصل رقي في هذه الدنيا خلال القرن الماضي اضطرت السلطنة العثمانية الى اقتباس نظام الطابو. وكان تطبيقه بالتدريج فقد بقيت مناطق واسعة من الارض الوعرة بلا سند طابو حتى نهاية حكمها وان اقضية كثيرة متطرفة الموقع بقيت أيضاً بلا دائرة طابو بل بلا محكمة اصلاً. فاذا جاز حمل تأسيس دوائر الطابو على نية رشوة الرؤساء والمتنفذين بتمليكهم ارض الفلاحين او الخصوم فانه يصبح كل إجراء حضاري مقتبس من أوروبا مشبوها بالنية الشريرة كأن يكون المقصود من دوائر البرق والبريد سرعة ايصال الاوامر من اعلى الى ادنى للهدم والتشريد والتقتيل وتكون الطرق المعبدة سبلاً ممهدة لغزو الجيوش ويكون فتح المدارس مقصوداً به توفير اعداد من ابناء الناس لإستغلالهم براتب الوظيفة في خيانة اهلهم، بل نصعد الى اعلى درجة من اتهام السلطة بما فسر به (لينين) نشوء الحكومات من اجل استغلال الطبقة المستغِلة (بكسر الغين) للطبقة المستغَلة (بفتح الغين) وانه ليس هناك سبب آخر دعا الى ابتداع انظمة الحكم وكل ذلك مشروح بتفصيل في كتابه (الدولة والثورة). وبذلك نستطيع اتهام ابتداع الكتابة بانها حيلة شيطانية لتكبيل المقهورين بقيود مكتوبة تدمغهم بالدين وتثبت عليهم الرق. ويكون من حق السلفيين أيضاً اتهام غزو الفضاء بكونه اكذوبة يختلقها الملحدون للتغرير بالبسطاء على طريق الكفر والالحاد. والواقع هو انه لا يوجد شيء من مبتدعات البشر الرائعة بمنجاة من استغلال الاشرار له في غير وجهته الصالحة. والطابو نفسه كان في اغلب الحالات تثبيتاً لواقع كان قائماً ولم يندر ان استطاع مأمور الطابو في اسفل درجات الوظائف الحكومية التلاعب بملكية الارض والعقار

او بحدودها الحقيقية في غياب كلي لنية الحكومة.

وسند الطابو كثيراً ماأنقذ ارض المسكين من بطشة المقتدر لتعسر التلاعب به في احوال الخصومة والتداعي. ثم انه كان بحفظة لحقوق الورثة سبباً في حالات كثيرة الى تفتيت ملكيات كبيرة. على ان موضوع الطابو يختلط تلقائياً بموضوع فساد ذمم الرؤساء والمتنفذين بعد اندثار الإمارات الكُردية في اطار واقع الحال او واقع التاريخ وليس الإجتهادات الفردية: واختلاطه الأول بذلك هو اختلاط منفي او سلبي وهو ات مما قلناه من ان مناطق كثيرة بقيت بلا طابو، فيكون دوره في هاتيك الديار معطلاً في الشر وفي الخير. ونظام الطابو طُبق اول ماطُبق في المراكز الكبيرة وفي الارض السهل حيث قدرة الحكومة على تنفيذ الانظمة والقوانين متوفرة ولا تقوم بوجهها الجبال والاودية الوعرة. وغنى عن البيان ان الرئيس الذي سجل الارض بأسمه كان يستثمرها قبل الطابو، فهو ان كان قد استفاد من تثبيت واقع تصرفه بالارض أماناً من احتمالات تغير حاله في المستقبل، فانه من المؤكد الذي نعرفه معرفة العلم والمشاهدة ان أناسا كثيرين من الضعفاء استفادوا مثله بتثبيت حقوقهم في سندات طابو. ونعلم أيضاً علم اليقين ان مساحات واسعة جداً تشمل عشرات القرى في المنطقة الواحدة بقيت ملكاً لاصحابها من الفلاحين بلا سندات طابو. ان واقع الامور يختلف كثيراً عن الاحكام المطلقة المنتزعة مما قد يبدو انه طبائع الامور. فالوصول الى المعادلة التالية: رجل قوي+ طابو+ ارض= إفلاس الفلاح باطل كبطلان القول بأن: فلاح فقير+ طابو مضمون = سلامة ارضه. فلا يصح النظر الى الدنيا على انها أما بيضاء او سوداء فبينها عشرات ومئات الالوان.

والمتنفذين الدنيويون بدورهم صالحون واشرار واوساط، فلا تصح معادلة مطلقة تقول: متنفذ+ إمارة كردية+ عثمانيين وقاجاريين= خيانة. فهؤلاء القوم كبقية الناس يدخلون في التعامل مع الحياة تحت ظروف وشروط ومواصفات ماخلقوها هم وينطبعون بصفات في الصلاح والفساد تتباين من هذا الى ذاك وتؤطرهم اجتماعيات واعراف منها ماتكون مخالفة قاضية على شرف المخالف – وابرز تلك الأطر فيما يخص رؤساء العشائر هي بقاء الاواصر القبلية التي تقارب صلة القربى من درجة الأخ في حالة العشائر الرحل حتى اني وجدت إنكلز في بعض كتاباته يبالغ في نقاء تلك الاواصر. وتأتي بعدها الصلة بين الرئيس وافراد القبيلة التي تركت حالة الارتحال ولن تتهرأ اواصرها كما تهرأت في عشيرة (دزەیی). أما الرحل فلا يملكون ارضاً– في الغالب– حتى يثور السؤال حول مصيرها. (توجد رحل بين بين لا مجال للخوض في شأنها). وغالب العشائر المحتفظة بروابطها القديمة تكون من سكنة الأرض الجبلية حيث لاتوجد حكومة بمعنى حكومة وتضطر العشيرة منها الى حفظ كيانها من تجاوزات العشائر المجاورة بزيادة او محافظة الروابط الموجودة بين بيت الرئاسة وعامة اهل العشيرة، فهي في غياب دائرة الطابو وبصرف النظر عن احكام النظريات والاجتهادات قلما ترتكب جرائم داخلية من مثل القتل والغصب لتوقف سلامتها على التضامن بوجه المتجاوز

الاجنبي. فالتوهم بأن زوال الباباني والسوراني يؤدي ضرورةً وحتماً الى خيانة رئيس الآكو والبلباس لعشيرته خيال لم يتحقق حتى كتابة هذه السطور في ١٩٨٨/١١/١٢.

والعشائر ماكان منها مرتحلة أو نصف متوطنة او متهرئة الوشائج القبلية هي كسائر خلق الله من إلتماس الرزق وطلب السلامة قد تُصانع الحكومة وتتزلف الى المتصرف فالقائمقام فمدير الناحية فمأمور المركز فآمر المخفر، ولكن ذلك لايمنع حقيقة اخرى اكبر وهي ان عدم ارتياح السلطة من المتنفذ الكبير اوضح مئة مرة من عدم اكتراثها بعامة المساكين. فاذا كان من طبائع المصالح ان يلجأ طالب الربح الى إلتزام (الأغنام) او (رسوم الفواكه) بالتقرب الى ممثل الحكومة عن سبيل الرشوة او المصانعة فإن كثيرين من رؤساء القوم الكُرد كانوا ضحايا السلطة بذرائع وحجج شتى اقواها خوف السلطة من نفوذهم الذي كثيراً ماآل الى تمرده او اجتنابهم مراكز الحكم في شبه إستقلال عنها. فالرئيس القوي قريب الشبه بأمير من الأمراء وما كان الأمير نفسه إلاّ واحداً من هؤلاء تأتى له أن يتوسع سلطانه على مناطق خارج منطقة عشيرته او طائفته وهي ظاهرة مشهودة في الكُرد وغير الكرد، وورد ذكر بعضها في ثنايا مقال الأستاذ عبدالفتاح من الحملات التي شنتها القوات العثمانية على العشائر العربية القوية في شتى مواطنها.

والمستطلع لتأريخ اتصال القاجاريين والعثمانيين بالشعب الكُردي يجد نماذج كثيرة مصداقاً لما قلته من مثل مذبحة الغفوريين بكويسنجق سنة ١٢٨٤هـ على يد تقى الدين پاشا والي بغداد وهو قافل من حملته التأديبية التنكيلية برؤساء پشدر، وما كان من تمرد حمزة آغا منگور بالاتفاق مع الشيخ عبيدالله النهري على حكومة القاجاريين في التسعينات من القرن الثالث عشر الهجري (وماكان بعد ذلك من إغتيال حمزة آغا نفسه بعد تطمينه من حكومة الشاهات بالأيمان والمواثيق) ويذكر الناس حتى يومنا هذا في مجالسهم قصة هروب محمود پاشا الجاف من الاستانة عبر مناطق من روسيا القيصرية واذربيجان ايران فكُردستان ايران حتى وصوله بعد مهالك جمة الى عشيرته (جاف) وذلك خوفاً من الاعدام الذي كان منوياً تنفيذه لولا تحذير بعض فاعلي الخير له بما هو مُبيّت له.

والجاف نفسه كان عرضةً لحملات التأديب على جانبي الحدود الفاصلة بين القاجاريين والعثمانيين. والامثلة كثيرة في صلة العداء بين هاتين الحكومتين والعشائر الكُردية وكلها تنقض الزعم بان محتلي كردستان كانوا معتمدين على الرؤساء والمتنفذين في تمشية سياستهم الشريرة بعد زوال الإمارات الكردية. اقول هذا لا لكي ارفع مقام اولئك الرؤساء الى مرتبة الملائكة ولكن من باب تقدير الواقع الذي هو السبب في مناوءة الأجنبي المحتل لذوي الجاه والقوة من ابناء البلد. ويقتضيني المقام ان اقول ان الأمراء الكُرد انفسهم كانوا يمنحون مَن يشاؤون من ذوي الحيثيات ارضاً واعتباراً وتلك عملية لاتختلف من حيث أثرها على ملكية الفلاح للأرض عن تمليك يجري على يد العثماني والصفوي والقاجاري. ولكن يمكن القول بان غالب ذلك يجري في ارض ليس لها مالك واضح بدخولها في الملكية

العامة. وفي أسرة (جلي زادة) مثالان على ذلك احدهما كان علي عهد عبدالرحمن پاشا حين نقل سكن جدي الخامس عبدالرحمن الجلي من قريته (جلي) الى كويسنجق واقام له مدرسة ربط بها مداخيل بضع مقاطعات للصرف على مايحتاجه الاستاذ في تدريسه ومعاشه وتوارثها الأبناء بعده حتى ماقبل بضع عشرة سنة حين شملها قانون خاص من قوانين الإصلاح الزراعي فشطب ملكية اصحابها لها. والمثال الثاني كان على عهد ولده الواثق بالله عبدالله الجلي بتمليكه قرية (بيبازوك) من قبل وكيل الحكم البابانى. ولما كانت وفاة الواثق بالله في سنة ١٢٤٦هـ يكون التمليك قد جرى قبل أيام الطابو والقبالة هذه محفوظة حتى هذا اليوم سلمت من عوادي الزمن التي تعرضت لها كتابات تراثية لاتقدر بثمن من موروثات الأسرة ضاعت سنة ١٩٦٣م.

فيما تقدم كفاية! ولست أروم العودة الى هذا الموضوع الذي اعلم انه بسبب امور كثيرة يحذر منها عامة الكتاب لايجرأ حتى احفاد الخطي ان يدافعوا عنه وعن انفسهم. ولابد من كلمة في مأساة نبش قبره بعد ثورة تموز ١٩٥٨ فقد كان عملاً شائناً ومدحوضاً بمنطق بقاء القبر موقراً على مدة الزمان من عامة الناس حتى كتابات السيد حزني في العشرينات، وصارت كتاباً في الثلاثينات فوافقت هوى في نفوس الناشئة وجاء اختلاط المفاهيم والغليان السياسي الأهوج في المنطقة بعد اشهر من الثورة مدخلاً لأمور بعثت على الحيرة والاستنكار ولا مجال بل لاداعي لبعثها من جديد.

واحب في الختام ان اشير الى وجود اختلاف بين بعض ماكتبه الموكرياني وما كتبه الاستاذ عبدالفتاح حول نهاية حكم بابان وحكم رسول پاشا في راوندز. فالاستاذ عبدالفتاح يعزو الى نجيب پاشا تقويض إمارة رسول پاشا في سنة ١٨٤٧م ١٢٦٤هـ وإمارة بابان في ١٨٥٠م–١٢٦٧هـ، على حين يذكر المرحوم حزني ان نامق پاشا والي بغداد احتل راوندز شنة ١٢٧٢هـ (توافق ١٨٥٥م) وانه هو الذي قبل عودة رسول پاشا من ايران الى بغداد سنة ١٢٧٧هـ واخذه معه الى الاستانة حين عُين مشيراً للمابين سنة ١٢٨١هـ فتوسط تعيين رسول پاشا والياً على مدينة (وان) سنة ١٢٨٢هـ. ولا يذكر السيد حزني تاريخ سقوط بابان لكي نقارنه الى رأى الاستاذ عبدالفتاح. والذي أراه هو ان ماقاله حزني صحيح بصدد رسول پاشا. أما سقوط السليمانية فقد جاء على يد نجيب پاشا ولكن في سنة ١٢٦١هـ ١٨٤٥م حتى ان مقطعاً من شعر الشاعر عبدالباقي العمري في نهاية قصيدة مدح يبارك فيها انتصار نجيب پاشا يؤرخ للحادثة فيقول: بسديد رأيك فتحت بابانها. وهي بحساب الجمل توافق ١٢٦١هـ.

فالى روح الخطي إعتذار جيل سمع قدحاً فيه مافية، هو أجلُّ من ان ينال غبار طريقه. والى حزني الموكرياني عشماً في تجاوزه عما قلته دفعاً لوقر المسؤولية عن كاهلي. والى الاستاذ عبدالفتاح دعائي ورجائي ان يصاحبه التوفيق الى زمان مديد في خدمة تاريخ شعبه.

بغداد ١٩٨٨/١١/١٢

خامساً: قائمة بنتاجات المؤلف

١- المطبوعة

١- كيف تتعلم اللغة الكردية: سلسلة مقالات نشرت بأسم ج.أ.كلۆڵ في مجلة (صدى المستقبل) التي كان يصدرها (رسمي العامل) ببغداد ابتداء من شهر تشرين الثاني ١٩٥٣، والسلسلة لم تكمل بسبب سحب إمتياز المجلة من قبل السلطات العراقية بعد اصدار عددين منها فقط، وذلك لاتجاهها السياسي المعارض للنظام القائم في العراق آنذاك. اعداد هذه المجلة محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد.

٢- سياسة تتريك الكُرد في تركيا: مقال نشر عام ١٩٥٤ في جريدة (صوت الاهالي) لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي في العراق برئاسة المرحوم الاستاذ كامل الچادرچي (١٨٩٧/٤/٤ - ١٩٦٨/٢/١) ردا على ادعاءات جلال بايار رئيس الجمهورية التركية انذاك والمتضمنة انكار وجود الشعب الكردي والاقليات القومية في تركيا وذلك خلال زيارة قام بها بايار للولايات المتحدة الامريكية في تلك السنة. وقد ترتبت على طبع المقال المذكور عواقب ادارية وملاحقات قضائية بالنسبة للحزب الوطني الديمقراطي عندما نشرت الصحيفة نفسها مقالا اخر بعد ايام للعلامة الكردي المعروف الاستاذ محمد جميل الرۆژبەیانی بعنوان (التتريك لايزيد الشعب الكردي الا قوة وثورة على المستعمر) تاييدا للمقال السابق مهاجماً جلال بايار والنظام التركي العنصري وقد أقام السفير التركي ببغداد على اثره دعوى جزائية ضد المدير المسؤول للصحيفة في محاكم العراق التي غرمت الصحيفة بدفع ٦٠٠٠ دينار عراقي بسبب العلاقات السياسية السائدة انذاك بين البلدين عن طريق (حلف بغداد).

٣- چیرۆکی گەرداوەکە (قصة العاصفة) لوليم شكسبير، ترجمت من اللغة الإنكليزية الى اللغة الكردية، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٥.

٤- سەرەتای جەبر (مدخل الى علم الجبر) باللغة الكردية، طبع على آلة الرونيو بكركوك ١٩٥٦.

٥- كفاح الكُرد، كتيب نشر بإسم (صامد الكردستاني) طبع على مطابع كريم كرم في دمشق على شكل رسالة موجهة الى الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، دمشق ١٩٥٦.

٦- بنچینەکانی لینینزم (أسس اللينينية)، ترجمة المباديء اللينينية الى اللغة الكردية حسب تفسيرات ستالين للينينية، دمشق ١٩٦٥.

٧- سەیرە لە کۆیە (من غرائب الدهر) سلسلة من المقالات الانتقادية نشرت في شهري مايس وحزيران من عام ١٩٥٤ في مجلة (هەتاو) (الشمس) الكردية التي كان يصدرها المرحوم الاستاذ گيو موكرياني (توفي في ٢٤-٧-١٩٧٧) في أربيل. والمقالات كانت تبحث عن امكانية استخدام

اللغة الكردية في الحياة اليومية والعراقيل التي تقف أمامها.

٨- چیرۆکی لالۆ کەریم (العم كريم) قصة كردية تبحث عن مظالم وبطش الإقطاعيين في كردستان بدعم واسناد سلطات الدول التي تقتسم كردستان، كتبت القصة في كركوك عام ١٩٥٦ وطبعت بمطبعة كردستان في أربيل نفس العام ١٩٥٦ كما وطبعت القصة للمرة الثانية عام ١٩٨٦ من قبل دار ازاد للنشر في السويد مقرونة بمقدمة اضافية للمؤلف وذلك بمناسبة صدور الطبعة الثانية بعد مرور ٣٠ عاما على طبعته الأولى مشيرا الى عدد من التعليقات والتقييمات التي كتبت حول هذه القصة خلال تلك الفترة. وقد قام الممثل المسرحي الكردي الشهير الاستاذ احمد سالار بإصدار فلم عنه وعرضه في منتصف السبعينات على شاشة تلفزيون كركوك بكردستان.

٩- خوێندەواری بەزمانی کوردی (الثقافة باللغة الكردية)، مطبعة النور - بغداد ١٩٥٧ / ٢٥٦٩. يتضمن هذا البحث المشاكل التي تواجه كسب الثقافة ونشرها باللغة الكردية والسبل التي تؤدي الي تذليلها فيتحدث في القسم الأول من الكتاب عن قضية محاربة اللغة الكردية بصورة مباشرة وغير مباشرة من قبل الدول التي تقتسم كردستان، كما يتكلم عن مشكلة اختلاف اللهجات وعدم وجود كتابة كردية موحدة وشحة توفر دور الطباعة والنشر في كردستان. وفي القسم الثاني من الكتاب يقوم المؤلف ببسط عدة مقترحات منها تأسيس رابطة بين الادباء والكتاب الكُرد بأسم رابطة الكتاب الكُرد وتاسيس دار طباعة كردية كشركة مساهمة وانشاء مكتبة كردية عامة وجمع المخطوطات الكردية ودراستها ثم طبعها ونشرها وتنشيط حركة الترجمة من والى اللغة الكردية ودراستها ثم طبعها ونشرها وتنشيط حركة الترجمة من والى اللغة الكردية وتعميم الخط اللاتيني في الكتابة الكردية بموازاة الخط الشرقي واصدار كتب لتعليم اللغة الكردية للاطفال والكبار من الكُرد وغيرهم والعمل على اصدار الصحف والمجلات الكردية وطبع دواوين الشعراء الكُرد والاهتمام بالقصة الكردية الفنية وتطويرها واحياء الفولكلور الكردي والعمل على تأليف قاموس كردي- كردي ضخم وقواميس للغات الأجنبية والكردية وتأليف كتاب يتضمن قواعد موحدة للغة الكردية والعمل على انشاء مجمع علمي كردي يقوم بترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة الكردية. هذه المقترحات التي وردت في هذا الكتاب الذي صدر قبل ثلاثين عاما اصبحت فيما بعد جزءا من مطاليب الجماهير الكردية والى يومنا هذا. هذا وطبع الكتاب مرة اخرى في السويد عام ١٩٨٧ مع مقدمة للمؤلف وذلك بمناسبة مرور ٣٠ عاما على طبعته الأولى.

١٠- نووسینی کوردی بەلاتینی (الكتابة الكردية بالاحرف اللاتينية) كتاب مدرسي لتعلم الكتابة الكردية بالاحرف اللاتينية التي تطابق خصائص ومميزات اللغة الكردية بشكل افضل واتقن من الاحرف الشرقية. طبع في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٧/ ٢٥٦٩ وطبع ثانية في ستوكهولم عام ١٩٨٧ مع مقدمة اضافية للمؤلف وذلك بمناسبة مرور ثلاثين عاما على طبعته الأولى.

١١- یاری کردن بەئاگر (اللعب بالنار)، مقال حول الانطباعات التي حصل عليها المؤلف اثناء جولة

قام بها في القسم الشرقي من كردستان (جزء ايران)، نشر المقال في جريدة (ژين) (الحياة) الكردية في السليمانية عام ١٩٥٧.

١٢- بۆچی خراينه پشت گوێ؟ (لماذا اهملنا؟) مقال يدافع عن حقوق الشعب الكردي ولغته في وطنه كركوك. كتب المقال في كركوك بمناسبة الاحصاء العام في العراق لسنة ١٩٥٧ (لاحظ العدد ١٠٩ من مجلة (هەتاو) (ضوء الشمس) السنة الرابعة ٣٠ ايلول ١٩٥٧).

١٣- الحقوق الثقافية للمواطنين الكُرد. مذكرة تحتوي على مطاليب ثقافية للاكراد في العراق مع مقدمة عن الوعي السياسي للشعب الكردي تحت حكم النظام الملكي البائد، قدمها المؤلف بالاشتراك مع عدد من مدرسي ومعلمي كردستان الى الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العراقية والى وزير التربية والتعليم الدكتور جابر عمر وذلك بعد ايام قليلة من انقلاب تموز في ١٩٥٨/٧/١٤ والقضاء على النظام الملكي في العراق. نشرت المذكرة في ٢٤ تموز ١٩٥٨ في جريدة البلاد التي كان يصدرها المرحوم رفائيل بطي. لقد قام عبدالسلام عارف نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية انذاك والذي كان رجلا جاهلا متعصبا اعمى بسد جريدة (البلاد) وتعقيب الموقعين على المذكرة. كما وقام ناظم الطبقجلي الشوفيني العربي المعروف وقائد فرقة كركوك انذاك بمهاجمة موقعي تلك المذكرة واعتبارهم (من دعاة الانفصالية) (لاحظ مذكرات الطبقچلي) ومن الجدير بالذكر ان المذكرة نشرت أيضاً على شكل كراس مستقل (لاحظ معجم المؤلفين العراقيين).

١٤- هەندێک زاراوەی زانستی (بعض المصطلحات العلمية) مطبعة كامەران (كامران) السليمانية ٢٥٧٢/١٩٦٠. يعتبر هذا المجهود اول قاموس علمي يتضمن مصطلحات العلوم الطبيعية والرياضية وعلوم الاحياء والاقتصاد وغيرها وذلك على اساس القاموس الذي نشره المؤلف كملحق لكتابه (المدخل الى علم الميكانيك وخواص المادة) المؤلف في كركوك عام ١٩٥٤ والمطبوع ببغداد ١٩٦٠ (لاحظ رقم ١٥ في هذا الفهرس).

١٥- سەرەتای میکانیک وخۆماڵەکانی مادده (المدخل الى علم الميكانيك وخواص المادة) سلسلة الدراسات الفيزيائية رقم ١، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٠.

١٦- الابجدية الكردية اللاتينية بين دعاتها ومعارضيها. رد على اضاليل واباطيل جريدة (اتحاد الشعب) لسان حال الحزب الشيوعي العراقي. نشر في سلسلة تبلغ ٥٠ حلقة في جريدة (دەنگی كورد) - صوت الكُرد عام ١٩٦٠ ردا على مقال نشرته جريدة (اتحاد الشعب) ضد استعمال الاحرف اللاتينية لكتابة اللغة الكردية بحجة (معاداة الاحرف اللاتينية للوحدة العراقية).

١٧- زاراوەكانی لیژنەی (رياضيات) لەژێر ووردبينی لێكۆڵینەوەدا... (المصطلحات المصاغة من قبل لجنة الرياضيات تحت مجهر البحث) مقال علمي لغوي يناقش صحة وخطل المصطلحات من المثقفين والكتاب الكُرد تألفت من قبل وزارة التربية والتعليم في العراق عام ١٩٥٩. نشر المقال

على شكل حلقات في مجلة (رۆژی نوێ) (اليوم الجديد) الكردية (لاحظ الاعداد ٦و٧و٨ لسنة ١٩٦٠ والعدد ١١ لسنة ١٩٦١).

١٨- وەرگێران هونەرە (الترجمة فن)، رسالة عن فن الترجمة واساليبها، مطبعة (ژين) السليمانية ١٩٥٨/٢٥٧٠.

١٩- چيرۆكی پاڵتۆ (المعطف) الترجمة الكردية لقصة الكاتب الروسي الشهير نيقولاي غوغول (المعطف)، مطبعة (دار السلام) بغداد، ١٩٥٨/٢٥٧٠.

٢٠- الكُرد المفترى عليهم، مقال نشر في جريدة (صوت الاهالي) ببغداد في خريف عام ١٩٥٨ وهو رد موضوعي على تخرصات الكاتب البعثي المعروف رياض طه بشأن الكُرد. وقد ترجم الاستاذ محمد الملا كريم الرد الى اللغة الكردية ونشرها في مجلة (هيوا) (الامل) عام ١٩٥٩ \. (ملاحظة: مجلة (هيوا) كانت لسان حال النادي الارتقاء الكردي ببغداد وكان الاديب الكردي المعروف الاستاذ كامران احد محرري المجلة في ذلك الحين.

٢١- حول مفاهيم خاطئة في القومية الكردية. سلسلة من المقالات نشرت في جريدة (دەنگی كورد / صوت الكُرد) ببغداد عام ١٩٦٠ تعليقا على عدد من المقالات التي نشرها الاستاذ مسعود محمد في جريدة (الحرية) البغدادية في العام نفسه (ملاحظة: كانت جريدة دەنگی كورد تصدر في بغداد وكان المرحوم جلال عمر حويزي المحامي صاحبها ومديرها المسؤول وقد اشترك المؤلف في تحرير القسم العربي لبعض اعدادها.

٢٢- كوردايەتی (الكرودة - حركة وفكرة القومية الكردية) طبع ونشر مجموعة قصائد ذات اتجاه ابداعي للشاعر والاديب الكردي المعروف الاستاذ كامل ژير، مع مقدمة تحليلية وانتقادية اضافية. مطبعة النجاح - بغداد، ١٩٦٠. صدرت الطبعة الثانية للكتاب في مهاباد (كردستان - جزء ايران) من قبل مكتبة سيديان عام ١٩٧٩.

٢٣- كوردايەتی بزووتنەوەو بڕواو رژێمە (القومية الكردية حركة وفكرة ونظام للحكم). مطبعة النجاح - بغداد ١٩٦٠. كتبت هذه الرسالة ردا على كتيب صدر من قبل الحزب الشيوعي العراق بأسم الشيوعي الكردي المعروف الاستاذ محمد الملا كريم تحت عنوان (كرودة كامل ژير تحت مبضع التشريح) وفيه تحليلات واراء حول القومية بصفة عامة والقومية الكردية بصفة خاصة طبقا لنظرة ومصالح الشيوعية السوفياتية.

٢٤- فەرهەنگۆكی زانستی (القويميس العلمي) قاموس صغير يتضمن مجموعة من المصطلحات العلمية الرياضية والفيزيائية والكيميائية وغيرها أربيل ١٩٦٠/ ١٩٦١ (طبع بالرونيو).

٢٥- زمان وئەدەبیاتی كوردی (اللغة والادب الكردي)، أربيل ١٩٦٠/ ١٩٦١ مجموعة من المحاضرات القاها المؤلف على تلامذته في السنة الدراسية ١٩٦٠/١٩٦١ عندما كان مدرسا للغة

الكردية والادب الكردي بدار المعلمين الابتدائية بأربيل. (تم طبع المحاضرات على الة الرونيو).

٢٦- La Question Kurd (المسألة الكردية) كلمة باللغة الفرنسية، نشوؤها وابعادها السياسية والاجتماعية، القيت في جنيف (سويسرا) عام ١٩٦٢ على مجموعة من الطلاب والمثقفين السويسريين.

٢٧- Lalo Karim, mit Illustration von Doris Feyerabend, munchen 1968 الترجمة الالمانية لقصة (العم كريم) المنشورة باللغة الكردية عام ١٩٥٦، طبع ميونيخ عام ١٩٦٨.

٢٨- Kurdische Schriftsprach. EineChrestomatch ie moderner Texte, Hamburg 1969

٢٩- لغة الكتابة الكردية - مقتطفات من النصوص الكردية الحديثة - دار هلموت بسكة للنشر - همبورگ ١٩٦٩. يحتوي الكتاب على مدخل الى اللغة الكردية مع خمسة نصوص لخمسة كتاب معاصرين كتبت بالخطين الشرقي واللاتيني بالاضافة الى قويمس للكلمات الكردية الواردة في النصوص ومعانيها باللغة الالمانية.

٣٠- Mam & Zin Publikation d. NUKSE, 1969 مم وزين، ترجمة المانية موجزة للقصة الكردية الشهيرة (مم وزين) او (روميو وجوليت) (الكُرد للشاعر والمفكر الكردي الكبير احمدي خاني (١٦٥٠-١٧٠٦)، من منشورات الاتحاد القومي للطلبة الكُرد في أوروپا (نوكسة) ١٩٦٩/٢٥٨٠.

٣١-حول المشكلة الكردية. يتضمن هذا الكتاب دراسية موضوعية جريئة ومقتضبة لوجهات نظر الاحزاب والفئات والقوى العربية والكردية حول المشكلة الكردية من خلال ادبياتها وتصريحاتها مع تحليل علمي لتاريخ الامة الكردية وعرض موجز لفلسفة وحركة القوى المعروفة في كردستان بـ(نەتەوەیی) ومن ضمنها منظمة (كاژيك) من منشورات الاتحاد القومي للطلبة الكُرد في اوروپا (نوكسة) ١٩٦٩/٢٥٨٠.

٣٢- Der Kurdische Furst Mir -I Kore im, Spiegel der morgenlandischen u. abendlandiscen Zeugnisse . Ein Beitrag zur kurdischen Geschichte Hamburg 1970. الأمير الكردي مير محمد الرواندزي الملقب بـ(ميري كۆرە) على صفحة مرآة الشواهد والادلة الشرقية والغربية. مساهمة علمية في دراسة التأريخ الكردي. همبورگ ١٩٧٠، الترجمة العربية للاستاذ فخري سلاحشور - من منشورات الاكاديميا الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) ١٩٨٩.

٣٣- Sprichwörter u. Redensarten aus Kurdistan, Publikation der NUKSE , Munchen 1970. حكم واقوال مأثورة من كردستان. من منشورات الاتحاد القومي للطلبة الكُرد في اوروپا (نوكسة) طبع في ميونخ ١٩٧٠. البحث يحتوي على الترجمة الالمانية لمجموعة من الحكم والاقوال المأثورة الكردية مع مقدمة علمية عن مواضع الحكم والاقوال الماثورة في الفلكلور الكردي واهميتها لدراسة الظروف الاجتماعية للكرد، وتقريظ للمهندس بروسك ابراهيم السكرتير العام للاتحاد القومي للطلبة الكُرد في اوروپا انذاك.

٣٤- Kurdische Marchen u. Volkserzahlungen, publikation der NUSKE, Munchen 1970 اساطير وقصص شعبية كردية، من منشورات الاتحاد القومي للطلبة الكُرد في اوروپا (نوكسة)، طبع في ميونخ ١٩٧٠ الكتاب يحتوي على الترجمة الالمانية لمجموعة من الحكايات الاسطورية والقصص الشعبية الكردية مع مقدمة علمية عن الاساطير والقصص الشعبية الكردية موضعها في حقل الفلكلور الكردي واهميتها لدراسة الذهنية الكردية والمجتمع الكردي.

٣٥- Kurdistan u. seine Revolution, publikation der NUSKE, Munchen 1972. كردستان وثورتها، سلسلة من المحاضرات القيت باللغة الالمانية في برلين الغربية خلال عام ١٩٧١ على الكُرد واصدقاء كردستان من عرب وترك وفرس والمان وغيرهم. وهي عرض علمي انتقادي موجز للقضية السياسية الكردية في احقاب مختلفة من تأريخ هذا الشعب بكافة ابعادها وملابساتها الى نهاية عام ١٩٧١. جمعت المحاضرات وطبعت من قبل الاتحاد القومي للطلبة الكُرد في اوروپا (نوكسه) عام ١٩٧٢، وقد ترجم الكتاب من قبل الاديب الكردي كوردو علي الى اللغة الكردية وطبعت من قبل دار ازاد للنشر في السويد عام ١٩٨٥ في ٤١٥ صفحة.

٣٦- Ein Kurdisches Mond- Observatorium aus neuerer Zeit, in ZDMG, Nr. 122,1972 S. 140-44. مرصد كردي لمراقبة القمر. مقال في علم الفلك نشر باللغة الالمانية في العدد ١٢ من مجلة الجمعية الشرقية الالمانية الصادرة عام ١٩٧٢ في المانيا الاتحادية. كتب المقال بالاشتراك مع العالم الفلكي الالماني المعروف البروفيسور ظولظهارد شلوسر، والمقال يبحث عن المرصد الذي بناه العالم الرياضي والفلكي الكردي الكبير الشيخ حسن الطلزردي على جبل في منطقة زردي اوا (قرەداغ) قرب السليمانية. ذلك المرصد التأريخي الذي لم يبق له أي اثر بسبب قصف كردستان بالطائرات والمدافع الثقيلة في السنين الاخيرة.

٣٧- كورتە مێژوویەکی کوردناسی لەئەلمانیادا (نبذة تأريخية عن الدراسات الكردية في المانيا) هذه النبذة لاتحتوي فقط على مجهود العلماء الالمان في مجال الدراسات والابحاث المتعلقة بالكرد وتراثهم الثقافي والحضاري، بل على مساعي العلماء في البلدان الاخرى الناطقة باللغة الالمانية. نشرت الدراسة باللغة الكردية في مجلة المجمع العلمي الكردي الجزء الأول، المجلد الثاني، بغداد ١٩٧٤، ص٤١٣-٤٩٨، وقد ارفقت المجلة النص الكردي بموجز لمحتويات المقال باللغة العربية.

٣٨- "Jeziden", in "Lexikon der Islamischen Welt" Kohlhammer Verlag, Stuttgart 1974. Bd. I S.67-68. الإيزيديين في موسوعة العالم الإسلامي، دار كولهامر للنشر شتوتگارت ٤٧٩١ الجزء الأول ص ٦٧-٦٨ يبحث المقال بأيجاز عن ديانة اليزيديين الكُرد وعاداتهم وطقوسهم المختلفة.

٣٩- "Kurden" in "Lexikon der Islameschen Welt" Kohlhammer Verlag, Stuttgart 1974, Bd. I S. 114-115 الكُرد في موسوعة العالم الإسلامي، دار كولهامر للنشر شتوتگارت ٦٧٩١، الجزء الأول ص١١٤-١١٥.

٤٠- Kommentar zu Otto Spied Artikel "Kurdische Marchen im Rahmen der orientalisch vergleich enden Marchenkund", in "Fabula" Zeitschrift fur Erzahlforschung. 15. Bd. Heft 3,S.245-49. تعليق على مقال اوتو شبيس (الاساطير الكردية في نطاق علم الاساطير الشرقية المقارن)، هذا المقال هو تعقيب على مقال كتبه العالم الالماني والمستشرق المعروف البروفيسور اوتو شبيس حول الاساطير الكردية بالاستناد الى نتاج المؤلف (اساطير وقصص شعبية كردية). وقد نشر شبيس مقاله في مجلة فابولا وهي المجلة العالمية للدراسات والابحاث المتعلقة بالقصص والتي تصدرها دار فالرتدي كرويتر للنشر- برلين ونيويورك (لاحظ الجزء الرابع عشر، القسم الثالث، سنة ١٩٧٤ ص٢٠٥-٢١٧. لقد نشر المؤلف تعقيبه على مقال شبيس في نفس المجلة أيضاً (لاحظ الجزء الخامس عشر، القسم الثالث لسنة ٩٧٤، ص٢٤٥-٢٤٩.

٤١- Die Schriftsprache der Kurden, in Acta Iranica, Monumentum H.S. Nyberg, deuxieme Serie Volum II, Leiden 1975, S.97-122. لغة الكتابة الكردية، بحث علمي يتعلق بنشوء وتطور اللغة الكردية الفصحى المستعملة في الكتابة مع مقارنة فيلولوجية للهجتين الاساسيتين الكرمانجية الشمالية والكرمانجية الوسطى. نشر البحث في الموسوعة العالمية اكتا ايرانيكا الصادرة في ليدن (بلجيكا). دار بريل للنشر لايدن (هولندة) ١٩٧٥ ص٩٧-, ١٢٢

٤٢- Some characteristics of Kurdish mythology بعض مميزات علم الاساطير الكردية، بحث القي في المؤتمر الدولي لتأريخ الاديان المنعقد في بلدة لانكستر (بريطانيا) في ١٥-٢٢/اب ١٩٧٥ (لاحظ منهج المؤتمر الثاني والعشرين الصادر من قبل لجنة تحضير المؤتمر في جامعة لانكستر).

٤٣- خوێندنی کوردەوانی لە زانستگەی ئازاد لەبەرلین (الدراسات الكردية في جامعة برلين الحرة)، مقال تم نشره باللغة الكردية في مجلة كلية الاداب (جامعة بغداد) العدد ١٩، ١٩٧٦، ص١٧٥-١٩٣ يبحث عن الجهود التي بذلها المؤلف منذ بداية السبعينات والى بداية الثمانينات في سبيل استحداث الدراسات الكردية والدراسات المتعلقة بالشعوب الإيرانية في قسم الدراسات الإيرانية التابعة لجامعة برلين الحرة.

٤٤- رەخنەی زمانەوانی ولیسی کوێرانە هاویشتن (نقد يتعلق بفقه اللغة وتخبط شعواء) بحث لغوي انتقادي نشر باللغة الكردية في مجلة ئاسۆی زانکۆیی (افاق جامعية) مجلة جامعة السليمانية، العدد ٢٩، السنة الثانية، تموز ١٩٧٨، ص٨٤-٩٢.

٤٥- بیبلۆگرافیای کتێبی کوردی (١٧٨٧ - ١٩٧٥) (فهرس الكتب الكردية بين ١٧٨٧ و١٩٧٥)، هذا المقال هو وصف وتعليق انتقادي لموسوعة (فهرس الكتب الكردية) لمؤلفه الاستاذ مصطفى نريمان، نشر المقال في مجلة ئاسۆی زانکۆیی (افاق جامعية) مجلة جامعة السليمانية، العدد ٤ كانون الثاني ١٩٧٨، ص٨٩-٩١.

٤٦- سەرنجێک لەچەند زاراوەیەکی تازە بەکارهاتوو و(کۆڕی زانیاری کورد) (ملاحظات حول

بعض المصطلحات الحديثة الاستعمال والمجمع العلمي الكردي). مناقشة علمية لغوية هادفة للمصطلحات الكردية الجديدة التي استحدثها المجمع العلمي الكردي بين سني ١٩٧٠و ١٩٧٨. نشر المقال باللغة الكردية في مجلة كلية الاداب (جامعة بغداد) العدد ٢، ١٩٧٨، ص٧٩-١١٥.

٤٧- مامۆستا گیوی موکریانی لەتای تەرازووی خزمەتدا (الاستاذ گيو موكرياني في كفة ميزان الخدمة). كتب هذا المقال باللغة الكردية .... الاديب والصحفي الكردي المعروف گيو موكرياني في ١٩٧٧/٧/٢٤ .... في كتاب رثاء له تحت عنوان (لەیادی گیوی موکریانی دا) في ذكرى گيو موكرياني، مطبعة كردستان - أربيل ١٩٧٨، ص٤٧-٥١.

٤٨- كلمة حول المؤتمر العالمي للمستشرقين. نشرت في مجلة شمس كردستان الصادرة في بغداد، العدد ٥٤ اذار ١٩٧٩ ... كتبت بمناسبة انعقاد مؤتمر المستشرقين ببرلين في صيف ١٩٧٩.

٤٩- die Religion von Haqqa, orientalisten - ì. Berlin 1979. حول ديانة طائفة الحقة، محاضرة القيت باللغة الالمانية في مؤتمر المستشرقين الالمان المنعقد ببرلين عام ,١٩٧٩ المحاضرة كانت... طائفة الحقة التي تقطن منطقة معينة من جنوب كردستان تقع بين لوائي كركوك والسليمانية.

٥٠- Per arabische Nationalismus in Irak und Syrien und die Nationalitatenfrage im Vorceren Oniert, Dipl. - Arbeit, FU - Berlin 1979. القومية العربية في العراق وسوريا ومسالة القوميات في الشرق الاوسط، رسالة دبلوم في العلوم السياسية - جامعة برلين - قسم العلوم السياسية ١٩٧٩.

٥١- Buchbesprecnung : Joyce Blau : Manuel de Kurde Adialecte Sorani), Paris 1980, in ZDMG, Bd 131, Heft 2 (1981), S. 413 -15 مراجعة كتاب: عرض ونقد موضوعي لكتاب جويس بلو حول تعليم اللغة الكردية (اللهجة السورانيه) الذي تم نشره في باريس عام ١٩٨٠ والمقال نشر في مجلة الجمعية الالمانية الشرقية، الجزء ١٣١، القسم الثاني ١٩٨١ ص٤١٣-٤١٥.

٥٢- بیری نەتەوەیی کوردی نە بیری (قەومیەت)ی رۆژهەڵاتی ونە بیری (ناسیۆنالیزمی) رۆژئاواییە (فكرة الـ(نەتەوەیی) الكردية لا هي فكرة القومية الشرقية ولا هي فكرة القومية الغربية). محاضرة القيت باللغة الكردية يوم السبت المصادف ١٨-٨-١٩٨٤ أمام حشد غفير من الكُرد القاطنين في السويد وهي تحتوي على بحث شامل لفكرة القومية العربية والفارسية والتركية بأبعادها التاريخية، ومقارنتها بالقومية الكردية بتياريها الكلاسيكي والماركسي البرجوازي، وبصفة خاصة من حيث نظرة كل منها الى (الدولة القومية) والمحاضرة تحتوي أيضاً على بحث موضوعي عن الفكرة القومية والدولة القومية عند التيار الكردي المعروف بـ(نەتەوەیی). طبعت المحاضرة من قبل دار ازاد للنشر في السويد عام ١٩٨٤ قي ٢٧٥ صفحة.

٥٣- هێندێک لە کێشە بنەڕەتییەکانی قوتابخانەی کوردی سۆسیالیزم. بەرگی یەکەم (بعض القضايا الاساسية للمدرسة الكردية للاشتراكية) الجزء الأول، هذا الكتاب هو عرض موجز لبعض القضايا المتعلقة بالمدرسة الكردية للاشتراكية التي تدعى أيضاً بتيار (الحرية والتساوي)

وتبلور عام ١٩٥٩ في التنظيم المعروف بـ(كاژيك) بدءً بنقد النظامين الرأسمالي والشيوعي والتركيز على حرية الفرد في المجتمع كجزء غير قابل للتجزئة او التنقيص او الازدياد، وتشبيه (الحرية) بحالة (الحمل عند المرأة) فالمرأة أما ان تكون حاملا او غير حامل اذ لاتوجد امرأة (حامل الى حد معين) فكذلك الامر مع الحرية، أي لاتوجد (حالة وسطى بين وجود الحرية وعدم وجودها) ومن هنا تم استنتاج الفكرة القائلة بأن (الحرية لا وجود لها في حالة تساوي السلطة في المجتمع لأنها هي الحالة الوحيدة التي لاتؤدي الى تجزئة الحرية). نشر الجزء الأول من هذا الكتاب من قبل دار ازاد للنشر في السويد عام ٢٩٥٦/١٩٨٦ في ١٢٥ صفحة ومن مواضيعها: الحرية والسلطة، الحياد بين عدم التحزب الموضوعي وبين اللاموقفية الانتهازية (العلم هو موقف)، جعل المجتمع مجتمع التساوي في السلطة- التساوي لن يتم بأعطاء الحريات المتساوية في مجتمع تسوده اللامساواة الطبقية والفئوية، الفكرة السياسية من الستراتيج والتكتيك... الخ.

٥٤- دۆزی ناسیۆنالی کورد: ئۆتۆنۆمی یان کوردستانێکی سەربەخۆ یان بڕیاری چارەنووس لەئازادی دا وبۆ ئازادی (قضية الكُرد القومية: أحكم ذاتي ام تاسيس دولة كردستانية مستقلة ام تقرير المصير في الحرية ومن اجل الحرية)؟ محاضرة القيت يوم السبت المصادف ١١-٥-٥٨٩١ في ستوكهولم حضره حوالي ٣٠٠ من الكُرد المقيمين في السويد. والمحاضرة هي بحث تأريخي سياسي ومقارنة منهجية بين الاساليب المختلفة التي تقترح لحد الان لحل القضية الكردية واهمها: ١- الحصول على الحكم الذاتي ضمن الدول التي تقتسم كردستان ٢- العمل على انشاء دولة كردستانية مستقلة ٣- العمل من اجل الحصول على حق تقرير المصير للامة الكردية وممارسة ذلك الحق شريطة ان تتم تلك الممارسة في اجواء بعيدة عن المؤثرات المادية والعاطفية وان يكون القرار في اتجاه (الحرية) والحرية ي هذه الحالة هي اوسع من الاستقلال الاقليمي للوطن الكردي. نشرت المحاضرة من قبل دار ازاد للنشر في السويد عام ٢٥٩٧/١٩٨٥ في ١٠٠ صفحة وترجمت الى اللغة الالمانية من قبل المهندس بروسك ابراهيم ونشرت من قبل الاكاديميا الكردية للعلم والفن عام ١٩٨٧ في ١٣٦ صفحة. كما وقد ترجمت الى اللغة السويدية من قبل كريستيان رونبيري ونشرت من قبل الاكاديميا الكردية للعلم والفن أيضاً وذلك عام ١٩٨٨ في ٨٣ صفحة. أما الترجمة الإنگليزية لكلارا ڤينر فهي معدة للطبع والترجمة العربية للاستاذ فخري سلاحشور ستتم قريبا.

٥٥- پێوەندارێتی کوردی: کورد کێیەو وکوردبوون مانای چییە؟ ... (الانتماء الكردي: من هو الكردي وماذا يعني ان يكون المرء كورديا؟) محاضرة القيت باللغة الكردية يوم الجمعة المصادف ٢٧-١٢-١٩٨٥ في كوبنهاگن (الدنيمارك) حضره ١٢٠ من الكُرد المقيمين في الدنيمارك وسائر البلاد الاسكندنافية. والمحاضرة هي بحث من بحوث علم الاجتماع يناقش هوية شعب لايملك كيانه القومي وهو مجزأ بين خمس دول ذات انظمة اجتماعية مختلفة. المحاضرة طبعت ونشرت من قبل

دار ازاد للنشر في السويد عام ١٩٨٦ في ٧٩ صفحة. وترجمت أيضاً من قبل المحاضر نفسه الى اللغة الالمانية وطبعت من قبل الاكاديميا الكردية للعلم والفن في السويد عام ١٩٨٧ في ٩٢ صفحة. هذا واتخذت الترتيبات اللازمة لترجمة الكتاب الى اللغتين العربية والسويدية. أما الترجمة الإنگليزية فقد انجزت وهي في طريقها الى الطبع.

٥٦- گۆڤاری نیشتمان (تەمووزی ١٩٤٣ - مایسی ١٩٤٤) زمانی حالی کۆمەڵەی (ژێکاف) وئیدیۆلۆژی هورده بۆرژوای رۆشنبیری ناسیۆنالیست لە کوردستاندا - بەبۆنەی تێپەڕبوونی چل ساڵ بەسەر دەرچوونی یەکەمین ژمارەی گۆڤاری (نیشتمان) دا لە تەمووزی ١٩٨٣دا (مجلة "نيشتمان" لسان حال حزب (ژێکاف) الكردي وايديولوجية البرجوازية القومية المثقفة في كردستان)، كتب البحث في تموز ١٩٨٣ بمناسبة مرور ٤٠ عاما على صدور اول عدد من مجلة "نيشتمان" (الوطن) وهو تعليق انتقادي تحليلي لمحتويات المجلة وتسليط بعض الاضواء على حزب (ژێکاف) وايديولوجيته بالاضافة الى بحث مكثف عن القومية الكردية، اصولها وتطورها، والقومية الكردية (كحركة وكفكرة) عند الفئتين الكلاسيكية والبرجوازية الصغيرة (بشقيها القومي التقليدي والماركسي الاصلاحي) وكذلك فكرة القومية ومحتواها عند حاملي التيار المعروف بـ(نەتەوەیی) الكتاب هو من منشورات الاكاديما الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) ٢٥٩٧/١٩٨٥ ونشر من قبل دار ازاد للنشر في السويد باللغتين الكردية والالمانية في ٣٢٩ صفحة.

٥٧- سەرنجدانێک لە میتۆلۆژیای کورد (لمحة عن علم الاساطير الكردية) محاضرة القيت يوم السبت المصادف ١-١٢-١٩٨٦ في امستردام (هولندة) على جمع غفير من الكُرد المقيمين هناك وذلك بدعوة من جمعية الفنانيين الكُرد في امستردام. والمحاضرة هي موجز للتحقيقات العلمية للمؤلف في مضمار (الاساطير الكردية) طبع من قبل الاكاديميا الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) عام ٢٥٩٧/١٩٨٦ في ٣٩ صفحة.

٥٨- بیری زانستانە یان لێدانی بالۆرەی ترڕ...م- پرڕ...م- پفف...ف بۆ زۆرداران وداگیرکەران. کورتە وەرامێک بۆ دارودەستەی گۆڤاری دەسندەخۆری (پەیڤ) لە لەندەن (ا فكرة علمية ام تطبيل وتزمير على ابواق ترڕ.... م-پرڕ... م—پفف...ف؟) كتاب صدر باللغة الكردية في ٩٨ صفحة عام ٢٥٩٩/١٩٧ ردا على تخرصات بعض المرتزقة من المتعلمين الكُرد والمتاجرين ببؤس وشقاء شعبهم في أوروپا والمتسترين تحت شعار (الحياد السياسي) الكاذب بحجة (خدمة الثقافة الكردية) وبالاخص ما يسمى نفسه بـ(المعهد الثقافي الكردي في لندن).

٥٩- گۆڤاری کۆمۆنیستانەی (یەکێتی تێکۆشین) (١٩٤٤-١٩٤٥) وئیدیۆلۆژێ هورده بۆرژوای مارکسستی کورد. (المجلة الشيوعية "وحدة النضال" (١٩٤٤-١٩٤٥) وايديولوجية البرجوازية الماركسية الكردية الصغيرة). كتب هذا البحث ببرلين عام ١٩٨٤ بمناسبة مرور ٤٠ عاما على صدور اول عدد من مجلة (وحدة النضال) ومرور (٥٠) سنة على تاسيس الحزب الشيوعي

العراقي. والكتاب يحتوي بالاضافة الى دراسة تحليلية لنصوص المجلة المذكورة؛ على بحث تأريخي مقتضب عن الحزب الشيوعي العراقي والقضية الكردية منذ تأسيس الحزب الى عام صدور الكتاب، مدعوم بالوثائق الموثوقة. طبع الكتاب من قبل الاكاديميا الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) عام ١٩٨٨ / ٢٦٠٠ في ١٧٣ صفحة هذا وستصدر الترجمة الالمانية للكتاب بقلم المؤلف في وقت لاحق.

٦٠- ئێستەو پاشەڕۆژی نەتەوەی کورد لەبەرگڕی ئاگری جەنگی عێراق وئێراندا (حاضر ومستقبل الامة الكردية من خلال لهيب الحرب العراقية الإيرانية)، محاضرة القيت باللغة الكردية على الكُرد المقيمين في السويد بدعوة من الاكاديميا الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) وذلك عصر يوم السبت الموافق ٢١-٥-١٩٨٨، وقد اشترك في المحاضرة (٢٥٠) شخصا. أما المحاضرة فتحتوي على عرض تأريخي موجز للخلافات الموجودة بين القوميتين العربية والفارسية مع مقارنة مركزة بين مميزت وخصائص النظامين الحاكمين في الدولتين المتحاربتين (العراق وايران) مواقفهما تجاه الكُرد بصورة عامة والقضية الكردية بصفة خاصة كل في حدود دولته وكذلك بالنسبة الى الكُرد المقيمين في حدود الدولة المعادية. والمحاضرة تبحث أيضاً عن الاسباب والدواعي التي ادت الى اضرام نيران الحرب، مع التطرق الى استخدام الاسلحة الكيميائية في الحرب واثرها على اسلوب المقاومة الكردية المسلحة في الجزء العراقي من كردستان. وموقف الدول العظمى والمنظمات الدولية تجاه العراق وايران والكُرد وبصورة خاصة اثناء هذه الحرب. كما تقوم المحاضرة تحليلا موضوعيا انتقاديا مكثفا لمواقف الاحزاب والمنظمات الكردية في الدولتين المتخاصمتين قبل اشتعال نار الحرب وبعدها. هذه المحاضرة التي القيت قبل قبول ايران بقرار مجلس الامن رقم ٥٩٨ في ١٩٨٨/٧/١٨ خرجت بنتائج وتنبؤات تحققت قي الايام الأولى بعد قرار ايقاف الحرب، والتي تتخلص في عدم تمسك الاحزاب الكردية بأستقلالها بين الدولتين المتخاصمتين. لقد كانت المحاضرة ناجحة جدا وقوبلت بتصفيق متواصل من قبل الجماهير الكردية المشتركة. طبعت المحاضرة ونشرتها الاكاديميا الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) ١٩٨٨

٦١- زمانی یەکگرتووی کوردی (لغة الكتابة الكردية الموحدة)، من منشورات الاتحاد القومي للطلبة الكُرد في أوروپا - بامبيرگ - المانيا الاتحادية ١٩٧٦. هذا الكتاب الذي يقع في ١٢٧ صفحة هي المحاولة الأولى والوحيدة لاستحداث لغة كردية ادبية موحدة بالاستعانة بعلم اللغة. لقد قام المؤلف بتشخيص الفوارق الموجودة بين اللهجات الكردية (وبصفة خاصة بين اللهجتين الكرمانجية الشمالية والوسطى) من النواحي الصرفية والصوتية والمعجمية فتمكن ان يسلط الاضواء على جوانب كثيرة من التطور التأريخي للغة الكردية مقترحا جملة من الاصلاحات التي تساهم في تطوير اللغة الادبية الموحدة.

٦٢- من شیواندوومە لێتان ؟ یان هەر خۆتانن سەرلێشێواو.

ب- نتاجات غير مطبوعة

١- سەرەتای زانستی دەنگ (مدخل الى علم الصوت) - سلسلة الدراسات الفيزيائية رقم ٢. كتب باللغة الكردية في كركوك عام ١٩٥٦.

٢- سەرەتای زانستی سێگۆشەکان (مدخل الى علم المثلثات). كتب باللغة الكردية في مدينة الزبير (بصرة) عام ١٩٥٧.

٣- يانسيب (يانصيب)، قصة كردية كتبت في مدينة البصرة عام ١٩٥٧.

٤- رفع الاوهام ودفع التضليل في اللغة الكردية من الدخيل. كلمة القيت باللغة العربية في مدينة الزبير بمحافظة البصرة عام ١٩٥٧ ردا على مزاعم احد ادباء العرب المتعصبين، مفادها ان اللغة الكردية تتألف من خليط من اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية. وفي الكلمة اشارة الى عدد لابأس به من الكلمات العربية ذات الاصل الكردي.

٥- كوردستان وقوتابخانەکانی (كردستان ومدارسها). بحث عن الحالة الثقافية والدراسية في مدارس ومعاهد الجزء العراق من كردستان. كتب في مدينة السليمنية عام ١٩٥٧/١٩٥٨.

٦- نووسەری بێ باوک (الكاتب اليتيم). قصة كردية كتبت في مدينة أربيل عام ١٩٦٠.

٧- کورد ومێژووی نەتەوەی (الكرد والتأريخ القومي). كتب في مدينة أربيل عام ١٩٦٠.

٨- فەرهەنگی ئینگلیزی - کوردی (قاموس إنگليزي - كردي)، ٣٠٠٠٠ كلمة بدأ العمل فيه سنة ١٩٥٢ ببغداد وافرغ منه عام ١٩٦٠ بأربيل.

٩- کاکەییەکان وئاینی یاری (الكاكائية وديانة "ياري"). بحث باللغة الكردية حول ديانة "اهل الحق" (الديانة الكاكائية) المنتشرة في الجزأين العراقي والايراني من كردستان.

١٠- Babisums als religiose und politische Erscheinung in persien, Vortrag, Munchen 1965. الديانة البابية كظاهرة دينية وسياسية في ايران. محاضرة القيت باللغة الالمانية على طلاب قسم الدراسات الشرقية بجامعة ميونيخ عام ١٩٦٥.

١١- اسماء الأماكن الكردية. بحث كتب باللغة الالمانية في مدينة ڤيرتزبورگ بالمانيا الاتحادية خلال عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ وهو دراسة لغية ايتمولوجية تبحث عن اصول اسماء المدن والقرى وانهار والجبال والوديان في كردستان.

١٢- Geschichte der Kurdologie und Kurden - Kunde in deutschsprachigen Landern. تأريخ الدراسات والابحاث الكردية في البلدان الناطقة باللغة الالمانية. كتب هذا البحث باللغة الالمانية خلال عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤ ببرلين.

١٣- Ein Lehrbuch fur die Kurdische Sprach كتاب لتعلم اللغة الكردية. بدأ العمل في تأليف الكتاب باللغة الالمانية ببرلين من عام ١٧٩١ الى ١٩٨٠.

١٤- Lexikon zur kurdischen Mythologie موسوعة الميثولوجيا الكردية. موسوعة علمية باللغة الالمانية تتضمن مئات المقالات الطويلة والقصيرة عن الاديان الكردية كاليزيدية واهل الحق (الكاكائية) والحقة والشبك والسارية والشمسية وغيرها وكذلك الاديان الموجودة في كردستان كالإسلام والمسيحية واليهودية والزردشتية والطرائق الصوفية وغيرها. بدأ العمل فيه من ١٩٧٠ الى ١٩٨٠ وبعدها. هذا وقد القى المؤلف عام ١٩٨٦ محاضرة عن (علم الاساطير الكردية) (راجع الرقم ٥٧ من هذا الفهرس) تطرق بأيجاز ولاول مرة في تأريخ الابحاث الكردية الى المقومات الاساسية للميثولوجيا الكردية.

١٥- Ausgewahlte arabische und persische Texte zu Manichaismus. بعض النصوص العربية والفارسية المختارة حول الديانة المانوية. البحث يحتوي على ترجمة هذه النصوص الى الالمانية مع بعض التعليقات والهوامش. تم القيام به خلال سنتي ١٩٧٢ و١٩٧٣ ببرلين.

١٦- ووشەی بێگانە لەزمانی كوردیدا (الكلمات الاجنبية في اللغة الكردية). بحث علمي لغوي كتب ببرلين عام ١٩٧٤.

١٧- دراسات في ثورة ايلول الكردية. دراسة كتبت باللغة العربية تبحث عن عوامل اندلاع الحركة الكردية المسلحة في ١١ ايلول (او ٩ ايلول) ١٩٦١ ثم تطورها الى ثورة جماهيرية وكذلك الاسباب الذاتية والموضوعية التي كانت تكمن خلف انتكاستها في اذار ١٩٧٥.

١٨- قضية الاثوريين وموقفنا منها. عرض تأريخي موجز للقضية القومية والاجتماعية للاخوة الاثوريين والمصائب التي لحقت بهم خلال القرنين الماضي والحاضر، ودور الاستعمار الاوربي والدول التي تقتسم كردستان وكذلك الرجعية الاثورية نفسها في تلك النوائب والرزايا. وموقف الاحرار الكُرد من هذا الشعب الكردستاني الشقيق ذي الماضي المجيد. بدا العمل فيه عام ١٩٧٥.

١٩- Vortrage uber das islamische Recht محاضرات في قوانين الشريعة الإسلامية.

٢٠- بلوجستان وتأريخ بلوجها (بلوجستان وتأريخ البلوجيين). دراسة عن الشعب البلوجي ووطنه بلوجستان. كتبت باللغة الفارسية عام ١٩٧٥, نظري به زبان وفرهنگ مازندران (لمحة عن لغة مازندران وحضارتها) بحث لغوي اجتماعي عن اللغة والحياة الاجتماعية لسكان منطقة مازندران في ايران. كتب البحث باللغة الفارسية عام ١٩٧٦.

٢١- سەرەتایەكی زمانەوانی وزمانی كوردی (مقدمة في فقه اللغة واللغة الكردية) بحث كتب عام ١٩٧٧ في برلين.

٢٢- Der staatliche persische Einheitspartei "Rastakhiz", Enstemung und Niederging. الحزب الفارسي (رستاخيز) (البعث) حزب الدولة الإيرانية الوحيد، نشوئه وانهياره. بحث تأريخي - سياسي حول

النظام الشاهنشاهي الشمولي في ايران من خلال دراسة حزب الدولة الرسمي (رستاخيز). كتب ببرلين خلال عامي ١٩٧٧ و١٩٨٧.

٢٣- شاكير موجريم وگەنجينەيەكى وون بوو (شاكر مجرم وثروة مفقودة). مقال كتب في برلين بتأريخ ٢٧-١٢-١٩٧٩ لاحياء بعض القصائد الكردية غير المنشورة.

٢٤- Der kurdische Nationalismus im Vordern Orient القومية الكردية في الشرق الادنى، بحث تاريخي سياسي كتب عام ٩٧٩١و ٠٨٩١.

٢٥- ناكۆكی نێوان ریزەكانی گەلی كورد وخاوكردنەوەی (تناقضات في صفوف المجتمع الكردي وسبل ارخائها). محاضرة القيت باللغة الكردية بتأريخ ٢٣-٩-١٩٨٣ على جمع غفير من اكراد أوروبا في مدينة ميونيخ. والمحاضرة هي بحث مكثف عن بنية المجتمع الكردي مع تحليل الاسباب والعوامل التأريخية والاجتماعية والحضارية التي دعت الى دب الخلافات والشقاق والتنازع في صفوف الكُرد.

٢٦- (رەنگدانەوەی بیری كاژیک لەئەدەبیاتی هوردە بۆرژوازیێ كوردا) (آثار فكرة كاژيك في ادبيات البرجوازية الكردية الصغيرة) محاضرة القيت باللغة الكردية في برلين بتأريخ ١٩٨٤/٤/١٤ بمناسبة مرور ربع قرن على ظهور فكرة وحركة كاژيك.

٢٧- **.**Das Gottesbild in den mythischen Vorstellungen der Kurden صورة الاله في التصورات الاسطورية عند الكُرد. كتب البحث سنة ١٩٨٥.

٢٨- **.**Bibliography of religion of Yezidikurds, with extensive introduction and commentary بيبلوغرافيا ديانة اليزيديين الكُرد. فهرس مفصل بالمقالات والكتب والابحاث التي نشرت حول الديانة اليزيدية بلغات شرقية وغربية مختلفة مع مقدمة علمية مكثفة عن هذه الديانة وهذه الطائفة الكردية القديمة.

٢٩- سەرنجدانێک لە كودەتای ١٤ی تەمووزی عیراق پاش ٣٠ ساڵ (نظرة الى انقلاب ١٤ تموز في العراق بعد مرور ٣٠ عاما على وقوعه. محاضرة القيت في كوبنهاكن (الدنيمارك) بتأريخ ٢٧-١٢-١٩٨٥ وبمبادرة الاكاديميا الكردية للعلم والفن (ستوكهولم) وبدعوة من دەزگای كولتوورو رۆشنبیریێ كورد لە دانیمارک) (مؤسسة الحضارة والثقافة الكردية في الدانيمارك).

٣٠- Deutsch - Kurdische Worterbuch القاموس الالماني الكردي، قاموس ضخم بدأ العمل فيه منذ منتصف الستينات.

الأمير الكردي مير محمد الرواندزي

جمال نەبەز

Aras Press and Publishers
Kurdistan - Erbil
2003
www.araspublisher.com
مطبعة وزارة التربية